



المحتوى

■ الموردة

الاشد عداوة د . محمد البكاء ٢ - ٤

■ بحوث ودراسات

- الحجر والحجارة في القرآن الكريم د . محمد البكاء ٦ - ١٨
- استراتيجية قادة العرب المسلمين في تحرير بلاد المغرب
- العربي من الاستعمار البيزنطي د . محمد سعيد رضا العتبي ١٩ - ٣١
- المخالفة الصوتية في اللغة العربية علي خليف ٣٢ - ٤١
- قراءة في معلقات العرب الاولى د . عمران الكبيسي ٤٢ - ٥٤
- الماء في صور ابي تمام الشعرية د . نادية غازي ٥٥ - ٦٦
- مصائر البيهوني في علم الاحجر والكريمة د . عماد عبد السلام ٦٧ - ٧٢
- فلسفة الاخلاق عند ابي بكر الرازي د . طه جزاع ٧٣ - ٨٠

■ نصوص محققة

- مسائل في التجويد والقراءات د . طه محسن ٨١ - ٩٢

■ ملف العدد

- الكتابة المسمارية نشأتها وتطورها د . حسين احمد سلمان ٩٣ - ٩٥
- رسم الكتابة المسمارية بين مداولي التغيير والتطور د . علاء الدين احمد العاني ٩٦ - ٩٧
- اهمية الكتابة في حفظ الحديث النبوي الشريف وتداوله
- خلال القرن الاول الهجري د . عبد الخضر جاسم جادي ٩٨ - ١٠١
- النقوش الكتابية في شبه جزيرة العرب قبل الاسلام أ . د . عياض الدوري ١٠٢ - ١٠٧
- خط الثلث والمخطوطات يوسف ذنون ١٠٨ - ١٢٠
- كتاب احكام صنعة الكلام لابن عبد الغفور الكلاعي د . هدى شوكت بهنام ١٢١ - ١٢٨
- بيليوغرافيا الخط العربي وما يتصل به حسن عريبي ١٢٩ - ١٤٤

الاشد عداوة

الاشد عداوة

قال الله تعالى في سورة المائدة (٨٢): ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عداوةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ ذلك ان قريش لم تكن وحدها العدو الذي ناصب المسلمين العداوة والبغضاء ، بل كان هناك اليهود من أهل المدينة وما حولها ، واذا كانت قريش قد ناصبت الاسلام العداوة لانها ترى فيه تهديداً مباشراً لسيادتها ، ورفاهيتها ، ومصالحها الخاصة ، فان اليهود — كما يفترض — كانوا أهل علم وكتاب سماوي ، وكانوا أولى الناس بالايمان بالرسول الكريم ﴿ ﷺ ﴾ وان يصدقوا بكل ما جاء به مكملاً لدينهم ، بعد أن أتم الله نعمته على العالمين ، كما جاء مصداقاً لما بين أيديهم في الكتاب ، موافقاً لكل ما يعرفون في صفة هذا النبي ﴿ ﷺ ﴾ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة ، قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ الذِّي الْأَمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ . ﴿الاعراف ١٥٧﴾ ولكن طبيعة الاثرة غلبت على نفوسهم ، فعز عليهم ان يكون هذا النبي من العرب لا منهم ، وان يزعم مكانتهم الدينية أحد من غيرهم ، أو تشاركهم أمة أخرى في هذه الميزة لانهم كانوا يتوهمون أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وشعبه المختار في الارض ، وان الرسل والانبياء لا يكونون الا منهم . فلما أرسل سبحانه محمداً ﴿ ﷺ ﴾ من العرب لا منهم ، ملا الحسد قلوبهم ، واكثتهم الغيرة العمياء ، فحرفوا ما جاء في كتابهم عنه ، وغيروا كل ما يدل عليه من اسم أو صفة أو اشارة ، بعد ان اضمروا له البغضاء والعداوة والحقد ولمن اتبعه من المؤمنين . قال الله تعالى : ﴿مِنَ الَّذِينَ هَانُوا إِخْرَافُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَزَاعِمًا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَفُنَا فِي الدِّينِ﴾ . (النساء ٤٦) .

ومع ان الرسول الكريم ﴿ ﷺ ﴾ كان يعلم ذلك من امرهم ، الا انه دعاهم الى الاسلام في رفق ، وجادلهم بالتي هي احسن ، وتفاضى عن كثير من سيئاتهم ، وقال لهم كما جاء في القرآن الكريم : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ . (آل عمران ٦٤) مذكراً اياهم بنعمة الله عليهم ، قال تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَاتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةً وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَنْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة ٤٧) . الا ان العداوة ظلت كامنة في نفوسهم منذ ان قدم ﴿ ﷺ ﴾ المدينة ثم ما لبث ان اشتد سعيها . روى ابن اسحق في حديث صفية بنت حيي بن اخطب — زوج رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ — في ما سمعته من عمها وهو يقول لابنها : أهو هو ؟ قال : نعم والله . قال : اتعرفه وتثبت ؟ قال : نعم قال : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوته — والله — ما بقيت !! . ذلك لان اليهود كانت تنتظر مبعث الرسول ﴿ ﷺ ﴾ . وفي حديث ابن سلام — حبر اليهود وعالمهم — حين اسلم ما يوضح ذلك :



د. محمد البكاء

قال : لما سمعت رسول الله ، وعرفت صفته واسمه وهيئته وزماته الذي كنا نتوكل له ، فلما قدم المدينة ، اقبل رجل يخبرني بقدومه ، وانا في رأس نخلة لي اعمل فيها وعمتي خالدة جالسة في اسفل النخلة ، فلما سمعت بقدوم رسول الله كبرت ، فقالت عمتي حين سمعت تكبيرى : لو سمعت بموسى بن عمران ما زدت ، فقلت لها : هو والله اخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به . قالت : يا ابن اخي أهو النبي الذي كنا نخبر انه يبعث مع نفس الساعة — تعنى انه آخر رسول تقوم بعده القيامة — قت لها نعم ، قالت : فذاك اذا . ثم يقول : بعدها خرجت الى رسول الله ﷺ فاسلمت ، ثم رجعت الى أهل بيتي فامرتهم فاسلموا .

وفي أحد لم يشأ اليهود والمنافقون ان يخفوا شمائتهم وفرحهم بما ما اصاب المسلمين ، فراحوا يجاهرون بها ويشككون في رسول الله ﷺ ودعوته بالرغم من انهم كانوا اصحاب عهد مع رسول الله ﷺ بعد مبركة بدر ، الا انهم سرعان ما نقضوا عهدهم وكاشفوا بالعداوة رسول الله واتباعه من المؤمنين .. وقد حذر القرآن الكريم المؤمنين من الثقة بهم ، والاطمئنان اليهم قال تعالى في سورة آل عمران (١١٩ ، ١٢٠) : ﴿ هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَنْكُمْ مِنَ الْغَيْظِ قُلُ مُؤْتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . ﴾ . إن تمسككم حسنة تسوهم ، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها . وعندما خرج رسول الله ﷺ الى بني النضير يستعينهم في دية القتيلين اللذين اصابهما عمرو بن أمية من بني عامر . حاولوا اغتياله بالقاء صخرة عليه وهو جالس الى جنب جدار من بيوتهم ، الا ان ارادة الله ردت كيدهم الى نحورهم ، بعد ان اتى خبر السماء بما اراد القوم فقام ﷺ وخرج راجعاً الى المدينة ليأمر ﷺ بالتهيب لحربهم والسير اليهم .

لقد حفظ لنا التاريخ — قديمه وحديثه — امثلة كثيرة على غدر اليهود وعزمهم على الانتقام من الرسول الكريم ﷺ والمؤمنين ، ففي القديم : اتصالحهم بقريش ودعوتهم الى حرب رسول الله ﷺ ، ومن بعدها غطفان . وهكذا جعلوا يحزبون الاحزاب ، ويؤلبون القبائل ويجمعون كل من له نار عند رسول الله ﷺ حتى اجتمع لهم من قريش وغطفان وأسد وسليم ومن تابعهم من قبائل العرب نحو من عشرة الاف مقاتل ، هذا فضلاً عن غدر بني قريظة ونقضهم عهدهم ، ولولا عناية الله ونصره ورد الذين كفروا بغيظهم لكان لهذه الغزوة الاحزاب (الخندق) شأن آخر ، وتتوالى الاحداث في غزوة بني قريظة وخيبر التي انتهت القوة السياسية والاقتصادية التي تمتع بها اليهود في أرض العرب .

اما من يتأمل تاريخنا الحديث ومواقف اليهود من الامة العربية (مادة الاسلام) فلا بد ان يدرك مدى الحقد الدفين الذي انطوت عليه نفوسهم والذي عبرت عنه الحركة الصهيونية لتتال من امة العرب ارضاً وتاريخاً وحساسة وما المجازر البشعة التي ارتكبت بحق اخوتنا في فلسطين المحتلة ، والتي تاخذ الآن اشكالاً وصوراً متعددة الا من ذلك الغيظ والحقد التي تشربته نفوسهم ، وعبرت عنه اميركا بحق شعب العراق المجاهد طيلة اكثر من عشر سنوات — ولم تستطع سماحة الاسلام وعدله ورافته بهم ان تهذب منه قليلاً او تحد من غلوائه . قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصْنَعُونََ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَمَنَ ، تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ . (آل عمران ٩٩)

والان هل هناك خيار غير الجهاد ، لان فلسطين المحتلة

— كما قال قائد جمع المجاهدين — لن نسترجع بمساومات من موقع الضعف وانما لابد من تثوير الاقتدار واستنفاره بموقف قومي شامل يدعم أبناء فلسطين ويمنحهم عمقاً قومياً فاعلاً يكونون فيه طليعة الجهاد العربي لتحرير الارض المغتصبة .



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم :

الحجر والحجارة

في القرآن الكريم

الْحَجَرُ : الصَّخْرَةُ ، والجمع في القلة أَحْجارٌ ، وفي الكثرة :
حِجَارٌ وحِجَارَةٌ ، وقال الشاعر :
كَأَنَّهُا مِنْ حِجَارِ الْغَيْلِ ، أَلْبَسَهَا
مَضَارِبُ الْمَاءِ لَوْنُ الطُّخْلِيبِ التُّرْبِ

ونقل عن الليث : الْحَجَرُ جمعه الْحِجَارَةُ ، وليس بقياس لأن
الْحَجَرَ وما أشبهه يجمع على (أَحْجار) ، ولكن يجوز
الاستحسان في العربية كما أنه يجوز في الفقه وترك القياس
له . ومثله : المِهْزَاةُ والبِكَارَةُ لجمع المَهْرِ والبِكرِ .
ويروى عن أبي الهيثم أنه قال : العرب تدخل الهاء في كل
جمع على (فِعَال) أو (فُعُول) ، وإنما زادوا هذه الهاء فيها
لأنه إذا سكنت عليه اجتمع فيه عند السكت ساكنان : أحدهما
الالف التي تَنْحَرُ آخِرَ حَرْفٍ في (فِعَال) ، والثاني آخِرُ
(فِعَال) المسكوت عليه ، فقالوا : عِظَامٌ وعِظَامَةٌ ، ونِفَارٌ
ونِفَارَةٌ . قال الأزهري : وهذا هو العلة التي عللها النحويون ،
فاما الاستحسان الذي شبهه بالاستحسان في الفقه فإنه
باطل^(١) .

و. محمد عبد المطلب البجاوي

ما ذكرنا^(٢) .

وقال ابن فارس : « وقياس جَمْعِهِ في أدنى العدد
(أَحْجار) و (الْحِجَارَةُ) نادر^(٣) » .
وبذا نرى أن (أفعال) من أبنية القلة في الأوزان
السماعية ، وهو يقاس في كل مفرد جاء اسماً على (فَعَل)
نحو : (قَتَم) (أَقْدَم) و (وَثَن) (أَوْثَن) . أما
(فِعال) فهو من أبنية الكثرة ، ويقاس في (فَعَل) اسماً
وصفة ، نحو : (جَمَل) (جِمال) و (حَسَن)
(حِسان)^(٤) .

أما (فِعَالَة) فهو سماعي فيما ورد عليه ، وقد سمع في
(فَعَل) نحو : (حَجَر) (حِجَارَة)^(٥) . وقال ابن خالويه :

وقال سيبويه في « هذا باب تكسير الواحد للجمع » :
وما كان على ثلاثة أحرف ، وكان (فَعَلَا) فمك إذا كسرت
لأدنى العدد بنيته على (أفعال) . وذلك قولك : (جَمَلٌ)
و (أَجْمَالٌ) ، و (جَبَلٌ) و (أَجْبَالٌ) و (أَسَدٌ)
و (آسَادٌ) . فإذا جاوزوا به أدنى العدد فإنه يجيء على
(فِعالٍ وفُعُولٍ) . فاما (الفِعال) فنحو : جِمالٍ وجِبالي ،
وامَّا (الفُعُول) فنحو : أسودٍ وذُكُورٍ . و (البِعال) في هذا
أكثر .

وقد يلحقون (الفِعال) الهاء ، كما ألحقوا (الفِعال)
التي في (الفَعْل) وذلك قولهم في : (جَمَلٍ) (جِمالَةٌ) ،
و (حَجَرٍ) (حِجَارَةٌ) ، وذلك قليل . والقياس على

ولا يصلح أن تكون «أو» ههنا بمعنى (الواو). وكذلك قوله: «مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً... أَوْ كَصَيِّبٍ» (البقرة ١٧، ١٩) أي: إن مثلتهم بالمستوقد فذلك مثلهم، وإن مثلتهم بالصَّيْب فهو لهم مثل^(١٧).

وقال العكبري: «أو» ههنا كـ «أو» في قوله: «أو كَصَيِّبٍ» و «أشد» معطوف على الكاف، تقديره: أو هي أشد^(١٨).

وقرىء بفتح الدال «أو أشد قسوة» فهو على خفص في الأصل بمعنى الكاف، ولكن «أشد» (أفعل) لا ينصرف لأنه على لفظ الفعل، وهو نعت ففتح، وهو في موضع جر^(١٩). وقال العكبري: أنه مجرور عطفاً على الحجارة، تقديره: أو كاشد من الحجارة، و «قسوة» تمييز وهي مصدر^(٢٠).

ويجوز في قوله تعالى: «فهي كالحجارة» «فهي» كالحجارة - بإسكان الهاء - لأن الفاء مع (هي) قد جعلت الكلمة بمنزلة (فخذ)، فتحذف الكسرة استتقلاً، وقد روى بعض النحويين أنه يجوز في «هي» الإسكان في الياء من «هي»، قال الزجاج: ولا أعلم أحداً قرأ بها، وهي عندي لا يجوز إسكانها ولا إسكان الواو في «هو»، لا يجوز «هو ريك» وقد روى الإسكان بعض النحويين وهو رديء لأن كل مضمّر فحركته - إذا انفرد - الفتح، نحو: أنا ريك، فكما لا تسكن نون «أنا» لا تسكن هذه الواو^(٢١).

أما قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْجِبَارَةِ لِمَا يُتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ فـ «ما» في موضع نصب لأنها اسم (إن) (اللام) للتوكيد منه على لفظ «ما». وفي قراءة أبي «مِنْهَا» على المعنى. قال أبو حاتم: يجوز «لما تتفجر منه الأنهار»، ولا يجوز (لما تشقق) لأنه إذا قال: (تتفجر) أنه بتأنيث الأنهار، وهذا لا يكون في (تشقق).

قال أبو جعفر: يجوز ما أنكره يحمل على المعنى لأن المعنى: وإن منها الحجارة تشقق، وأما يشقق بالياء فمحمول على لفظ «ما». وأما الكسائي فيقول: هو مذكر على تذكير البعض ومثله عنده «تُشَقِّقُكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ» (النحل ٦٦)، أي: مما في بطون بعضه^(٢٢).

قال العكبري: (يتفجر) لو قرىء بالتاء جاز، ولو كان في غير القرآن لجاز منها على المعنى. «يشقق» أصله (يتشقق)، فقلبت (التاء) (شيئاً) وأدغمت وفاعله

ضمير (ما) ويجوز أن يكون فاعله ضمير الماء، لأن (يشقق) يجوز أن يجعل للماء على المعنى، فيكون معك فعلاً، فيعمل الثاني منهما في الماء، وفاعل الأول مضمّر على شريطة التفسير، وعند الكوفيين: يعمل الأول فيكون في الثاني ضميره. «من خشية الله». (من) في موضع نصب بـ «يهبط»، كما تقول: يهبط بخشية الله^(٢٣).

بين الله عز وجل في هذه الآية: كيف كانت قلوبهم أنها أشد قسوة، وأصلب من الحجارة، وأعلم أن الحجارة تتفجر منها الانهار، ومنها ما يشقق فيخرج منه الماء يعني العيون التي تخرج من الحجارة، ولا تكون أنهاراً، ومنها ما يهبط من خشية الله، نحو (الجبل) الذي تجلى الله له حين كلم موسى (عليه السلام)، وقال قوم: إنها أثر الصنعة التي تدل على أنها مخلوقة، وهذا خطأ. لأن ليس منها شيء ليس أثر الصنعة بيناً في جميعها، وإنما الهابط منها مجعول فيه التمييز، كما قال عز وجل: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جِبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدَّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (الجثر ٢١). وكما قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَشْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾. ثم قال: ﴿وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ﴾ (الحج ١٨). فاعلم أن ذلك تمييز أراد الله منها، ولو كان يراد بذلك الصنعة لم يقل وكثير من الناس، وكثير حق عليه العذاب، لأن أثر الصنعة شامل للمؤمن وغيره^(٢٤).

لقد شبه عز وجل قلوب اليهود في القسوة بالحجارة، لأن الحجارة هي غاية في المتل، ولذلك قال الفرزدق:

أما العدو فإننا لا نلِينُ (له)

حتى يلين لضرر الماضي الحَجَرِ^(٢٥)

وقال الآخر:

ما أطيب العيش لو أن الفتى حَجَرٌ

تنبو الحوادث عنه (غير مكلوم)^(٢٦)

وقال عمر بن ملقط الطائي:

من مبلغ عمراً بأن

المرء لم يخلق صباره

وحوادث الأيام لا

يبقى لها إلا الحجارة

ثم بين جل اسمه كيف كانت قلوبهم أشد قسوة من الحجارة، فقال: «... وإن من الحجارة لما يتفجر منه

الانهار وأن منها لما يشقق فيخرج منه الماء . يعني
العيون التي لا تكون أنهاراً . وقد اقتضى ذلك بعض المولدين ،
فقال وذكر الشباب ويكاهه عليه :
فلا تلحيا أن فاض دمع لفقه

فقل له بحر من الدمع يثمد
ولا تعجب للجلد ييكى فريما
تفطر عن عين من الماء جلمد^(١٢)

٣ - قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا
هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَةً مِنَ السَّمَاءِ
أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ . (الانفال ١٣) .
القراءة على نصب « الحق » خير كان ، وبخلت « هو »
للفصل . وهي لا موضع لها ، وأنها بمنزلة « ما » المؤكدة ،
وبخلت ليُفْلَمَ أن الحق ليس بصفة لهذا أو أنا ، خبر ، ويجوز :
« هو الحق من عندك » ولا أعلم أحداً قرأ بها . ولا اختلاف
بين النحويين في إجازتها ، ولكن القراءة شئة لا يقرأ فيها الا
بقراءة مروية^(١٣) .

اما وجه جواز قراءة الرفع في « الحق » عند النحاة ،
فعلى أن « هو » مبتدأ ، و « الحق » خبره . والجملة خبر
كان ، و « من عندك » حال من معنى الحق : أي الثابت من
عندك . « من السماء » يجوز أن يتعلق بـ « أَمْطِرْ » ، وأن
يكون صفة لحجابه^(١٤) . ف « هو » مبتدأ غير فصل ، وفائدة
التعريف فيه الدلالة على أن المعلق به كونه حقاً بالوجه
الذي يدعيه النبي وهو تنزيهه لا الحق مطلقاً بتجوزهم أن
يكون مطابقاً للواقع غير منزل كاساطير الأولين^(١٥) .

ونقل النحاس قول الاخفش : أن « هو » صلة زائدة كزيادة
(ما) - وقال الكوفيون « هو » عماد . قال الاخفش : وينو
تميم يرفعون فيقولون : « إن كان هذا هو الحق من عندك » .
قال أبو جعفر : يكون « هو » ابتداء ، و « الحق » خبره ،
والجملة خبر كان^(١٦) .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ . المعنى وانكر إذ قالوا هذا القول ، وقالوا على
وجه الدفع له ، وقالوه والنبي (ﷺ) بين أذهلهم . فأغْلَمَ
الله أنه لم يكن لِيُعْذِبَهُمْ ورسوله بين أظهرهم . فقال :
﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْذِبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الانفال ٣٣) . أي : وما كان الله ليعذبهم

ومنهم من يؤول أمره الى الاسلام^(١٧) .
روي أنه لما قال النضر بن الحرث : (إن هذا إلا أساطير
الاولين)^(١٨) . قال له النبي (ﷺ) : ويك إنه كلام الله ،
فقال ذلك^(١٩) .

وقال السيوطي : أن النضر بن الحرث كان يأتي الحيرة
يتجر فيشتري كتب أخبار الاعاجم ، ويحدث بها أهل مكة .
ف « إن » ما « هذا » القرآن « إلا أساطير » أكاذيب
﴿ الاولين ﴾ وإذ قالوا اللهم إن كان هذا ﴿ الذي يقرؤه مجعد
« هو الحق » المنزل « من عندك فامطر علينا حجارة من
السماء أو آتينا بعذاب أليم » مؤلم على إنكاره قاله النضر أو
غيره استهزاء وإيهاماً أنه على بصيرة وجزم ببطلانه^(٢٠) .
والمعنى : إن كان هذا القرآن حقاً منزلاً فامطر الحجارة
علينا عقوبة على إنكاره أو آتينا بعذاب أليم سواء ، والمراد
منه التهكم ، وإظهار اليقين والجزم التام على كونه
باطلاً^(٢١) . فقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْذِبَهُمْ وَأَنْتَ
فِيهِمْ ﴾^(٢٢) . لأن العذاب إذا نزل عم ، ولم تعذب أمة إلا بعد
خروج نبيها والمؤمنين منها^(٢٣) . ف (اللام) لتأكيد النفي
والدلالة على أن تعذيبهم تعذيب استئصال والنبي بين
أظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه^(٢٤)

٤ - قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا
سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابَةً مِنْ سَبْجٍ لَنْضُودٍ ﴾
(هود ٨٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِمْ حِجَابَةً مِنْ سَبْجٍ ﴾ (الحجر ٧٤) .
وقال تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ تزميهم
بِحجابه من سبج^(٢٥) (الفيل ٣ ، ٤) .

(١) الآية (٨٢) من سورة هود تبين لنا أمر الله
(عذابه) في قوم لوط بعد أن جاء المرسلون ، فقوله
تعالى : « فلما جاء أمرنا » عذابنا أو أمرنا به ، ويؤيده
الأصل ، وجعل التعذيب مسبباً عنه ، بقوله « جعلنا عاليها
سافِلها » فإنه جواب لـ « ما » وكان حقه جعلوا عاليها أي
الملائكة المأمورون به ، فاسند الى نفسه من حيث إنه
المسبب تعظيماً للأمر ، فإنه روي أن جبريل عليه السلام
أدخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع
أهل السماء نباح الكلاب ، وصياح الديكة ثم قلبها عليهم
« وأمطرنا عليهم » على المدن أو شذائنها « حجارة من

☆ أولاً : الحجر :

١ - قال الله تعالى في سورة البقرة (الآية ٦٠) : ﴿ وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ . قال الزجاج : فجز الله لهم من حجر اثنتي عشرة عيناً لا اثنتي عشرة فريقاً ، لكل فريق عين يشربون منها ، تنفجر إذا نزلوا فإذا ارتحلوا غارت العين ، وحفلوا الحجر غير متفجر منه ماء^(١) . وذلك ان قوم موسى لما عطشوا في التيه ، واستسقى موسى لقومه ﴿ فقلنا اضرب بعصاك الحجر ﴾ اللام فيه للمهد على ما روي أنه كان حجراً طورياً مكعباً حمله معه ، وكان ينبع من كل وجه ثلاث أعين تسيل كل عين في جدول الى سبط ، وكانوا ستمائة ألف ، وسعة المعسكر اثنا عشر ميلاً ، أو (حجراً) أهبطه آدم من الجنة ، ووقع الى شعيب (عليه السلام) فاعطاه إياه مع العصا أو الحجر الذي فز بثوبه لما وضعه ليفتسل ، ويراها الله به مما رموه به من الأثرة^(٢) . فإشار اليه جبريل (عليه السلام) بحمله ، أو للجنس وهذا أظهر في الحجة ، قيل : لم يأمره بان يضرب حجراً بعينه ، ولكن لما قالوا : كيف بنا لو أفضينا إلى أرض لا حجارة بها : حمل حجراً في مخلاته ، وكان يضربه بعصاه إذا نزل فينفجر ، ويضربه بها إذا ارتحل فيبيس ، فقالوا : إن فقد موسى عصاه متنا عطشاً ، فإوحى الله اليه لا تفرح الحجر ، وكلّمه يطعمك لهمم يعتبرون ، وقيل : كان الحجر من رخام ، وكان نراعاً في نراع ، والعصا عشرة أنزع على طول موسى (عليه السلام) من أس الجنة ، ولها شحبتان تنقدان في الظلمة . ﴿ فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ﴾ متعلق بمحذوف تقديره : فإن ضربت فقد انفجرت ، أو فُضِرْب فانفجرت^(٣) .

٢ - أما قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَى قَوْمَهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ . (الاعراف ١٦٠) . قال البيضاوي : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَى قَوْمَهُ ﴾ في التيه ﴿ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ ﴾ اي : فضرِب فانبجست وحذفه للايماء على أن موسى (ﷺ) لم يتوقف في الامتنال ، وأن ضربه لم يكن مؤثراً يتوقف عليه الفعل في ذاته^(٤) .

هو جمع غريب^(١) .

ونقل عن الفراء قوله : العرب تقول : الحجرُ الأَخْجَرُ على (أَفْعَلِ) ، وأنشد :
يُؤْمِنُنِي الضَّعِيفُ بِالْأَخْجَرِ .

ويقال : رُمِي فلانٌ بِحَجَرِ الأرض ، إذا رُمي بداهية من الرجال ، وفي حديث الجشاسة والنجال : تبمه أهل الحجر وأهل القنر ، يريد أهل البوادي الذين يسكنون مواضع الأحجار والرمال ، وأهل القنر أهل البادية .
والحجر الأسود ، كُزِمه الله : هو حَجَر البيت ، حرسه الله ، وربما أفردوه ، فقالوا : (الحجر) إعظماً له ، ومن ذلك قول عمر (رضي الله عنه) : « والله إنك حَجَرٌ ، ولو لا أني رأيت رسول الله (ﷺ) يفعل كذا ما فعلت » .
وفسر ثعلب قول الشاعر :
أما كفاها انْتِياضُ الأُزْدِ حَزْمَتُهَا
في عَقْرِ مَنْزِلِهَا ، إِذْ يُنْفَتُ الْحَجَرُ :

قال : يعني جبلاً لا يوصل له^(٢) .

☆ / الحجر والجارة :

مما تقدم نرى أن (الحجر) يجمع جمع قلة على (أخجار) أما جمع الكثرة فهو (جِجَار) . وكلاهما من الأوزان القياسية ، وقد تلحقه الهاء ، فيقال : (جِجَارَةٌ) .
أما قول سيبويه : « وذلك قليل والقياس على ما ذكرنا »^(٣) .
أو قول ابن فارس : أنه نادر^(٤) فلا يخلو من نظر :
نلك ان لفظ (الحجر) قد جاء مفرداً في القرآن الكريم مرتين في آيتين كريمتين ، هما : (البقرة ٦٠) و (الاعراف ١٦٠) ، أما صيغة الجمع ، فلم يرد جمع القلة (أخجار) في سور القرآن الكريم كلها ، وما جاء من جمع كثرة فهو على وزن (فِعالَة) (جِجَارَةٌ) ، اي على السماع . وقد ورد ذكرها عشر مرات : [البقرة (٢٤) (٧٤)] [الانفال (٣٢)] [هود (٨٢)] [الحجر (٧٤)] [الإسراء (٥٠)] [الذاريات (٢٣)] [التحريم (٦)] [الفيل (٤)] . أما (جِجَار) جمع الكثرة القياسي فلم يرد في القرآن الكريم قط .

فـ (الفَجْر) تفجيرك الماء ، والمَفْجَرُ : الموضع الذي ينفجر منه ، وأنفجر الماء والدم ونحوهما من السَّيَالِ وتَفَجَّرَ انبعث سائلاً . وَفَجَّرَهُ هو يَفْجُرُهُ (بالضم) فَجَرَأُ أي : بَجَسَهُ فأنْبَجَسَ .

أما (البَجَس) ، فهو : انشقاق في قرية أو -نجر أو أرض ينبع منه الماء ، فإن لم ينبع فليس بأنْبَجَاسٍ .. وماء بَجِيس : سائل ، والسحاب يَنْبَجِسُ بالمطر ، والانْبِجَاسُ عامٌ ، والنُّبُوعُ للمين خاصة . وَبَجَسْتُ الماء فانبجس ، أي فجزته فانفجر^(١٤) .

إلا أن تعاود المفردات في التعبير القرآني أدباً وادباً ، إذ تستعمل مفردة في موطن وتستعمل غيرها في موطن آخر شبيه به ، بل في القصة الواحدة قد تستعمل مفردة في موضع وتستعمل غيرها في موضع آخر مع أن النقص واحدة والموقف واحد وذلك نحو قوله تعالى : « فانفجرت » (البقرة ٦٠) وقوله : « فانبجست » (الاعراب ١٦٠) والانفجار بالماء أغزر من الانْبِجَاس . فخالف بين المفردتين مع أن القصة واحدة والموضع واحد .

وتعليل ذلك كما قال د . فاضل صالح السامرائي : أن المذكور قد يكون عاماً في موطن وخاصاً في موطن آخر ، وقد تكون له حالتان فيذكر حالة في موطن ، ويذكر حالة أخرى في موطن آخر . وقد يكون الأمر عاماً فيذكر جزءاً منه في موطن ، ويذكر الجزء الآخر في الموطن الآخر . وكل ذلك بحسب ما يقتضيه السياق والمقام .

فإذا كان (الانفجار) أكثر وأغزر من الانْبِجَاس ، فلم قال سبحانه « انفجرت » مرة ، وقال « انْبِجَسَتْ » مرة أخرى ، وما حقيقة الأمر ، أي انفجرت الميرون بالماء أم انْبِجَسَتْ ؟ والجواب : إن كلا الأمرين حصل ، فقد انفجرت أولاً بالماء الكثير - كما قيل - ثم قل الماء بمعاصيمهم فاخذ ينبجس ، فنذكر حالة الانفجار في (البقرة) ، وحالة الانْبِجَاس في (الاعراف) . فالأمران واقعان وكلاهما حقيقة ، نبيّر أنه ذكر حالة كل منهما تبعاً لما يقتضيه السياق ، ولو غاير بينهما فاستعمل (الانفجار) مكان (الانْبِجَاس) لأنّ خلاف الأولى ، وخلاف ما يقتضيه السياق والمقام ، والسبب في ذلك : ١ - أن موسى (عليه السلام) هو الذي استسقى في سورة البقرة ، فناسب أجابته بانفجار الماء ، في حين ذكر في سورة الاعراف أن قومه هم الذين استسقوا موسى . والحالة

الأولى أكمل ، فناسب أجابته بانفجار الماء دون الثانية . ٢ - قال تعالى في سورة البقرة « فقلنا اضرب بعصاك الحجر » . أي أن الله قال ذلك لموسى قولاً في حين ذكر في الاعراف أن الله أوحى إلى موسى بذلك وحياً . « وأوحينا إلى موسى » . والحالة الأولى أكمل وأتم ، فإن القول الصريح من الله أكمل وأقوى من الوحي فناسب ذلك ذكر الانفجار في (البقرة) والانْبِجَاس في (الاعراف)^(١٥) .

« إذ » في الآية الكريمة (البقرة ٦٠) كسرت الذال لالتقاء الساكنين و « إذ » غير معربة لأنها بمنزلة (في) إنها اسم لا تتم إلا بما بعدها^(١٦) . وقال الزجاج : « إذ » لا يظهر فيها الاعراب لأنها لا تتم إلا بأن توصل ، وجميع ما لا يتم من هذه المهمة إلا بصلة لا يعرب لأنه بعض اسم ، ولا يعرب إلا الاسم التام ، ومعنى « استسقى » استدعى أن يُسقى قَوْمُهُ ، وكذلك استَنْصَرْتُ استَدْعَيْتُ النُّصْرَةَ^(١٧) .

أما قوله تعالى « فانفجرت » أي : (فضرِبَ فانفجرت) ، وزعم ابن عصفور أن الفاء في « فانفجرت » هي فاء « فضرِبَ » ، وأن فاء « فانفجرت » حذفت ، ليكون على المحذوف دليل ببقاء بعضه ، وليس بشيء ، لأن لفظ الفاءين واحد ، فكيف يحصل الدليل ؟

وجوز الزمخشري ومن تبعه أن تكون فاء الجواب ، أي : فإن ضريت فقد انفجرت ، ويريد أن ذلك يقتضي تقدم الانفجار على الضرب مثل « إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل » . (يوسف ٧٧) ، إلا إن قيل : المراد (فقد حكمنا بقرئب الانفجار على ضربك)^(١٨) .

☆ / ثانياً : الجِجَارَة

أشرنا إلى أن جمع القلة في (جَجَر) (أْجَجَار) ، وجمع الكثرة (جِجَار) ، وهذا هو القياس . وذكر سييويه : أن الهاء قد تلحق (فعال) فيقال : (فِجَالَة) نحو : جِجَار وجِجَارَة ، إلا أن ذلك قليل^(١٩) . وهو من الأوزان السماعية . قال عنه ابن خالويه : أنه جمع غريب ، وعنه ابن فارس نادراً^(٢٠) . إلا أن اللافت للنظر أن جمع (جَجَر) على (جِجَار) وهو القياس في جمع الكثرة لم يرد في القرآن الكريم ، وإنما جاء جمعه على السماع (جِجَارَة) . وقد ورد ذكره عشر مرات - كما مرّ بنا - سبباً بتفصيل القول فيها . ١ - قال الله تعالى : « فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوهُ وَلَنْ تُفْعَلُوا

فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ
وَالْحِجَارَةُ ﴿٢٤﴾ (البقرة ٢٤) .

إن معنى الآية الكريمة يتضح من خلال سياق الآيات التي قبلها (البقرة ٢٠ - ٢٢) ذلك : أَنَّ الله سبحانه احتج على العرب بأنه خالقهم ، وخالق من قبلهم لأنهم كانوا مُقرين بذلك ، والدليل على ذلك قوله : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ (٢١) . قيل لهم : إن كنتم مقرين بأنه خالقكم فاعبدوه ، ولا تعبدوا الأصنام (٢٢) .

ثم قيل لهم : لا تجعلوا لله أمثالا وأنتم تعلمون أنهم لا يَخْلُقُونَ ، والله الخالق .

وبعد ان احتج سبحانه على العرب في تثبيت توحيد الله عز وجل ، احتج عليهم بتثبيت أمر النبي (ﷺ) (البقرة ٢٣) . ثم قيل لهم : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ ﴾ بعد ان ثبت عليهم أمر التوحيد ، وأمر النبي (ﷺ) فوعدوا بالعذاب إن لم يؤمنوا بعد ثبوت الحجة عليهم . وقوله عز وجل : ﴿ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ . عرفوا عذاب الله عز وجل بأشد الأشياء التي يعرفونها لأنه لا شيء في الدنيا أبلغ فيما يؤلم من النار فقليل لهم : إن عذاب الله من أشد الأجاس التي يعرفونها ، إلا أنه من هذا الشديد الذي يعرفونه ، ويقال : إن الحجارة هنا تفسيرها حجارة الكبريت ، وقوله « وقودها » الوقود هو الحطب ، وكل ما أوقد به فهو وقود (٢٣) .

إن الله سبحانه بعد ان بين للعرب ما يتعرفون به أمر الرسول (ﷺ) وما جاء به ، وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفلك له ، وهو أنكم إذا اجتهدتم في معارضته وعجزتم جميعاً عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر أنه معجز ، والتصديق به واجب فآمنوا به ، واتقوا العذاب المعد لمن كذب ، فعبّر عن الاتيان المكيف بالفعل الذي يعم الاتيان به ، وغيره إيجازاً ، ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريراً للمكنى عنه ، وتهويلاً لشأن العناد ، وتصريحاً بالوعيد مع الإيجاز ، وصدر الشرطية بـ (أن) التي للشك ، والحال يقتضي (إذا) الذي للوجوب ، فإن القائل سبحانه وتعالى لم يكن شاكاً في عجزهم ، ولذلك نفى إتيانهم معترضاً بين الشرط والجزاء تهكماً بهم ، او خطاباً معهم على حسب ظنهم ، فإن العجز قبل التأمل لم يكن محققاً عندهم ، و « تفعلوا » جزم بـ « لم » لأنها واجبة الإعمال

مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ، ولأنها لما صيرته (ماضياً) صارت كالجزء منه ، وحرف الشرط كالدخول على المجموع ، وكأنه قال : (فإن تركتم الفعل) ولذلك ساغ اجتماعهما ، و « لن » كـ (لا) في نفى المستقبل غير أنه أبلغ ، وهو حرف مقتضب عند سيويوه ، والخليل في إحدى الروايتين عنه ، وفي الرواية الاخرى أصله (لا إن) وعند الفراء (لا) فابدلت ألفها نوناً (٢٤) . و (الوقود) بالفتح ما توقد به النار ، وبالضم المصدر ، وقد جاء المصدر بالفتح ، وقال سيويوه : وسمعنا من يقول : ﴿ وَقَدَّتِ النَّارُ وَقُوداً عَالِياً ﴾ . والاسم بالضم (٢٥) . ولعله مصدر سمي به ، والظاهر : أن المراد به الاسم ، وإن أريد به المصدر فعلى حذف مضاف ، أي : وقودها احتراق الناس و (الحجارة) جمع خَجَر ، والمراد بها الأصنام التي نحوتها وقرنوا بها أنفسهم ، وعبدوها طمعاً في شفاعتها ، والانتفاع بها ، واستدفاع المضار لمكانتها ، وقيل : (حجارة الكبريت) وهو تخصيص بغير دليل ، وإبطال للمقصود ، إذ الغرض تهويل شأنها ، وتفاقم لهبها بحيث تنتقد بما لا يتقد به غيرها ، والكبريت تنتقد به كل نار وإن ضعفت ، فإن صح هذا عن ابن عباس (رضي الله عنهما) فلعله غنى به الاحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ، ولما كانت الآية (مدنية) نزلت بعدما نزل بمكة قوله تعالى في سورة التحريم : ﴿ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (الآية ٦) . وسمعوه صح تعريف النار ، ووقوع الجملة صلة ، فإنها يجب ان تكون قصة معلومة (٢٦) . ونهب السيوطي الى أن وقودها « الناس » الكفار و « الحجارة » كاصنامهم منها يعني : أنها مفرطة الحرارة تنتقد بما ذكر لا كـ (نار الدنيا) تنتقد بالحطب ونحوه (٢٧) .

فإن سأل سائل : كيف دخلت « إن » على « لم » ولا يدخل عامل على عامل ؟
فالجواب : أن « إن » هنا غير عاملة في اللفظ فدخلت على « لم » كما تدخل على الماضي لأنها لا تعمل في « لم » كما لا تعمل في الماضي ، فمعنى « إن لم تفعلوا » إن تركتم الفعل . قال الاخفش سعيد ، إنما جزموا بـ (لم) لأنها نفى فاشبهت « لا » في قولك : لا رجل في الدار ، فحذفت بها الحركة كما حذفت التثوين من الاسماء ، وقال غيره : جزمت بها لأنها أشبهت (إن) التي للشرط لأنها ترد المستقبل الى الماضي ، كما ترد (إن) فتحتاج الى جواب

فأشبهت الابتداء والابتداء يُلْقَى [كذا] بـ ، مع الاسماء الرفع ، وهو أولى بالاسماء ، فكذا حذف مع (إن) لأن أولى ما للأفعال السكون .

وقوله : « ولن تفعلوا » نصب بـ (لن) وعلامة نصبه حذف النون ، واستوى النصب والجزم في الأفعال لانهما فرعان ، وهما بمنزلة النصب والخفض في الاسماء . قال أبو عبيدة : من العرب من يجزم بـ (لن) كما يجزم بـ (لم) . « فاتقوا النار » جواب الشرط في الفاء وما بعدها ، ولغة تميم وأسد « فتقوا النار » ، وحكى سيبويه : تقى - يَتَّقِي (٢٨) . « النار » مفعولة « التي » من نعتها « وقودها » مبتدأ « الناس » خبر ، « والحجارة » عطفاً عليهما (٢٩) . إن قول الله تعالى في صفة جهنم : « وقودها الناس والحجارة » هو تحذير منها بأعلامه أنها تأكل الحجارة . قال أبو نؤيب الهذلي يصف شدة ما نزل به من المصيبة بما مثله لصبره وتجلده :

حتى كأنني للحواث (مَزْوَةٌ) (٣٠)

بِضَا المَشْرِقِ كُلَّ يَوْمٍ تُفْرَغُ (٣١)

وقال نوارمة في تغزله (٣٢) :

لو كان قلبك من صخر لصدعه

هَيْجُ الدِّيار لك الأحزان والذُّكرا (٣٣)

وقد كثر المحدثون في تغزلهم من تشبيه قلب المحبوب بالحجر ، كقول سلم بن عمرو بن عطاء :

يلين مَنْ لا أريد رقتَه

وقلب من أشتهيه كالحجر

وتوخى الآخر المبالغة في وصف الغلظة ، ونفي الرحمة بنفي الجارحة المقرونة بذلك ، وأحسن في تدليل المعنى ، بقوله :

ما أن لها كبِد يرق له

شهدت بذاك لطافة (الكشح) (٣٤)

فأما من قصد محض التشبيه ، واعتمد في أخذه على لفظ الكتاب ، فإنه وقف دون استيفاء المعنى بمثل قوله : « أو أشد قسوة » وما تبع هذا القول من الدلالة عليه ، والحجة فيه ، والتلليل له ، وكذلك كل ما ينقله الشعراء أو غيرهم من أرباب البلاغة إلى كلامهم من معاني القرآن ، لا ييلفون شأوه ، ولا يدركون مثاله إعجازاً وأباً وإمتناعاً (٣٥) .

٢ - الآية الثانية : « ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لِمَا يُتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لِمَا يَشَقُّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لِمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ » . البقرة (٧٤) .

القساوة : الصلابة في كل شيء ، وقسا يقسو فهو قاسٍ (٣٦) . لذا فإن : تاويل « قست » في اللغة : غلظت وبيست وصلبت ، وتاويل القسو في القلب : ذهب اللين والرحمة والخضوع والخشوع منه ، ومعنى « من بعد ذلك » أي من بعد إحياء الميت لكم بعضو من أعضاء البقرة ، وهذه آية عظيمة كان يجب على من يشاهدها - فشاهد بمشاهدتها من قدرة عز وجل ما يزيل كل شك - أن يلين قلبه ويخضع ، ويحتمل أن يكون « من بعد ذلك » من بعد إحياء الميت ، والآيات التي تقدمت ذلك ، نحو : مسخ القردة والخنازير ، ونحو رفع الجبل فوقهم ، ونحو إنجاس الماء من حجر يحملونه معهم (٣٧) . فجرى آخر الكلام على أوله ، بالخطاب كله لليهود ، وهو الاختيار ، لأن عليه الجماعة ، وهو اختيار أبي عبيد (٣٨) .

فـ « قست » في قوله تعالى ، تقول : (قسا) فإذا زدت التاء حذفت الالف لالتقاء الساكنين . « قلوبكم » مرفوعة بـ (قست) (٣٩) .

وقوله عز وجل : « فهي كالحجارة » . الكاف : حرف جر متعلقة بمحذوف تقديره : فهي مستقرة كالحجارة ، ويجوز أن يكون اسماً بمعنى (مثل) في موضع رفع ، ولا تتعلق بشيء (٤٠) . وقال النحاس : (الكاف) في موضع رفع على خبر « هي » . « أو أشد » عطفاً على الكاف . ويجوز « أو أشد قسوة » تعطفه على الحجارة . (قسوة) على البيان (٤١) .

وقال الزجاج : دخول « أو » ههنا لغير معنى الشك ، ولكنها « أو » التي تأتي للإباحة . تقول : الذين ينبغي أن يؤخذ عنهم العلم الحسن أو ابن سيرين ، فليست بشاك ، وإنما المعنى ههنا : هذان أهل أن يؤخذ عنهما العلم ، فإن أخذته عن الحسن فانت مصيب وأن أخذته عن ابن سيرين فانت مصيب ، وأن أخذته عنهما جميعاً فانت مصيب ، فالتاويل : اعلموا أن قلوب هؤلاء إن شبهتم قسوتها بالحجارة فانت مصيبون أو بما هو أشد فانت مصيبون ،

سجبل « من طين متحجر لقوله - حجارة من طين - وأصله (سنكل) فعرّب ، وقيل إنه من (أسجله) إذا أرسله ، أو أدرّ عطيته^(٦٩) .

وقال الخليل : السَّجْبِلُ : حجارة كالمدر ، وهو حجرٌ وطين ، ويفسر أنه معرّب بخيل . ويقال : هذا الشيء مسجل للعامة ، أي : مرسل من شاء أخذه أو أخذ منه^(٦٦) . وقيل : هو (سَنَكٌ وَكَلٌ) ، أي : حجارة وطين^(٦٧) . قال أبو اسحق : للناس في السَّجْبِلِ أقوال ، وفي التفسير : أنها من جلّ وطين ، وقيل : من جلّ وحجارة . وقال أهل اللغة : هذا فارس معرب ، والعرب لا تعرف هذا ، وقال الأزهرى : والذي عندنا ، والله أعلم ، أنه إذا كان التفسير صحيحاً فهو فارسي أعرب لأن الله تعالى قد ذكر هذه الحجارة في قصة قوم لوط فقال : ﴿ لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴾^(٦٨) ، فقد بيّن للعرب ما عني بـ (سجبل) . وقال أبو عبيدة : (من سجبل) تأويله كثيرة شديدة^(٦٩) .

وقال النحاس : « جعلنا عاليها سافلها » . مفعولان ، حكى أبو عبيد عن الفراء : أنه قد يقال لحجارة الأرحاء (سجبل) ، وحكى عنه محمد بن الجهم : أن سَجْلًا طين يطبخ حتى يصير بمنزلة الأرحاء ، « منضود » من نعت سجبل^(٧٠) .

وقيل : أصله من (سجين) أي من جهنم ، فابدلّت نونه لأمّا^(٧١) . وقال السيوطي : « حجارة من سجبل » طين طبخ بالنار^(٧٢) . أمّا « منضود » أي : نضد نضداً معداً لعذابهم ، أو نضد في الإرسال بتتابع بعضه بعضاً كقطار الأمطار ، أو نضد بعضه على بعض وألصق به^(٧٣) .

(ب) أما قوله تعالى في الآية (٧٤) من سورة الحجر . فهو وصف عذابه سبحانه قوم لوط ، قال تعالى في الآية (٧٣) من السورة نفسها : ﴿ فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ ﴾ يعني صيحة هائلة مهلكة ، وقيل : صيحة جبريل (عليه السلام) « مُشْرِقِينَ » داخلين في وقت الشروق « فجعلنا عاليها » عالي المدينة أو عالي قراهم « سافلها » صارت منقلبة بهم « وأمطرنا عليهم حجارة من سجبل » من طين متحجر أو طين عليه كتاب من السجل^(٧٤) .

فقوله تعالى : « فأخذتهم الصيحة مشرقين » . نصب على الحال . وأشرقوا صادفوا شروق الشمس أي طلوعها . و « عاليها » مفعول أول ، و « سافلها » مفعول ثان « من سجبل » صفة لحجارة^(٧٥) .

(ح) أما قوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ طَائِراً أَبَابِيلَ ﴾ ترميهم بحجارة من سَجْلٍ ﴿ (الفيل ٣ ، ٤) . فقصتها معروفة ، ذلك أن الله سبحانه ، أرسل على جيش أبرهة حين توجهوا لهدم الكعبة طيراً : خرجت من البحر خُضْراً طوال الأعناق ، في منقار كل طائر حجرٌ نحو الفؤلة ، وفي كفه حجر وفي الأخرى حجر ، فكان الطائر يرمي ويرسل حجره على من قد أرسله إليه فلا يخطيء رأس صاحبه ، فيدخل في هامته ويخرج من ثُبره فيموت . قال ابن عباس : وإذا أرسل الله تعالى على قوم عذاباً لم يقلّتهم ، فما أفلت منهم إلا سانس الفيل أو قانده . فقيل له : ما وراءك ؟ فقال : أتت طيئز مثل هذا ، وأشار إلى طائر في الهواء ، وكان الطائر قد اتبعه بحجر فارسله عليه فقتله^(٧٦) .

فقوله تعالى : « وأرسل عليهم طيراً أبابيل » . « أبابيل » نعت للطير أي : جماعات ، واحدها (إِبُول) مثل (عَجُول) و (عجاجيل)^(٧٧) . وقيل : واحدها (إِبِيل) كـ (سَكِين) و (سكاكين) . وقيل : واحدها (إِبَال) كـ (دينار) و (دنائير) . وقيل : هو جمع لا واحد له من لفظه ، وقيل : هو اسم للجمع^(٧٨) .

وقال النحاس : وأصح ما قيل في واحد الأبابل ما قاله محمد ابن يزيد ، قال : واحدها (إِبِيل) كـ (سَكِين) و (سكاكين) . ومعروف في كلام العرب (جاءوا أبابيل) أي جماعة بعد جماعة عظيمة كثيرة بعد جماعة . مشتق من (أبيل) عليه إذا كثُر وجمع ، ومنه سميت بـ (الأبل) لعظم خلقها^(٧٩) .

« تَرْمِيهِمْ » فعل مضارع والهاء والميم مفعول بهما ، والأصل (تَرْمِيَهُمْ) فاستقلوا الضمة على الياء فحزّلوها^(٨٠) . وهي في موضع نصب نعت لـ (طير) ، وكذلك « أبابيل » نعت لطير كانه قال : جماعات متفرقة^(٨١) .

وقرىء « يرميهم » على تذكير الطير ، لأنه اسم جمع أو اسناده إلى ضمير ربك^(٨٢) . قال ابن خالويه : قرأ عيسى بن عمر بالياء . وأنشدنا محمد بن القاسم في تذكير الطير : لقد تَرَكْتُ قُؤَانِكَ مُشْتَهَاماً

مُطَوَّقَةً عَلَى فَنَنْ تَفْتَى
تَبِيلٌ بِهِ وَتَرْكُبُهُ بِلَحْنٍ

إذا مَا عَنَ لِلْمَحْزُونِ أَنَا
فَلَا يَفْرُكُ أَيَّامَ تَوَلَّى
بذكراها ولا طيئز أَرْنَا

ولم يقل : أَرَأَيْتُمْ (٨٢) .

وقوله تعالى « بحجارة » جَزَ بالباء الزائدة . وواحد الحجارة (حَجَر) ، وهو جمع غريب . « من سجيل » جَزَ بـ (من) . والسَّجِيلُ الشَّدِيد ، وقيل : حَجَزَ وطين (٨٣) .
٥ - قال الله تعالى : ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴾ . (الذاريات ٣٢) .

لما علم إبراهيم (عليه السلام) أنهم ملائكة ﴿ قال فما خُطِبُكُمْ أيها المرسلون ﴾ (الذاريات ٣١) . وأنهم لا ينزلون مجتمعين الا لأمر عظيم سال عنه .
﴿ قالوا إنا أُرسلنا الى قوم مجرمين ﴾ الآية (٣٢) .
يعنون قوم لوط ﴿ لنرسل عليهم حجارة من طين ﴾ يريد السجيل فإنه طين متحجر (٨٤) . وقال السيوطي : مطبوخ بالنار (٨٥) . فقوله تعالى : ﴿ لنرسل عليهم ﴾ اي : لنمطر عليهم .

« مُسَوِّمَةٌ » (الآية ٣٤) في معناه قولان : أهل التأويل على أن معناه مُعَلِّمَةٌ . قال ابن عباس : يكون الحجر أبيض وفيه نقطة سوداء ، ويكون الحجر أسود وفيه نقطة بيضاء . والقول الآخر : ان يكون معنى « مُسَوِّمَةٌ » مرسلَةٌ ، من سَوَّمت الإبل (للمسرفين) اي : للمتعددين ، لأمر الله جل وعز (٨٦) .

٦ - قال الله تعالى : ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً ﴾ (الاسراء ٥٠) .

وذلك ان المشركين بعد أن مثلوا الرسول (ﷺ) بالشاعر ، والساحر ، والكاهن ، والمجنون « فضلوا » عن الحق في جميع ذلك « فلا يستطيعون سبيلاً » الى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في أمره لا يدري ما يصنع « وقالوا ء إذا كنا عظاماً ورفاتاً » خطأً أننا لمبعوثون خلقاً جديداً « على الاستنكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي وبيوسة الرميم من المبادعة والمنافاة والعامل في » إذا « ما دل عليه مبعوثون لانفسه ، لان ما بعد « أن » لا يعمل فيما قبلها و « خلقاً » مصدر أحوال .
« قُلْ » جواباً لهم : ﴿ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ﴾ اي : مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه أبعد شيء منها فإن قدرته تعالى لا تقصر على إحيائكم لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض ، فكيف إذا كنتم عظاماً مرفوطة وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل ،

والشيء أقبل لما عهد فيه مما لم يعهد (٨٨) .

إن منكري البعث ، قالوا : ﴿ ء إذا كنا عظاماً ورفاتاً ء إنا لمبعوثون خلقاً جديداً ﴾ (الاسراء ٤٩) فكان جوابه سبحانه وتعالى ، قل لهم : ﴿ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ﴾ يعظم عن قبول الحياة فضلاً عن العظام والرفات فلا بد من ايجاد الروح فيكم (٨٩) .

وقال النحاس : أي توهموا ما شئتم فلا بد من ان تموتوا وتبعثوا . وكانت هذه الآيات من أعظم الدلائل على نبوة النبي (ﷺ) . قال الله جل وعز : ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا ﴾ فآخبر جل وعز بأنهم سيقولون هذا ، وأخبر أنهم يحركون رؤوسهم استبعاداً لما قال لهم وأنهم يقولون مع تحريك رؤوسهم أو بعده « متى هُوَ » وتلى عليهم فكان الأمر على ذلك (٩٠) .

٧ - قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ . (التحريم ٦) .

يا أيها الذين آمنوا « قُوا أَنْفُسَكُمْ » بترك المعاصي ، وفعل الطاعات « وَأَهْلِيكُمْ » بالنصح والتأديب (٩١) .
ف « قُوا » فعل قد اعتل فاؤه ولامه ، فالفاء محذوفة لوقوعها بين ياء وكسرة في قولك : (يقي) على مذهب البصريين . وقال الكوفيون : إنما حذفت للفرق بين الفعل المتعدي وغير المتعدي ، فحذفت في (يعد) و (يقي) لانه متعد ، وثبتت في (يوجل) لانه غير متعد ، ويلزمهم أن لا يحذفوا في (يرم) و (يثق) لانهما غير متعديين ، ولا بد من الحذف فيهما . و (اللام) محذوفة لسكونها وسكون الواو بعدها ، والنون محذوفة للبناء عند البصريين ، وللجزم عند الكوفيين (٩٢) .

وقرىء « وأهلوكم » عطف على واو « قُوا » فيكون « أنفسكم » أنفس القبيلين على تغليب المخاطبين « نَاراً وقودها الناس والحجارة » تنقد بهما اتقاد غيرها بالخطب (٩٣) . وقال السيوطي : وقودها « الناس » الكفار « والحجارة » كاصنامهم منها يعني أنها مفرطة الدجاجة تنقد بما ذكر لا كنار الدنيا تنقد بالخطب وغيره (٩٤) .
و (نَاراً) مفعول ثان « وقودها الناس » مبتدأ وخبره في موضع نصب نعت للنار « والحجارة » عطف على الناس (٩٥) .

والقول الثالث : أن النسب الذكوري من الاولاد ، والصهر الاناث من الاولاد لان المصاهرة من جهتين تكون^(٩٨) .

ومثله قوله تعالى : ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (السجدة ٨) . وقوله تعالى : « أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ » (المرسلات ٢٠) . وقوله تعالى : خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (الطارق ٩) .

ثُمَّ أَنَّ الْحَيَاةَ لَا يَغْفُلُ أَثَرُ الْمَاءِ فِيهَا ، وَقَدْ أَشَارَ سُبْحَانَهُ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ فِي أَكْثَرِ مِنْ عَشْرِينَ سُورَةً مُبَارَكَةً . قَالَ تَعَالَى : « وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَخَرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ » (البقرة ٢٢) ، وَهَذَا مِنْ آيَاتِهِ جَلَّ وَعَزَّ ، قَالَ : وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَاحِيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبِئْسَ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ « ... إِلَى آخِرِ الْآيَةِ (البقرة ١٦٤) . وَتَنْظُرُ : الْآيَةُ (٩٩ الْإِنْعَامِ) (إِبْرَاهِيمَ ٣٢) (الْحَجَرِ ٢٢) (النُّحْلِ ١٠ ، ٦٥) (طه ٥٣) (الْحَجِّ ٥ ، ٦٣) (الْمُنْكَبُوتِ ٦٣) (لِقْمَانَ ١٠) (فَاطِرِ ٢٧) (الزَّمَرِ ٢١) (فَضَّلَتْ ٣٩) (الزَّخْرَفِ ١١) (ق ٩) (النَّبَا ١٤ - ١٦) (النَّازِعَاتِ ٣١) .

أَمَّا الْجِبَارَةُ فِي سَائِرِ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ الْآخَرَى فَقَدْ دَلَّتْ عَلَى مَعْنِيَيْنِ هُمَا :

(أ) (الْقِسْوَةُ) فِي الْقَلْبِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُخَاطِباً الْيَهُودَ : « ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً » (الْبَقَرَةُ ٧٤) أَرَادَ سُبْحَانَهُ صَلَابَةَ الْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ مِنْهَا ، وَذَلِكَ نَقْضُهُمِ الْمِيثَاقَ ، وَتَحْرِيفُهُمُ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، قَالَ تَعَالَى « فَبِمَا نَقْضُهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً » (الْمَائِدَةُ ١٣) .

قَالَ الْبُحَّارِيُّ : « ف » « مَا » زَائِدَةٌ لِلتَّوَكُّيدِ وَ « نَقْضُهُمْ » مَخْفُوضٌ بِالْبَاءِ ، وَيَجُوزُ رَفْعُهُ فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ ، أَيِ الْفَالِذِيِّ هُوَ نَقْضُهُمْ . « يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ » أَيِ يَتَاوَلُونَهُ عَلَى تَأْوِيلِهِ وَ « يَحْرِفُونَ » فِي مَوْضِعٍ نَصَبَ أَيِ : جَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً مُحَرِّفِينَ ، قِيلَ : مَعْنَى جَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً وَصَفْنَاهُمْ بِهَذَا^(٩٩) .

قَالَ الزَّجَّاجُ : « لَعَنَّاهُمْ » أَيِ بَاغْذَنَاهُمْ مِنَ الرَّحْمَةِ ، وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً أَيِ يَابِسَةً^(١٠٠) . ثُمَّ قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى : « فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ » (الزَّمَرِ ٢٢) . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ ، يُقَالُ : قَسَا إِذَا صَلَبَ ، وَكَذَلِكَ عَتَا وَعَسَا مُقَارِبَةً لَهَا ، وَقُلْتُ قَاسٍ ، أَيِ صَلَبَ لَا يَزِيدُ وَلَا يَلِينُ^(١٠١) .

نَرَى أَنَّ (الْخَجَرَ) الَّذِي جَاءَ ذَكَرَهُ فِي الْآيَتَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ [الْبَقَرَةُ (٦٠)] [الْأَعْرَافِ (١٦٠)] . كَانَ رَمْزاً لِلْخَيْرِ ، لِأَنَّ (الْمَاءَ) سَرَّ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ . قَالَ تَعَالَى : « وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ » (الْأَنْبِيَاءِ ٣٠) . وَقِيلَ : إِنَّ الْمَاءَ أَوَّلُ حَادِثٍ بَعْدَ الْعَرْشِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ » (هُودَ ٧) . أَيِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَمْ يَكُنْ حَائِلٌ بَيْنَهُمَا ، لَا أَنَّهُ كَانَ مَوْضِعاً عَلَى مَتْنِ الْمَاءِ ، وَاسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى إِمْكَانِ الْخَلَاءِ ، وَأَنَّ الْمَاءَ أَوَّلُ حَادِثٍ بَعْدَ الْعَرْشِ مِنْ أَجْزَامِ هَذَا الْعَالَمِ ، وَقِيلَ : كَانَ الْمَاءُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(١٠٢) .

كَمَا أَنَّ (الْخَلْقَ) كَانَ أَوَّلَ أَمْرِهِ مَاءً . قَالَ تَعَالَى : « وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » . (النُّورِ ٤٥) . وَالدَّابَّةُ كُلُّ مَا دَبَّ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْحَيَوَانِ ، يُقَالُ : دَبَّ ، وَهُوَ دَابٌّ ، وَالْهَاءُ لِلْمُبَالَغَةِ . وَقِرَاءَةُ الْمَدْنِيِّينَ وَأَبِي عَمْرٍو وَعَاصِمٍ وَسَائِرِ الْكُوفِيِّينَ « خَالِقُ كُلِّ دَابَّةٍ » وَالْمَعْنَى صَحِيحَانِ ، وَلَكِنْ إِنْ قَالَ قَائِلٌ : « خَلَقَ » فِي هَذَا أَكْثَرَ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ مَخْصُوصٍ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ : خَالَقٌ عَلَى الْعَمُومِ ، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَزَّ : « الْخَالِقُ الْبَارِيءُ الْمُصَوِّرُ » (الْحَشْرِ ٢٤) . وَفِي الْخُصُوصِ « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ » (الْإِنْعَامِ ١) ، وَكَذَا « هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ » (الْأَعْرَافِ ١٨٩) . فَكَذَا يَجِبُ « وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ »^(١٠٣) .

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ زَوْجُكَ قَدِيرًا » (الْفُرْقَانِ ٥٤) . لِلْعُلَمَاءِ فِي هَذَا ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ : فَمَنْ أَجْلَاهُ مَا رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : النَّسَبُ سَبْعٌ : « حَزَمْتُ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتَكُمْ وَبَنَاتَكُمْ وَأَخَوَاتَكُمْ وَعَمَّاتَكُمْ وَخَالَاتَكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ » . وَالصَّهْرُ السَّبْعُ : « وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ » إِلَى آخِرِ الْآيَةِ (٢٣ النِّسَاءِ) . وَشَرَحَ هَذَا أَنَّ السَّبْعَ الْأَوَّلَ مِنَ النَّسَبِ فَتَقْدِيرُهُ فِي الْعَرَبِيَّةِ : فَجَعَلَهُ ذَا نَسَبٍ وَذَا صِهْرٍ . وَالسَّبْعُ الَّذِينَ مِنَ الصَّهْرِ أَيِ مِمَّنْ يَقَعُ فِيهِمُ الصَّهْرُ لَوْلَا مَا حَدَّثَ . وَقَالَ الضَّحَّاكُ : النَّسَبُ الْأَقْرَبَاءُ ، وَالصَّهْرُ نَوَاتِ الرِّضَاعِ ،

إن وصف (الحجارة) بـ (القسوة) يظل السمة الغالبة ، ذلك أن القسوة : هي الصلابة في كل شيء (١٠٢) .
والتي لا ينقضها قوله تعالى : « وإن من الحجارة لَمَا يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لَمَا يَشْقُقُ فيخرج منه الماء » (البقرة ٧٤) . ذلك أن (من) ههنا تفيد التبعية .
قال ابن هشام : نحو « منهم من كَلَّمَ الله » (البقرة ٢٥٢) ، وعلامتها إمكان سد (بعض) مسدداً كقراءة ابن مسعود : « حتى تُثَفِّقُوا بعض ما تحبون » .
(آل عمران ٩٢) (١٠٣) . ومثله قول بعض المرلدين متغزلاً :
ياشبيهه البدر في الـ
حسن وفي بمد المنـال
جسد فقد يتفجر الـ
صخر بالماء الزلال (١٠٤)
(ب) العقاب الالهي في الدنيا ، وفي الآخرة . ففي قصة لوط (عليه السلام) جعل الله سبحانه عالي القرى سافلها ، وأمطر عليهم حجارة من سجيل ، وكذلك الحال مع جيش إبرة . تنظر : الآيات (هود ٨٢) (الحجر ٧٤)

(الذاريات ٣٣) (الفيل ٣ ، ٤) .
أما مشركو قريش الذين قالوا هذا القول للنبي (ﷺ) :
« فامطر علينا حجارة من السماء » إن كان هذا هو الحق من ربك ، فقد قالوه على وجه الدفع له ، والتهكم ، والجزم على كونه باطلاً ، والنبي بين أظهرهم . قال تعالى : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » .
وفي عذاب الآخرة فإن وقود النار التي وعد الله هي (الناس والحجارة) أعدت للكافرين ..
وإذ يكون حَجَر المقاتل الفلسطيني اليوم طريقاً للتحرير ، ورمزاً للنصر المبين الآتي - بإذنه تعالى - فإن حَجَر المجاهدين الثائرين هي عقاب الله الذي مَكَّن سبحانه جنده المجاهدين منه لتتال ممن قست قلوبهم ، وكانت أشد قسوة من الحجارة ، وعاثوا في الأرض فساداً ، فالخير كل الخير في (الحجر المقاتل) .
وآخر دعوانا اللهم أجعل حَجَر أخواننا حجارة من سجيل منضود لقطع دابر الكافرين ، ورد كيدهم إلى نحورهم ، وإنك على نصرهم لقدير .

الهوامش والتعليقات

- (١) ينظر : اللسان (حجر) .
- (٢) ينظر : الكتاب ٣ / ٥٧٠ ، ٥٧١ .
- (٣) مجمل اللغة ١ / ٤٦٢ .
- (٤) ينظر : أبنية الصرف في كتاب سيويه ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ .
- (٥) ينظر : السابق ص ٣٢٠ .
- (٦) اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص ١١٤ .
- (٧) ينظر : اللسان (حجر) .
- (٨) ينظر : الكتاب ٣ / ٥٧١ .
- (٩) ينظر : مجمل اللغة ١ / ٤٦٢ .
- (١٠) معاني القرآن واعرابه ١ / ١١٣ .
- (١١) الأبرة (بالضم) : نفخة في الخصلة ، يقال رجل أنز بين الأنز ، وقيل : هو الذي يصيبه فتق . ومنه الحديث : إن بني إسرائيل كانوا يقولون إن موسى أنز ، من أجل أنه كان لا يفتسل إلا وحده . وفيه نزل قوله تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالذين أنوا موسى فبزاه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً ﴾ (الأحزاب ٦٩) . وعن الليث : الأثرة والأنز مصدران ، والأثرة : اسم لك المنتفخة ، والأنز نمت .
- ينظر : اللسان (أنز) .
- (١٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١ / ٥٨ ، ٥٩ . وينظر بهامشه
- (١٣) ينظر : المعجم ١ / ١١٢ .
- (١٤) ينظر : المعين ٦ / ٥٨ ، ١١ . واللسان (فجر) (بجس) .
- (١٥) ينظر : بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص ٩٧ ، ١٠٠ ، (١٠١) .
- (١٦) اعراب القرآن ١ / ١٨٠ .
- (١٧) ينظر : معاني القرآن واعرابه ١ / ١١٢ .
- (١٨) المفني ص ٨٢٠ ، ٨٢١ .
- (١٩) ينظر : الكتاب ٣ / ٥٧١ .
- (٢٠) ينظر : اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص ١٩٤ ، مجمل اللغة ١ / ٢٦٤ .
- (٢١) الزخرف ٨٧ .
- (٢٢) معاني القرآن واعرابه ١ / ٦٣ .
- (٢٣) ينظر : السابق ١ / ٦٥ - ٦٧ .
- (٢٤) قال ابن هشام : (لَن) حرف نصب ونفي واستقبال ، وليس أصله ، وأصل (لم) (لا) فابتلت الالف نوناً في (لن) وميماً في (لم) خلافاً للفراء ، لأن المعروف إنما هو إبدال النون الفاء لا المكس ، نحو : « لَنَشْفُماً » . (الملق ١٥) .

- « وَلَيَكُونَا » (يوسف ٣٢) ، ولا أصل (لن) (لا أن)
 فحذفت الهمزة تخفيفاً ، والالف للمساكنين خلافاً للخليل
 والكسائي . ينظر : المفني ص ٣٧٣ ، ٣٧٤ .
- (٢٥) ينظر : الكتاب ٤ / ٤٢ .
- وقال سيوييه : و (الوقود) أكثر . و (الوقود) الحطب . وقد سمع
 (فعول) في الفعلين : وقد (وقوداً) ، وقبل (قبولاً) ، وقد
 سمعها سيوييه عن العرب بنفسه على هذا البناء . ونكر
 الاخفش أن (الوقود) بالفتح (الحطب) و (الوقود) بالضم
 (الإقتاد) وهو المصدر .
- ينظر : أبنية الصرف في كتاب سيوييه ص ٢٣٦ .
- (٢٦) ينظر : أنوار التنزيل ١ / ٣٦ .
- (٢٧) ينظر : تفسير الجلالين (هامش المصدر السابق) .
- (٢٨) قال سيوييه : والدليل على أنهم يفتحون الياءات في
 (يَفْعَل) ، ومثل ذلك قولهم : (تَقَى اللَّهَ رَجُلٌ) ثم (يَتَّقِي
 اللَّهَ) أجروه على الأصل . ينظر : الكتاب ٤ / ١١٢ .
- (٢٩) ينظر : اعراب القرآن ١ / ١٤٩ ، ١٥٠ .
- (٣٠) الفزو : حجارة بيض براقّة تكون فيها الطار ، وتندج منها النار ،
 قال أبو نؤيب :
- السواجِبُ الأَثَمُ كَالْفَزْوِ الضَّالابِ ، إِذَا
 مَا حَارَزَ الحُورُ ، وَاجْتَنَّتِ المَجَالِبُ
- واحدتها فزوة ، وبها سميت الفزوة بمكة ، شرفها الله تعالى . ينظر
 اللسان (مرا) .
- (٣١) ينظر : المفضليات (١٢٦ / ١١) ص ٤٢٢ .
- (٣٢) ديوانه ص ٣١ .
- (٣٣) ينظر : الجمان في تشبيهات القرآن ص ٨٧ ، ٨٨ .
- (٣٤) الكشف : ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف ، وهو من لُئِن
 السرة الى المتن . وقال الازهري : هما كشحان وهو موقع السيف
 من المتكلد . ينظر : اللسان (كشح) .
- (٣٥) ينظر : الجمان في تشبيهات القرآن ص ٨٩ .
- (٣٦) العين ٥ / ١٨٩ ، اللسان (قسا) .
- (٣٧) معاني القرآن و اعرابه ١ / ١٢٨ .
- (٣٨) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ / ٢٤٨ .
- (٣٩) اعراب القرآن ١ / ١٨٨ .
- (٤٠) إملاء مامن به الرحمن ١ / ٤٤ .
- وينظر : الجمان في تشبيهات القرآن ص ٨٦ .
- (٤١) اعراب القرآن ١ / ١٨٨ .
- (٤٢) معاني القرآن و اعرابه ١ / ١٢٩ . وينظر : ٥٨ - ٦٠ .
 والجمان في تشبيهات القرآن ص ٩٠ .
- (٤٣) إملاء مامن به الرحمن ١ / ٤٤ ، ٤٥ .
- (٤٤) معاني القرآن و اعرابه ١ / ١٢٩ .
- (٤٥) إملاء مامن به الرحمن ١ / ٤٥ .
- (٤٦) معاني القرآن و اعرابه ١ / ١٢٩ ، ١٣٠ .
- (٤٧) اعراب القرآن ١ / ١٨٨ ، ١٨٩ .
- (٤٨) إملاء مامن به الرحمن ١ / ٤٥ .
- (٤٩) ينظر : معاني القرآن و اعرابه ١ / ١٣٠ ، ١٣١ .
- (٥٠) ينظر : شرح ديوان الفرزدق (١ ، ٢٤٥) وفيه (لهم) .
- (٥١) البيت لتميم بن أبي بن مقبل .
- ينظر : شرح ديوان ابن مقبل ص ٢٧٣ ، وفيه (وهو ملوم) .
- (٥٢) ينظر : الجمان في تشبيهات القرآن ص ٨٦ - ٨٩ .
- (٥٣) معاني القرآن و اعرابه ٢ / ٤٥٤ ، ٤٥٥ . وينظر : اعراب
 القرآن ١ / ٦٧٤ .
- (٥٤) إملاء مامن به الرحمن ٢ / ٦ .
- (٥٥) أنوار التنزيل ١ / ٣٩٢ ، ٣٩٣ .
- (٥٦) اعراب القرآن ١ / ٦٧٤ .
- (٥٧) معاني القرآن و اعرابه ٢ / ٤٥٥ .
- (٥٨) تنظر الآية (٣١) الانفال .
- (٥٩) أنوار التنزيل ١ / ٣٩٢ .
- (٦٠) تفسير الجلالين (هامش المصدر السابق) .
- (٦١) أنوار التنزيل ١ / ٣٩٢ .
- (٦٢) الانفال ٣٣ .
- (٦٣) (٦٤) ينظر : أنوار التنزيل ١ / ٣٩٣ . وبهامشه (تفسير
 الجلالين) .
- (٦٥) أنوار التنزيل ١ / ٤٧٦ ، ٤٧٧ .
- (٦٦) العين ٦ / ٥٤ .
- (٦٧) ينظر : اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص ١٩٤ ،
 واللسان (سجل) .
- (٦٨) الذاريات ٣٣ .
- (٦٩) ينظر : اللسان (سجل) .
- (٧٠) اعراب القرآن ٢ / ١٠٦ .
- (٧١) أنوار التنزيل ١ / ٤٧٧ .
- (٧٢) ينظر : تفسير الجلالين (هامش المصدر السابق) .
- (٧٣) ينظر : أنوار التنزيل ١ / ٤٧٧ .
- (٧٤) ينظر : السابق ٨ / ٥٤٥ .
- (٧٥) ينظر : اعراب القرآن ٢ / ٢٠١ ، إملاء مامن به الرحمن
 ٢ / ٤٤ .
- (٧٦) اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص ١٩٤ ، ١٩٥ .
 وينظر : أنوار التنزيل ٢ / ٥٧٦ ، وبهامشه (تفسير
 الجلالين) .
- (٧٧) اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص ١٩٣ .
- (٧٨) ينظر : المصدر السابق ، ومشكل اعراب القرآن ٢ / ٨٤٤ ،
 واملاء مامن به الرحمن ٢ / ٢٩٤ .
- (٧٩) اعراب القرآن ٣ / ٧٧١ .

- (٨٠) اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص ١٩٤ . وقال مكي بن أبي طالب القيسي : إذا وقفت على راء مكسوة وقفت بالترقيق ، كما كانت في الوصل إذا زُفّت الحركة ، لأنك قد أبقيت من الحركة بقية توجب ترقيق الراء ، وهو بعض الكسر الذي كان على الراء ، فان وقفت بالاسكان ، وقبلها كسرة ، وقفت أيضاً بالترقيق ، كما تُرَقّق الساكنة ، اذا كان قبلها كسرة .. وبالتغليظ إن أسكنت لأنها تصير ساكنة قبلها فتحة مثل : (ترميهم) .
- ينظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ / ٢١٦ .
- (٨١) مشكل اعراب القرآن ٢ / ٨٤٤ . وينظر : املاء مامن به الرحمن ٢ / ٢٩٤ .
- (٨٢) انوار التنزيل ٢ / ٥٧٦ ، وينظر : اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص ١٩٣ .
- (٨٣) اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص ١٩٣ .
- (٨٤) السابق ص ١٩٤ .
- (٨٥) أنوار التنزيل ١ / ٤٢٢ .
- (٨٦) تفسير الجلالين (هامش المصدر السابق) .
- (٨٧) اعراب القرآن ٣ / ٢٣٩ .
- (٨٨) أنوار التنزيل ١ / ٥٨٧ .
- (٨٩) تفسير الجلالين (هامش المصدر السابق) .
- (٩٠) اعراب القرآن ٢ / ٢٤٤ .
- (٩١) انوار التنزيل ٢ / ٤٨٧ .
- (٩٢) مشكل اعراب القرآن ٢ / ٧٤٣ ، ٧٤٤ . وينظر : إملاء مامن به الرحمن ٢ / ٢٦٥ ، اعراب القرآن ٣ / ٤٦٣ .
- (٩٣) أنوار التنزيل ٢ / ٤٨٧ .
- (٩٤) تفسير الجلالين (هامش المصدر السابق) .
- (٩٥) اعراب القرآن ٣ / ٤٦٥ .
- (٩٦) ينظر : أنوار التنزيل ١ / ٤٦٢ ، وبهامشه (تفسير الجلالين) .
- (٩٧) ينظر : اعراب القرآن ٢ / ٤٤٩ .
- (٩٨) ينظر : السابق ٢ / ٤٧١ .
- (٩٩) السابق ١ / ٤٨٦ .
- (١٠٠) معاني القرآن ٢ / ١٧٤ .
- (١٠١) اعراب القرآن ٢ / ٨١٦ .
- (١٠٢) العين ٥ / ١٨٩ .
- (١٠٣) المغني ص ٤٢٠ .
- (١٠٤) الجمان في تشبيهات القرآن ص ٨٩ .

المصادر والمراجع

- شرح ديوان الفرزدق ، سرح وجمع عبد الله اسماعيل الصاوي ، مطبعة الصاوي - مصر ١٩٣٦ .
- العين - للخليل بن احمد الفراهيدي ، تحقيق د . مهدي المخزومي ود . ابراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر - بغداد ١٩٨٠ - ١٩٨٥ .
- كتاب سيبويه - تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ .
- الكشف عن وجه القراءات السبع - مكي بن ابي طالب القيسي ، تحقيق د . محيي الدين رمضان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٤ .
- لسان العرب - لابن منظور - دار صادر - بيروت (ب . ت) .
- مجمل اللغة - لابن فارس ، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة - بيروت ط ١ ١٩٨٤ .
- مشكل اعراب القرآن - مكي بن ابي طالب القيسي ، تحقيق حاتم صالح الضامن ، منشورات وزارة الاعلام - بغداد ١٩٧٥ .
- معاني القرآن واعرابه - للزجاج ، شرح وتحقيق عبد الجليل عبده شلبي ، المكتبة المصرية - بيروت ط ٣ ، ١٩٧٢ .
- المغني - لابن هشام ، تحقيق د . مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر - بيروت ط ٣ ١٩٧٤ .
- المفضليات - تحقيق وشرح احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ، ط ٥ ١٩٧٦ .
- ابدية الصرف في كتاب سيبويه - د . خديجة الحديثي ، مكتبة النهضة - بغداد ط ١ ، ١٩٦٥ .
- اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم - لابن خالويه ، دار ومكتبة الهلال - بيروت ١٩٨٥ .
- اعراب القرآن - لابي جعفر النحاس ، تحقيق د . زهير غازي زاهد ، مطبعة الماني - بغداد ١٩٨٠ .
- املاء مامن به الرحمن - لابي البقاء المكي ، البابي الحلبي - مصر ط ٢ ، ١٩٦٩ .
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، لابي الخير البدياوي (وبهامشه تفسير الجلالين : السيوطي والمحلّي) مطبعة البابي الحلبي - مصر ط ٢ ، ١٩٦٨ .
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني - د . فاضل صالح السامرائي ، دار الشؤون الثقافية - بغداد ٢٠٠٠ .
- الجمان في تشبيهات القرآن - لابن نايقا لبغداد ، تحقيق د . مصطفى الصاوي ، منشورات مكتبة المعارف - الاسكندرية ١٩٧٤ .
- ديوان ذي الرمة - جمع بشير يموت ، المكتبة الاهلية - بيروت ١٩٣٤ .
- شرح ديوان ابن مقبل ، تحقيق د . عزة حسن ، وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٦٢ .



استراتيجية قادة العرب المسلمين في تحرير بلاد المغرب العربي من الاستعمار البيزنطي

أ. د. محمد سعيد رضا العتبي
كلية التربية - الجامعة المستنصرية

المقدمة :

يمكن ان نربط استراتيجية قادة العرب المسلمين في فعاليتهم العسكرية الطويلة الامد التي بدأت طلائعها منذ عام ٢١ هـ والهادفة الى تحرير المغرب العربي من السيطرة الرومانية بالدوافع النبيلة التي سطورها عند اقدمهم على الجهاد في سبيل الله وتحرير الوطن من ريقة الاستعمار ... حيث عدوا ذلك نتيجة حتمية إقتضتها طبيعة الحركة الجهادية لتصفية الامبراطورية البيزنطية المعادية للإسلام خصوصاً ، وأن بلاد المغرب في ذلك الوقت كان ولاية تابعة لها

الدوافع والاهداف :

أضافة الى الدافع المركزي الذي ألزم العرب المسلمين في تحرير بلاد المغرب العربي من الاستعمار البيزنطي .. فإن حجم الدوافع والاهداف الاخرى التي حفزت المسلمين على تحرير بلاد المغرب في فترة زمنية طالت حتى بلغت سبعين عاماً كبيرة جداً ومتنوعة كل منهم ينظر اليها من الزاوية التي تخدم مصالحه او تتفق مع ميوله واتجاهاته السياسية والاجتماعية والدينية نذكر منها :

١ - دافع الجهاد :

ان دافع الجهاد في نشر راية الاسلام في تلك البلاد

لذا حاولت في هذا البحث أن اوضح جوانب من الدوافع والاهداف التي أعطت المسلمين نفساً طويلاً في مقارعة الاستعمار الروماني على ارض عربية محتلة في الجانب الغربي من الوطن العربي على مدى سبعين عاماً قاوموا فيها المستعمر الروماني بكل جلد وبغير ملل حتى حققوا النصر بتطهير الارض العربية من التسلط الاجنبي ونشر الاسلام ... وبالنظر لطول المدة فإن الاطار العام للاستراتيجية العربية في تحرير هذه البلاد تحددها الاهداف والخطط الميدانية التي وضعها القادة العرب في نضالهم الميرير ... وعلى النحو الاتي :

عذوة سنة ٢٢ هـ بغية تأمين حدود مصر الغربية من خطر الروم البيزنطيين الذين كان يخشى من محاولاتهم لاستعادة مصر الى حضيرة السيطرة البيزنطية ثانية^(٥).

٣ - ربما تجسدت في رغبة العرب المسلمين تطويق القسطنطينية من جهة الغرب بغزو ممتلكات الامبراطورية البيزنطية من الشمال الافريقي وغرب البحر المتوسط وذلك باحتلال صقلية وجنوب ايطاليا وسواحل البحر الادرياتيكي يكون الاجهاز على الامبراطورية البيزنطية آتياً من المغرب والمشرق . يؤكد ذلك الخطوة الجريئة التي اتخذها قسطنطين الثاني خليفة هرقل بترك عاصمته القسطنطينية سنة ٤٢ هـ والاقامة في روما وصقلية كي يعمل على تقوية وسائل الدفاع عن هذه الاجزاء الغربية من الامبراطورية في حوض البحر المتوسط او كما يقول هو نفسه (لحماية الام قبل حماية البنت) ويعني بذلك حماية روما ام الملك ومركزه فهي اعظم من القسطنطينية بطبيعة الحال^(٦) ، ويؤكد ذلك ايضاً عزم القائد موسى بن نصير بعد ان استكمل فتح الاندلس على ان (ياتي المشرق من ناحية القسطنطينية ويتجاوز الى الشام دروب الاندلس ويخوض اليه ما بينهما من بلاد الاعاجم وامم النصرانية مجاهداً فيهم ومستلحماً لهم الى ان يلحق بدار الخلافة في دمشق ...)^(٧) لكن عدم موافقة الخليفة الوليد بن عبد الملك على خطته أثنته عن عزمه في تحقيق ذلك .

٤ - قرب دمشق عاصمة الخلافة في العصر الاموي من البحر المتوسط ، واعتناء الامويين الشديد ببناء الاسطول العربي وسعيهم لتوفير مادته الصناعية بشكل مبكر منذ ولايتهم لبلاد الشام على عهد الخلفاء الراشدين ، ثم تعاظمت هذه الرغبة بعد توليتهم للخلافة العربية الاسلامية ، لا سيما ان هذه الرغبة قد تجسدت في موقعة ذات الصواري^(٨) سنة ٣٥ هـ التي دارت عند ساحل الانضول الزاخر بغابات السرو والارز المستخدمة اشجارها في صناعة صواري السفن - لعل البيزنطيين قرروا القيام بهذه المعركة ليحولوا بين العرب وبين الحصول على الخشب اللازم لبناء السفن - يدلنا على مدى اهمية الخشب في الصراع بين العرب والبيزنطيين في ذلك الوقت سواء كان على الساحل الاناضولي او الساحل الافريقي للبحر المتوسط ... لا سيما وان الامويين كانوا اصحاب معرفة واطلاع باخبار تلك البلاد

تأتي على رأس الدوافع التي حفزت العرب المسلمين للاندفاع من مصر باتجاه المحيط الاطلسي غرباً ... لا سيما وان الاحاديث التي حفظوها عن الرسول الكريم (ﷺ) عن المغرب كانت تملأ اذهانهم وتقوي ارادتهم وتصعد عزيمتهم واصرارهم على الفتح . فان الرسول (ﷺ) قد بشرهم بان الله سيورثهم املك كسرى وهرقل . وان المغرب يومذاك كانت تدخل ضمن املك الدولة البيزنطية ، وعن ابي ايوب الانصاري ، قال : « بينما رسول الله (ﷺ) واقف اذ توجه تلقاء المغرب ، فسلم و اشار بيده فقلت : (على من تسلم ؟ يا رسول الله) قال : (على رجال من أمتي يكونون من هذا المغرب بجزيرة يقال لها الاندلس حينهم مُرابط وميتهم شهيد ...)^(٩) . وقال الخليفة عمر بن الخطاب (رض) : والله لقد كنت مع رسول الله (ﷺ) في بعض مغازيه فنظرت الى قلة الجيش وبكيت فقال لي رسول الله (ﷺ) يا عمر لا تحزن فان الله سيعز هذا الدين بقوم من المغرب ... »^(١٠) .

اذاً فالقضاء على الاحتلال البيزنطي كان يعني لدى العرب المسلمين تيسير نشر الدعوة الاسلامية ووضع حد لجبروت البيزنطيين الذين كانوا يسيطون فيما مضى سلطتهم على عرب شمال الجزيرة العربية ايضاً . ومما يؤكد نزعة الجهاد لدى المسلمين ما ذكره ابن عذاري عن زهير بن قيس البلوي . إنه بعد ان الحق الهزيمة بكسيلة بن لمزعيم قبيلة اوربه وطارد اعوانه حتى وادي ملوية بالمغرب لم تغره افريقية باملاكها العظيمة فأبى ان يقيم فيها وقال : (اني ما قدمت الا للجهاد ! وأخاف ان تميل بي الى الدنيا فاهلك)^(١١) . وعندما فرغ حسان بن النعمان الغساني غنائم افريقية من ذهب وفضة وجوهر وياقوت بدن يدي الخليفة الوليد بن عبد الملك أستعظمها الوليد وقال له : (جزاك الله خيراً يا حسان !) فأجابه قائلاً : (يا أمير المؤمنين ! إنما خرجت مُجاهداً في سبيل الله ، وليس مثلي يخون الله والخليفة !)^(١٢) .

٢ - ان بقاء الروم في هذا الجزء من افريقيا كان يضايق وجود العرب في مصر واستقرار الاسلام بها . لهذا أندفع عمرو بن العاص - بغير استئذان من الخليفة عمر بن الخطاب - نحو برقة سنة ٢١ هـ التي دساح اهلها على جزية قدرها ثلاثة عشر الف دينار . وطرابلس التي فتحها

واصفاءها من خلال صلاتهم التجارية القديمة التي ورثوها من قيادتهم للرحلات شبه السنوية الى تلك البلدان .

□ خطط القادة العرب في عملياتهم العسكرية :

مرت عمليات تحرير بلاد المغرب بمرحلتين هما :

١ - مرحلة البعوث والسرايا والحملات الاستطلاعية .

٢ - مرحلة الجيوش المنظمة .

أولاً : مرحلة البعوث والسرايا :

بدأت هذه المرحلة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) حين توجه عمرو بن العاص والي مصر بنظره نحو اقليم برقة لتأمين قاعدة الفسطاط الجديدة وتأمين الوجود العربي في مصر وقرار الاسلام بها لان بقاء الروم في هذا الجزء من افريقيا كان يهدد ذلك الوجود وينشط المشروعات البيزنطية الرامية الى استرجاع مصر الى حضيرة السيطرة البيزنطية عن طريق طرابلس وبرقة والوثوب منها الى الشام . لذلك ارسل عمرو بن العاص ابن خالته عقبة بن نافع الى منطقة برقة فجاءه بأخبار مشجعة عن المنطقة وسكانها من قبيلة لواتة^(١) . حملته الى التوجه بنفسه على رأس جيش من الفرسان لتحرير برقة سنة ٢١ هـ دون الاستئذان من الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وكانت النتيجة ان حرر برقة كما تمكن عقبة من دخول صحراء زويلة وفرض جزية على أهلها . وبعد هذه الحملات الموفقة قاد عمرو بن العاص غزوة ثانية لمنطقة الساحل حيث حرر مدينة سرت وطرابلس وصيراته في حين وجه بسر بن ارطاق نحو الداخل حيث تقع مدينة ودان وغيرها . لكن فعالياته العسكرية هذه في الاقاليم توقفت بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب الذي لم يشأ ان يجازف بأرواح المسلمين في تلك المجاهيل^(٢) وبذلك يكون عمرو بن العاص قد (عرف الفاتحين وقادة البعوث بعده بمدى أهمية القرب من الساحل ، ومبلغ خطورة التوغل في الداخل ، والفائدة من وراء كسب ولاء الدواخل او ضمان حيادها على الاقل لاحكام السيطرة على السواحل)^(٣) .

عاد عمرو بن العاص الى مصر تاركاً عقبة بن نافع على برقة الذي أثبت كفاءة عالية في ادارة تلك القاعدة وتقديمه الخدمات للحملات الاستطلاعية التي أخذت تتقاطر على افريقية من مصر بعد استشهاد الخليفة عمر بن الخطاب

(رض) سنة ٢٣ هـ والتي من اهنها حملة عبد الله بن سعد بن ابي سرح العامري أخي الخليفة عثمان بن عفان (رض) بالرضاعة ووالي مصر . حينما قرر الخليفة سنة ٢٧ هـ ان يقوم بتحرير افريقية (المغرب الادنى) ليجلب به إنتباه المسلمين الى هذا الشطر من الوطن بعد الفتور الذي اصاب هذه الجبهة على عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) فجهز ابن ابي سرح بألف بعير يحمل عليها ضعاف الناس ، وفتح له بيوت السلاح التي كانت للمسلمين^(٤) ، وأمدّه بجيش عظيم قدر بعشرين ألف مقاتل^(٥) شارك فيه مشاهير رجال العرب والقبائل العربية المحيطة بالمدينة والحجاز . وسميت بحملة العبادلة^(٦) .

والتحق به في ميدان المعركة عقبة بن نافع على رأس فرقة وكان عمرو بن العاص قد ولاء عليها في ولايته الاولى على مصر^(٧) . وحقت الحملة اهدافها بتحرير معظم مدن الاقليم وتميزت بانتصار العرب وقتل جرجير قائد الجيش البيزنطي في سببيله جنوب غرب القيروان سنة ٢٨ هـ / ٦٤٨ م وبذلك تحطمت آخر مقاومة حقيقية للروم الذين وجدوا أنفسهم عاجزين عن مواجهة جيوش العرب المسلمين فعرضوا الصلح لقاء جزية سنوية تقدر بحوالي ثلثمائة قنطار من الذهب ، وتنفيذاً لشروط الصلح انسحبت قوات المسلمين الى الفسطاط أواخر سنة ٢٩ هـ^(٨) . إلا ان هذه الشروط في حقيقة الامر لم تنفذ عملياً لان ابن ابي سرح لم يترك بعده قيادة عربية مسلحة تمثله على الارض المحررة والممتدة من برقة شرقاً حتى سببيله غرباً ، ولتشرف على تنفيذ بنود الصلح هذه وتوقف الروم عند حدود مناطقهم^(٩) عندما تجاوزها . كما ان احداث الفتنة الكبرى التي أودت بحياة الخليفة عثمان بن عفان (رض) قد اضعفت من همم الرجال في مواصلة فتوحهم بشمال افريقيا حتى خلافة معاوية بن ابي سفيان سنة ٤١ هـ^(١٠) .

ثانياً : مرحلة الجيوش المنظمة :

كان من المتوقع ان تعيين عمرو بن العاص ثانية على ولاية مصر في خلافة معاوية بن ابي سفيان يعطي دفعاً جديداً لعملية تحرير شمال افريقيا ويضع بداية لستراتيجية جديدة لان عمرو بن العاص كان من أشد المتحمسين لهذا الهدف في ولايته الاولى على مصر ، الا ان هذا لم يحصل حيث لم نلاحظ اي مجهود عسكري في افريقية ينسب لعمرو

القول : ان ستراتيجية ابن حديج الجديدة تعد ارهاصاً حقيقياً لما تم فعلاً في عصر خلفه عقبة بن نافع^(١٨) .
وينفرد ابن الاثير بالحديث عن طبيعة علاقة ابن حديج مع السكان الاصليين فقد اضفى على نشاطه اهمية بالغة وجعل من نتائج اخلاص الناس الى الراحة والهدوء وانقيادهم وطواعيتهم الى السلطة حتى عصر الخليفة هشام بن عبد الملك وبذلك يقول (فسكن الناس واطاعوا وعادوا الى مصر ثم لم يزل اهل افريقية من اطوع اهل البلدان واسمعهم الى زمان هشام)^(١٩) واهم من ذلك كله عرفت العرب بأرجاء افريقية ، معرفة تكاد تكون تامة ووضعت نواة لقاعد القيروان الخالدة^(٢٠) .

□ قيادة عقبة بن نافع الفهري :

هو عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري القرشي هو أحد من نزل افريقية من الصحابة . ولم يكن حديث عهد بأفريقية بل قضى فيها ربع قرن مجاهداً ومرابطاً قبل ان يعيذ الخليفة معاوية والياً عليها فقد رافق عمرو بن العاص ف عملياته لتحرير افريقية لذلك كان على دراية بأحوال ومساكنها لا سيما في ليبيا وصحراواتها ، لذلك سلا بجيوش المسلمين طريق الصحراء عبر الواحات وفي الرما وتجنب الطريق الساحلي الذي سلكه اغلب القادة الذين سبقوه واصبح يعرف بالطريق الاعظم^(٢١) و (بالجاهة)^(٢٢) ودانت له القبائل المغربية القاطنة في الصحراء الليبية مذ لواته ومزنااته وتمكنت جيوشه من السيطرة على مدي غدامس وعلى قفصة ومنها توجه بقواته نحو اقليم قسطليل واذعن له أهم مدنها وهي توزر ، وعندما توقف عن التوغ عبر الصحراء ورجع مصعداً الى اقليم الهضبة الوسطى حيا وصل الى معسكر القرن الذي أنشاه معاوية بن حديج من قبل فلم يعجبه ذلك المعسكر ، لذا فكر في اقامة مدينة تناس حجم القوات العربية الاسلامية وعظمة الاسلام وذلك سنة ٥٠ هـ^(٢٣) . فاستحسن جنوده الفكرة وتحمسوا لبنا معسكر ياويهم ، وقاعدة ثابتة ينطلقون منها لمزاولة نشاطهم في تحرير البلاد ونشر الاسلام واخضاع القبائل المخالفة ومقاومة الروم البيزنطيين ... فاختار لمدينته مكاناً وسطاً بين الساحل والداخل قريبة من المرعى ، بحيث لا تكون قريبة من البحر فتصبح في مرمى الرومان المتفوقين بحراً ولا تبعد كثيراً في عمق الداخل فتكون عرضة لتحركات

ابن العاص خلال هذه الحقبة ويميزى ذاك لعوامل محتملة كثيرة منها : ان عمرو ابن العاص كان قد طعن في السن وضعف نشاطه العسكري . وربما كان ذلك لاندماج ابن العاص في احداث المشرق السياسية مما شغلته عن هذه المهمة . اما موسى لقبال فينسب ذلك الافتور في همة عمرو ابن العاص العسكرية الى معاوية ورغبته في تجميد نشاطه وحصره في مصر فقط تمهيداً للتخلص منه ويدلل على ذلك بكون الخليفة معاوية قد بادر بعد موت عمرو ابن العاص سنة ٤٤ هـ / ٦٦٥ م الى تعيين ابنه عبد الله على مصر فقط ثم عزله بعد فترة يسيرة حيث فصل بين ولاية مصر التي جعلها لعقبة بن عامر الجهني وافريقية التي أنتدب لتحريرها معاوية بن حديج الكندي^(٢٤) . (هو قائد جند مصر ومن أخلص رجال معاوية هناك والذي يرتبط بنشاطه وضع ستراتيجية جديدة لعمليات تحرير شمال افريقية لا عهد لمن سبقه بها)^(٢٥) .

□ قيادة معاوية بن حديج الكندي :

في سنة ٤٥ هـ قاد معاوية بن حديج جيوش التحرير في شمال افريقيا منطلقاً من معسكره (القرن) وتميزت جهوده العسكرية في الاستيلاء على قابس وبنزرت^(٢٦) والحق هزيمة نكراء بالجيش البيزنطي بقيادة نقفور في مدينة سوسة^(٢٧) بسرية كان يقودها عبد الله بن الزبير في حين سيطرت سرية عبد الملك بن مروان على حصن جلولاء^(٢٨) الذي يبعد عن موضع القيروان بأربع وعشرين ميلاً كما انتخمت قوات رويغ ابن ثابت جزيرة جربة^(٢٩) . واغارت قوات عبد الله بن قيس الفزاري على جزيرة صقلية فنال من سرقوسة كبرى مدن الجزيرة ورجع سالماً .

وكلل جهوده العسكرية ببعض الخدعات العمرانية التي عززت من استقراره العسكري هناك حيث عرف عنه انه كان اول من اتخذ قاعدة عسكرية ثابتة لقواته في اقليم قمونية^(٣٠) الذي اطلق عليه اسم (القرن)^(٣١) وحفر بجواره آباراً يشرب منها الجند خيولهم وسميت آبار حديج^(٣٢) . وبذلك يكون ابن حديج اول قائد عربي في افريقية اختار قيرواناً ينزل فيه الجند وحريمهم وذرايعهم واثقالهم ويضربون فيه خيامهم ويجمعون فيه كلما أنتهت الحرب لاصلاح شؤونهم واستجماع قواهم وتضميد جراحهم وتجديد أسلحتهم او ينزلون فيه ريثما يرجعون الى المشرق . ويحق

القبائل الصحراوية ذات الاهواء المتقلبة .

وقد بنيت مدينة القيروان خططية على غرار مدينة الكوفة والبصرة والفسطاط ولخص موسى لقبال اهمية موقعها على الصعيدين السياسي والعسكري بقوله : (فقد كانت في مركز وسط بين الساحل والهضبة الوسطى وفي نفس الوقت تقرب من منطقة الرعي وهي لذلك تستطيع ان تراقب المنطقتين معاً . وتحبط كل ما قد يتوقع من غارات بربرية مفاجئة تنطلق من ناحية الهضبة الوسطى او غارات بيزنطية تأتي من منطقة الساحل وفي امكان الجند العربي من قاعدته الحصينة ان يجوس خلال المنطقة للكشف والاستطلاع والغزو ثم العودة الى نقطة انطلاقه ، وكانت القيروان حتى هذا الوقت ، تقع في نهاية الطريق الاعظم الذي يمتد من الفسطاط عبر برقة الى اقليم افريقية)^(٢٤) .

وحقق بناء القيروان للعرب المسلمين نتائج اسلامية باهرة أشار اليها ابن الاثير بقوله : (ودخل كثير من البربر في الاسلام واتسعت خطة المسلمين وقوي جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان وأمنوا وأطمأنوا على المقام فثبت الاسلام فيها)^(٢٥) ونستنتج من نص ابن الاثير ان بناء القيروان كان مدعاة لاقبال القبائل المغربية المحلية على اعتناق الاسلام ، واستقرت فيها كثير من تلك القبائل او جاورتها بعد ان اطمأنت نفوسهم اليها وتسببت في ارتفاع معنويات المسلمين لانهم وجدوا فيها ملاذاً وقاعدة انطلاق ثانية لتوسيع نفوذهم ونشر راية الاسلام في مناطق جديدة في شمال افريقيا لانهم شعروا بأنه أصبحت لهم حقوق ثابتة في المنطقة^(٢٦) . وبهذا أصبحت العاصمة التي توجه عمليات التحرير وتنظم شؤون المناطق المحررة ، بوتقة إنصهرت فيها قبائل المغرب ، هي تتلقى الاسلام وتتعلم العربية . علماً بأن بناء القيروان الذي دام اربع سنوات لم يشغل عقبة بن نافع عن عملياته العسكرية في شمال افريقيا بل أستمروا طيلة المدة في ارسال البعث الى الاطراف لبث الرعب في نفوس الاعداء صرفاً لهم عن مضايقة المسلمين المنهمكين في عمليات البناء كما يلاحظ ان حملات عقبة الحربية لم يقصد منها الحصول على المنافع المادية (الغنائم) حتى ان البعض ينظر الى حملته الاولى على انها كانت عملاً تمدنياً لا عملاً حربيّاً ، وكان هدفها وضع نقطة الارتكاز وكسب ولاء السكان ومن ثم ابتعدت عن سياسة

الاغارة على مراكز العمران والسلب والغنائم^(٢٧)

ومن هنا نستطيع أن نجد تفسيراً معقولاً لعزل عقبة بن نافع فجأة عن الميدان الافريقي . وربما جاء هذا العزل بسبب تأثير مسلمة بن مخلد والي مصر الذي قد ساءه إنصراف عقبة عنه - فكاد له وسهل مهمة عزله !

□ قيادة ابي المهاجر دينار :

مولى مسلمة بن مخلد والي مصر . فقد تولى قيادة الجيش في شمال افريقيا بعد عزل عقبة بن نافع وافتتح عمله هناك بتركه القيروان ، واتخاذ قاعدة جديدة له تسمى (دكور)^(٢٨) وقد بنيت في جبل وسلات ، مسكن قبيلة مزناة المغربية^(٢٩) وربما كان أبو المهاجر يقصد من بناء عاصمته في وسط القبائل المغربية المحلية (الامازيغ) ان يؤكد لتلك القبائل أن اتجاهها سياسياً جديداً يقوم على اساس التقرب من السكان الاصليين ، وكسبهم للاسلام باللين والحسنى ، وربط اواصر الحلف معهم ضد الروم الدخلاء . كما يُعد أول من طبق سياسة الاستقرار في افريقية ، وانهاء العمل العسكري . فاقام كامل فصول السنة في افريقية . ويرى لقبال ان هذه السياسة لم تكن جديدة إذ (ان بذور هذه السياسة بدأت بمعسكر القرن . وطبقت فعلاً في بناء قاعدة القيروان ، وان لم يُترك عقبة حتى تظهر معالم سياسته الجديدة ففوجيء بالعزل)^(٣٠) .

كانت سياسة أبي المهاجر دينار تنصب على هدفين رئيسيين احدهما : طرد الروم . والاخر أخضاع القبائل المغربية وكسبهم الى حضيرة الاسلام . حيث كان النصارى من تلك القبائل وخاصة قبيلة أوربة تحالف الروم وقد تصدت بقيادة زعيمها كسيلة بن لعز^(٣١) الى قوات التحرير العربية الاسلامية . ولكن بعد معركة اسفرت عن هزيمة كسيلة ووقوعه في الاسر إعتنق الاسلام وتبعته قبيلة أوربة وبذلك تحولت عن نصرانياتها . ويُعد ذلك نصراً لقيادة ابي المهاجر دينار في بلاد المغرب لان أوربة كانت من اقوى فروع البرانس وقد توزعت بطونها بين منطقة جبال أوراس والرين^(٣٢) . واصبحت العلاقة بين كسيلة وابي المهاجر نموذجاً لما ينبغي ان تكون عليه العلاقة بين العرب واهل البلاد الاصليين^(٣٣) وبذلك لم يخش ابو المهاجر من تلك القبائل بل اطمأن من ناحيتهم ، وكان بهذه العلاقة قد أرسى قواعد ثابتة للتعامل السلمي مع تلك القبائل وهيئت لقواته فرصة القيام

بالدور الايجابي في استكمال عملية تحرير المغرب
 اما استعداداته لطرد الروم فكانت متميزة عن غيره من
 القادة ايضاً حيث عمل على مواجهة مواقعهم المنيعه في
 قرطاجنة ومدينة فحص تونس ببناء معسكر قريب من
 المدينة - قرطاجنة - ليزاول منه نشاطه ضد روم . كما وجه
 حنش بن عبد الله الصنعاني على رأس جيش لفتح جزيرة
 شريك ثم عقد صلحاً مع الروم احتفظ للمسلمين بموجبه بما
 أستولوا عليه من مناطق حول شبه جزيرة شريك^(٤١) .
 وعندما تقوم جهود ابي المهاجر نعترف لا محاله بأهمية دوره
 في تقدم حركة التحرير ونشر الاسلام بين سكان المغرب
 الاوسط - يعد اول قائد عربي اوغل فيه - الذين غدوا حلفاء
 يوثق بهم ونجح في تكسير مقاومة الروم مواصلاً بذلك الزحف
 على قرطاجنة سنة ٥٩ هـ التي ضيق الخناق عليها مما
 جعل الروم مضطرين للتنازل عن شبه جزيرة شريك الواقعة
 الى الجنوب منها^(٤٢) . وبهذا الصدد يقول موسى لقبال
 (ولولم يكن هذا القائد سياسياً متسامحاً وذا هدف محدد
 لما استطاع ان يحصل على هذه النتائج الطيبة الثمار^(٤٣) .

□ قيادة عقبة بن نافع الثانية :

تولى عقبة بن نافع ولاية افريقية ثانية سنة
 ٦٠ هـ / ٦٧٩ م في خلافة يزيد بن معاوية . ويوصل
 عقبة الى افريقية هجر (دكرور) واعاد تجديدها ما حُرب من
 مباني القيروان بعد القبض على ابي المهاجر دينار ومصادرة
 أمواله . ثم انطلق غريباً للجهاد وتحرير البلاد مستخلفاً على
 القيروان كل من زهير بن قيس البلوي وعمر بن علي القرشي
 تدعمهما حامية عربية كبيرة العدد لحراسة المدينة والدفاع
 عنها . وقد أكد عقبة مهمته الجهادية بوصيته لاولاده التي
 قال فيها (اني قد بعث نفسي من الله ، فلا ازال اجاهد من
 كفر بالله ، واراكم لا ترونني بعد يومكم هذا)^(٤٤) وقد سلك
 عقبة في حملته الكبرى هذه طريق الهضبة التي تقى بقوات
 الروم الهائلة وحلفائهم في مدينة (باغاية) المطلة على
 جبل أوراس والحق بهم الهزيمة ثم قصد مدينة دنه في اقليم
 الزاب والحق الهزيمة باعدائه الروم والجاهم الى الحصون ...
 ثم تواصلت انتصاراته عليهم حتى لاذت فلولهم بفحص
 تاهرت^(٤٥) ثم خاض معركة ضد الروم حول مدينة تلمسان
 وقيل ان عقبة بن نافع وصل الى الريف والسوس وهناك التقى
 ببوليان الذي اعترف له بالتبعية والولاء . وانه بعد ذلك قصد

صحراء درنة ومضارب اهل اللثام من بطون قبيلة صنهاجة
 الكبرى حتى اشرف على اسفي على المحيط الاطلسي
 وعندها وقف على المحيط واخذ الحماس بمشاعره فدخل
 بفروسه ماء البحر على الساحل ثم لوى عنان فروسه مكتفياً
 بالاعتذار عن عدم اقتحام البحر الزاخر^(٤٦) .

وقد بنى مساجد في جل المناطق التي مربها لتكون مراكز
 لنشر الاسلام وتعليم اصوله ومنها مسجد درعة ومسجد
 نفيس ومسجد إيجلي قاعدة السوس الاقصى ومسجد
 ماسة^(٤٧) .

وبعد ان حقق هذه الانتصارات العظيمة عاد أدراجه وفي
 طريق العودة ضم للاسلام قبائل (حاحة ورجرجة
 ومصمودة) تاركاً بينهم من يعلمهم اصول الاسلام الا ان ابن
 خلون يذكر بان المصامدة فرضوا حصاراً على عقبة في
 منطقتهم ، فخفت زناته لنجدته وفك الحصار عنه^(٤٨) . ثم
 وصل عقبة الى قرب مدينة طبنة من كبريات مدن الزاب من
 دون ان تعترضه اية متاعب تستحق الذكر لذا أمر معظم
 جيشه بسرعة العودة الى القيروان لثقتة بنفسه ، وبقي هو
 في مجموعة قليلة من الفرسان لا يتجاوز عددها ثلثمائة
 فارس عول عليهم في تصفية بعض قلاع الروم في المنطقة
 ومنها حصن تهودة وحصن باديس ... لكن الروم لما وجدوا
 عقبة في قلة من الجند كمنوا له^(٤٩) ثم تصدوا له امام حصن
 تهودة واسفرت المعركة عن هزيمة غير متوقعة لجيش
 المسلمين الذين قتلوا عن آخرهم بما في ذلك عقبة وابي
 المهاجر دينار الذي خيره عقبة بالرحيل بعد ان فك عنه
 اغلال حبسه الا انه ابى الا القتال بجنبه حتى نال الشهادة
 وسميت مقبرتهم بـ (مقبرة الشهداء) واصبحت المنطقة
 كلها تسمى بـ (سيدي عقبة) عوضاً عن تهودة^(٥٠) .

□ قيادة زهير بن قيس البلوي :

خلق استشهاد عقبة واصحابه في تهودة وضعاً مضطرباً
 لدى العرب المسلمين في افريقيا عموماً محق كافة المكاسب
 التي حققتها قوات التحرير العربية الاسلامية في شمال
 افريقيا يومذاك واتاح المجال للقوى المعادية من استعادة
 مواقعها ونفوذها في جميع المناطق التي سبق لها ان دخلت
 تحت السيادة العربية لكن زهير بن قيس البلوي الذي كان
 يتولى منصب نائب الغيبة حاول ان يخفف من تأثير الانكسار
 النفسي المقلق لدى العرب المسلمين ، إذ قام خطيباً في

وقد لاحظنا أن الافارقة في برقة بالتعاون مع روم صقلية يستجيبون لرغبة الدولة البيزنطية ويغيرون على ساحل برقة أثناء غياب زهير عنها ، مما حدى به أن يستجيب لاستغاثة اسرى المسلمين بعد تكرار الغارات فاندفع بعض المتحمسين من الجند بقيادة زهير البلوي لخوض المعركة مترجلين في لقاء غير متكافئ بين الطرفين في منطقة (درنة) وكانت النتيجة هزيمة المسلمين واستشهاد جميعهم ، وصار ما عندهم من سلاح وخيول وامتنعة غنيمة سائفة للروم الذين أبحروا بعد هذا النصر الى جزيرة صقلية^(٥٧) . وسميت قبورهم في مدينة درنة بأسم (قبور الشهداء) اما بقية الجيش الذين لم يشتركوا في المعركة نتيجة لبعدهم عن ميادينها فقد وصلوا دمشق ورووا للخليفة عبد الملك ما وقع لزهير فتأثر تأثراً عميقاً لهذه النتيجة المحزنة التي تشبه في هولها وشذتها كارثة (تهودة) من قبل . ورغبوا فيه الا ينحني امام الروم وحلفائهم ويترك افريقية نهباً مقسماً بينهم ، ويفرط في الحقوق الثابتة التي حصل عليها العرب بجهودهم ودمائهم وطالبوه في النهاية بأن يرسل اليها من يسد ثغرها ويصلح أمرها فاجابهم (لا أرى احداً كفوءاً لافريقية كحسان بن النعمان)^(٥٨) .

□ قيادة حسان بن النعمان الفسائي :

هو حسان بن النعمان بن عدي بن بكر بن مغيث بن عمرو ابن مزيقيا بن عامر بن الازد^(٥٩) .

تولى قيادة جيوش المسلمين في افريقية في ظروف حرجية كانت تقتضي تعيين شخصية كحسان وهو يعد من قادة الشام المشهورين ومن سلالة ملوك الفساسنة ومن اكثر الرجال قرأً واخلاصاً لخلفاء الامويين حتى كان يعرف عندهم بـ (الشيخ الامين)^(٦٠) تلك الظروف التي اعقبت استشهاد عقبة في تهودة وزهير في درنة فجعلت الخلافة تقتب الى خطورة الموقف في شمال افريقيا الناجم عن تحالف القبائل البرانسية والروم ، ووجوب استعادة هيبة الخلافة هناك التي قد لا تتم الا بتصفية النفوذ البيزنطي في افريقية وتحطيم الروم واحتلال قاعدتهم قرطاجنة والقضاء على عنصر المقاومة المحلية المتمثلة في حركة قبائل البتر بقيادة زعيمهم الكاهنة داهية^(٦١) . لذلك اختلفت مهام حسان بن النعمان عن مهام من سبقه من القادة في شمال افريقيا حيث اسند له الخليفة عبد الملك بن مروان مهمة

مسجد القيروان فوضح للناس الظروف التي أدت الى هزيمة اخوانهم في تهودة وما اصابهم من جراء ذلك وحثهم على ضرورة البقاء في القيروان للقاء العدو فاما الشهادة وإما النصر الساحق الذي يهرب الاعداء ويمكن للاسلام وللقاعدة الاسلامية من الاستمرار في هذه الديار . لكنه في النهاية رضخ لرأي الاغلبية القائلة بوجوب الانسحاب من القيروان باتجاه المشرق تداركاً لهجمات قد تشن من قبل الاعداء تزيد من مأزقهم لذلك انسحب زهير بن قيس البلوي واستقر قريباً من القاعدة في اقليم برقة . واخذ زهير يراسل ولاة مصر وربما الخلافة في دمشق يطلبهم على الحالة ويطلب مدداً جديداً لمواجهة الموقف المضطرب ويعيد به الوضع الى حالته الطبيعية ، لكن الخلافة كانت تعيش في أزمة سياسية بعد وفاة يزيد بن معاوية لم تستطع الاجابة السريعة لطلبه ، مما هيا المجال امام كسيلة وجماعته للزحف على القيروان واحتلالها طيلة خمسة اعوام . ودام سكوت الخلافة عن تلبية طلب زهير البلوي حتى خلافة عبد الملك بن مروان الذي ابتدأ نشاطه في شمال افريقية باصداره أمراً بتعيين زهير البلوي والياً على افريقية وامره بضرورة الدخول فوراً لانقاذ من بها من المسلمين وأمدّه بالرجال والخيول والاموال من خزينة مصر وجعل في مساعدته مجموعة من رجال الحرب اهمهم ابو حيان الحضرمي وبذلك تجمع لدى زهير جيش يزيد على الستة الاف مقاتل بضمنهم الفي مقاتل من القبائل المغربية المحلية واربعة الاف من عرب المشرق زحف بهم زهير على مدينة القيروان^(٦٢) واصطلم بجيش كسيلة الاوربي بجوار قرية سببية على واد يعرف بوادي ممس في معركة حامية قتل فيها كسيلة وانهزمت جموعه المنحدرة وتتبعتهم جيوش العرب المسلمين حتى نهر ملوية . ثم عاد زهير بقواته الى القيروان ليعيد صلاح ما دمره احتلال كسيلة الاوربي لها . وبما ان طابع حملة زهير كانت تاديبية ومحدودة الهدف فلم يكن في نيته القيام بأي عمل آخر ، ولم يكلف من طرف الخليفة بغير ذلك . ومن ثم عاد باتجاه المشرق عقب انتهاء معركة ممس وتأمين قاعدة القيروان من اي اذى بترك حامية صغيرة فيها ويترك اصحاب الاثقال بها^(٦٣) .

ويبقى لتفسير سرعة انسحاب زهير من القيروان افتراض واحد يتمثل في احتمال اطلاعه على ما يدبره الروم في الخفاء ضد منطقة برقة ، ذاك التدبير الذي حال دون تنفيذه وجود زهير على رأس حامية عربية قوية في المنطقة^(٦٤) .

جيشه من جديد أستعدادا للجولة القادمة ضد قبائل البتر بقيادة الكاهنة داهية .

لقد أحيت الكاهنة المقاومة المحلية التي كان العرب المسلمون يعتقدون بأنها أخمدت نهائياً بعد معركة سهل (ممس) وتحرير قرطاجنة وتشريد الروم وحلفائهم من البرانس حيث جاءت هذه الاحداث لتؤكد خطأ اعتقادهم ، إذ إن الاحداث لم تنته بعد بالنسبة لفرع البتر (اهل الوبر) وبالنسبة للروم الذين بقوا يراقبون الاحداث من بعيد فكلما بان لهم ثغرة دخلوا منها^(٦٨) .

تُعد معارك حسان مع الكاهنة من اعظم المعارك التي خاضتها الجيوش العربية الاسلامية في بلاد المغرب وعلى هزيمتها كان المسلمون يعملون احلامهم في تحرير شمال افريقيا بحيث ان حسان عندما سال اهل القيروان عن يكون قد بقي من ملوك افريقية ممن لهم قيمة في ميزان الاحداث ليناجزه الحرب او يسلم فاشاروا الى امرأة تقطن منطقة اوراس يخافها الروم في افريقية ويخشون بأسها ويذعن لسلطانها جميع البربر (فان قتلتها دان لك المغرب كله ، ولم يبق لك مضاد ولا معاند)^(٦٩) .

ولما سمعت الكاهنة بزحف حسان اليها من القيروان انتقلت بقواتها من منطقة اوراس الى مدينة باغاية التي تشرف على المنطقة وهدمتها حتى لا يتحصن فيها حسان وينطلق منها الهجوم على منطقة الكاهنة ، والتحم الجيشان عند نهر البلاء^(٧٠) في قتال مرير انتهى بهزيمة حسان ومقتل عدد كبير من جنده وأسر ثمانين رجلاً من جيشه اطلقت الكاهنة جميع عدا خالد بن يزيد العبسي لشجاعته ووسامته وأخت بينه وبين ولديها على طريقتهم الخاصة^(٧١) . وسميت تلك المعركة بـ (وادي العذارى) وأنشحب على اثرها جيش حسان الذي لاحقته قوات الكاهنة حتى منطقة قابس مما جعلت فلول الجيش الاسلامي يصل برقة حيث توقف هناك بأمر من الخليفة بعد ان كتب اليه حسان نبأ الهزيمة التي حاقت به على يد قوات الكاهنة^(٧٢) .

أخذ حسان معسكراً لجنده ومنازل بالقرب من قصور قديمة اصبحت تسمى فيما بعد (بقصور حسان) ومكث هناك خمس سنوات ينظم صفوف جيشه ويراقب تطور الاحداث في افريقيا وينتظر أذنأ جديداً من الخليفة عبد الملك . وكان خالد بن يزيد العبسي يمدّه بالاخبار عن

تحرير بلاد المغرب نهائياً بعد ان أمره بالتوجه الى مصر والعمل على تجميع قواته وتنظيمها هناك وقد أطلق يده في أموال مصر لشراء العدة الحربية وتغطية اعطيات الجند وتلبية حاجاتهم ومتطلباتهم وبذل الاموال على الناس لكسبهم الى جانبه وترغيبهم في القتال . وهي صلاحيات كبيرة جداً اوقعت بعض المؤرخين في خطأ التصور بأن الخليفة قد ولى حساناً على شؤون مصر زيادة على افريقيا^(٧٣) .

تجاوزت قوات حسان بن النعمان التي انطلق بها نحو المغرب سنة ٧٣ او ٧٤ هـ (٦٩٢ - ٦٩٣ م) الاربعين الف مقاتل^(٧٤) وهي اكبر قوة ضاربة تطأ ارض افريقية حتى هذا الوقت لاسيما بعد ان انضمت اليها في طرابلس مجموعات اخرى من العرب القاطنين هناك وافراد من القبائل المغربية المحلية وحينئذ عمل على اشراك المشاركة والمغاربة في تحمل المسؤوليات القيادية في جيشه حين أمر كلا من (محمد بن ابي بكير) و (هلال بن توران اللواتي) على مقدمة جيشه^(٧٥) .

كما اعتمد في ستراتيجيته العسكرية على خطة قتال جديدة في مواجهة اعدائه من الروم وحلفائهم حين قرر ان يقاتلهم منفردين لا مجتمعين حتى يسهل القضاء عليهم واحداً بعد الاخر قبل ان يكتتلوا ضده . لذلك قرر ان يناجز الروم أولاً ثم يلتفت الى عناصر المقاومة المحلية . فكانت قرطاجنة^(٧٦) هدفه الاول باعتبارها قاعدة الروم واعظم مدن افريقية البيزنطية على البحر المتوسط فتوجه اليها حسان بكل قواته وحاصرها ورغم ما أبداه المحاصرون من مقاومة فقد أستسلموا وتظاهروا بطلب الامان والرغبة في ايقاف القتال الذي أزهق ارواح الكثير من فرسان الروم فلما استجاب حسان لطلبهم أخلوا المدينة في جنح الظلام وهربوا في سفنهم اما الى جزيرة صقلية^(٧٧) او الى جزر البليار وساحل الاندلس تاركين خلفهم ضعفاءهم وبعض أثقالهم . ثم زحف حسان بجيشه نحو مدينة بنزرت على مقربة من قرطاجنة فانزلوا بالروم هزيمة شتتت شملهم في حين نزل حلفاؤهم من البرانس الى مدينة (بونة)^(٧٨) واخذ حسان يتتبع فلول المنهزمين ويبعث سرايا للقضاء على اثار المقاومة هناك . وبعد هذه الجهود العسكرية الكبيرة والانتصارات الباهرة قرر ان يعود الى القيروان ليستريح فيها ويعيد تنظيم صفوف

الكاهنة وعلاقتها بالروم ويقابل البرانس من جهة وعن الروح المعنوية ومدى تماسك تلك الجيوش واخلاصهم للكاهنة من جهة أخرى لا سيما بعد ان عمّ الاستياء من تصرفات الكاهنة لتخريبها العمران وحرقتها المزارع وقطعها الاشجار بقصد منع العرب المسلمين استغلالها والاستفادة منها . كما اخبره بان القوم لا تربطهم رابطة في هذه الفترة ... وحثه في النهاية على الاسراع بالزحف للاجهاز على الكاهنة^(٧٢) وبعد ان لاحظ حسان ان الموقف يسير في صالحه وان نفوس القبائل قد تغيرت تجاه الكاهنة واخذوا يكرهونها ويفرون من حولها حتى ان فريقاً منهم قدم اقليم برقة يستغيثون بحسان لما حل ببلادهم على يد الكاهنة وسياستها في الارض المحروقة لا سيما وان الامدادات قد وصلت اليه من الخلافة بالمشرق ، كما صالحه اهل مدينة قابس ودانت له مدينة قفصة وقسطنطية ونفزاوة بدون حرب

اما الكاهنة فهي الاخرى قد استعدت للمعركة الفاصلة وعندما التحم الجيشان سنة ٨٢ هـ انهزم جيش الكاهنة وقتلت هي في مكان سمته المصادر بـ (بئر الكاهنة)^(٧٣) واستسلم ولدا الكاهنة مع اثني عشر من قبائل البتر ، حيث قود حسان كل واحد منهما على ستة الاف من البتر واستصحبهم معه^(٧٤) وارسلهم الى مختلف النواحي ليعملوا السيف في رقاب كل من لم يذعن من الروم وحلفائهم وبهذه المشاركة أكد حسان على مبدأ التسوية بين العرب المحررين وغيرهم من سكان المغرب لتحمل مسؤولية نشر الاسلام في بلاد المغرب وهي خطوة بادر اليها ابو المهاجر دينار من قبل^(٧٥) . ثم واصل حسان تطهير بعض المدن التي اتخذتها الفلول المنهزمة مراكز للمقاومة ومنها قرطاجنة التي عاد اليها الروم مستغلين انشغال حسان في قتال الكاهنة فالحق بهم حسان هزيمة منكرة تاركين المدينة التي امر حسان بتخريبها وحرقتها وقطع مصادر المياه عنها حتى يياس الروم من العودة اليها مرة أخرى وبنى مدينة تونس على أنقاض قرب ترشيش شرق قرطاجنة وأنشأ بها قاعدة بحرية لتكون قاعدة انطلاق جديدة ضد البحرية البيزنطية في البحر المتوسط^(٧٦) . وظهر أيضاً محض تونس وقلعة زغوان بعد قتال دام ثلاثة ايام^(٧٧) . ثم اقام حسان بالقيروان مدة استقدمه بعدها عبد العزيز بن مروان والي مصر تمهيداً لعزله بعد انتصاراته الحربية الباهرة التي ثبتت الوجود العربي

الاسلامي في شمال افريقيا امام اطماع الروم المستعمرين وحلفائهم . وقد لا نجد سبباً مباشراً لعزله سوى الظن بكون والي مصر غضب على حسان لانه كان يتحاشى الرجوع اليه في شؤونه ويذكر الخليفة عبد الملك بن مروان مباشرة من دون وساطته في شؤون افريقيا وقد استكبر والي مصر هذا الموقف^(٧٨) . وهالته المنزلة التي تبوأها حسان بعد تحرير المغرب والفنائم الوفيرة التي حصل عليها وقدمها للخليفة عندما مثل بين يديه ونال شكر الخليفة على ذلك وعزم على رده الى عمله في بلاد المغرب لولا اعتذار حسان عن ذلك^(٧٩) . مما جعل الخليفة يسند مهمة ولاية المغرب الى موسى بن نصير .

□ قيادة موسى بن نصير :

هو موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن زيد اللخمي التابعي^(٨٠) . كان والده يعمل قائداً للحرس الخاص بمعاوية ابن ابي سفيان اثناء ولايته على الشام ، واشتهر بقوة شخصيته وبالمحافظة على الحياد في الاحداث التي شهدتها المنطقة يومذاك^(٨١) . اما ابنه موسى فقد برز كشخصية سياسية في خلافة مروان بن الحكم حيث كان في بداية أمره مشايحاً لابن الزبير وبعد هزيمة قواته في معركة مرج راهط سنة ٦٥ هـ / ٦٨٤ م على يد مروان بن الحكم خاف موسى من العاقبة واستجار بعبد العزيز بن مروان والي مصر الذي توسط فيه لدى والده ليؤمنه على حياته بعد ان أقسم على ان يهب عمره في خدمة آل مروان ونصرتهم وتولى عدة مناصب لبني أمية قبل توليته المغرب^(٨٢) .

اما في المغرب فتتلخص استراتيجية موسى بن نصير برواية ابن قتيبة التي بالغ فيها قائلاً (ان افريقية وما حولها كانت مناطق خوف واوكار اعداء ، وان عامة الجبال والسهول كانت حصوناً ومراكز حربية ، وان المسلمين ، لم يفارقوا المدن الى ظاهرها لصلاة الميدين)^(٨٣) والحقيقة ان ابن قتيبة قد بالغ في وصفه لاولضاع افريقيا بعد رحيل حسان عنها ، لانه كان من المعجبين بشخصية موسى ونهجه في العمل ولانه بنى رأيه على استنتاجات استقفاها من مضمون خطبة موسى بن نصير التي القاها في جنده التي اظهر فيها معالم سياسته التي أبنتت على تصفية جيوب المقاومة فيما قرب من مناطق الولاية . ثم تتبع فلول المخالفين فيما بُعد من المناطق على

خلاف اسلافه الذين كانوا يتركون العدو خلفهم ويطوفون الى اقصى البلاد^(٨٥) . ولكنني اقول : اذا كان هذا يصح على استراتيجيه عقبة وابي المهاجر دينار الا انه لا يصح على حسان بن النعمان الذي اتبع استراتيجيه القضاء على عناصر المقاومة البيزنطية في قرطاجنة بدءاً ثم في جبال ايراس بعد ذلك ثم مد نشاطه الى ما بقى من حصون في المغرب الاوسط والى المغرب الاقصى^(٨٦) . ودع ذلك فان موسى بن نصير ابتداء جهده العسكري في شمال افريقيا بتوجيه جيش الى قلعة زغوان الحصينة القريبة من القيروان وذلك لتأديب اهلها الذين دأبوا على الغارات المفاجئة على ممتلكات المسلمين^(٨٧) .

اما في المغرب الاوسط فقد ارسل القواد لذاديب بعض انقباض التي عرفت بخروجها على النظام مثل هواره وزناته وكتامة وصنهاجة فارسل عياش بن اخيل على رأس جيش الى مضارب هواره وزناته التي صالحته على الطاعة والاسلام ، كما استجاب موسى بن نصير لرجبة كتامة في الصلح وعين عليها رجلاً منها يدعى (طامون) وأخذ الرهائن من سراتها^(٨٨) . في حين سار بنفسه الى صنهاجة فاغار عليها واخضعها لسلطانه ويظهر ان اول نشاط لموسى فيما وراء نهر ملوية كان ضد منازل قبيلة أوربة ومنطقة سيجوما بصغة خاصة^(٨٩) . ورجع بعد نجاح هذه الغارة الى مدينة القيروان لتعيد تنظيم صفوف جيشه استعداداً لوضع خطط المستقبل التي يظهر انها استهدفت الالتفات الى النشاط البحري لتوسيع مجال النفوذ وحماية الثغور الاسلامية واستكمال فتح قلاع المغرب الاقصى والايفال في اراضيها^(٩٠) . لذلك أتسم نشاطه بالسعة فامتد من اقصى جنوب البلاد حيث منطقة السوس الاقصى الى شمالها حيث

طنجة وسبتة . فاخضع سكان الصحراء وسكان الجبال معاً ولم تمتنع عنه غير مدينة سبتة الحصينة بسبب مقاومة حكامها ومساندة القوط في اسبانيا لها . اما مدينة طنجة التي كانت تخضع ليويلان حاكم سبتة فقد تمكن موسى من تحريرها واستنزال صاحبها الى الطاعة تاركاً عليها مولاة طارق بن زياد مع قوة عسكرية بلغ عدد افرادها عند ابن عبد الحكم الفأ وسبعمائة مقاتل ازدادت فيما بعد حتى بلغت اثني عشر الفاً من المغاربة وسبعة عشر الفاً من العرب الفاتحين^(٩١) وترك فيهم سبعة عشر رجلاً من فقهاء العرب المسلمين^(٩٢) وقراءهم ليبرهن على انه شديد الاهتمام بالثقافة وينشر الاسلام في ربوع المغرب احياء لسنة سلفه عقبة بن نافع الذي لم تخف عليه ميزة التعليم ونشر الاسلام .

وهكذا استكمل موسى بن نصير تحرير بلاد المغرب متخذاً من مدينة القيروان قاعدة له . وبذلك يكون موسى بن نصير اول من نزل طنجة من قادة التحرير . واول من تطأ خيله ارض المصامدة بعد عقبة^(٩٣) . واول قائد عربي مسلم ينسب اليه الفضل في اسلام اهل المغرب الاقصى وفي التمهيد لجيلاد تجمع اسلامي في المغرب يسود عناصره الوثام وتقودهم^(٩٤) اهداف مشتركة ، والى اهمية الجهود التي بذلها «موسى بن نصير في هذا المجال يشير ابن خلدون نقلاً عن ابن ابي زيد القيرواني قائلاً (ان البربر ارتدوا عن الاسلام ، اننتي عشرة مرة ، من طرابلس الى طنجة ، ولم يستقر الاسلام بينهم حتى أجاز موسى معه كثيراً من رجالات البربر وامرهم برسم الجهاد فاستقروا هناك ، فحينئذ استقر الاسلام بالمغرب واذعن البربر لحكمه ورسخت فيهم كلمة الاسلام وتناسوا الردة)^(٩٥)

نتائج البحث

الجغرافي والبشري لتلك البلاد ، ضماناً لسلامة المسلمين وتغادياً لتقديم اقل الخسائر لذلك ارسل عمرو ابن العاص عقبة بن نافع الى منطقة برقة لاستطلاع المنطقة وجمع المعلومات عن سكانها من قبيلة لواتة . وعندما اسرف عمرو ابن العاص في التوغل في ما وراء برقة نهاه الخليفة عمر بن الخطاب (رض) حفاظاً على ارواح المسلمين مما جعله مضطراً لايقاف عملياته الحربية والعودة الى مصر . وكذلك

يمكن ان نستخلص اهم النتائج من دراستنا لستراتيجيات قادة العرب المسلمين الذين قادوا عمليات تحرير بلاد المغرب من الاستعمار الروماني والتي دامت سبعين سنة في الجهاد المضني بالنقاط التالية :

١ - حرص الخلفاء على توجيه القادة بوجوب استطلاع المناطق المقرر تحريرها قبل البدء بالعمليات الحربية . وعدم الايفال في مجاهيل افريقيا دون علم مسبق بالوضع

مسؤولة عن صدقاتها والى ذلك يشير المالكي بقوله (ومن ذلك صارت الخطط للبربر في افريقية فكان يقسم الفيء بينهم ، والارض ، وحسنت طاعتهم ...)^(١٧) .

- وفي الجانب الاداري دون الدواوين وعربها اي اتخذ الترتيبات الادارية ، وهيا السجلات . وعين المصالح الحكومية المختلفة ، وهيئة الموظفين ، ولغة الادارة ، ونواب الاقاليم ، وكانت هذه الاجراءات انعكاساً لحركة التعريب الاداري التي اجراها عبد الملك بن مروان في المشرق . وفي برقة عين حسان على خراجها رجلاً قبطياً يدعى ابراهيم بن النصراني وبعد فزاره حل محله غلام عبد العزيز بن مروان المدعو (تلبد)^(١٨) . وبذلك اصبح تكليف الموالي باهم المناصب في المغرب شيئاً مألوفاً منذ ان وضع اساسه ابو المهاجر دينار .

اما في الناحية المالية فقد نظم حسان بن النعمان الخراج على الاراضي وكذلك وضع الجزية على الروم وعلى نصارى المغرب وكانت غالبيتهم من البرانس^(١٩) . ويذكر المالكي ان حسانا كلف حنش الصنعاني بمهمة جباية اموال الصدقة من المسلمين^(٢٠) في حين اسند مهمة جمع اموال الجزية والخراج من اهل الذمة الى رجال من طائفتهم او التزم السكان أنفسهم بجمعها ، وتسليمها في وقتها ، كما كان الشأن مع قبيلة لواتة في برقة الذين لم يدخل ارضهم جاب ولا مستحت^(٢١) .

٤ - سعى العرب الى تحقيق وحدة الجماعة في اطار الدولة العربية الاسلامية وذلك باستمالة القبائل المغربية واشراكهم في الخدمة العسكرية واسناد المهام القيادية لبعض زعمائهم كما فعل حسان الذي سوى بينهم وبين العرب في تحمل الاعباء القيادية والدفاع ونشر الاسلام والغنائم والاسلاب . وطرح جانباً النظرية العتيقة التي تجعل منهم في وضع الشعب المهزوم الذي فتحت ارضه عنوة . فهو وابو المهاجر من قبله وموسى بن نصير من بعده ، عاملوا المقاربة برفق وحكمة ليكسبهم الى الاسلام حتى اصبحت مهمة الاسلام في المغرب ليست مقصورة على العرب فقط انما اصبحت تشاركهم فيها عناصر قومية اخرى^(٢٢) . وبذلك يُعد حسان اول من اعطى المغرب طابعاً عربياً اسلامياً بعد تحريره من البيزنطيين .

٥ - اهتم العرب ببناء الاسطول وانشاء قاعدة عربية اسلامية في بلاد المغرب لمقاومة الخطر البيزنطي حيث

اخذ عبد الله بن ابي سرح بأرسال الحملات الاستطلاعية من (عقربة) التي عسكر فيها بالقرب من سببيلة للتعرف على المنطقة قبل الهجوم عليها . وكذلك فعل بقية قادة التحرير في شمال افريقيا فيما بعد .

٢ - اتخذ القادة العرب في بدء عملياتهم الحربية من مدينة الفسطاط وبرقة او طرابلس قاعدة إنطلاق لجيوشهم باتجاه المغرب وكانوا يعودون الى تلك القواعد بعد الانتهاء من تنفيذ مهامهم الحربية المحددة ... ولما كان ذلك يكلفهم كثيراً من الارواح والاموال ويعرضهم للمخاطر الجسام في طريق عودتهم ... طوروا استراتيجياتهم باقامة حاميات عسكرية في المناطق المحررة وبناء قواعد في عمق الاراضي المغربية التي يتم تحريرها ومنها قاعدة القرن التي بناها معاوية بن حديج بالطوب عند جبل القرن او ممطورة الى الجنوب الغربي من القيروان . ثم القيروان التي بناها عقبة ابن نافع ثم مدينة دكرور التي بناها ابو المهاجر دينار حيث كانت في هذه القواعد تستقر مجاميع من الاهالي اضافة الى الجند المكلفين بالدفاع عن الارض المحررة ، وبذلك فوتوا الفرصة على ارتداد بعض القبائل المغربية المحلية التي كانت سرعان ما تتراجع عن اسلامها تحت ضغط الروم وحلفائهم لابتعاد القوات العربية الاسلامية التي تغادر تلك المناطق عائدة الى مراكز انطلاقتها .

٣ - اكد بعض القادة العرب على بناء المدن الحضرية والمنشآت العمرانية لضمان استقرار المسلمين فيها بغية الواقع الديني والحياتي لاهالي تلك المناطق من خلال ارساء التشريعات الاسلامية والنظم الادارية المالية المعمول بها في ارجاء الدولة العربية الاسلامية . ومثالنا على ذلك اجراءات حسان بن النعمان الفسائي التي نلخصها بالاتي : - تحسين مدينة القيروان واعادة تعمير ما خرب منها وتجديد جامعها وتوفير الوسائل الخدمية التي تبعت الراحة والاستقرار في نفوس اهلها لاستقطاب المزيد من الوافدين عليها وبذلك يقول الدباغ (اقام بها - اي حسان - وعمرها المسلمون ، وينوا بها المساكن وانتشروا فيها وكثروا وأمنوا من اعدائهم وقطعوا شوكتهم ، وافر الله اعينهم ، وعلموا ان الله قبل دعوة عقبة بن نافع فيما دعاهم)^(٢٣) .

- وزع أراضي املاك البيزنطيين على الفلاحين من اهل البلاد حيث جعل لكل قبيلة قطعة من الارض تستغلها وتكون

وبذلك يعد حسان اول من وضع نواة الاسطول العربي الاسلامي المغربي والذي طوره من بعده موسى بن نصير، وبذلك سحب العرب من الروم تفوقهم البحري على المسلمين في بلاد المغرب. حينما اصبحت تونس وقاعدتها البحرية تؤدي مهمتها الدفاعية والهجومية كاملة، فمنها انطلق المسلمون نحو صقلية وجنوبي ايطاليا ومنها صد المسلمون غارات الروم البحرية على السواحل العربية^(١٠٢).

اقدم حسان بن النعمان على بناء مدينة تونس على انقاض قرية ترشيش شرق قرطاجنة وخرق البحر اليها ليوصلها به حيث كانت بعيدة عنه قليلاً. وزود مرفأها بدار صناعة لبناء الاسطول كما زودها بالممارس مستعينة بألف عامل من اقباط مصر ذوي الخبرة في هذا المجال. وهكذا اصبحت مصر افريقية كمصر والشام مركزاً بحرياً تخرج منه اساطيل المغرب وهي تحمل رايات الاسلام في غرب البحر المتوسط.

■ الهوامش ■

- ٢٤- البكري: المصدر السابق ص ٥٨: السلاوي: الاستقصا ٣٦ / ١.
- ٢٥- حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب ص ١٢٠، هامش (٤).
- ٢٦- انظر حسين عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بافريقية ٤٥ / ١ (هامش رقم ١).
- ٢٧- م. ن.
- ٢٨- موسى لقبال: المغرب الاسلامي ص ٣٢.
- ٢٩- الكامل في التاريخ ٢ / ٢٣٠.
- ٣٠- موسى لقبال: المصدر السابق ص ٣١.
- ٣١- ابن عبد الحكم: فتوح مصر وافريقية ص ٥٨.
- ٣٢- ابن عبيد الله البكري: المغرب في ذكر افريقية والمغرب ص ٥٨.
- ٣٣- ابن عذاري: البيان المغرب ١ / ٢٠ - ٢١.
- ٣٤- المغرب الاسلامي ص ٣٥.
- ٣٥- الكامل في التاريخ ٢ / ٢٣٥.
- ٣٦- موسى لقبال: المغرب الاسلامي ص ٤١.
- ٣٧- موسى لقبال: المصدر نفسه ص ٤٢.
- ٣٨- المالكي: رياض النفوس ص ٢٢ وفيه ايضاً يرد اسم تكرور اما الدباغ في معالم الايمان ص ٢٢ فيذكرها باسم (تاكرونه) و(تاكيريوان).
- ٣٩- حسن حسني: ورقات الحضارة ١ / ٥٠.
- ٤٠- موسى لقبال: المغرب الاسلامي ص ٤٤.
- ٤١- انظر ابن الاثير: الكامل ٢ / ٢٤٠: ابن عذاري: البيان المغرب ١ / ٢٠ ابن خلدون: العبر ٦ / ١٤٦.
- ٤٢- ابو العرب تميم: طبقات العلماء ص ١٢٠.
- ٤٣- ابن خلدون: العبر ٦ / ١٤٦: السلاوي: الاستقصا ١ / ٣٧.
- ٤٤- موسى لقبال: المغرب الاسلامي ص ٤٩.
- ٤٥- حسين مؤنس: فجر الاندلس ص ٤٠.
- ٤٦- المغرب الاسلامي ص ٤٩.
- ٤٧- البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ٥٨.
- ٤٨- ابن الاثير: الكامل في التاريخ ٤ / ٥٣: المالكي: رياض النفوس ١ / ٢٤.

- ١- ابن حزم: فضائل الاندلس واهلها ص ٨.
- ٢- م. ن.
- ٣- ابن عذاري: البيان المغرب ١ / ٢٢.
- ٤- م. ن.
- ٥- البلاذري: فتوح البلدان ص ٣١٤: ابن عبد الحاتم: فتوح مصر وافريقية ص ٣٤.
- ٦- العبادي: في التاريخ العباسي والاندلسي ص ٢٤٦.
- ٧- ابن قتيبة: الامامة والسياسة ص ١٣٧ - ٣٨: الحميري: الروض المعطار ص ٢٧: ابن خلدون العبر ٤ / ١٥٥.
- ٨- العبادي، احمد مختار: في التاريخ العباسي والاندلسي - بيروت ١٩٧٢ ص ٢٤٧.
- ٩- ابن عذاري: البيان المغرب ١ / ١.
- ١٠- موسى لقبال: المغرب الاسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج ط. اولى - نشر مطبعة البعث بقسنطينة ١٩٦٩ ص ١٩.
- ١١- م. ن.
- ١٢- ابن عذاري: البيان المغرب ١ / ٩.
- ١٣- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص ١٨٧: البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٢٦.
- ١٤- اشترك فيها عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن العباس وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن زياد بن الخطاب وعبد الله بن ابي بكر اضافة لقائدها عبد الله بن ابي سرح.
- ١٥- البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٢٤.
- ١٦- ابن عذاري: البيان المغرب ١ / ٨.
- ١٧- موسى لقبال: المغرب الاسلامي ص ١٩.
- ١٨- ابن الاثير: الكامل في التاريخ ٢ / ٤٧ - ٤٩.
- ١٩- ابن عذاري: البيان المغرب ١ / ١٦.
- ٢٠- موسى لقبال: المصدر السابق ص ٢٢.
- ٢١- ابن عبد الحكم: فتوح مصر وافريقية ص ٥٨: البازري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ٣٢.
- ٢٢- ابن عذاري: المصدر السابق ١ / ١٦.
- ٢٣- ابن عذاري: نفس المصدر ١ / ١١.

- ٤٩ - المالكي : رياض النفوس ١ / ٢٤ : ابن الاثير : الكامل ٤ / ٥٤
ابن خلدون : العبر ٦ / ١٤٦ .
- ٥٠ - موسى لقبال : المغرب الاسلامي ص ٥٢ .
- ٥١ - العبر : طبعة بيروت ٦ / ٢١٧ .
- ٥٢ - انظر الاسباب التي دعت كسيلة للقيام ضد عقبة موسى لقبال :
المغرب الاسلامي ص ٥٤ هامش رقم (١) .
- ٥٣ - ابن خلدون : العبر ٦ / ١٤٧ .
- ٥٤ - المالكي : رياض النفوس ١ / ٣٠ .
- ٥٥ - البكري : المغرب في ذكر افريقية والمغرب ص ١٤٦ : المالكي :
نفس المصدر ص ٢٨ .
- ٥٦ - ابن عذاري : البيان المغرب ١ / ٢١ .
- ٥٧ - يذكر المالكي ان معركة ادرنة اسفرت عن نجاة واحد فقط من
اصحاب زهير البلوي ، رياض النفوس ١ / ٣١ .
- ٥٨ - ابن عبد الحكم : فتوح افريقية والمغرب ص ٢٧٣ : البلاذري :
فتوح البلدان ص ٢٣١ .
- ٥٩ - ابن عذاري : البيان ١ / ٢٣ . ٦٠ - م . ن . ١ / ٣١ .
- ٦١ - الكاهنة داهية : امرأة غريبة الاطوار تلقب بملكة جبال اوراس
ويسمونها ابن خلدون (دها بنت ماتبة بن تيفان) ويذكر انها كانت
على دين اليهودية وان لقبها عربي صرف . العبر ٦ / ١٠٩ .
- ٦٢ - ابن خلدون : العبر ٦ / ١٠٩ : السلاوي : الاستقصا ١ / ٤٢ .
- ٦٣ - ابن الاثير : اسد الغابة في معرفة الصحابة ٤ / ١١٣ : ابن
عذاري : البيان ١ / ٢٥ : الاستقصا ١ / ٤٢ .
- ٦٤ - ابن عبد الحكم : فتوح افريقية والمغرب ص ٢٦٩ - ٢٧٠ : ابن
عذاري : البيان المغرب ١ / ٢٢ .
- ٦٥ - قرطاجنة : تبعد عن القيروان بأكثر من ١٠٠ ميل وعن تونس
بحوالي ١٢ ميلا في عمران متصل واشتهرت بآثارها العظيمة
والضخمة . (ابن ابي دينار : المؤنس ص ٣١) ويشير ابن عذاري الى
ان اهل تونس يسمونها (المعلقة) نسبة الى المسارح المعلقة التي
زخرفت جدرانها بصور الحيوانات والصناعات والرماح . البيان
١ / ٢٣ .
- ٦٦ - ابن عذاري : البيان ١ / ٢٤ .
- ٦٧ - ابن عذاري : نفس المصدر والصفحة .
- ٦٨ - موسى لقبال : المغرب الاسلامي ص ٧٧ .
- ٦٩ - ابن عذاري : البيان المغرب ١ / ٢٥ .
- ٧٠ - ابن عبد الحكم : فتوح افريقية ص ٢٧٠ : ويسميه ابن عذاري
(اسكتانة) ١ / ٢٧ ، ويسميه المالكي (مكناسة) رياض النفوس
١ / ٣٤ ويسميه ابن الاثير (بنين) ويسميه السلاوي (ملوانة) .
- ٧١ - ابن عذاري : البيان ١ / ٢٧ ، المالكي : رياض النفوس
١ / ٣٤ .
- ٧٢ - ابن عذاري : نفس المصدر ١ / ٢٦ .
- ٧٣ - ابن عبد الحكم : فتوح مصر وافريقية والمغرب ص ٢٧٠ -
٢٧١ .
- ٧٤ - ابن عبد الحكم : نفس المصدر ص ٢٧١ : المالكي : رياض
النفوس ١ / ٣٦ : البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية ص ٢٢ .

- ٧٥ - ابن عذاري : البيان المغرب ١ / ٢٧ .
- ٧٦ - موسى لقبال : المغرب الاسلامي ص ٨٦ .
- ٧٧ - المالكي : رياض النفوس ١ / ٣٧ الدباغ : معالم الايمان ١ / ٦٢ :
الادريسي : وصف افريقيا ص ٨١ .
- ٧٨ - المالكي : رياض النفوس ١ / ٣٧ : وفيه ان صالحا نزل في
موضع مجاور لزغوان واصبح فيما بعد يسمى بـ (فحص ابي
صالح) . وانظر الدباغ : معالم الايمان ١ / ٦١ - ٦٢ .
- ٧٩ - موسى لقبال : المغرب الاسلامي ص ٩٠ .
- ٨٠ - ابن الاثير : الكامل ٤ / ١٧٩ - ١٨١ : ابن عبد الحكم : فتوح
افريقية والمغرب ص ٢٧٢ : ابن عذاري : البيان ١ / ٣٠ .
- ٨١ - البلاذري : ينسبه الى اسرى عين تمر ، في حين ينسبه في رواية
اخرى الى قبيلة لخم وفي رواية اخرى ينسبه الى فرع اراشة من قبيلة
بلى . انظر فتوح البلدان ص ٢٣٢ ، اما ابن عذاري فينسبه تارة الى
لخم من عرب الجنوب وتارة اخرى الى بكر بن وائل من عرب الشمال
(انظر البيان المغرب ١ / ٣٢) .
- ٨٢ - ابن الاثير : الكامل ٤ / ٢٥٩ .
- ٨٣ - موسى لقبال : المغرب الاسلامي ص ٩١ .
- ٨٤ - الامامة والسياسة ٢ / ٦٢ . ٨٥ - م . ن .
- ٨٦ - موسى لقبال : المغرب الاسلامي ص ١١١ .
- ٨٧ - ابن عذاري : البيان المغرب ١ / ٣٢ .
- ٨٨ - م . ن . ١ / ٣٤ .
- ٨٩ - البكري : المغرب في ذكر افريقية وبلاد المغرب ص ١١٧ .
- ٩٠ - ابن قتيبة : الامامة والسياسة ٢ / ٦٢ : موسى لقبال : المغرب
الاسلامي ص ١١٣ .
- ٩١ - ابن عبد الحكم : فتوح افريقية والمغرب ص ٢٧٥ ، ابن عذاري :
البيان المغرب ١ / ٣٦ و ٣٧ .
- ٩٢ - حسن حسني عبد الوهاب : ورقات ١ / ٧٨ وفيه ايضا ان
عددهم سبعين رجلاً .
- ٩٣ - ابن عبد الحكم : فتوح افريقية والمغرب ص ٢٧٦ : ابن الاثير :
الكامل ١ / ٢٥٩ .
- ٩٤ - موسى لقبال : المغرب الاسلامي ص ١١٧ .
- ٩٥ - ابن خلدون : العبر ١ / ١١٠ .
- ٩٦ - معالم الايمان ١ / ٦٣ ، وانظر المالكي : رياض النفوس
١ / ٣٨ .
- ٩٧ - رياض النفوس ١ / ٣٦ .
- ٩٨ - ابن عبد الحكم : فتوح مصر وافريقية ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .
- ٩٩ - دائرة المعارف الاسلامية م ٢ ص ٣٠٥ .
- ١٠٠ - رياض النفوس ١ / ٣٨ .
- ١٠١ - البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٧ .
- ١٠٢ - موسى لقبال : المغرب الاسلامي ص ٨٦ .
- ١٠٣ - انظر عن البحرية العربية غرب البحر المتوسط : الادريسي .
وصف افريقيا الشمالية ص ٨١ : المالكي : رياض النفوس ١ / ٣٨ ،
الدباغ : معالم الايمان ١ / ٦٣ : الرليق القيرواني : تاريخ افريقية
والمغرب ص ٦٦ : ابن ابي دينار : المؤنس ص ٧ و ٨ .



المخالفة الصوتية

في اللغة العربية

علي خليف

بسم الله الرحمن الرحيم
مقدمة

هناك الكثير من الظواهر الصوتية المنتشرة في اللغات الانسانية ، وهي ظواهر مستمدة من طبيعة هذه اللغات ، وقدرتها على التعامل مع مادة الكلام الانساني ، على المستويات اللغوية المختلفة (الصوتية ، والبنائية ، والتركيبية ، والدلالية) .

ومن هذه الظواهر التي وقف عندها الباحثون ، وأسهبوا في الحديث عنها (ظاهرة المخالفة الصوتية) ، وهي ظاهرة مثلما كان لها وجود في اللغات الاخرى ، وجدت في اللغة العربية - ايضاً .

بيد أن الدارسين لها - مع الاسف الشديد - خلطوها بالابدال اللغوي عند العرب ، غير مميزين بين الظاهرتين ، من ناحية الخصوص والمعموم ، فالمخالفة وهي في طبيعتها مصطلح غربي .

(Dissimilation) . واسمة بحيث تشمل جميع أنواع الابدال ، لذلك أوقعهم المفهوم الواسع للمخالفة في ذلك الخلط ، عند محاولة تطبيقها على اللغة العربية . ويظهر ذلك من خلال تعريفهم للمصطلح وهناك من عرف المصطلح تعريفاً دقيقاً ، غير أنه خلط الابدال بالمخالفة عند التطبيق .

لذلك جاء هذا الموضوع ليحاول أن يضع منهجاً لدراسة المخالفة بالمفهوم الصحيح لها - في الاقل - عند تطبيقها على اللغة العربية ، وينأى بها عن لابدال اللغوي ، مع تسليمنا بأنها تعد نوعاً من الابدال ، الا ان لها وضعاً خاصاً سيتضح في موضعه من البحث - ان شاء الله .

ومن ثم تكون المخالفة بحق النقيض لظاهرة المماثلة .

لذلك استهل الموضوع بدراسة موجزة للمماثلة ، لانها نقيض المخالفة وبعد ذلك استعرض تعاريف المخالفة ومناقشتها واختيار التعريف الصحيح لها . ومن ثم بيان اسبابها ، وعلاقتها بالمماثلة والابدال . وأخيراً ..

هذا الموضوع محاولة اجتهادية لدراسة ظاهرة المخالفة وتطبيقها على اللغة العربية ، فإن أصابت فنحمد الله على ذلك ، وإن أخطأت فنسأل الله المغفرة وله الحمد في البدء والختام .

● المماثلة الصوتية ، تعريفها ،

أنواعها ، اسبابها

وهي ظاهرة لغوية شائعة في كل اللغات الانسانية ، يلجأ اليها المتكلم تحقيقاً للانسجام الصوتي ، وتيسيراً لعملية النطق ، واقتصاداً في الجهد العضلي^(١) .

ولم تكن اللغة العربية بدعاً من غيرها من اللغات الاخرى ، فلهذه الظاهرة وجود بارز في كلام العرب وهي شائعة على السنة ابناء العربية في صور كثيرة ، وقد تناولها علماء العربية بالعناية والدرس ، ولم يخلوا عليها بالتفسير والتوضيح وعبروا عنها بمسميات مختلفة كالتقريب والادغام . وهذا الاخير يمثل أعلى درجات المماثلة الصوتية إذ يفنى أحد الصوتين في الآخر ، ولا يقلل اختصاص المحدثين هذه الظاهرة بمصطلح (المماثلة) من جهود علماء العربية في هذا الجانب ، فإنما العبارة بالمسمى لا بالاسم حتى نهب بعض المحدثين الى اثبات ان العلماء العرب قد سبقوا اللغويين المحدثين الى ابتكار نظرية المماثلة^(٢) .

وعموماً فقد عرّف المحدثون المماثلة بأنها : (استبدال صوت بآخر تحت تأثير صوت ثالث يكون مجاوراً له في الكلمة او الجملة)^(٣) .

أو (تقارب أو تجانس أو تماثل يحدث بين صوتين متماسين مما يؤدي الى تقارب مخرجي الصوتين وصفاتهما)^(٤) .

أي أنه اذا تجاوز صوتان في السلسلة الكلامية أو تقاربا ادى الى حدوث نوع من التأثير يفضي الى تماثلهما جزئياً او كلياً ، أو الى حدوث نوع من التفاعل يتبعه تغيير في طبيعة هذه الاصوات فينجذب أحياناً كل منهما نحو الآخر مما يؤدي الى تغيير الخصائص الصوتية لاحدهما فيكتسب نوع الصوت الاخر^(٥) .

وعليه فإن عملية الشد والجذب التي تحدث بين الاصوات تجعل كلا منهما يحاول ان يجذب صاحبه إليه ليمثله في صفاته سواء كانت كلها أو بعضها ، بل من المماثلة ما يؤدي الى فناء احد الصوتين في الآخر وينتج عنه صوت واحد وهو ما يسمى (الادغام) ، وهو أقصى درجات التأثير الصوتي .

وتختلف نسبة تأثير الاصوات بعضها في البعض الاخر ، فبعضها تتغير صفته من الجهر الى الهمس أو من الشدة الى الرخاوة ، أو من الاطباق الى الانفتاح وبالعكس ، وبعضها الاخر يصل الى حد الفناء في الصوت المجاور له وهو ما يسمى بالعربية (الادغام) .

وهناك عدة أنواع من المماثلة اهمها^(٦) :-

١ - المماثلة الرجعية :- عندما يؤثر الصوت الثاني في الاول .

٢ - المماثلة التقدمية :- عندما يؤثر الصوت الاول في

الثاني .

٣ - المماثلة المتبادلة :- عندما يُقلب الصوتان الاول والثاني

الى صوت ثالث مخالف لهما .

والابدال القياسي في صيغة (اَفْتَقَلَ) حين تكون فاؤها (دالاً او ذالاً او زايّاً) أو أحد اصوات الاطباق (ص ، ض ، ط ، ظ) تتضمن الانواع المذكورة آنفاً^(٧) .

وتقسم ايضاً - على نوعين كبيرين^(٨) :-

١ - المماثلة الجزئية :- وذلك حين لا يتطابق الصوت مع الآخر . مثل (اضْطَجَعَ) فأصل (الطاء) تاءً وقلبت (طاءً) بتأثير (الضاد) ، فلم يتحدا في صوت واحد مشدد .

٢ - المماثلة الكلية :- وذلك حين يتطابق الصوت مع الآخر مثل : (مَدَّ) فأصلها (مَدَّ) . فادغمت (الدال) الاولى بعد اسكانها في (الدال) الثانية . ومن ثم تحول الصوتان الى صوت واحد مشدد .

وتقسم من حيث الملاقة المكانية بين الصوتين على^(٩) :

١ - المماثلة المتجاورة : وتحدث بين الاصوات المتجاورة او المتاخمة ، ومثاله (إزْفَرَزَ) وأصله (إزْفَرَزَ) ، جُهرت (التاء) تحت تأثير (الزاي) المجهورة فتحولت الى مقابلها المجهور وهو (الدال) .

٢ - المماثلة التباعدية : وتحدث بين الاصوات غير المتجاورة او المتاخمة ، ومثاله : عند تقخيم (السين) في (سراط) ، تحت تأثير (الطاء) المخففة ، فقد فصل بين (السين والطاء) صوتا (الراء والالف) .

ولتوضيح المماثلة الصوتية بشكل أوضح ، يمكننا أن نأخذ مثلاً بين كيفية تأثير الاصوات بعضها ببعض اذا التقى صوتان أحدهما مهموس والاخر مجهور فيؤثر أحدهما في الآخر فيصبح الصوتان اما مهوسين واما مجهورين .

ومن نلك ما يحدث في صيغة (اَفْتَقَلَ) اذا كان قبل (التاء) صوت مجهور (زاي أو دال ، أو ذال) . فنقول : إزْفَرَزَ ، وأصلها إزْفَرَزَ ، يقول القدماء : (وذلك ان التاء كانت مهموسة والزاي مجهورة ، فابنلوا من التاء حرفاً من موضعها مجهوراً وهو الدال)^(١٠) .

وعلى الرغم من وضوح تعليل القدماء فاننا نضيف اليه بعض التوضيحات المستمدة من التفسير الصوتي الحديث . وهو أنه بفعل مجاورة التاء المهموسة للزاي المجهورة مجاورة تامة ، اثرت الزاي في التاء ، فحولتها الى نظيرها المجهور وهو الدال ، لان كلا من الدال والتاء من مخرج واحد ، فاصبحت الزاي والدال كلاهما مجهور ، وبما ان الصوت الاول (الزاي) أثر في الصوت الثاني (التاء)

فهو تأثير تقدمي ، ويسمى كذلك بالتأثير الجزئي ، لان الصوتين لم يتحولا الى صوت واحد مشدد .

● تعريف المخالفة

لقد عرّف الباحثون المخالفة الصوتية بتبايريف مختلفة منها :

(تغيير أصواتي يهدف الى تأكيد الاختلاف بين وحدتين أصواتيتين)^(١١) يظهر من خلال هذا التعريف انه لم يحدد نوع الوحدتين الاصواتيتين . فضلاً عن انه تعريف واسع بحيث يدخل فيه موضوع الابدال الصوتي . وعلى الرغم من انه حدد نوعين من المخالفة وهما :^(١٢)

١ - المخالفة المتباعدة : إذا كانت الوحدات الاصواتية موضوع الخلاف متباعدة . نحو (Couridor — Colidor)

٢ - المخالفة المتصلة : إذا كانت الوحدتان متصلتين نحو (Mei → moi) بيد أن ذلك يحمل على الابدال اللغوي ، وهو كذلك ، ففي اللغة الانكليزية . تشمل المخالفة جميع أنواع الابدال ، والدليل على ذلك . أي ، على أن اللغات الاخرى اقصد بالمخالفة ما نعنيه بالابدال اللغوي أن أغلب الامثلة التي ضُربت في هذا الجانب جاءت عن طريق ابدال صوت بآخر^(١٣) .

لذلك فنحن لا نقرّ هذا التعريف ، لسعته ولأنه يبيّنه على اللغة العربية يُعدّ ضرباً من التكلّف وأدخال مصطلح في آخر ، مما يؤدي الى تشتيت المصطلح ، ولا سيما ان هناك ظاهرة واسعة في العربية ، وسمها العلماء بالابدال . سيأتي تسليط الضوء على بعض جوانبها .

وعرّفت ايضاً - تحت اسم آخر وهو المغايرة بان (المغايرة نقيض المماثلة ، تؤدي المغايرة الى أن تصبح الاصوات المكونة مختلفة بعد أن كانت متفقة او متقاربة) .

وتتضح المغايرة من الامثلة الآتية :-

عنوان ← علوان ن ن ← ل ن
لعل ← لعن ل ل ← ل ن
كرسار ← قرصان ر ر ← ر ن

وكل هذه الامثلة توضح ان الصوتين الناتجين متباعداً عن الصوتين الموجودين في الكلمة الاساسية ، ولذا فالتغيير الحادث مغايرة^(١٤) .

ولا يبعد عن ذهن المتتبع للدراسات اللغوية ان الامثلة التي ضُربت في هذا الجانب تخصّ الابدال اللغوي ، فضلاً عن أنه تعريف واسع بحيث يشمل جميع أنواع الابدال .

وعرفها بعض الباحثين بقوله : (تعديل الصوت الموجود في

سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور ، ولكنه تعديل عكسي يؤدي الى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين)^(١٥) .

وأهم ما يلاحظ على هذا التعريف هو شموله الابدال اللغوي - ايضاً . فضلاً عن أنه يشترط وجود تأثير صوت بآخر ، والمخالفة لا يحصل فيها مثل هذا التأثير . وان كان من أجل زيادة حدة الخلاف بين الصوتين وإنما التأثير يحدث في حالة التماثل بين الاصوات ، أما المخالفة فإنها حالة نطقية نوقية تبتعد عن التأثير والتأثر ، حتى ان بعض الباحثين الذين درسوا المخالفة لم يشيروا الى وجود تأثير بين الاصوات في حالة التخالف^(١٦) .

وأشار بعض الباحثين الى ان هناك حالة اخرى من تفاعل الاصوات الى جنب المماثلة وهي المخالفة أو التباين وذلك عندما يتنافر صوتان متحدان متجاوران او متقاربان . فحذّاه بقوله : (يتحول احد الصوتين الى صوت مغاير للآخر ، وهذا ما يسمى بظاهرة (التباين) (dissimilation)^(١٧) ويلاحظ عليه انه في التعريف لم يحدد الصوتين وكيفية حدوث المغايرة ، الا انه أوضح ذلك في كلامه المتقدم على التعريف وهما الصوتان المتحدان ، المتجاوران او المتقاربان . وهذه خطوة صحيحة في الوصول الى التعريف الصحيح للمخالفة . والذي يمكن ان نجده عن الدكتور ابراهيم انيس) الذي هو في رأينا أصح وأوضح تعريف للمخالفة اذ عرّفها بقوله : (وهي ان الكلمة قد تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة فيقلب أحدهما الى صوت آخر لتتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين)^(١٨) وتابعه في ذلك بعض الباحثين . فاحذوا بعرض المخالفة بصورة واضحة واعطائها خصائصها الصوتية البارزة . بان التخالف (هو عكس التماثل . فإذا اجتمع في الكلمة صوتان من جنس واحد ، ووجد المنكلم عسراً في تحقيقهما ، ابدل من احدهما صوتاً آخر ايتاراً للسهولة - مثل - : تمطط - تمطى ، تظظن - تظنن)^(١٩) .

والمقصود بالحرفين (الصوتين) المتماثلين وكأنه ما عناه علماء العرب (ادغام المتماثلين) أو الصوت المشدّد أو المضقف ، فيصير النصف الاول من الحرف المشدّد حرفاً مختلفاً عن النصف الثاني ، فكان حَقَّهما اذا ما فكّ التضعيف ان يكونا متماثلين ، ولكن في المخالفة يصبح العكس فيتحول أحدهما الى حرف مختلف عن الآخر^(٢٠) .

أو بمعنى ألق : تعتمد الى احداث اختلاف في عنصري التضعيف مع المحافظة على معنى الكلمة قبل التغيير وبعبه نقل تنافر الصوتان المتحدان او المتجاوران فيتحول أحدهما الى صوت مغاير^(٢١) .

وألغى ما يحدث هذا التخالف في الكلمة المشتملة على التضعيف أو التكرير أو التوالي الامتال ، فيتحول احد الصوتين

المضعفين أو المكررين الى صوت آخر كان يكون أحد أصوات اللين (الالف ، والواو ، والياء) . أو أشباه أصوات اللين (اللام ، والنون ، والميم ، والراء)^(٢٢) .

وهذا ما أشار اليه (كانتيدو) عندما عرّف المخالفة بقوله : (ظاهرة تتمثل في نزعة صوتين متلين ونوي صفات مشتركة الى التباين)^(٢٣) .

وعلى الرغم من ان هناك من درس المخالفة وعرّفها بأنها (ظاهرة صوتية يتحول فيها احد صوتين متلين متجاورين او مفصولين الى صوت آخر)^(٢٤) .

ويكاد يقترب من المفهوم الصحيح للمخالفة - فانه خلطها بالاببدال اللغوي المعروف عند العرب ، على الرغم من تأكيد أنه لا بد من الفصل بينهما^(٢٥) . إذ اورد مجموعة من الامثلة عدها من المخالفة مثل : - فنجان - قنجال ، ثلاثة - ثلاثة ، عنوان - علوان ، بغداد - بقدان ، أصيلا - أصيلان ، سلسلة - سنسلة ، زلزلة - لا بَلْ فعلتْ - لا بِنْ فعلتْ ، لعل - لعل^(٢٦) .

وقد عدها من المخالفة المنفصلة لوجود فاصل بين المتماثلين سواء أكان صوتاً أم صوتين ، فان ذلك في حقيقته ابدال ، والحق الامثلة المتقدمة بالمخالفة يُعد في نظرنا ضرباً من تطويع مصطلح المخالفة واحلاله محل مصطلح الابدال الشائع في الدراسات اللغوية ، فضلاً عن ذلك اشتراط الباحث التأثير والتأثر بوصفه سبباً من اسباب المخالفة ، ومن ثم تقسيمها على مدبرة ومقبلة^(٢٧) .

ولا اكاد اجد تأثيراً وتأثراً في الامثلة السالفة الذكر ، فاي صوت أثر في الآخر ، فإذا كان الاول هو المؤثر حتى عُدّت مقبلة ، فلماذا لا يكون الثاني هو المؤثر حتى تُعدّ مدبرة ١٩ كما ان تعميم المخالفة وعدها قياسية في الافعال المضعفة سواء أكانت ثلاثية أم رباعية ، فلا أراه الا ضرباً من التعسف والتكلف ، لانه سيؤدي الى الفاء الفروق الدلالية التي تحملها كل صيغة من الصيغ المشتقة من الاصل المشترك ، وذلك نحو . شَهْر - شَهْجَر ، والاولى بمعنى الارق ، والثانية بمعنى الليل الطويل .

سَهَب - سَهَب ، والاولى صفة خلقية في الخيل وهي طول الجسم ، والثانية صفة فعلية في الخيل ، أيضاً ، وهي اتساع في الجري والسبق^(٢٨) .

عَشَس - عَشَس ، الاولى طاف بالليل ، والثانية ، الليل إذا أقبل بظلامه^(٢٩) .

وقس على ذلك من مثل : قَلَّ - قَلَّ ، وكَلَّ - وكَلَّ ، صَرَّ - صَرَّ

وَعَزَّز - وَعَزَّز ، وَغَزَّز - وَغَزَّز ، وغيرها من الامثلة التي جاءت على هذا المنوال^(٣٠) .

والحقيقة ان هناك فروقاً دلالية بين هذه الافعال ، مع تسليمنا بان الاصل العام مشترك في دلالته العامة ، بيد ان المتكلم لم يبق على تلك الدلالة العامة وحدها ، وإنما اشتق منها الفاظاً تعبر عن معانٍ مقصودة تختلف عن المعنى العام ولو جزئياً ، ولو كان الامر خلاف ذلك ، لاكتفى بالتعبير بالمعنى الاصلي فقط من دون الحاجة الى توليد هذه الالفاظ المختلفة في ابينتها :

ومما لا شك فيه ان اختلاف هذه المعاني سيؤدي او يحمل في طياته اختلاف المعاني .

ومن هنا رفض ابو علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) وابن جني (ت ٣٩٢ هـ) ما ذهب اليه ابن السراج (ت ٣١٦ هـ) من أن (حَخَّحْتُ) جاءت من (حَخَّحْتُ) فابدلوا من (التاء) الاولى (حاء)^(٣١) .

ورثوا عليه بان (حَخَّحْتُ) أصل رباعي ، و (حَخَّحْتُ) اصل ثلاثي ، وليس واحد منهما بمعنى صاحبه ، الا ان الاول رباعي مضاعف ، والثاني ثلاثي مضاعف ، ولاشتراكهما بالتضعيف اشتبه على بعض الناس امرهما . لذلك فذهن نتحفظ كثيراً - ان لم نرفض - قياس المخالفة من الافعال الثلاثية المضعفة والرباعية المضعفة ، للأسباب التي ذكرناها آنفاً .

وعليه إن الذي نراه في تعريف المخالفة هو (ظاهرة صوتية يتحول فيها احد الصوتين المتماثلين كل المماثلة ، ومن جنس واحد - مضعفاً أو متجاوراً - الى صوت مخالف للصوت الآخر ، تيسيراً للنطق واقتصاداً في الجهد العضلي للمتكلم) .

فيخرج الابدال اللغوي منه ، ويقصره على الصوتين المتلين فقط ، مع تسليمنا بأنها تُعدّ ضرباً من الابدال^(٣٢) ، إلا أن لها وضعاً خاصاً ، وهذا ما تنبّه اليه بعض الباحثين^(٣٣) .

فضلاً عن ذلك فإن مقصدنا هو تحديد مفهوم المصطلح وعدم تشتيته وخلطه بالابدال او الحذف كما فعل البعض^(٣٤) .

● اسباب المخالفة

تقوم الظواهر الصوتية بطبيعة الحال على عوامل واسباب تشكل المراكز الاساسية في حدوثها ، وطبيعي جداً ، ان تكون هذه الاسباب متعددة ، ومختلفة ، ولعل ظاهرة المخالفة من الظواهر الصوتية التي حدثت لعنة اسباب .

وأبرز هذه الاسباب هو ميل المتكلم الى التخفيف من الاصوات الثقيلة ، فيؤدي به الحال الى ان يستبدل بها أصواتاً

مخالفة لها . وهي في الوقت نفسه أسهل مذهباً في النطق ، مما يؤدي الى تقليل الجهد العضلي المبذول من أجلها ، لأن النطق بالصوت المضغف يتطلب جهداً عضلياً أكبر مما لو قلب أحد المضغفين الى صوت آخر يخالفه^(٣٦) .

ويرى المستشرق (برجشتر اسر) : أن المخالفة حالة نفسية نظرية الخطأ في النطق ، وتابمه في ذلك بعض الباحثين العرب^(٣٧) .

وهذا مربوط ، والا عندنا جميع الابدال اللغوي ضرباً من الخطأ او الحالة النفسية ، فضلاً عن تعارضه مع قانون التطور الصوتي الذي تخضع له الاصوات اللغوية .

اما احتمال لجوء المتكلم الى المخالفة بوصفها نوعاً من التأثير في السامعين تأثيراً زائداً ، وذلك بتضخيم الكلمة وتكبير حجمها^(٣٨) . امراً مقبولاً نوعاً ما ، بيد أن حصرها بها فقط من دون مراعاة جانب الصعوبة النطقية كما رأى البعض^(٣٩) . فليس مقبولاً ولا يمكن الركون اليه .

وظاهرة المخالفة في العربية تكاد تكون قليلة ، ولعل مراد ذلك : أن العربية من أصل الوضع لم تتورط كثيراً في تراكيب عسيرة تحتاج الى التخالف ، وهذا ما أشار اليه اللغويون العرب القدماء على لسان السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، إذ قال : واعلم انه لا يكاد يجيء في الكلام ثلاثة احرف من جنس واحد في كلمة واحدة ، لصعوبة ذلك على السنتهم^(٤٠) .

وكذلك ان العربية تخلصت من التقاء المتماثلين بطريقتين أشهر من طريقة التخالف . أولاهما الادغام ، نقول (شد ، ومد ، وفر) . بدلاً من (شَدَّ ومدَّ وفرَز) ، وثانيتهما الحذف . فنقول : (تمائل الاشجار) بدلاً من (تَمَائِلُ الاشجار)^(٤١) .

ومهما يكن من امر فقد قيل الكثير من الآراء في اسباب المخالفة ، بيد أن جميعها تكاد تجمع على أنها تحدث لتيسر النطق وتقلل الجهد العضلي المتكلم^(٤٢) .

● العلاقة بين المخالفة والمماثلة

تعد ظاهرة المخالفة من الظواهر الشائعة بين اللغات الانسانية ، ولكن شيوعها أقل من نظيرتها المماثلة^(٤٣) .

ويرى العلماء أن وجود المخالفة في اللغات إنما هو رد فعل على ظاهرة المماثلة ، فإذا كانت المماثلة تميل الى تقليل الاختلاف بين الاصوات وصولاً الى تماثلها ، فإن المخالفة تميل الى العمل على تأكيد الاختلاف بين الوحدات الصوتية وصولاً الى تخالفها . لأنه لو ترك العنان للمماثلة لتعمل بحرية ، فربما انتهت الى إلغاء التفريق بين الفونيمات ، ذلك التفريق الذي لا يمكن أن

يستغنى عنه في عملية التفاهم^(٤٤) .

فكان وجود المخالفة هو لاعادة الخلافات بين الفونيمات وابعازها في صورة أكثر استقلالية ، عن طريق ابدال تعديلات على أحدها وتجعله لا يشبه قرينه^(٤٥) .

ويرى بعض الباحثين : أنه اذا كانت المماثلة تهدف الى تيسير النطق ولا تلقي بالاً الى الجانب الدلالي الذي يتأثر نتيجة تقارب الصوتين او تطابقهما ، فإن المخالفة تهدف الى تيسير الدلالة عن طريق التخالف بين الاصوات ولا تلقي بالاً الى العامل النطقي^(٤٦) .

وهذا كلام فيه نظر ، لأن شرط المماثلة بين الاصوات هو المحافظة على الجانب الدلالي للكلمة ، او الكلام المتصل او المنفصل ، ولم يتغير قبل التماثل ، ويعد وأما الجانب النطقي فكلتا الظاهرتين سبب لوجوده ، وان لا يعدم أن تكون المخالفة أكثر توضيحاً للوحدات الصوتية من نظيرتها المماثلة ، فبالمماثلة اللفاظ محتفظة بدلالاتها ، أما المخالفة فعلى الرغم من وجود الفاظ جديدة إلا انها محتفظة - ايضاً - بدلالاتها^(٤٧) .

ان المخالفة والمماثلة اذن يمثلان عاملين يتجاذبان اللغة ، اتفقا في الغاية ، وهي الاقتصاد في الجهد العضلي للمتكلم ، والسهولة في نطق الاصوات ، واختلفا في الوسيلة الموصلة لتلك الغاية . فالمماثلة تعمل لتقريب الاصوات وصولاً الى تماثلها ، والمخالفة تعمل على تفريق الاصوات وتنافرها وصولاً لتخالفها . وكلتا الظاهرتين المتضادتين وجدت في اللغة ، مما يدل على سعي الانسان الحديث والدؤب للبحث عن مختلف الطرق من أجل التيسير النطقي ، والابتعاد عن الصعوبة النطقية قدر الامكان ، حتى لو كان ذلك عن طريق اللجوء الى ظاهرتين متناقضتين اشد التناقض .

● العلاقة بين المخالفة والابدال

تلجأ اللغة بفعل عامل التطور الصوتي الى احداث تغيير في اصواتها فتبدل بعضها من البعض الآخر ، وذلك بحذف احد هذه الاصوات ووضع صوت آخر مكانه . من دون أن يؤدي ذلك الى مس بالجانِب الدلالي ، فاذا ما تعرض الجانب الدلالي الى التغيير لم يعد من الابدال اللغوي ، الذي نحن بصدد ، وإنما تنوع فونيمي يدخل على الصيغة لاعطائها معنى دلاليًا جديدًا . فالابدال يقوم على التغيير الذي يحدث في الصوت مع بقاء المعنى واحداً من دون تغيير^(٤٨) .

فبقاء المعنى إنش شرط اساسي من شروط الابدال ، وهذا الشرط يعد - ايضاً - من الشروط الاساسية في حدوث المخالفة

الصوتية ومهما يكن من امر فقد اجمع العلماء في تعريفهم للإبدال :

بانه اقامة حرف مقام حرف مع الابقاء على سائر حروف الكلمة^(١٨).

ولم يعتمد المحدثون كثيراً عما عناه القدماء بالإبدال ، فظلت دراسات المحدثين تنور في فلك دراسات القدماء^(١٩) . والإبدال بهذا التعريف يقترب من مفهوم المخالفة إلا أن الإبدال عام يشمل كل الاصوات المبدلة . مع وجود القرابة الصوتية ، سواء أكانت تقارباً في المخرج أم الصفة ، فإن تحقق هذا التقارب احتمل حلول أحدهما مكان الآخر^(٢٠) .

بينما نجد المخالفة خاصة بالصوتين المتلين فقط ، فالمسألة مسألة عموم وخصوص ليس الا .

فعموم الإبدال يحتم دخول المخالفة فيه ، وخصوص المخالفة على حيز الصوتين المتلين أو المتجاورين ومن جنس واحد . تجعل من المخالفة ذا وضع خاص بها ، ومن ثم عذا النقيض لظاهرة المماثلة .

يضاف الى ذلك ندرة وقوع هذه الظاهرة في اللغة العربية ، فضلاً عن ظرافتها ، فمن ناحية تلجأ اللغة الى المماثلة ، ومن ناحية اخرى تخالف ما مائلته .

ولا اظن ان الذين حكموا بندرتها^(٢١) ، غافلون عن ان الإبدال ظاهرة كبيرة من ظواهر اللغة العربية ألقت فيها الكثير من المؤلفات حملت عنوان الظاهرة نفسها^(٢٢) .

والإبدال لا يخضع الى القصد والتعمد كما ذهب الى ذلك البعض^(٢٣) . وانما هو ظاهرة لغوية عفوية ، خاضعة لتطور صوتي ، ولا اظن القدماء غافلين عن ذلك بدليل قول بعضهم : (ليس المراد بالإبدال ان العرب تتعمد تمويض حرف من حرف ، وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة)^(٢٤) والمخالفة تشترك في ذلك فهي لا تخضع الى القصد والتعمد ، وانما هي حالة نطقية نوقية يلجا اليها المتكلم لأسباب مر ذكرها .

اما السبب الذي يقود الى حدوث الإبدال ، فهو التغيير التاريخي الذي يصيب اصوات اللغة في اطوارها التدريجية حتى يظهر اثرها واضحاً جلياً بعد عدة اجيال ، هذا التطور يحدث بصورة غير ارادية ولا قصدية فحين ينطق بالصوت السهل بدل الصعب يخيل للناطق دائماً انه ينطق بالصوت الاصلي من دون تغيير ، وذلك لتحقيق نوع من الاقتصاد العضلي في عملية النطق المتتابعة^(٢٥) .

وكذلك في حالة التخالف ، فعندما يلجا المتكلم الى إبدال احد الاصوات المتماثلة الى صوت مخالف له يشعر كأنه ينطق الصوت الاصلي غير المبدل من الصوت المتماثل ، فهي ظاهرة

عفوية - ايضاً - بالنسبة للمتكلم ، لا يتدخل فيها القصد والتعمد الذي يلجا اليه المتكلم في حالة الإبدال .

فالإبدال والمخالفة - إذن ظاهرتان عفويتان الغرض منهما التماس السهولة في النطق والاقتصاد في الجهد العضلي للمتكلم من نون المساس بالجانب الدلالي .

● المخالفة وامثلتها التطبيقية في العربية

لقد أشار سيبويه (ت ١٨٠ -) إلى ظاهرة المخالفة بعنوان بارز وسمه (كراهية التضعيف) ، الا انه حكم عليه بالشذوذ ومثل له بـ (تَسْرِيْتُ وَتَطَنَنْتُ وَتَقَصَّيْتُ) . وأصلها على التوالي (تَسْرَزْتُ وَتَطَنَنْتُ وَتَقَصَّضْتُ) . فابدلوا (الياء) من (الراء والنون والصاد)^(٢٦) .

ولعل الناطق كره توالي هذه الامثال الصوتية (الراءات ، والنونات ، والصادات) . فابدل الصوت الثالث منها باحد اصوات اللين وهو (الياء) . ليساعد في تسهيل عملية نطق هذه الكلمات ، اما الحكم عليه بالشذوذ فلعله لم يجر على القياس ، وإنما خالفة ، لان قياس هذه الكلمات يكون بنطقها باصواتها من نون ابدال ، بيد انه سمع عن بعض العرب النطق بأسلوب آخر مغاير لقياس النحويين ، فحكموا عليه بالشذوذ .

ومن ذلك قول العرب : الخَذَنْقُ والخَذَنْقُ ، وهما أسمان من أسماء المنكوبات ، فابدلوا من احدى النونين راء^(٢٧) .

ومثله ما حكى عن العرب ، تُزْجَحُ وتُزْجَحُ . وهي نوبية يكون حجمها اكبر من الذباب . فابدلوا من احدى الراءتين ، نوناً^(٢٨) . ومثله ، مَطَطْتُ السَيْرَ وَمَطَوْتُ السَيْرَ ، اذا مددته^(٢٩) ، فابدلوا احدى الطامين وأو . من نون مس المعنى الدلالي للصفة سواء كانت القديمة أو الجديدة .

من ذلك (ابدال الياء من المدغم عينا) . من نحو : نَذَارَ وَقَرَّاطَ . فيقول العرب ، يَبْتَارَ وَيَبْرَاطَ ، يدل على ذلك جمعهم لها على تنانير وقَرَارِيطَ ، والتفسير : دُنْدِير ، وَقَرَّارِيطَ ، فابدلوا النون الاولى ياء^(٣٠) .

فهؤلاء الذين ابدلوا خالفوا الاصل فابدلوا احد الصوتين المتماثلين الى صوت مخالف ، فكان أحد اصوات اللين (الياء) . ولعل السبب في ذلك هو التقليل من الجهد العضلي . فبدلاً من ان يقوم المتكلم بحركة نطقية واحدة ، فضلاً عن تضعيف الصوت لجأ الى العمل بحركتين مختلفتين . احدهما حركة نطقية تنتج احد الاصوات اللينة او المائعة^(٣١) .

- ومن ذلك - ايضاً - قول بعض العرب : اِسْتَحَذَ فلان أرضاً ، يريد ان يقول : اِسْتَحَذَ ، فابدل مكان السين تاء^(٣٢) .

فالاشهر هو (التماثل) اي (اِتَّخَذَ) ، انا (التخالف) اي (اسْتَحَذَ) ، فهو لغة بعض العرب ، ولا اظن اننا سنبتعد عن الحقيقة كثيراً اذا ما قلنا انها البيئة الحجازية ، لان اهل الحجاز يميلون الى الثاني في النطق والى تحاييق الاصوات وعدم خلطها^(٧٢) .

- يقول العرب ، اَتَسَرَّوْها ، وهو الكثير على السنة العرب وهو النطق الشائع ، بيد ان بعضهم يقول : اَلْتَسَرَّوْها ، فيبدل من احد المضعفين الهمزة^(٧٣) .

وعلى الرغم من ان العلماء العرب لم يندسبوا هذا الابدال الى قبيلة بعينها فإنه يمكن ان ينسب هذا النطق الى قبيلة تميم ، لانها غالباً ما تحقق الهمز^(٧٤) .

- ومن ذلك ايضاً بناء (اِفْتَقَلَ) . فالناعدة العامة تقول : أنه اذا كانت الواو في موضع فاء الكلمة تقلب ، الواو تاء وتدغم مع تاء البناء .

فتقول اِفْتَعَدَ ، وإتَزَنَ في اِفْتَعَدَ ، وإتَزَنَ ، وهو النطق الشائع . بيد أن هناك من ينطقها (اِبْتَعَدَ) ، فلم يذلقها مدعمة ، وإنما فك التضعيف ، ولكن ليس بارجاعها الى الاصل (اِفْتَعَدَ) ، وإنما (اِبْتَعَدَ)^(٧٥) .

وينسب ذلك الى بعض أهل الحجاز ، ولا يبعد ان يكونوا قد فعلوا ذلك طلباً للخفة بالتخلص من احد امضعفين الى صوت اخر وهو (الياء) انسجماً مع انكسار الهمزة في (اِفْتَعَلَ)^(٧٦) . - ومن ذلك : اُوْذِنَ ، والاصل : وُوْذِنَ ، فابدلت احدى الواوين همزة تجديباً لاجتماعي الواوين في أول الكلمة لانه اذا التقت واوان في اول الكلمة تبدل الاولى همزة ، نحو وُوْصِلَ - اُوْصِلَ^(٧٧) . ويبدو ان سبب الابدال على الرغم من عدم وجود علاقة صوتية بين (الهمزة والواو) . هو ان الهمزة في هذا السياق جاءت لتصحيح بداية المقطع :

وت / وت / ص - ل / ← / مت / وت / ص - ل / .

اذ صعب البدء بحركة مزدوجة فجاء بالهمزة لتصحيح بداية المقطع حتى يصير سليماً^(٧٨) .

- اِغْلَوْطَ : قالوا فيه اِغْلَوْطَ - وهو ركوب العنق والتحكم على الشيء . فابدلوا احدى الواوين الفأ ، ومنتبه : اِجْلَوْطَ : قالوا فيه : اِجْلَوْطَ ، وهو السرعة في السير وذهاب المطر - ايضاً^(٧٩) . - وُوْلَجَ تُنْطِقُ : تُوْلَجُ ، وعند البعض تُوْلَجُ^(٨٠) .

فكروها تكرر الواوين فابدلوا احدهما بسوت آخر ، وهو : اُنا (تاء) : أو (دال) .

ولا اظن وجود علاقة صوتية سَوَّغت هنا الابدال ، سوى التحالف . لاسيما ان هناك اختلافاً جوهرياً بين (الواو والتاء) او الواو والدال ، لان الواو من الصوائت ، و (التاء) من

الصوامت ، فحصل الاختلاف في اهم نقطة وهو اعتراض الهواء فضلاً عن ان (التاء) مهموسة و (الواو) مجهورة ، فلمنع وجود علاقة صوتية بين الصوتين يمكن عدة من النادر على الرغم من ان نسب الى بني تميم^(٨١) .

ولعل سبب الابدال في هذا الموضع ان العربية تتجنب اجتماع الواوين في اول الكلمة ، فاذا توالى في العربية مقطعات يبدآن بالواو ، فإن الاولى تخالف وربما ذلك يعود لكراهة البدء بمقطع مزنوج . فقوض من المزدوج (بالتاء او الدال) . وغالباً ما يكون بالهمزة ، نحو وواصل - اواصل^(٨٢) .

- ومن ذلك قولهم : اَفْلُتَ الكتاب ، وَاَفْلَيْتَ الكتاب ، فابدل احدى (اللامين - ياء)^(٨٣) . وقد جاء في القرآن الكريم : (وَلَيْمَلِكُ الذي عليه الحق)^(٨٤) .

واذا اخذت المخالفة من ناحية القياس ، ومن ثم عدّها قياسية على الرغم من ان أغلب القياس وان كان يقاس على كلام مسموع عن العرب لم تتكلم به العرب وانما هو لاستقراء القاعدة الصرفية بشكل واسع . ومع ذلك يمكننا ان نجد صدق المخالفة في بعض هذه القياسات .

- من ذلك بناء (اِفْعُوْغَلُ) من قُلْتُ : فالقياس ان يقال : اِفْعُوْغُلُ . الا أن بعض النحويين يذهب الى انه : اِفْعُوْغُلُ . وحجته في ذلك : هي : أنه حدث ابدال في المسألة . لانه سمع عن العرب أنهم يقلّبون اذا اجتمعت واوان وضمة ، فاذا اجتمعت ثلاث واوات فهي اُنْقَلُ ، لان الضمة بعض واو ، والكل اُنْقَلُ من البعض^(٨٥) . واطن ان العلة واضحة من هذا التغير وهو تجنب الاستقلال النطقي المتتالي من توالي الاصوات المتماثلة .

- ومنه ايضاً - اذا اجتمعت همزتان تبدل احدهما الى (ياء) خوفاً من اجتماعهما من مثل (اِطْمَانَنْتَ) من قرأت . فنقول : اِفْرَأْ أَثُ ، ولصعوبة ذلك تبدل الهمزة الوسطى ياءً لئلا تجتمع همزتان ويدع باقي الهمز على حالة فتصبح اِقْرَأْ يَأُتُ^(٨٦) . ويبدو ان سبب الابدال مرده لصعوبة النطق بالهمزة متلوها بهمزة مثلها - لما يتطلبه الهمز من جهد عضلي كبير حال النطق به ، فلجا المتكلم - ان كان هناك من نطق بها بالفعل - الى ابدال احدى الهمزتين للتقليل من هذا الجهد العضلي الذي لا شك في أنه سيتضاعف اذا نطق بثلاث همزات متتالية .

- ومن ذلك القياس الصرفي الذي يمكن ان يكون مستعملاً في النطق ما يحدث للفعل المهموز الفاء ، من نحو : اكل واخذ اذا ألحقت همزة قبله ، كما لو قلت : هذا أَفْعَلُ مِن ذَا ، فيكون التقدير : هذا أَكَلُ مِن ذَا ، واذا ما علمنا ان نطق الهمزة وهم محققة من أشق العمليات الصوتية . فمن باب أولى ان يكون نطق

له البناء الجديد كما هو الحال فيما لو قيس في الافعال الثلاثية والرباعية المضغفة . لانه سيؤدي الى معان مختلفة . والمعروف في المخالفة هو اتفاق المعنى وهو شرط اساس لصحة قانون المخالفة^(٣٧) .

● الخاتمة

المخالفة في ضوءها سيؤدي غرضه من المخالفة ، من نون مش المعنى الدلالي البتة . خلاف إذا ما قيس من الافعال الثلاثية والرباعية المضغفة ، لأنها ستؤدي الى الوقوع في اشكالية الدلالة .

أقول : ان المخالفة على وفق ما ذهبنا اليه ليست قاصرة لتبرز وجهها العربي ، لذلك سيؤدي اتمام الابدال اللغوي فيها الى تشتت المصطلح ، لذلك حاولنا قدر الامكان الفصل بين المصطلحين .

ذلك الفصل الذي يجمل من المخالفة بحق ان تكون النظير المقابل لظاهرة المماثلة . فكلتا الظاهرتين ابدال ، الا ان المخالفة ابدال لفرض التخالف ، والمماثلة ابدال لفرض التماثل ، وكلتا الظاهرتين اتفقتا بالفاية وهي الاقتصاد في الجهد العضلي للمتكلم ، وتحقيق السهولة النطقية ، واختلفتا في الوسيلة .

همزتين محقتين أشق واصعب ، وعليه أبدلت الهمزة التي هي فاء الكلمة الفأ ساكنة كالف (خالد) ، اي هذا أكَل من ذا^(٣٨) . لذلك من الممكن ان تقاس المخالفة في امثال ما تقدم ، بحيث لا تؤدي الى حدوث فروق دلالية ، تمس المعنى الذي وضع

يظهر من خلال الدراسة المتقدمة لموضوع المخالفة الصوتية في العربية . أنها قد شكلت حضوراً لا بأس به في العربية ، وهذا الحضور وان كان قليلاً ، الا انه يمكن ان يرد الى ان الابدال قد شكل الظاهرة البارزة في كلام العرب ، حتى شملت المخالفة في المفهوم العام للابدال .

إذا لم يختلف الا من ناحية العموم والخصوص . فللإبدال - متلماً مزبناً - شكل الظاهرة العامة للتبدلات الصوتية ، بينما اقتصرَت المخالفة على جانب خاص من جوانب الابدال . والمتعلق بتلك الاصوات المتماثلة (المتوالية او المتجاورة) ومن جنس واحد ، ولعل ندرتها جاءت من هنا . فلا داعي لخلط المصطلحين ، ذلك الخلط الذي يؤدي الى مسخ المصطلحين وأرياكهما .

فالمخالفة على حيز التضعيف والتكرار وتوالي الامثال . ومن بينها تلك الامثلة التي جاءت قياسية ، والذي نعتقد ان قياس

الهوامش

- ١- ينظر: الاصوات اللغوية / ١٧٩ ، والتطور اللغوي / ٢٢ .
- ٢- ينظر: علماء الاصوات العرب سبقوا اللغويين المحدثين الى ابتكار نظرية المماثلة / ٥٢ (بحث) .
- ٣- م. ن / ٥٢ .
- ٤- الاصلية العربية / ١ / ٥٣ .
- ٥- ينظر: معجم المصطلحات اللغوية / ٥٩ ، وعلم الاصوات العام / ٩٤ - ٩٥ .
- ٦- ينظر: علم الاصوات / ١٤١ - ١٤٢ ، والاصوات اللغوية / ١٨١ .
- ٧- ينظر: التطور اللغوي / ٣٠ ، والاصوات اللغوية / ١٨١ .
- ٨- ينظر: التطور اللغوي / ٢٩ ، دراسة الصوت اللغوي / ٣٢٥ .
- ٩- ينظر: دراسة الصوت اللغوي / ٣٢٥ .
- ١٠- الاصول في النحو : ٢ / ٢٧٠ .
- ١١- علم الاصوات / ١٤٨ .
- ١٢- ينظر: م. ن / ١٤٨ .
- ١٣- ينظر: م. ن / ١٤٨ - ١٤٩ ، المخالفة دراسة حرفية صوتية / ١٤ - ٢٤ (رسالة دكتوراه) .
- ١٤- مدخل الى علم اللغة / ٥٣ .
- ١٥- دراسة الصوت اللغوي / ٣٢٩ .
- ١٦- ينظر: الاصوات اللغوية / ٢١١ ، التطور اللغوي / ٣٤ - ٣٥ .
- ١٧- علم الاصوات العام / ٩٥ .
- ١٨- الاصوات اللغوية / ٢١١ .
- ١٩- المحيط : ١ / ٢٣ ، وينظر: اثر القراءات في الاصوات والنحو العربي / ٣٠١ ، والوجيز في فقه اللغة / ٢٧٣ .
- ٢٠- ينظر: العربية الفصحى / ١٥٦ ، والاصوات اللغوية / ٢١٤ ، والتطور اللغوي / ٣٤ - ٣٥ .
- ٢١- ينظر: العربية الفصحى / ١٥٦ ، وعلم الاصوات العام / ٩٥ .
- ٢٢- ينظر: الاصوات اللغوية / ٢١٤ .
- ٢٣- دروس في علم اصوات العربية / ٢٦ .
- ٢٤- المخالفة دراسة صرفية صوتية / ٢ (رسالة دكتوراه) .
- ٢٥- ينظر: م. ن / ٣ - ط .
- ٢٦- ينظر: م. ن / ٦ - ٧ ، ٤١ - ٤٢ ، ٥٤ - ٥٥ .
- ٢٧- ينظر: م. ن / ٣ - ٨ .
- ٢٨- ينظر: المخالفة دراسة صرفية صوتية / ١١٦ - ١١٨ .
- ٢٩- ينظر: م. ن / ٩٤ .
- ٣٠- ينظر: م. ن / ٨٥ ، ٨٨ ، ١٢٣ .
- ٣١- ينظر: سر صناعة الاعراب : ١ / ١٩٧ - ١٩٨ ، أصوات اللغة العربية /

- ٢٤٣ - ٢٤٧ .
 ٣٢ - ينظر: سر صناعة الاعراب: ١ / ١٩٨ .
 ٣٣ - ينظر: التطور النحوي / ٣٣ ، أثر القراءات في الاصوات والنحو العربي / ٣١١ .
 ٣٤ - ينظر: التطور النحوي / ٣٣ - ٣٩ ، والاصوات اللغوية ، ٢١٨ - ٢١٥ .
 ٣٥ - ينظر: الاصوات المتلفة في اللغة العربية / ٢٢٢ ، رسالة دكتوراه .
 ٣٦ - أثر القراءات في الاصوات والنحو العربي / ٣٠١ ، وضمن المامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة / ٢١٤ .
 ٣٧ - ينظر: التطور النحوي / ٣٤ ، وفي البحث الصوتي عند العرب / ٨٥ .
 ٣٨ - ينظر: التطور النحوي / ٣٥ ، والعربية الفصحى / ١٥٦ .
 ٣٩ - ينظر: العربية الفصحى / ١٥٦ .
 ٤٠ - ينظر المزهري: ١ / ١١٥ .
 ٤١ - ينظر: الوجيز في فقه اللغة / ٢٧٣ - ٢٧٤ .
 ٤٢ - ينظر: المخالفة دراسة صرفية صوتية / ٩ - ١٣ .
 ٤٣ - ينظر: دراسة الصوت اللغوي / ٣٣٠ .
 ٤٤ - ينظر: علم الاصوات / ١٤٨ ، ودراسة الصوت اللغوي / ٣٣٠ .
 ٤٥ - ينظر: اللسانية العربية / ٥٤ .
 ٤٦ - ينظر: دراسة الصوت اللغوي / ٣٣١ .
 ٤٧ - ينظر: م. ن. / ٣٣٢ - ٣٣٣ : العربية الفصحى / ١٥٦ .
 ٤٨ - ينظر: القلب والابدال في اللغة / ٩٨ (رسالة دكتوراه) .
 ٤٩ - ينظر: م. ن. / ٩٨ - ٩٩ .
 ٥٠ - ينظر: من أسرار اللغة / ٧٥ ، والتطور اللغوي التاريخي / ١٠٩ .
 ٥١ - ينظر: من أسرار اللغة / والمنهج الصوتي للبنية العربية / ١٦٨ - ١٦٩ .
 ٥٢ - ينظر: التطور النحوي / ٣٥ .
 ٥٣ - ينظر: التطور اللغوي التاريخي / ١٠٩ - ١٢١ .
 ٥٤ - الابدال في اللغة / ٦٩ .
- ٥٥ - ينظر: الابدال اللغوي في ضوء الدرس اللغوي الحديث / ٥٠ (بحث) . والمنهج الصوتي للبنية العربية / ١٦٨ .
 ٥٦ - ينظر: الكتاب: ٢ / ٤٠١ .
 ٥٧ - ينظر: الابدال - أبو الطيب اللغوي: ٢ / ٩٣ .
 ٥٨ - ينظر: م. ن. / ٩٤ .
 ٥٩ - ينظر: م. ن. / ٢ / ٢٩٢ .
 ٦٠ - ينظر: الكتاب: ٢ / ٣١٣ .
 ٦١ - ينظر: اللغة / ٩٤ .
 ٦٢ - الكتاب: ٢ / ٤٢٩ . والاصول في النحو: ٣ / ٤٣٣ .
 ٦٣ - ينظر: في اللهجات العربية / ٧٥ .
 ٦٤ - الاصول في النحو: ٢ / ٢٦٩ .
 ٦٥ - ينظر: لهجة تميم / ٩٦ .
 ٦٦ - ينظر: الاصول في النحو: ٢ / ٢٦٨ - ٢٦٩ .
 ٦٧ - ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني / ٢٠٠ .
 ٦٨ - ينظر: الاصول في النحو: ٣ / ٢٤٥ ، ٣٧٤ .
 ٦٩ - ينظر: فقه اللغات السامية / ٧٧ ، والمنهج الصوتي للبنية العربية / ١٨٢ - ١٨٣ .
 ٧٠ - ينظر: الكتاب: ٢ / ٢٤١ .
 ٧١ - ينظر: الاصول في النحو: ٢ / ٢٦٩ .
 ٧٢ - ينظر: الكتاب: ٢ / ٤١٣ .
 ٧٣ - فقه اللغات السامية / ٧٧ .
 ٧٤ - ينظر: الابدال: أبو الطيب اللغوي: ٢ / ٤٢١ .
 ٧٥ - صورة البقرة / ٢٨٢ .
 ٧٦ - ينظر: الاصول: ٢ / ٣٧٦ .
 ٧٧ - ينظر: م. ن. / ٢ / ٢٨٠ - ٢٨١ .
 ٧٨ - ينظر: الاصول: ٢ / ٣٧٧ .
 ٧٩ - ينظر: اصوات اللغة العربية / ٢٤٣ .

● المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
 - الابدال: أبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١ هـ) . تحقيق: عز الدين التلويحي المجمع العلمي العربي - دمشق - الطبعة الاولى - من لون تاريخ .
 ٣ - أثر القراءات في الاصوات والنحو العربي: د. عبدالصبور شاهين، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الاولى - ١٩٨٧ م .
 ٤ - أصوات اللغة العربية: د. عبدالغفار حامد هلال: مكتبة وهبة - القاهرة .
 ٥ - الاصوات اللغوية: د. ابراهيم انيس: مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة . الطبعة الرابعة - ١٩٧١ م .
 ٦ - الاصول في النحو: أبو بكر بن السراج (ت ٣١٦ هـ) : تحقيق د. عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة - بيروت -
- الطبعة الثالثة - ١٩٨٨ م .
 ٧ - اللسانية العربية: ريمون الطحان - دار الكتاب اللبناني - بيروت الطبعة الثانية - ١٩٨١ م .
 ٨ - التطور اللغوي التاريخي: د. ابراهيم السامرائي . دارالاندلس - بيروت ، الطبعة الثانية - ١٩٨١ م .
 ٩ - التطور اللغوي مظاهره وعمله وقوانينه: د. رمضان عبدالقواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض . الطبعة الاولى - ١٩٨٣ م .
 ١٠ - التطور النحوي للغة العربية ، برجستراسر: ترجمة رمضان عبدالقواب مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض - مطبعة المجد . ١٩٨٢ م .
 ١١ - الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: د. حسام

سعيد النعيمي . دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت . منشورات
وزارة الثقافة والاعلام . جمهورية العراق - دار الرشيد للنشر ،
١٩٨٠ م .

١٢ - دراسة الصوت اللغوي : د . احمد مختار عمر : عالم
الكتب - القاهرة . الطبعة الثالثة - ١٩٨٥ م .

١٣ - دروس في علم أصوات العربية : جان كانتينو : تعريب :
صالح القرمادي مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية
والاجتماعية - تونس - ١٩٦٦ م .

١٤ - سر صناعة الاعراب : ابو الفتح عثمان بن جني
(ت ٢٩٢ هـ) تحقيق : مصطفى السقا ومحمد الزفزاف
وابراهيم مصطفى وعبدالله امين ، مطبعة مصطفى الحلبي
وأولاده - مصر ، الطبعة الاولى ، ١٩٥٤ م .

١٥ - العربية الفصحى ، نحو بناء لغوي جديد ، الاب هنري
فليش ، تعريب د . عبدالصبور شاهين . دار المشرق - بيروت ،
الطبعة الثانية - ١٩٨٣ م .

١٦ - علم الاصوات : برتيل مالبرج : تعريب : عبدالصبور شاهين :
مكتبة الشباب . ١٩٨٥ م .

١٧ - علم الاصوات العام - د . بسام بركة ، مركز الانماء القومي -
بيروت ، من نون تاريخ .

١٨ - فقه اللغات السامية : كارل بروكلمان ، تعريب : د . رمضان
عبدالغواب مطبوعات جامعة الرياض - من نون تاريخ .

١٩ - في البحث الصوتي عند العرب : د . خليل ابراهيم
المطية ، منشورات دار الجاحظ - بغداد ، سلسلة الموسوعة
الصغيرة رقم (١٢٤) ١٩٨٣ م .

٢٠ - في اللهجات العربية : د . ابراهيم انيس : - مكتبة الانجلو
المصرية - الطبعة الرابعة - من نون تاريخ .

٢١ - الكتاب لسيوييه (ت ١٨٠ هـ) : نسخة مصورة على
طبعة بولاق ١٢١٧ هـ ، مطبعة المثنى - بغداد .

٢٢ - لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة :
د . عبدالعزيز مطر ، الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة .
١٩٦٦ م .

٢٣ - لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة : د . غالب فاضل
المطليبي ، دار الحرية للطباعة - بغداد ، ١٩٧٨ .

٢٤ - المحيط في اصوات العربية ونحوها وصرفها : محمد
الانطاكي : مكتبة دار الشرق - بيروت ، الطبعة الاولى ،
١٩٧٢ م .

٢٥ - مدخل الى علم اللغة ، د . محمود فهمي حجازي : دار
الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧ م .

٢٦ - المزهر في علوم اللغة وأنواعها : جلال الدين السيوطي
(ت ٩١١ هـ) . تحقيق : محمد احمد جاد المولى ، وعلي
البجاوي ، ومحمد أبي الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ،
الطبعة الاولى - من نون تاريخ .

٢٧ - معجم المصطلحات اللغوية - انكليزي - عربي ، د . رمزي
منير بعلبكي . دار العلم للملايين - بيروت . الطبعة الاولى -
١٩٩٠ م .

٢٨ - من اسرار اللغة : د . ابراهيم انيس : مكتبة الانجلو
المصرية ، الطبعة السابعة ، ١٩٨٥ م .

٢٩ - المنهج الصوتي للبنية العربية ، رؤية جديدة في الصرف
العربي ، د . عبدالصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة - بيروت ،
١٩٨٠ م .

٣٠ - الوجيز في فقه اللغة : - محمد الانطاكي : - دار الشرق -
بيروت الطبعة الثانية ، من نون تاريخ .

● الرسائل الجامعية

١ - الاصوات المنقلة في اللغة العربية : ولاء صادق يوسف .
رسالة دكتوراه - كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٢ م .

٢ - القلب والابدال في اللغة : د . عادل زيدان : رسالة دكتوراه ،
كلية الاداب - جامعة بغداد ، ١٩٧٨ م .

٣ - المخالفة دراسة صرفية صوتية في ضوء الدراسات اللغوية
الحديثة ، هيام ابراهيم : رسالة دكتوراه ، كلية الاداب - جامعة
بغداد ، ١٩٩٥ م .

● البحوث والمقالات

١ - الابدال اللغوي في ضوء علم اللغة الحديث : د . اسماعيل
احمد الطحان - مجلة آداب المستنصرية ، العدد الاول - السنة
الاولى . ١٩٧٦ م .

٢ - علماء الاصوات العرب سبقوا اللغويين المحدثين الى ابتكار
نظرية التماثل ، د . عبدالعزيز مطر ، مجلة اللسان العربي :
جامعة الدول العربية - المغرب - المجلد السابع - الجزء الاول ،
١٩٧٠ م .

قراءة في معلقة العرب الاولى

د. عمران الكبيسي

مقدمة في القراءات :

يلازمني الصمت وأطرق برهة متاملاً كلما ذكرت لي معلقة امرئ القيس أو طرق سمي شيء منها . وذات يوم تنبه زميل لي على حالة الاستفراق هذه ، وحين اعريت له عن رغبتي في التعامل مع هذه المعلقة نقدياً استفزني بلهجة حادة مستفرياً متسائلاً ، لماذا هذه المعلقة بالذات ؟

وافترقنا بعد حديث قصير ، وبقيت لهجة استفراقه ماثراً حية لي ايضاً . فماذا يعني ؟ هل كان يعني أنني من زمرة الداعين الى التحديث ، وانني اطرب للشعر الحديث وعلي ان أشيخ بوجهي عن كل ما هو قديم ... ؟ . يراودني شك في هذا . أأراد ان يقول : ماذا ابقى لك الشراح والمفسرون والنقاد منها ؟ ام تراه يتسائل عن سر تواتر الاهتمام بهذه المعلقة ؟

لقد دفعتني لهجة زميلي اكثر نحو المعلقة وحفزتني للمبادرة في تناولها نقدياً . ففي اعتقادي ليس هناك منهج نقدي حديث يختص بتناول الادب الحديث بون الادب القديم بهذا التحديد القسري ، ولم يدع احد هذا . فالمعلقة هذه تمثل البداية الاولى الواضحة للشعر العربي ، والدخول الى اي نفق ينبغي ان يكون من أحد طرفيه ، البداية او النهاية . اما عن تعدد محاولات التناول النقدي ومقارباته للنص بعينه فغير مقيدة . وخير القصائد ما تعدد مدلولها وتنوع حتى تصبح قصيدة جديدة مع كل قراءة ، وتصير القصيدة الواحدة تحصى بعدد قرائها .

الشنقيطي .

- انطباعات أولية واستجابات محدودة سعى اصحابها الى تعميمها وتبريرها منطقياً سلباً او ايجاباً ، مع تعميق المعاني المصطنعة بالمبالغة في الكيد والايدي بعيداً عن روح الفن وجماليته . وليس بالبل على ما نقول مما فعله ابو بكر الباقلائي في كتابه « اعجاز القرآن » من القداء ومحاوله طاهر مكّي من المحدثين في الرد عليه بكتابه في امرئ القيس ويحث عبد الرشيد الصائق محمودي « غربة الملك الضليل » المنشور في مجلة فصول العدد ٢ لعام ١٩٨٤ م .

- اجراءات قسرية تشبثت بالجدية والمنهجية ، يشخص فيها ضعف التلازم والارتباط بين النص ونقده ، تبنى فيها النقاد افتراضات مختلفة صدرت عن مقولات تاريخية تلقى عليها غلالة تجارب شعورية او نفسية ، اعتمدت منطوقات تراثية سابقة منجزة وجهت النص لخدمة افتراضات وجدت قبولاً لدى الآخرين جُسدت على انها سبر للاعماق . وهي دراسات تبهر ونتائج أعجبت الكثير كما فعل محمود الجادر وزملاؤه في دراستهم « نصوص من الشعر العربي قبل الاسلام » وتحليل كمال « ابو ديب » في كتابه « الرؤى المقنعة »

- ملاحظات هامشية تبدو فيها لمحة نكاء ونفاذ بصيرة ولكنها مقتضبة ترد ضمن سياقات ليس همها المعلقة بالدرجة الاولى ، وانما ضمن صيغ برهانية تؤكد مقولات عامة في الادب العربي ، مثلما جاء بكتاب ساسين عساف « الكتابة الفنية » ودراسة يوسف اليوسف في كتابه « مقالات في الشعر

ولا نمهد قصيدة محايدة ليس لها وسم في الايدي الطبعي ، ولا للكيد المنصري ، مثل قصيدة امرئ القيس . فاند نالت ما نالت من الشهرة والمعناية من لدن الشراح والدارسين ولتقاد ومعارضة الشعراء لها حتى أثبتت حضورها في اذهان ابناء الامة في كل عصر ومصر ، وعبرت حدود الوطن الى الاداب الابنوبية ، وقصيدة مثلها جديرة بالبحث عن سر هذه الديمومة . وكان هذا حافزاً آخر من نوافع تناولها ، يضاف اليه تحفظنا المعتدل على الكثير من القراءات السابقة ، لا سيما ما كان منها محكوماً باسقاطات منجزة سلفاً ، او متطرفة مدفوعة بمواقف أيديولوجية او مزاجية تثير دلالات جانبية تعتمد على مدلولات فرعية لم تكن من ثوابت بنيتها اللغوية . وحتى بعض القراءات التي ابركت شيئاً من ابعاد دلالاتها الجوهرية اضاع الدارس حدسه في خضم الاسقاطات الجاهلية ويمكننا من تصنيف هذه القراءات تحت :

- محاولات شرح القصيدة مفردة مفردة ، وتفسيرها بيتاً بيتاً ، او نثر مقاطعها ، وهي محاولات شرح او تفسير لغوي معجمي ، تجمع حاصل دلالات الكلمات اكثر منها محاولات نقدية ادبية وهي مداخل تقليدية مألوفة ترى في القصيدة الجاهلية وعاء تتعدد فيه الاغراض ، وتسجيلاً وصفيّاً لجيلة الانسان العربي بأسلوب جزل قوي السبك متين اللغة ، وهو ما فعله الزوزني في « شرح المعلقات السبع » والبطليوسي في شرح الديوان ، والتبريزي في « شرح القصائد العشر » قديماً . اما حديثاً فمحاوله نوري القيسي وزملائه في « تاريخ الادب العربي قبل الاسلام » وشرح المعلقات العشر واخبار شعرائها « للشيخ

الجاهلي» ، ويحوت عمر الطالب المنشورة في مجلة المجمع العلمي ومجلة « آداب الرافدين » ومجلة « التربية والعلم » .
 وأرجو ان لا يدور بخلد احد انني ارمي الى الانتقاص من قيمة هذه الدراسات ، بل على العكس من هذا . انها دراسات جادة ومهمة ، وجهد محمود ، وهي التي أوصلتني الى ما وصلت اليه .
 وقد أفدت من ملاحظاتهم كثيراً واستشهدت باكثر من نص لهم . وما جهدنا هذا الا اضافة نامل ان تكون نوعية تسير على خط متكامل مع ما مضى من الدراسات ، ولا يفسدها اختلافنا في منهجية البحث الادبي ، بل تعمقه بالحركة والحيوية وتجاوز الثبات والسكونية .

في مقارنتنا هذه تعاملنا مع القصيدة بعيداً عن الاسقاطات التاريخية والبيئية الجاهزة المفروضة . فالشاعر ما أصبح شاعراً الا لانه يختلف عن غيره ولا يابه بالسائد والمألوف ، ولا يلتقط المنطقي الموضوعي . ولذلك لم نستبق القصيدة بروى افتراضية عن المبدع او ابداعه او القصد والمقصدية ، مما يمكن ان يتخيله الانسان القارئ عن الشاعر بافتراض مسبق قد يحمل النص ما لا يحتمل . مقارنتنا هذه تتصف بتلازمة الارتباط بين النص ونقده . ولا نرى في امرىء القيس الا انساناً شاعراً عرف بالشعر اكثر مما عرف بغيره ، وعرف هو الشعر اكثر من أي شيء غيره .
 لم نتعامل مع امرىء القيس على انه متعهر ماجن وان دلت نصوص من ظاهر شعره على ذلك . فما ورد في شعره من مجون لا يكفي من وجهة نظرنا لوصفه بهذه السمة . فالشعراء يقولون ما لا يفعلون . وعرف عصر ما قبل الاسلام بانحراف القيم ، فالخمرة والزنى لم تكونا محرمتين اجتماعياً ولا دينياً . ومن اين لنا ان نحكم على شاعر بالمجون في عصر كان يطوف فيه الرجال والنساء عراة حول الكعبة في موسم الحج وساد فيه وأد البنات وورثة الابن لزوجة ابيه بعد وفاته ! . ولا نعد الشاعر شقيقاً في زمن كانت فيه صلة الرجل بالمرأة من اكبر مشاغل العصر ، وغريزة الجنس فيه من اقوى الفرائز لا يردعها رادع او وازع .

ولا ننظر الى امرىء القيس على انه ابن ملك ، وانه فارس وامير ، فابناء الملوك في ذلك الزمان كانوا أبعد الناس عن الشعر ، لانه لا يليق بهم ، وان احتقوا بالشعراء . وتشير الروايات الى ان والد الشاعر كان ينهاه عن الشعر ، ويزجره من أجله ، ويحرمه عليه ، وان طرد الاب للشاعر^(١) كان من اجل شهرته في الشعر وانصرافه عن هموم المملكة . ولا نعتقد انه كان يحلم بالامارة وهو اصغر اخوته وعلاقته بابيه سيئة .

ولا نعد امرأ القيس شاعراً فارساً لمجرد انه برع في وصف الخيل وأجاد وجوّ في وصف فرسه ، فلم تكن الفروسية فيه طبعاً مؤصلاً ، وانما انحياز منه للطرد والصيد كسائر الناس في هواياتهم .

وليس لنا ان نعد امرأ القيس بطلاً قومياً وهو الذي سار الى ملك الروم او الفرس على ما تذكر الروايات وتختلف فيه يطلب المون لكسر شكيمة القبائل العربية التي استعبدوا ابوه واعمل فيهم العصا حتى لقبوا بعبيدها . وليس لنا ان نصديق بسذاجة ان

امراً القيس كان يبكي ملكاً ضائعاً هو في الاصل طرد منه . او انه سعى ليتار لآب اراد قتله فأوكله الى احد عبيده ليقتله فقتل مكانه جؤنراً ونزع عينيه وقدمها للآب بدلاً من عيني امرىء القيس^(٢) . هذا الاب الذي تزوج على ام الشاعر وظلمه وخلعه فحرمه الامومة والابوة . واذا كان سعيه في طلب الثار التزاماً عرفياً بالقيم والتقاليد فهل عرّف الشاعر بالتزامه بقيم العشيرة وتقاليدها ؟ واين كان من هذه التقاليد قبل مقتل ابيه ؟ ايكون الالتزام ولد لديه فجأة بلا مقدمات ؟ وهل من السهل القطع ان شاعراً جاهلياً عرف شعره بتأكيد كل ما هو حسي مجسد في الشعر ؛ يتحدث في قصيدة طويلة عن ملك ضائع بأسلوب رمزي لا نجد له نظيراً حتى لدى رواد الادب الرمزي في أوربا ؟ وهل يعقل ناقد ان امرأ القيس تحدث عن مملكة ابيه الضائعة في تسعين بيتاً دون ان يصرح او يقترب من التلميح والتلويح مباشرة ، او بطريقة يفصح فيها عن نواياه وخفاياه ومرامييه كما يذهب محمود الجابر ؟

الروايات كثيرة ومتضادة في استنتاجاتها واستنباطاتها والنص الشعري هو الوثيقة المادية ، وسنده اقوى من كل الروايات الافتراضية ، وعليها ان لا نأخذ الا ما يحملنا اليه النص ولغته . امرؤ القيس شاعر مبدع تفرغ لفنه فأتقنه واجاد فيه واصبح فحلاً مجوداً نسيباً ووصفاً وطرباً حتى حمل لواء الشعراء ليسيروا خلفه الى جهنم ، اذا صحت المقالة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) . فهو شاعر ثقفته التجارب في الحياة ، أحب الشعر واخلص له ولم يقل الشعر تكسباً ، وانما مارسه تادباً ، ولم يقل الشعر لرغبة ولا رهبة كما قال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه^(٤) . كان صادقاً قوي العاطفة قوي التفجر ، بعيد الخيال ، يعبر عن رؤية وموقف انساني متجانس مع احساسه وعقليته . تفاعل مع واقعه يسراً وعسراً ، عاقر الخمرة ، وعاشق النساء وذاق مرارة الحياة صغيراً يوم هجر ابوه امه ليتزوج بفتاة صغيرة جميلة حبيبته عن بنيه بفنجهها وجمالها . لكنه انسان لا بد ان يواجه في حياته مواقف ضعف وقوة تتباين فيها ردود فعله بين السلب والايجاب ، والرفض والاستسلام ، والالتزام والتحرر . فهو انسان يطرح نفسه على بساط الحياة يصور انفعالاته ، فروى ما ورأى ماروى . قال عمر بن الخطاب عنه « سابق الشعراء خسف لهم عين الشعر »^(٥) والمعلقة التي نحن بشأنها اليوم . القصيدة البكر ، والام الحدثى لقصائد الشعر العربي ومعلقاته ، لها المرجعية الاصولية لكل من قال الشعر بعد امرىء القيس ، اول من وقف واستوقف الصاحب والراحلة ، ويكى واستبكي نوازل المطر ووارس المدر والرسوم والاتافي والمواقف ، واسبق من قيد الاوابد وشبه الخيل بالعصي والعقبان فاجاد ، وصف الخيل فابلى ، واصبحت اجرائياته في الشعر سنناً وتقاليد وقيماً اعتدلت بها عروض الشعر وقوافيه صوراً وانغاماً^(٦) . ومعلقته الرائدة الاولى اول ما يذكر من عيون الشعر ، وثقتها الرواة بامهات المصادر ، ولم يختلفوا الا على ابيات منها مما لا يدع شكاً إنها وحدة متكاملة وليس مجموعة مقاطع اتفقت وزناً وقافية فجمعت في قصيدة واحدة على عهدة من يريد مقارنتها بملحمة هميروس على سبيل

المشكلة في مواكبة أحداث طويلة استغرقت عصوراً أضاف جيل كل عصر رؤاه إلى الملحمة حتى اكتملت ، والأمم مختلف جداً .

المعلقة لا تستجيب لسجية الشك الديكارتية الذي بذر غرسه طه حسين في نقدنا زعماً منه أن قوم الشاعر لم يكونوا يجيدون اللغة العربية ، فكيف أحسنوا نظمها ؟ ادعاء منه أن اليمنيين سكان جنوب الجزيرة حديثو عهد باللغة العربية ، وحظهم منها أشبه بحظ الموالي ، ثم تراجع فيما بعد^(١) . أنصت طه حسين ونكذب الأقدمين فيما رويوا واجمعوا عليه ؛ أن تشابه جزء من سيرة الشاعر مع حياة آخرين ليس مدعاة للذهاب إلى أنها مجمعة من جملة سير ، فعلى هذه الشاكلة كل تراثنا وهم وكل نصوصه مشكوك فيها ، وليس لنا رواة ثقات ولا أخبار موثقة وكل ما ورثناه انتحال (على نمة نفر من المعاصرين) أمر لا يقبله العقل ولا يقبله المنطق ، ومنهج المعاصرين في الشك لا يستقيم ، ويحتاج من لدنهم إلى مراجعة .

يذكر أبو زيد القرشي أن أبا عبيدة قال : « أشعر الناس أهل الوبر خاصة ، وهم أمرو القيس وزهير والنايفة ... وفي الطبقة الثانية الأعشى ولبيد وطرفة ... وقال المفضل هؤلاء أصحاب السبع الطوال التي تسميها العرب السموط ، فمن قال أن السبع لغيرهم فقد خالف ما أجمع عليه أهل العلم والمعرفة »^(٢) . وأبو زيد من رجال القرن الثالث الهجري على ما يذكر جرجي زيدان في (تاريخ آداب اللغة العربية) أما البستاني في مقدمة الألياذة فجعل وفاته عام (١٧٠) هجرية أوائل العصر العباسي^(٣) .

القراءة التمهيدية :

ليس منا وأقصد أساتذة الجامعات ودليلتها والنقاد والمهتمين بشأن الأدب من يستطيع الادعاء أنه إذا قرأ المعلقة يقرأها ببراعة . فما منا إلا وقد مر بها مراراً ، وسمع عنها ، وله فيها رأي . والا فما هو يعارف ولا مطلع على الأدب العربي . فنحن بدءاً معبؤون عن المعلقة بانطباعات سابقة تخدلف البراءة من رؤانا وتصوراتنا ، وتوحي لنا بأيديولوجية منجزة ربما ليس من اليسير التخلص منها . وغالباً ما تستدعي قراءة القصائد الذائعة الشهرة أفكاراً لقراءات سابقة لا مفر منها . وعليه ينبغي أن نختبر أفكارنا السابقة على المحك للخروج بتصوير جديد أو أن نسلم لقراءة منها بالافضلية . لا سيما وأن معلقتنا هذه تعد الجذر الأول للشعر العربي ، فالعودة إليها عودة إلى الجذور وأجديات الأولى الناضجة أصالة وتفرداً . ولتقنيات سطوة على الأجيال اللاحقة ولها قوة السلطة الثقافية والمعرفة المكنسية ، فهي شعر الطبع وطبع الصنعة وقد احتذاها الخلف عن السلف فيما أبدع وأنشا . ومن يقرأ القصيدة لا ينكر توافر احساس جاهز أنها تضم عدداً من اللوحات تبدو للبعض أحياناً أنها لوحات متفرقة تعالج جوانب مختلفة من الحياة ، والقلة تدرك أن التجارب الشعورية مهما تنوعت وتباعدت مرتبطة بالحياة وأحداثها . وأنها جزء من كل لا بد منه ولا غنى عنه . ولاغراض إيضاحية يمكن بالفعل رصد

التنوع وفرز محطات دلالية في القصيدة تعارف الدارسون عليها وألفوها متفقين عليها مختلفين في مديات ترابطها وتكاملها . وهذه اللوحات في ضوء رواية أبي زيد القرشي « في جمهرة أشعار العرب » هي ! كما في تسلسل الأبيات البالغة تسعين بيتاً^(٤) . ورواية أقدم المصنفات تأخذ .

من ١ - ٩ لوحة الطلل والنسيب وقد وصفت بالانفعالية وشحنات طاقية وسمت بالوقوف على الطلل .

من ١٠ - ٥١ لوحة الجنس والجنس الآخر ، وفيها أكثر من لوحة فنية فرعية ووسمت بالفزل والنسيب .

من ٥٢ - ٥٦ لوحة الليل وتترجم موقف الإنسان واحاسيسه بما يدور حوله من اشكالات ومشاكل .

من ٥٧ - ٦٠ لوحة الذئب يوضح فيها حال الالتزام وتحمل أعبائه في ظروف قاسية .

من ٦١ - ٨٤ لوحة الفرس تداخلها لوحة الطرد كما فرضتها سنن الحياة .

من ٨٥ - ٩٠ لوحة عطاء الطبيعة في صورة المطر ومصاحباتها من السيل والرعد مع موازنة ضدية بين ماتجود فيه الطبيعة او تقسوفيه وتنشع .

وإذا بدت الاغراض متعددة والصور متباينة ، فأول ما يميز الملامح المشتركة والحكم الجامع فيها الوصف الخالص للحياة وما فيها ، حديث عن العمر ، وسرد جزء من مشاهد ، والوصف مهما جنح للخيال يبقى لصيق الواقع . والقصيدة هذه سيرة لجوانب من حياة شاعرها ، جسد فيها خلاصة مواجهته للأحداث . فيها رؤياه للمكان في لوحة (الطلل) وفيها جملة من تجاربه مع المرأة في لوحة (النسيب) . وتجلي احساسه بالزمان والالتزام وموقفه منهما في لوحتي الذئب والليل على قصرهما . وخلص إلى طبيعة العلاقة بين الأحياء وبين حكم القوى في الضعيف بسلوكية الطرد والصيد . واختتم معلقته بقوة قهر الطبيعة وما تخبيء من مفارقات لترسم خطوط التكامل والتقاطع والتوازي في الحياة . وكلها مشاهد واقعية أساسية في حياة الإنسان العربي الأول . ومهما بدت متقاطعة فهي متداخلة مترابطة متفاعلة ، تعكس شأن الاساسيات الكونية والحياتية توازياً وتقاطعاً وتكاملاً . فالأنوثة هي الضديد المعنوي للذكورة وكلاهما يتكاملان . ورتابة المكان وسكونيته المتمثلة في استقرار الطلل وتفاوته تثير الشجن في الزمن وحركيته بين الحرية والالتزام ، بين قوة الإنسان وتحكمه مخلوقاً في غيره من الخلوقات ، ثم تحكم الطبيعة في غيرها من موجوداتها .

نعم كانت قصيدة امرئ القيس وصفاً لم تكن غايته الوصف ، وإنما هي وصف لتجارب تنبجس عنها فلسفة الحياة انذاك لشاعر ثقافته التجارب ولم يكن قد تخرج في معهد أكاديمي أو جامعة . ولم يكن مقلداً على نمة رجل دين نصراني أو مجوسي . ولم يقرأ التاريخ ، ولكنه قرأ الحياة من خلال أحداثها ، فترجم فلسفة الرقص في نزعتيهما الإيجاب والسلب سواء بسواء أكان الماضي جانباً مضيئاً أم قاتمًا ؟ ولكن الحياة تدعو للذين

والانهماك في رحابها الحاضرة .

كان الشاعر يريد ان يكون ايجابياً بعلاقته مع المرأة فجوبه بالرفض . كان يحب اللهو والتسلية ويريد ابوه ان يكون اميراً حازماً صارماً . هذا شأن الحياة تعطيك ما ترفض وتحرمك مما تريد .

وكما ذكرنا بما هو حاضر في القصيدة يجب ان نذكر بما هو غائب فيها . غاب الفخر والاحساس بالانتماء الى القبيلة من القصيدة . كأننا بالشاعر الذي ضيعه ابوه صغيراً فقد هذه الرابطة وما عانت حاضرة او فاعلة لديه ، وقد تخلى الانتماء عن الشاعر قبل ان يتخلى الشاعر عنه . وغاب من القصيدة الحديث عن الخمرة . ولعل تيسرها بلا جهد وان الشاعر قضى منها وطره واستنفد ما فيها وقد آتته قبل ان ياتيها ، احدى عوامل الاشاحة عنها في القصيدة . اما المال فقد شاهد اباه امتلك كل شيء فما زاده الامتلاك الا اعتواً ونفوراً . أفقده الملك السعادة والرحمة وقد زهد امرؤ القيس بماله وما امتلك ، وتخلي عن اعظم وسائله السلطة او حمل على التخلي عنها صغيراً وكبيراً في آخر العمر كما تذكر الروايات وانه عاش معدماً . واستبدل بفحولة الفروسية فحولة الشعر ، وفحولة الجنس والمغامرة ، وفحولة الصيد والطرود . فعوض عن شيء باشياء .

ولعله في وصف الفرس وتركيزه في الصيد تعويضاً لما لم يكن من الفروسية . والشعر يصدر عن الرغبة الجائعة اكثر مما يصدر عن الرغبة المشبعة .

اعتمد الشاعر الوجه الحسي في الوصف والتشبيه ، فاعتنى بما يحس ويدرك سمعاً وبصرأ ولمساً او نوقاً وشماً . والقصيدة واقعية في جانبها النفسي والخيالي منها . اما الافتراضات الرمزية والباطنية فهي دلالات دالة على الانوار الخارجية في الزمان والمكان . ولا أثر لرحلة الشاعر شرقاً او غرباً خارج الجزيرة ، ولا نجد فيها اشارة ليكاء المجد الضائع من اطلال كنده . وهل يمكن لشاعر حسي ان يسيطر على مشاعره فلا يصرح عن قصد ومقصدة فيخفيها بطريقة تعلق منهجية الحداث في التعبير الرمزي وهو الشاعر الذي لم يعرف عنه الانضباط في ردود فعله . فكيف سبق الرمزيين الى الرمزية بقرون ؟ ولو كان الاسلوب شائعاً لاتخذ منه الآخرون سنة وتقليداً متبعاً . ولا نعتقد الشبقية هي سر اهتمام الناس بالمعلقة وسر شغف علماء الدين والمتأدبين بشعره حتى لا نجد مكتبة في مسجد او حوزة امام الا وفيها نسخة من ديوان شاعرها الذي له في كل كتاب عن الادب القديم او فيه حصة . وليس من مدرسة او جامعة الا وتدرس ضمن مناهجها شعر الرجل تحمل طلبتها على حفظ نماذج من شعره . ايكون السر في كل هذا شبقية جنسية واستهتاراً ولهواً وعبثاً اتى عليها بشعره ؟ ام اننا نجد خلف هذه المظاهر مواقف اعظم غوراً وابعد افقاً وقضايا انسانية ملحة خلفها تطرح ببصيرة نافذة غير مباشرة تدرك حدساً وتؤكد الشواهد والثوابت والواقع . ان المعلقة لا تكتسب دراميتها مما فيها من غزل ووصف وتامل وانما مما توافر فيها من مناخ خاص يكمن خلف الغزل ووراء اجرائيات الوصف .

ففي قراءة المعلقة نلتقي مع روح البداوة وزهو الالباء والكبراء فيتميز الحنين الى الماضي وارتباطنا بالجنود ، وحياة الجبود ، وواقعهم المعيش ، فلسفتهم في الحياة ، وان جاءت الدعوة على لسان غير الملتزمين من الالباء تحت ظروف المعاناة القاسية حيث يشتد الصراع بين الواقع والطموح .

تحدث الشاعر الامير وليس له من الامارة سوى اسمها . لا بل كان ينن وهو يبرز تحت وطأة سكونية الصحراء القاحلة وسجنها المتسع فتضيق عليه الدنيا بما رحبت « فمارس حياة اللهو ممارسة الامير المخفق المنبوذ ليجد البديل^(١١) » نقرأ النسيب والغزل والطرود ووصف الطبيعة ونشعر انها تصدر عن عمق متجذر في سبراغوار الحياة وتتواصل مع دعوتها لحركة الحياة الفاعلة . انها حصاد تجربة المعاناة عن قرب بهذه الدقائق ومعاشتها مكاناً وزماناً ونماذجاً واحداثاً . فالقصيدة وثيقة مادية لافضل صور الايام العربية ونمط الحياة وايديولوجية التعامل مع ما يحيط بها من قضايا واحداث . ولذلك نرى ان قراءة واحدة لا تكفي للفصوص في مجاهاها . وعلينا تناول المعلقة بخبراتنا التراكمية التي تستنطق النص نفسياً واخلاقياً وسلوكياً ولغوياً وفنياً كي نخرج منها بالفاية المرجوة من القراءة . فقد عرف بالملك الضليل المغترب يقول عبد الرشيد الصابق « لقد تقرب امرؤ القيس غربة مزوجة ... تقرب اولاً عندما تصدعت علاقته بابيه ، وخرج عن حياته الاسرية ، ثم ازدادت غرته عمقاً عندما لحق به الماضي في حياته الجديدة وافسد عليه متعته ، وزعزع استقراره في عالم اللهو ، وارسله يضرب في الاعماق لتحقيق مهمة عسيرة لم يكن مؤهلاً لها . ولقد عبرت تلك المقولة الشهيرة (« ضيعني صغيراً وحملني دمه كبيراً ») اوجز تعبير عن غربة الشاعر بيمديها^(١٢)

القراءة التحليلية :

تحليل النص الادبي ودراسته احدى اجرائيات النقد الادبي ووسيلة من وسائله . وقراءتنا هذه تشريحية اختبارية . تعني بالتثبت من كل الانطباعات ، وليس بقراءة تحليلية معجمية . قراءة تختبر الجزء في ضوء الدلالات الكلية التراكمية ، وتسمع بالتأويل التكاملية وتعند البدائل من بون ان تهمل الوجدتين العضوية والموضوعية . لاننا نرى في القصيدة الجاهلية نصاً اكثر تكاملاً وتداخلاً وترباطاً قياساً بما يؤدي من مهام . فإن كانت القصيدة انذاك شاعرية فهي في الوقت ذاته مشهدية في وصفها عوضت عن خلو الادب العربي من القصة والمسرحية وسدت حاجة عصرها انذاك الى كل منهما . فقد عولت اساساً على الحدث واستجلت ملحقاته ، فتفاعل السرد الوصفي فيها بالمشهدية حينما اكدت المكان ، واصبح مشهد الطلل فيها رمزياً ومن اساسيات فصولها الغائية . والشعر الحديث اليوم اكد العلاقة الحميمة بين المسرح والشعر وهذا يتجلى في معلقة العرب

المقطع الاول : لوحة الطلل :

يستهل امرؤ القيس طلله بالالتفات بإخاطب الاثنين بالوقوف ، ويمارز الكثر في الجمع « نيك » فيفصح عن حدة التوتر في النغمة العاطفية بين الانا والاخر ، بين الشاعر وصحبه ، ثم بين الارض واهلها (والمنزل وساكنيه والمحيدين به) ، بين السكون في الوقوف ، والحركة الانفجارية في (البكاء) ، بين الماضي بذكرياته والحاضر في حدثه المستجد بهل هذا في صد بيت واحد هو الشطر الاول من مطلع القصيدة :

١ - قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل

تتوحد فيه الرؤيا العاطفية والحدث المودوعي ، فالتذكر وسيلة الانسان العربي العلمية انذاك متمثلة في الرواية لعارف السابقين واصبح هنا وسيلة لاستفزاز الطاقة الانفعالية في التجربة . والتضاد من اقدر الاجرائيات التقنية في تجسيد الحالة وتجريدها في مثل هذه المواقف . وفي ستة اباء ، اغرق الشاعر طلليته بالمتضادات . فزيادة على ما مر نبد في الرياح وموسميتها الدالة على الزمن رمزية تنسج علتها الاتية من جنوب وشمال في المعلول المكان ، ما كان مذكراً في الدخول وحومل ، ومؤنثاً في توضيح والمقراة . ثم ما بين العرضات والقيعان وبين بحر الارام وحب الفلفل ، مطابقة وتجانساً . ونستنتج من هذا التتابع صورة الفزع المفجوع بين الانشداد المتجذر في اعماق الارض والتطلع الى كينونة متحولة (مفادرة) والتضاد تعبير عن التصام بين ان يكون الانسان عبداً لواقع او ان يكون سيداً له . يذهب عناد غزوان الى القول : « عدم الاستقرار ، القلق ، الفراق ، خيبة الامل ، الاحساس بالشكوى ، الاعتزاز بالذكورى والسام ، كلها مظاهر اجتماعية ونفسية مستمدة من بيئة الشاعر ، جعلت من الالم خصوصية فنية تمتاز بها تلك المطالع والمقدمات الغزلية »^(١٢) ويتأكد هذا الموقف وهذه النزعة بما استنتجه ساسين عساف بقراءته للمعلقة اذ يقول في دعوة الشاعر الى الوقوف ! « فيها درجة قصوى من درجات التنبيه للذات ... لان زمن الجاهلية سحقها ، لانها صريعة الضغوط الخارجية الغزو ، نضوب الماء ، جفاف المرعى ، الامطار والسيول ، والعواصف الرملية ، الوحوش ... »^(١٣) هذه هي الحلقة المربعة التي يربيشها الشاعر بدءاً بالحبيب والمنزل اللذين جاء كل منهما منكراً لافادة التعميم ونفي التخصيص ، وهو ما يجعلنا نؤكد ان حركة الشاعر الانفجارية في البكاء لم تكن لمجرد حالة آنية ار لحظة معاناة طارئة ، فربود فعله مبنية على زمان منصرم ولكنه لان يبكي واقماً مشهوداً متميزاً بنباته ماضياً وحاضراً . ثبات المكان وعبور الزمان ، فالشاعر يبكي عمره في صورة الطلل الثابت الذي لم يتغير ، بكاء الشاعر لم يكن بكاء الراغب المحب المتيقن ، وانما بكاء المفجوع بشيء من ذاته باتفاق النقاد . يرى يوسف اليوسف ! « ان الوقوف على الطلل محاولة لخطي الواقع

المتجمد القائم في الطبيعة بانائية اللحظة الطللية وتكشف صلة الانا الشاعر والانت المحبوبة والطبيعة »^(١٤) أبهم الشاعر الحبيبة ونكر منزلها ، ولم يكتف بذلك « فسقط اللوى » هو ايضاً مبهم ومنكر وليس بمكان محدد ، وانما هو كل موضع مستنق للرمز ، يصلح لنق العمد ، ولا يصلح لفاذلة المدر ، لوقوعه بالاطراف يتجنب تدفق السيل ويشرف على العرضات والقيعان التي جاءت بالجمع وليس بالافراد تأكيداً بانه يقصد كل مكان دقت عليه اوتار الخيام ما بين الدخول وحومل . وتوضح والمقراة ، هي اركان الجزيرة وجهاتها الاربع منافياً بذلك التحديد ليفصح انه لا يريد الغزل لذاته وان كانت المرأة غاية ما يطلبه الانسان انذاك .

طللية امرؤ القيس ليست سهلة ولا مستوية ، هي معادل للذات التي يحملها وهو صورة لها . ذات متمردة في الحاليين اكان يشعر انه امير تمرد على ابيه وامارته ، او امير تمرد على قدره وصحبه وتميز منهم . وهنا نشاط يوسف اليوسف رايه الذي ذهب فيه الى ان : « اللحظة الطللية هي واحدة من الشذرات المضيفة التي يمكن ان نصل عبرها الى احباطات ومكبوتات المجتمع الجاهلي والى تطلعاته واشكال انسلابه منها »^(١٥) مؤكداً استنتاجه في اول كتابه ان امرؤ القيس لم يقف على الاطلاع ولم ييك ، ولم يتشعب ، وكان في نفسه شيئاً آخر تؤكد كل القرائن المصاحبة ومنها دلالاتها المركزية : « ان العنصر الطللي هو توليف اندغامي للحظات ثلاث هي النهم الحضاري والقمع الجنسي وقمل الطبيعة »^(١٦) والا كيف يطلب الشاعر الجاهلي وهو المشهور بإيثاره لذاته في فحولة الجنس والشعر معاً ان يشاركه الصحب في البكاء على الحبيبة . أليانافي هذا تقاليد العرف العربي ؟ وكيف نعلل وصف امرؤ القيس للطلل بانه يعف رسمه .

٢ - فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها

لما نسجتها من جنوب وشمال

ثم يعود بعد ابيات ليصرح ان طلله دارس لا يعول عليه استخفافاً منه ويضيف ان عبرة مهراقة عليه تشفي غلته^(١٨) ٩ - وان شفسائي عبرة مهراقة
فهل عند رسم دارس من معول

كانني بالشاعر يسفح عبرته صدفه ، او زكاة مشاعر ، لا عن توتر صائق . والا هل تعوض عبرة على اثار الاحبة عن حضور الحبيب تخلص الانسان من عشقه وتطوي تذكره ؟ ينفي محمود الجادر هذا في رأينا حينما وجد الطلل : « رمزاً لضياح كل العلاقات الانسانية التي انبثقت يوماً من خلال اجتماع الارهاط والقبائل »^(١٩) ونهاية الصراع تمثل نهاية الانسان وضياحه في خضم الكون والوجود . ويخالف عمر الطالب التقليديين فيما يذهبون اليه ويقف مع قلة من الباحثين المحدثين حين يجد تجربة الطلل تستحيل الى : « وسيلة مادية يفصح الشاعر من خلالها عن

قليل ، هي أمه الثانية غريمة أمه الحقيقية . نال منها الإهمال والاحتقار والعسف فليس له منها الا مظهرها الخادع . أم شكلية . تتجمل لابيه بالمسك والقرنفل ، تلهو مع جاراتها ، وفي داخلها حقد اسود ، فلم يئل منها الا ما ييكىه على ما ينقصه من حنان ، وافتنار الى العناية ورعاية الامومة . فهي تنشفل عنه بالتزين لابيه لتشفله عن ابنه ، وتلهو مع جاراتها صدوداً عنه حتى ابكت البطل الصغير وامته .

١٢ - ففاضت نموع العين منى صباية
على النحر حتى بل دمعي محلي

في نظر محمود الجادر المغامرات العاطفية على ما فيها من معاناة تعامل الماضي في صورة الطلل : « فكما ان العبرة المسفوحة كانت التعبير الحاسم عن اليأس من بعث الحياة في جيف الطلل ، كانت هي نفسها التعبير عن الحرمان القاتل من أم الحويرث وأم الرياب اللتين استقطبتا معاني العلاقات الانسانية كلها في وعي الشاعر »^(٢١) . والواقع ان الشاعر لم يكن على وفاق مع المرأة . فإذا أقبل عليها او تشهى فهو اقبال تشفى لا اقبال تشه . فصورة المرأة في اعماق امرىء القيس ، صورة زوجة الاب « الغريمة » ووصفه الحسي لها اغراء لنا بشكلها المخاقل المخادع . فإن خاصمت لا ترحم ، وتزعم على الخصومة بلا جميل وان بكت لا تبكي الا لتفتال الرحمة وتستدر الظلم والقسوة بالدموع . يغريها اخلاص من تحب باذلال من تكره .

٢٦ - أفاطم مهلا بعض هذا التدلل

وان كنت قد أزمعت صرعي فاجملي
٢٧ - أغرك مني ان حبك قاتلي

وانك مهما تأمرني القلب يفعل
٢٨ - وانك قسمت الفؤاد فنصفه

قتيل ، ونصف بالحديد مكبل
٣٠ - وما ذرفت عيناك الا لتضربي

بسهميك في اعشار قلب مقتلي
ان نهاية لوحة الطلل وبداية لوحة الغزل تفصح عما بين

الشاعر والمرأة من حسابات باطنية منفرة . فالشاعر لم يحب المرأة كياناً وملأناً . ولم يحبها روحاً ، وانما كان يطلبها جسداً

يقتص منه ويصفي فيه حسابات الماضي . يحرق في جسد المرأة ما غيل في اعماقه من ذكريات زوجة ابيه وصويحياتها . شغلته ذكريات الطفولة وأرقته فيحاول ان يثار لضعفها بالفحولة التي

تستعبد جسد المرأة وينتصر عليها ليذلها جسدياً ويمتهنها غريزياً بعد ان امتهنته معنوياً بجفائها . ومهما حاول ان يكون

الشاعر على وفاق مع المرأة لن يستطيع ولن ينسى ما اصابه منها ويختتم لوحته الجنسية بـ

٥٠ - تسلت عمايات الرجال عن الصبا
وليس فؤادي عن هواها بمنسل

٥١ - الا بخصم فيك ألوى ربدته
نصيح على تعذاله غير مؤث

ماساة التغيير الذي يدع كل شيء موجوداً او غير موجود في آن معاً ينال المرء الشيء ويتذكر بنواله له اذ يدرك انه سيتولى ويرتحل عنه ... فامرؤ القيس يتوسل هنا بمبدأ التعميم الذاتي بفعل السويداء والوحشة^(٢٢) وينكر ان يكون مدخل القصيدة طلالاً مجرداً وانما هي غاية في ذاتها تبين الصراع الازلي بين الحياة والموت

حياة الصحراء الجافة حياة قحط وفاقة وكفاف . والعيش فيها نمط من الصراع مع الطبيعة هكذا كان يراه امرؤ القيس .. فمن الصعوبة تغييرها ، سواء اكانت الرياح شمالية ام جنوبية ولا يعول على رسومها الدارسة . حتى يعر الارام في عرصاتها كحب الغفل صغير ، كناية عن قلة الزاد . حينما طرده ابوه كان لا بد له ان يصرح بهذه الحقيقة جبراً لاحساسه وكبريائه الذي جرح بأمر الابعاد . ولكنه لا بد ان ييكي ذكرياته حتى وان كانت قاسية فهي رصيد عمره يوم كان طفلاً وشاباً . ولا بد له ان يسمع من صاحبه كلمات المؤاساة له مشاركة . وقد يكون الامر من قبيل التمني بعد ان تخلى عنه الجميع بأمر الملك :

٦ - وقوفا بها صاحبي علي مطيهم
يقولون : لا تهلك اسي وتجمل

وحب الارض مهما كانت بخيلة على اهلها غريزة انسانية . وذكريات الانسان مهما ندرت وشقت عزيزة عليه . وهو الان في صراع بين امر بالرحيل وقدر مجهول وارض مجدبة وذكريات تطوي . فجأة يطارده شبح الرحيل فيصرخ :

٧ - فدع عنك شيئاً قد مضى لسبيله
ولكن على ما غالك اليوم أقبل

بنظرية المنلوج مع الذات يدفعها للمواجهة مع محنته القادمة والاشاحة عن الماضي . الشاعر صادق في رد الفعل فهو بشر ينتابه مد القوة وجزر الضعف وتتجاذبه حبال الانا وحب الذات ونزوع الفطرة بحب الوطن .

لوحة المرأة :

وجه آخر من وجوه تجربة الشاعر مع الحياة في معلقته ليس باحسن حالاً من سابقه . فهو ان لم ييك ذكرياته فيها جهراً بصوت مبحوح بكأها سرأ في نفسه المأ ومراً .

١٠ - كدأبك من أم الحويرث قبلها
وجاراتها أم الرياب بماسل

كدأبك : كعادتك وكما هو شأنك ، ثم يستخدم حرف الجر (من) ليقصر المعادلة على طرف واحد وليس مع الدالة على التفاعل والمشاركة . وأم الحويرث بالتفسير اترى على التحبيب والترفيق ام على التحقير ؟ سفرى ذلك . وأم الحويرث زوجة ابيه ، وهي ليست بموقع من ينال منها نفسها وحظه منها كما تقول اللغة

مهما حاول الشاعر ان يتغافل تطفو الراح المكشوفة حتى حينما يصيب مقتلًا او يصيب من المرأة مغنماً يراه قليلاً وان كثر، فيكرر استخدام « رب » كل شيء عنده قليل قياء بما كابد وعانى من صمود .

١٣ - الا ربّ يوم لي من البيض صالح
ولا سيما يوم بدارة جلجل

ويرى رب بيوم : « ويوم عقرت للعذارى طييتي » و « يوم دخلت الخمر خدر عنيزة » و « يوماً على ظهر النسيب » فهي ايام معدودة من ايام الزمن الكثر . ان استطراد الشاعر في سرد مفامراته وسيلة تعويض عن جوع داخلي وتلهف، للانتقام . حتى يكاد يشف عن ساديته بتعذيب الاناث . واند اقتصر منهن مجتمعات في دارة جلجل كما اقتصر من مجتمعات (ام الحويرث وام الرياب وجاراتها) في طفولته وحين نحرلهن ناقته كان ذلك من الطقوس الاحتفالية بالنصر الذي ابرزه برد الاعتبار لذاته متهجاً باذلالهن واخضاعهن لمشيتته بعد ان يدين فيما مضى عصيات عليه حتى ينتهي الى شتيمتهن .

٢٢ - فمئتك حبلى قد طرقت ومرضع ،

فالهيتها عن ذى ثنائم محول

٢١ - وبيضة خدر لا يرام خباؤها

تمتعت عن لوبها غير معجل

زيادة في التكنيل يصارحن بحقيقة مشادته نحوهن . انه يستبج المحصن المرضع كما يستبج العذراء عن لوب عبت وليس عن حب واعجاب . بهذا الاسلوب يتعامل الشاعر حتى مع ابنة عمه ليقص من ابيه في شخصها فيعاملها معاملة الغرباء كما عومل من قبل . الم تشغل ام الحويرث اباه عن ابده ؟ فهو اليوم يشغل ضحيته عن ولدها الصغير . هو يدين بقاعده ان المرأة لعبوب والموبة ان لم يخضعها للظفر والناث اخضعته (رضيعة ، وكلهن سواء ولذلك يجرح الجميلة التي اعجبه جمالها باللوه غير البريء . يؤكد ساسين عساف : « ان التمثل الوهمي بديل ان يكون فيه حمض شفاء لنفسه العلية ، حتى صار حافراً للدمة يصب في اتجاه تكثيف الفجيرة ... عاش حقيقة اراد ان يؤكد على طريقة الاطفال » (٢٢) حين يرى من حقه انذاك الحرمان وتجاوزها باعتداد بطولي فينحر كل ما هو نفيس وحسين مقدس ، ويسلب المرأة ما تحرص عليه او تحاول هي « قومها صيانتها باصرار مقصود متعمد وفخر وتشف جراء نفورها منه وابتمادها عنه . وعلى قدر ما تكون جميلة تتجلى زيادة الاله مان بالتعويض تعظيماً لاسترداد حقه المغتصب ولم يكن يكتفي بواحدة .

لقد رصد عمر الطالب نيرة الشاعر الحادة في خطاب كآبته وعلل معظم مفامراته في شعره بانها : « اما ان تكون من بنات خياله للتعويض عن بعد النساء عنه ... ان أنهن نساء محترفات » (٢٣) حتى ان امراً القيس نفسه فطن حاله ربما من

نصح ابيه له وتهديده ووعيده ، ام من نصح اصدقائه الذين ادركوا ما فيه من العصابية ولكنه تمادى بالاثم لغاية « تسلت عمايات الرجال » و « الخصم الناصع . » ويؤكد الذقاد والمؤرخون للادب ان موقف الشاعر كان مؤصلاً وثابتاً « فالمرأة لا تزال تخادعه وتغربه ، وانها لم تخلف في نفسه الا اليأس الدائم . حتى حينما تداهم حالة صلق وصفاء ، ييوج بحقيقة نفسه عن غير قصد . الم تذكر الروايات انه كان « مثنائاً لا ذكر له ، وغيوراً شديد الغيرة ، فإذا ولدت له بنت وأداه فلما رأى ذلك نساؤه غيثن بناتهن في احياء العرب ويلفه ذلك فتنبمهن حتى قتلن » (٢٤) الا يدل فعله على موقف ثابت ودفين من المرأة . يقول فيما يقول جب في كتابه « المدخل الى الادب العربي » عن امرىء القيس وغزله « ان هذا الموضع الذي يفلب عليه الغزل لهو في حقيقته شيء يختلف تماماً ... وصلته بالغزل ضعيفة ... ولا وظيفة له غير التعبير عن شخصية الشاعر الخاصة ، وربوده لظروفه ... وقصيدته اعتداد بالنفس تماماً ... وصورة لطيفة لزويعة » (٢٥) وقد استشهد عمر الطالب بقوله هذا مما يؤكد اجماع كثير من الدارسين على مشكلة الشاعر وانهم تنبها على شيء خفي دفين قد يكون هو الذي نشير اليه . ونحن نستشهد بدارة جلجل التي ذكرتها المصادر العربية ومنها ابو زيد القرشي في الجمهرة ص ٩٠ تعريفاً لما نذهب اليه وكان يمكن لامرء القيس ان يكتفي بخروج اجملهن عارية ولكنه اصر على خروج الكل لفرض في نفسه . ولدارة جلجل ما يماثلها في المهابارات الهندية كما ذكر لي استاذ جامعي هندي : ان الكهان ذكروا للملك كاما انه سيقتل على يد ابن اخت له ، فكان كلما ولد لاختواته ولد يقتله حتى استطاعت اخته الصغرى استبدال مولودها كرشنا بابن راع للبقر حتى كبر كرشنا وكان لاهياً يطارد الفتيات . وذات يوم ذهبت راعيات البقر للاستحمام في بركة ماء وخلعن ملابسهن فسرقتها كرشنا واخفاها بين الاعشاب . ولم يقدم لهن ملابسهن حتى خرجن له عاريات ولاطفهن ولاطفنه فاحبينه وعلمن قصته ، وصرن من انصاره يتعبدن للالهة حتى ينصره الله وقدمن للالهة القرابين حتى كبر وقتل خاله والاشرار من حوله . وقد تكون دارة جلجل مفتعلة او مختلقة ولكننا اليوم لا نستطيع انكارها او في الاقل لا نستطيع اهمالها .

لوحتا الليل والذئب :

ان استقراق الشاعر في الحديث عن المرأة وحاله معها بما يقرب من نصف القصيدة او يزيد ، وانتقاله الى وصف الليل ، وحال الذئب ، خدع من تناول القصيدة على طريقة التقليديين في تفسير النصوص على الظاهر وذهبوا الى ان القصيدة مفككة وصورها غير مترابطة فما قبل هاتين اللوحتين لا رابط له معهما ولا مع ما بعدهما . وفسروا اندفاع الشاعر الى الحديث عن النساء بالشبقية الفريزية التي جبل عليها الشاعر ولم ينتبهوا الى الحوافز والدوافع النفسية ولا ردود الفعل الانسانية لتجاربه . وتناسوا انار الكبت الطفولي . يقول الشاعر في لوحة الليل :

- ٥٢ - وليل كموج البحر أرخى سدوله
علي بانواع الهموم لينتلي
٥٣ - فقلت له لما تمطى بجوزه
واريف اعجازاً وناء بكلكل
٥٤ - الا ايها الليل الطويل الا انجل
بصبح ، وما الإصباح منك بامثل
٥٥ - فيالك من ليل كان نجومه
بكسل مفار القتل شدت بينبل
٥٦ - كان الثريا علقت من مصابها
بأمراس كتان الى صم جنبل

اللوعة حصاد التجارب وارثها وخلاصة لحالة الشاعر ووقعه النفسي الذي تركته الايام والسنوات وليست « مجرد صورة حرفية امينة لليل » كما يقول عز الدين اسماعيل^(٣٦) . ان ضخامة ما يورثه من هموم حولت ليله وكل ليلاليه الى كوابيس امتدت الى كل زوايا النفس فاتلفتها ، فعرضها الشاعر بلوحة تمجزل كل اشكال التعبير من الخطوط والالوان والاجسام ان تصورها بغير الكلمات . فبعد الحديث عن المكان الارض الطلل وبعد الحديث عن النموذج (البطل او الشخصية) المرأة جاد الحديث عن الزمن . وزمن الشاعر في ليله قاص « لم يعد تلك الفترة الممتدة بين غروب الشمس وطلوعها بل صار زمناً يمتد بين غروب الانسان وغرقه في الماساة - وطلوعه الى خروجه من ماساة النفس المطحونة بالزمن »^(٣٧) كما يرى ساسين عساف لوحة الليل نقش على جدارية النفس يوبخ بوخز الماضي في الحاضر . في الليل يكتمل الزمن ويكتمل بناء القصيدة وكيانها في الحد الأدنى لعناصر العمل الفني - في وصف الليل يعيش الشاعر حقيقته بصنق على مستوى المعاناة الكيانية بتأمل وتأن بعد ان خلص من مشاكل النهار ومشاق المتطلبات اليومية فاصبح تحت سلطة الاختيار ومحاسبة النفس فقال قولته ليدفع بها سكونية الليل ، سكونية سقط اللوى ورتابته ، سكونية المرأة ويرودها وتحجز عواطفها نحوه . في خضم حوار الشاعر مع نفسه « المنلوج » وصراعه مع الزمن تصاعد التوتر فتدفق نفسه الشعري يتفجر على سجيته وقد تبلورت له صيغة المستقبل فالشاعر محاصر زمانياً ومكانياً ومسلوب الارادة . الارض تدفع اصحابها الى الرحيل والافتراق هرباً من الجوع وقلة الزاد ، وتحثه على الرحيل والتنقل المستمر في رحابها . فما يكاد يطمئن الى الاستقرار حتى يلقى بندا ما فيها ، فحصاد عمره ايام من صالح ، ودارة جلجل ، وظهر الكتيب . وجناه قليل يوم دخل الخنر تأمره الحبيبة بالنزول ، ويوم اختلى بها على ظهر الكتيب تعذرت وحلفت فتوسل بها . نصيبه من المرأة في الاقبال والانباء كنصيبه من الارض ، كنصيبه من الزمن ويعزز الشاعر لوحة الليل بلوحة الالتزام في صورة الذئب الذي يلهث دائماً خلف قوت يومه فلا يظفر به الا يشق الانفس :
٥٧ - وقريه اقوام جملت عصامها
على كاهل مني نلول مرحل

- ٥٨ - وواد كجوف العبر قفر قطمته
به الذئب يموى كالخليع المعيل
٦٠ - فقلت له لما عوى : ان شائنا
قليل الفنى ان كنت لما تمول
٦١ - كلانا اذا ما نال شيئاً أقاته
ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل
هذا شائنا وشان منازلنا ليست بذات حرث ولا غنى . ويمض النقاد ينكرون هذا المقطع ويرونه متحولاً فيسقطونه من القصيدة . لانه من وجهة نظرهم لا يمكن ان يصدر عن ابن ملك ملك الارض وما عليها ، ويرونها لصلوك من صمالك العرب وينسون ان الشاعر طرد وخلع ورفعت عنه حصانة الملك ومن أنكر هذه الابيات نسبها لتأبط شراً وانها وردت في ديوانه تحقيق علي ذي الفقار شاكر ص ١٨٢ كما ذكر لي محمود الجادر وأشار إلى ان الرواية تؤكد او تكاد تؤكد انها لتأبط شراً

ويبحث في هذا فوجدت الرواة مختلفين في نسبتها فمن ذكرها لامرء القيس ابو زيد القرشي في الجمهرة ص ١٠٠ ، والزوزني في شرحه ص ٣٠ ، والتبريزي في شرح القصائد العشر ص ٢٨ ، والسندوبي في شرح الديوان ص ١٢٣ او ابو سميد السكري في الخزانة ١ / ٣٩ ، وابن النحاس في شرح القصائد المشهورات ص ٢٢ ، والشيخ احمد الشنيطي في شرح المعلقات العشر واخبار شعرائها ص ٨٦ . واهملها الوزير ابو عاصم بن ايوب في شرحه لديوان امرء القيس . ورواها الاصمعي وابن قتيبة والبغدادي لتأبط شراً . ومن رواها لتأبط شراً ذكر الشطر الاول من البيت (٥٩) على انه .
فقلت له لما عوى : ان تأبطاً

ومن رواها لامرء القيس في المصادر السابقة يرويها : شائنا واذا علمنا ان ثابتاً هو اسم تأبط شراً ، وجدنا ان روايتها ان شائنا اوجه . ورواها ابن النحاس ان شائنا طويل المنا^(٣٨) . ونرجح انها لامرء القيس الملك الصملوك . واسقاط المقطع من المعلقة مضر بها ، ويجعلها مفككة الاجزاء ، ويضعف من مواطن توجيه الدلالة الجزئية نحو الدلالة الكلية وان خذفها او انكارها او التشكيك بصحة روايتها كما يشير طه حسين الى ما ورد في كتاب العقد الثمين (ص ٢٠٢ - ٢٠٥) مع جزء من الابيات الطللية التي تشير الى بحر الارام ماكان ليكون لولا ان اثباتها ربما يشير الى هجوم من الشاعر على الارض وسفوح المملكة . وما كان ليكون هذا من ابن ملك^(٣٩) . ويتجاهلون الحالات النفسية التي قد يمر بها الشاعر مخلوعاً ومطروداً من ضعف ينتاب النفس الانسانية في مثل هذه المواقف .

يقول كمال ابو ديب : « الشاعر والذئب كلاهما نحيف وضميف ، وكلاهما يضئع ما قد حققه كلاهما عرفاً زمن الامتلاء والتحقيق ، وكلاهما ممرضان لطبيعة الزمن الزائلة ، وهكذا يفقدان زمن الامتلاء وينتهيان صفرايين . ويظهر الذئب هنا بوصفه مرآة لدخيلة الشاعر ، وتجسيدا حقيقياً للبطل الخاسر . انه يموي في

الخلاء ، في وادي الخواء ، ويتردد صدى هذه الصور حاملاً احساساً هائلاً بالياس «^(٢٠) ويرى زملي الليل والنذب : « زمنين يشكلان روافد تنكث فيها التجربة الاساسية للالم والخواء والخسران »^(٢١)

ان امرأ القيس بعد ان طرد اصبح حاله ، حال هذا الذئب لان قرابة الدم مع تركة الملك حملته ما لا يطبق من المسؤولية . تحمل وزر افتراق امه عن ابيه ، وتحمل عبء الامارة دين ان يكون له منها شيء ، تحمل عبء التفزل بالمرأة وليس له منها الا ايام قليلة . واليوم يتحمل عبء الاغتراب بعد ان بلغ بهرود ابيه له . حتى اصبح شأنه شأن هذا الذئب المعيل في بطن واد قفر على الشاعر ان يقطعه . ومن يتحمل هذه الاعباء الثقالة في زمن العسرة يهزل ويضعف . لا سيما (كثير العيال) . على هذه الصورة تبدو الاشياء واضحة وتظهر المقاطع مترابطة والتجربة متواصلة .

لوحتا الحصان والمطر :

يقدم امرؤ القيس في هاتين اللوحتين صبرة فنية في منتهى الدقة المتألية المتكاملة لحصانه في سرعت ، وقوته ، وحركته ، وخفته في جيشانه واهتزاه مقبلاً مديراً مكرراً مفراً . في رشاقة واناقة وصلابته عوداً وحافراً ومتناً ، وفي لونه لكميت اندي يشبه دماء الهاديات . حصانه ذكر مؤصل خوولة وبمومة على ساجية الشاعر الجاهلي في وصف الاشياء وهي في غاية كمالها وجمالها فحينما يرضى ليس كمثل ما يرضى عنه شيء ، لامن بعد ولا من قبل . وهي رؤية مثالية ذاتية . اتزاه بمدح نفسه ، من خلال حصانه بموضاً المعلقة عما عرف من الفخر بالقبيلة ، ام ان حصان امرؤ القيس كان يمثل « حصان طروادة » اسطورة الخلاص من الواقع ، والانتقال الى عالم آخر اوسع وارحب ؟ لقد رآه في الوصف على خفة الحصان وسرعته وحركيته التي تقيد الاوابد ، فهو يغلي كالمرجل . وكخزوف الوليد في دورانه . وكبلمود صخر حطه السيل من عل في سرعته . ا يكون هذا رمزاً لتهرد الشاعر وثورته ؟ وهل استطاع بحصانه ان يفلت من قبضة الصحراء والخلاص من جبروتها ، ام اخفق كقومه حين اخفقوا بالانعتاق من حياة الصحراء حتى خاب الرجاء ؟ ربما هي حالة تداع انبجست من عالم الاماني والا ما علاقة ما بدا بما عدا . الواقع ان الشاعر ما زال تحت وطأة حافزية واحدة . والمقطع اذا صورة لما قبله بطريقة اسلوبية مغايرة .

حصان امرؤ القيس ذكر فحل مثله ، مثلما غزا الشاعر نساء القبيلة في دارة جلجل ووخرهن في امراضهن وفرق بين جمعهن حين خرجن له عاريات واحدة اثر واحدة مقبلات مديرات وكان يستعرضهن كما نقل عن الفرزدق في كتاب جمهرة اشعار العرب لابن زيد القرشي ص ٩٠ وهذا حصانه اليوم يستعرض قطيع الهاديات :

٧٢ - فغن لنا سرب كان نجاج ،

عذاري نوار في ملاء مذييل

٧٥ - فصادى عداة بين ثور ونمجة
دراكاً ولم ينضج بماء فيفسل
٧٦ - فظل طهاة اللحم ما بين منضج
صنيف شواء او قدير معجل

عودة على بدء وما اشبه الفارس بحصانه نحر الفارس ناقتة للمذاري وانضج لهن الشواء . واليوم ترك حصان الشاعر لطهاة اللحم انضاج الصفيف والقدير ، وقف حصان الشاعر منتصباً
٧٨ - فبات عليه سرجه ولجامه
وبات بعيني قائما غير مرسل

الشاعر وحصانه كلاهما صورة واحدة للمنف العاطفي وانتصار الفحولة بالقوة على الانوثة . وفي وصف الشاعر لحصانه شيء من الاحساس بقوة الترابط بينهما وتجسيد متبادل للشعور بالانتماء يشيع جواً من الأمان في صدر الشاعر . وفي فخر الشاعر بحصانه استعاضة عن الفخر بالقبيلة والانتساب اليها لذلك ألقى عليه صفات الاكتمال والمواصفات المثلى لاقرانه .

ثم ينتقل الشاعر فجأة مرة اخرى ليصف الطبيعة في لحظة من لحظات الغضب الطاريء ويراه البعض نقلة غير منطقية ويرون قبلها ابهاً سقطت او مقطعة حذف الرواة . او ان يكون المقطع نفسه قصيدة مستقلة ألحقت بالمعلقة ليكون خاتمتها . وينوه اخرون بثنائية ضدية بين الطلل وحالة الجفاف المحيطة بالرمال . فشح الارض مقابل لحالة الغضب الذي تجود به السماء ، حتى ينسخ الماء حول الاكتاف . وعلى الانقان فتسيل الوديان وتغرق السفوح فلا يبقى لتيماء نخلة ولا اطم مشيد . حتى صار راس المجير في الغلاة من هذا السيل فلكة مغزل تدور حولها تيارات المياه ، واعناق السباع ممتدة الى الاعالي بعد ان غطى جسمها الماء والسيل ، فهي اشبه برؤوس زنابق البطل الذي اغرقت اسافله المياه . انها مقابلة بين اقصى حالتي الجفاف والسيل العرم . وكلتا الحالتين لوتاملنا فيها تدعو للرحيل والنجاة الى وطن اكثر اعتدالا في الحالتين تضطهد الارض اصحابها وانسانها فتقتله عطشا الحب بالرحيل طلباً للماء في الجفاف ، وتفرقه تدميراً بالمطاء والمرجح لنا ان الشاعر ما زال تحت وطأة تجربة شعورية واحدة ، وتؤكد هذه الوطأة تتابع المتقابلات . فالبرق هنا يضيء كمصباح راهب امال السليط بالذبال . وبياض بكر المقانة كمنازة راهب متبئل في لوحة المرأة . وجلوس الشاعر بين خارج والمذيب مع ضحية كوقوفهم على بقايا اطلال الاحبة ومنازلهم . ويسع الماء على الاكتاف والانقان هنا كالدماغ الذي بل محمله في الوقوف على الطلل . وتيماء لم تترك نخلة ولا اطم مشيداً هي الرياح من جنوب وشمال التي عفت الرسوم . راس المجير الذي اصبح فلكة مغزل هنا كبحر الارام في العرصات . والمكاكي هنا كالحصى هناك وأنابيش المنصل هنا كفتيت المسك فوق فراش الحبيبة .

المقطع الاخير ختام بالعودة من النهاية الى نقطة البدء

بتكرار ذات الطقوس . ما تفعله السماء بالارض شحا وكروماً يفعلها الشاعر الفحل بالمرأة والارض . وما يفعله الحصان بمذارى الوحش عند الطرد هو ما يفعله الزمن بالذهب . ولتجسيد هذه التجربة وتعميمها يتوصل الشاعر بالتشاكل تارة وبالتضاد اخرى وهي ثنائيات الصراع والمصالحة مع الحياة وان بدت الموضوعات متفرقة غير ان البعد النفسي ، والحافز الذاتي ، والوعي والرؤية واحدة تتكرر بصيغ مختلفة في كل مقطع ، وتذبه كمال ابو ديب على ان القصيدة التي دعاها بالشبقية « تسمح لكل جانب ان يشع من خلال الاخر عن طريق تبادل التمارضات »^(٢٢)

القراءة التركيبية التكوينية :

من المستجدات الايجابية في مضمار النقد ان القراءة في دالقتها تتجاوز حدود التفسير والشرح اللغوي ، وتتجاوز مفهوم التصحيح والتصويب للاخطاء والانحرافات . وحتى عملية الحكم والمقاضاة الى ما هو ابعد واشمل كالبحت في تعدد الواجه والتعليل والتبرير والتسوية . القراءة في مفهومها النقدي اصبحت تعني استنطاق الجزئيات واختبار المواقف المنفردة بالطريق المنهجي الذي يسمح باستجلاء موقف انساني جوهرى بدلالته المتكاملة ورؤيته الشاملة . فالناقد لا يقرأ النصوص لمجرد تقويمها او مساعدة القارئ على فهمها . ولو سألنا انفسنا لماذا نقرأ النصوص ؟ ولماذا نشرحها او نقومها ونحكم عليها بالجودة او الرداءة ؟ وهل تنقد الاشياء لذاتها او الذات المنقد ... ؟ ان الجهود التي يبذلها الناقد في كل خطواته ومراحلها تصب في النهاية في هدف جوهرى يقدم اقتراحاً او يعرض موقفاً يجلي قضية انسانية يعرضها الاديب تجربة وحقيقة جاهزة . وكل قراءة لا تقدم على استجلاء هذا المنلول هي رصد عابر لظواهر متفرقة ليست بذات بال .

وما عرض في المقدمة من القراءات التمهيدية والتحليلية ما هو الا مدخل لاستجلاء ما نحن بصدده . في هذه القراءة التي وسمنها بالتركيبية التكوينية التي تطرح القضية او المواقف التي أشرنا إليها . ان اول ما نستنتج من مجمل ما مر بنا ان القصيدة وحدة شعورية افصح عن تنامي الاحساس وتساعد التوتر في حالة متوازنة من الوقع النفسي وليس كما يقال عن القصيدة انها ربما كانت جملة مقاطع جمعت في معلقة او قصيدة ضمت اغراضاً متعددة متباينة . والدليل انها قصيدة ذات حيز مكاني واحد نظمتها الشاعر وهو في جزيرة العرب في الجانب اليميني حيث تكثر الامطار صيفاً في السواحل مقابل الجفاف الداخلي شتاءً وكل المواضع التي ذكرت لم يرد بينها ما يثير الشك بان حيز القصيدة خارج جزيرة العرب . اما النماذج البشرية ، فهم الشاعر بالدرجة الاولى ، وصحبه ، ثم نماذج من النسوة ، والذهب والفرس ، والطبيعة .

وزمن القصيدة يشير الى انها ردة فعل آنية نهى اي القصيدة وليدة حينها . واكثر الظن انها بعد دارة جلجل وقبل مقتل ابيه

وليس بعده . وعلى وجه التحديد بعد طرد ابيه له عقاباً على تعلقه بالشعر وامعانه في التشبيب بنساء القبيلة . وتعرضه لزوجة ابيه على الرغم من نهيه عنها ولا صلة لها بالملك الضائع او الشبقية ، ولو كانت بعد مقتل ابيه لتكرت الاحداث بصماتها ولوجدنا تصريحاً مباشراً بذلك لان موقف ابن الملك طالب النار الممتد بنفسه يستدعي الفخر بالنسب والاشارة الى الحق المسلوب صراحة وليس الركون الى النسوة والطرد والصيد والمطر وهي حال ابعد ما تكون عن واقع التجريبتين المشار إليهما . وانما هي تجربة شخصية كان الشاعر طرفها الاساس المرتكز . خلع الامير ونبذه ابيه وامر بطرده من ربوع ملكه ، فاثار الامر في نفس امرئ القيس الشجن والالم فتقاسمته الافكار وانهموم ، فهو القريب المبعد ، والامير المخلوع ، والماشي المخدوع ، والقوي الضعيف الموزع القلب بين حب الارض ونكريات الصحبة والهوى ، والتخلي عن الماضي الى مستقبل مجهول . فهل يظهر امام الناس ضعيفاً خائراً يشحذ الشفقة ويستنصرها وهو التأثر المتمرد ، ام يظهر عدم الاكتراث ويمضي على عنفوانه وزهو كبريائه ؟ انه مشئت الطوية قلق حائر بين امرين احلاهما المر بعينه . رصد عمر الطالب هذه الظاهرة في القصيدة نفسها ففيها « تبين الصراع الازلي بين الحياة والموت ، ويرى فيها اقبالاً على الحياة وليس تشاؤماً وينقل عن جب رايه في حالة الشاعر حينما نظم قصيدته انه كان دائم التفكير في ا » الوجود والمصير وان تحليل القصيدة يكشف عن المجال الذي يصور لنا فيه احساسه بالعناصر الكونية الثلاثة : الفضاء والفناء والتناهي »^(٢٣) فالفضاء فضاء الجزيرة التي طرد منها ، ومن بعدها فضاء المجهول الذي ينبغي له ان يتوجه اليه تنفيذاً لارادة ابيه الملك . والفناء فناء الذكريات ، وذهاب العمر ، ضياع الماضي الارض والصحبة والوطن . والتناهي : الصيرورة التي عليه ان يصنع فلسفتها لبدء الحياة من جديد ليكون او لا يكون ترك امرئ القيس نفسه تتحدث على حريتها وتكشف عن طبيعتها الانسانية كما هي تظهر كالمفجوع بين حب متجنز للارض على قساوتها وقلة ما تمنح لمواطنها ، واقع مر انهارت به الاحلام واصبح على شفى غربة آتية لا محال وهي محفوفة بالمجهول . فبدا كما هو صلدأ مهزواً ، غير قادر على ان ينسى ماضيه وعمره وملكه وذكرياته فيمستسلم للامر ، ولا يريد أن يتقهقر مقهوراً ضعيفاً نليلاً ، وهذا شأن النفس الانسانية حينما تجابه بالتغيير المفاجيء ، تتشظى بين الرغبة او الرهبة ، بين الاستسلام والتعالي ، وكثيراً ما يعترها شيء من العزة بالاثم . وحياة الانسان العربي في ذلك العصر الذي سبق الاسلام كانت تركز على قيم مظهرية عليه ان يتظاهر بالالتزام بها حتى وان انكرها في داخله ، لانها استحكمت عرفاً عاماً ، وتواصلت اجتماعياً ، وهي علاقات حتمية لا مفك منها لانها تمثل المحيط ، فالانسان الجاهلي محكوم بالتفاعل مع الارض ، المرأة ، القبيلة ، الفرس ، السيف الخمرة - الطبيعة . وقد لا نجد قصيدة جاهلية لا تنور حول محور او اكثر من هذه المحاور . فالباحثون السايكولوجيون يحددون حاجات الانسان على وفق الضرورة وعلى

التوالي . الحاجات الاساسية في الماكل والملبس والسكن ، فحاجة الشعور بالانتماء ، والاحساس بالامن ، وتحقيق الذات والحاجات الاساسية كانت متوفرة للانسان العربي في حدها الأدنى . فالارض والطبيعة كانتا قاسيتين في حالتها الجفاف والرطوبة ولا تعطيان الا القليل مقابل الكثير الذي تأخذه . وفقد الشاعر الشعور بالانتماء بعد ان خلع وامر بالرحيل . فاصبح شأن الامن موكلاً الى الغيب . فكيف يحقق الانسان ذاته . لم يكن امامه الا ان يحلق بالخيال ويلوح بالمغامرة مع المرأة مع الفرس والحلم مع طبيعة الاكثر كرمًا . فكانت هي المحاور التي شكلت هيكل القصيدة لانها آليات المصالحة بين الذات وما يحيط بها .

بدأ الشاعر قصيدة بالطلل يتامل فيوميكي الماضي بثنائية ضدية يقول عنها كمال ابو ديب ! « انها بنية تتولد من جدول ثنائيات مثل : الموت / الحياة ، الجفاف / الدلواة ، الصمت / الصلابة ، السكون / الحركة ، اقتصاد الحيوية / البهوية / الزوال / الديمومة ، الهشاشة / الصلابة ... ان القصيدة تاتع وتتحرّك داخل ثنائيات ضدية لها اهمية جوهرية بالنسبة لبعثها »^(٢١)

في القصيدة هاجس نفسي يزخر بصراع ، يقيق بين السكون والاستقرار ، بين الحركة والهجرة . بين الشعور بالوحدة ورعب النهاية بعد حياة سينة تعمسة ليس فيها ما يسر الا مآلئ والغياب عن الاحبة والصحب . بين الرضوخ للواقع والدوت فيه والطموح للمستقبل . هي احساسيس مفعمة وكابوس مربع .

حينما احيط الشاعر علماً بطرد أبيه له من المملكة اشتق من ذاته ذاتاً اخرى وصار يحاورها . دعاها للوقوف والبكاء على كل سفوح المملكة ومستنقعات الرمل فيها ، من الدخول الى حومل ، ومن توضع الى المقرأة الربوع التي شهدت ، مدارج الشاعر وملاعبه . هو لا يقف على طلل بعينه ولم يبك - بيبية بذاتها . ولم يكن الشاعر ممن تبكيه النساء حباً وعشقا . تادل الشاعر ماضيه فوقف باكياً عمره وشبابه وكبرياه وزهوه ثم فجأة افاق ليستترك انها لا تستحق اكثر من هذا الوقوف ، ويكفي شفاء نفسه منها اهراق دمة ليقول انه لا يبكي ضعفاً وليس بمرزوم ولكنه يبكيها على الوفاء منه . الارض التي طرد منها شحاحة العطاء وهي ذاتها تدعو انسانها الى ترك الاحبة والرحيل . وحينما يريد قول صحبه « لا تهلك أسى وتجل » ليس لما فيه من دلالة ، وانما ليرد عليهم . انه لا يبكيها لانه سيفاندها مرغماً ، ولانه سوف يجد افضل منها . ان هي الاعبرة شاربة لابد منها ساعة الوداع . وانكم لستم بافضل حال مني . فهي ارض متصخرة ، -تقى فعل الطبيعة فيها محدود لا تغيرها الرياح الشمالية او الجنوبية ، ولا تسد رمق الارام ، والعيش فيها كناقف حنظل ، لا يطعم لا المارة . يقول هذا تظاهراً منه لكي لا يتهم بالضعف وفي داخله مفعوج . ثم يتابع الحديث بالانتقال الى المرأة ويبدأ بام الحويرث التي اذاقته ما جنى من الارض ، حرمان له منها ومن صوبياتياتها . المظهر : عطر ومسك والجنانة قلة الرحمة وشح العواطف ، ذات التراسيم التي تشكل منها عالم الطلل ، هي سبب من اسباب اليأس : والمرأة في نظر الشاعر سبب من اسباب تعاسته : سلبته

حنان الامومة وسبب تشبيه بها له الطرد والخلع ، وليس له منها الا ايام معدودة قليلة وحوادث منفردة هنا وهناك كما يذكر حينما يكرر (رب) اداة للتقليل ، ويكرر من الزمان اصغر وحدة فيه « ويوم » . وفي محاولة منه للتأكيد يستحضر لحظات تبدو اكثر حدة في الزمن المنصرم فتشكل الموجة المضادة للحياة بفعل الطريقة العكسية لفقدان الاحساس . فالتذكر في جوهره وسيلة بحث عن الزمن الضائع المنقضي .

ان التفصيلات توحي ان الشاعر يصدر عن شعور بالتعسف وليس عن اختيار للقطات متوهجة في حياته . فهي اما ان تكون انبعاثاً لسرور مصطنع يعوض عن الانكسار ، والحزن والهم القصد منه التظاهر امام الشامتين بعدم الاكتراث بما حدث له بسبب تغزله وانه لن يغير سلوكيته ولأنك الح كثيراً على هذا الجانب . واما ان تكون المرأة لديه مثل الارض التي عاش عليها لم تمنحه الا القهر . وقد يكون الاغراق الحسي في الحدث الجنسي من بنات الخيال والتوهم بالاماني على سبيل التعويض ظاهره الامتلاء وياطنه الخواء . والانسان كما يقولون لا يتحدث الا ليخفي شيئاً . وتشير الدلائل ان امرأ القيس لم يكن مخلصاً في حبه ، وغزله منزلة بين المنزلتين الحب والفضيحة . وبينهما بون شاسع . في الحب تصام وصفاء وتحاش لكل ما يسيء الى مواطن العذرية في المرأة . وفي الفضيحة تباة وتفاخر في افتقار سجاج العذرية وانتهاك حرماناتها .

وما كان امرؤ القيس . في موضع من يتحسر تقريباً بالود والوفاء على سنة المحبين ، بل كان يجترح ويقتص ويستخف بالمرأة ويؤنبها بطريقة خلط الاوراق والاسماء ومزج المواقف ونمقتد انه اراد ان يؤنب اياه ويقول له هذه هي المرأة التي طردت ابنك وخلمته من اجلها . ولم يكن يصب منها الا القليل . انه لم يطلبها لغواية وانما لغاية قاصداً ذلها وابتنالها والاستهانة بها . وان حكمك لم يكن عادلاً بخلمي من اجلهن وما قلته كان قليلاً . فهذا شأنهن ودأبهن ودأبي معهن : لم يبك الشاعر ملكاً ضائعاً وانما بكى ضياعه هو وهوانه على ابيه بين الناس . قصيدته رد فعل على اضطهاد ابيه له ، وقسوة المرأة عليه وعدم رغبتها فيه وصدورها عنه ، فقابل الضد بالضديد هذا هو نصيبه من الارض ومن المرأة ومن ابيه . وايقاع القصيدة النفسي يوجه الدلالة على غير الظاهر منها . الشاعر في حالة قحط نفسي وخواء عاطفي ، وجنور مبتورة يحس بالهزيمة ولكن لا يريد الافصاح عنها ، ولذلك تنذب القول لديه من السعادة والرضى والشعور بالنقص والتعاسة . الاشياء لم تخلف لديه الا الذكرى المنقصة . نحن نشعر بالتجاوب مع الشاعر والاستجابة للقصيدة لطبيعة نزعتها الانسانية المأساوية ، ولما نشف به من حزن والم وفجيرة والنفس نفس المتلقي تتجاوب مع المأساة لانها اقرب الى التطهير اكثر مما تتجاوب مع الملهة ومشاعر الفرح . لا سيما لدى الضعوب التي لا تستطيع ان تقول ما تريد وتشعر به دائماً .

وحين ترحل الشمس ويسدل ظلام الليل استاره يحين زمن التذكر والتفكير الحقيقيين لتكوين الرؤيا ورسم الخطط ووضع برامج

المعمل والحياة . يظهر الشاعر فيه أكثر صدقاً ويبدو على حقيقته . لم يوارب ولم يكابر . فكان ليله كما وصف ثقيلًا مرعباً موجعاً . افصح الشاعر عن زمنه وساعات حياته الحرجة فشبهها بالأمواج تتقاذفه فلا يدري أي سبيل يختار ، فجميع البدائل المتاحة قاسية واحلاها مر . فجع ولم يعد يطبق التفكير وتمنى اللحظة الحاسمة طالما ليس من بين البدائل ما يرضيه ، كلها مؤلمة ثقيلة تنوء بكاهلها على كاهل الشاعر . ترك الشاعر لهواجسه المتصارعة حرية التحرك فجاءت قصيدته تعبيراً عن نوازعه الانسانية وهي تواجه محنة المتغيرات ومتناقضاتها ، فتصادمت ارهاصات الخوف مع مكان الشجاعة والاستبسال وجاءت اللغة معادلاً لما في الذات يعكس تصادمها الأسري تصادم النزعات لتوحي بصمت رمزي عن ابعاد اعماقها . فالهموم والليل والمطر المدمر شواهد فزع فيها على ما حصل ويحصل من مفاجات طارئة .

ليس في القصيدة مقطع ينسجم مع ما سبق من المقاطع افضل وانسب انسجاماً من المقطع الذي يشبه فيه الشاعر حاله بحاله الذنب . لو اتيح للشاعر فيها ان يدمر الارض وما عليها لفعل ولغدر واغتال .

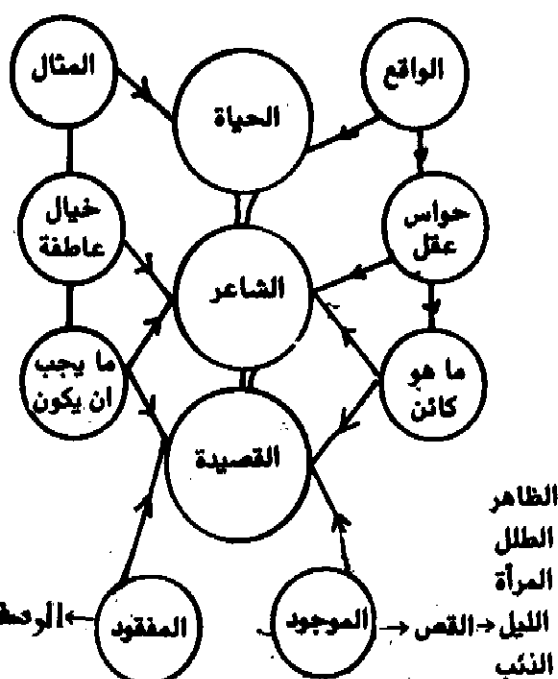
لقد استباح الارض والعرض والحيوان وسره يرى الطبيعة تغرق كل شيء في آخر القصيدة . نعم كان ينتمي لو كان صعلوكاً ولم يكن اميراً وصدق من قال هذا : فماذا جلبت له قرية الامارة وعصامها

٥٧ - وقربه اقوام حملت عصامها

على كاهل مني نلؤل مرحل .

حمل اسم الامارة واثقلته تبعاتها ، ولم يجن من حبل ارتباطها الا كثرة الترحال والنفي عن القوم . حمل وزر الامارة ومسؤوليتها ولم يكن له منها شيء قاعطى دون ان ياخذ او ياكل . كان عليه من اجلها ان يضحي بحريته بهوايته (قول الشعر) ليحافظ على هبة الاب ومنزلته هذا الاب الذي قتله صغيراً حينما تزوج على امه وحرمة الامومة ، واليوم يحرمه حقه في اختيار نمط العيش الذي يريد . ثم طرده وحرمه من كل شيء حين خلعه وصيره وحيداً كهذا الذنب كلاهما يعم في جوف واد بهيم قفر موحش . يموي وينعب بكاء على نفسه وحياته . وها هو الشاعر كالذنب ضيع سعيه وحرته وعاش وحيداً مضيقاً مهزولاً . لم يبق للشاعر الا حصانه واختاره نكراً مع ان الفرس اقرب من الحصان الى نفس العربي ولكن موقفه من المرأة دفعه الى الاتجاه المضاد . واختياره جاء منسجماً مع اختياره للحبيب والمنزل واليوم والليل والذنب . ومع الحصان بدأت رحلة الشاعر مع المفقود . رحلة الحلم . فالحصان منفذ الخلاص ورفيقه الوحيد في رحلة الاغتراب ، وآلية التحول وكل ما يفي له من عناصر المقاومة للتغلب على الصعاب ، ولذلك كان هذا الحصان موضع حصانة مثالية الصفات لا عيب فيه ولا نقص . فهو عزاء الذات التي تنكئ عليه النفس ولو توهمها ليخلق لواقعه موازنة بصورة غير شعورية نابعة من العقل الباطن . ولذلك ظهر الفارس وحصانه

على مستوى واحد من الكفاءة في الفحولة والفاعلية . بحصانه افترض الشاعر سرب عذارى النعاج والحقه بالهاديات ، وعادى عداء بين ثور ونعجة ، وظل طهارة اللحم ينضجون الشواء . ومثلما فعل الشاعر يوم كان اميراً قبل خلعه . يفعل اليوم وهو مخلوع مع قطعان الضان . الم يقل الشاعر عن نفسه كان مثالياً ويطولياً في غرامياته بطرق الحوامل والمرضعات ويهصر « فودي رأس هضيم الكشح » . فهو الان يصف حصانه ويفخر به وقد اشتهر هو بذلك يقول طه حسين عنه : « نبغ في وصف الخيل والصيد والسييل والمطر وانه استحدث اشياء كثيرة لم تكن مألوفة من قبل » (٢٠) ولعله يشير بذلك الى ما ورد في هذه القصيدة . فهو يعوض كما قلنا عن المفقود او المطلوب على سبيل التمني والتخيل كما يوضح المخطط الاتي



المبطن
الصيد = العد
الحب = الة
الرزق = اله
الفرس = الخ

الظاهر
الطلل
المرأة
الليل - القص - الموجود
الذنب

الحياة مزيج متفاعل من الواقع والمثال وهي مرجعية الشاعر الاساسية لانه مخرج من مخرجاتها ومعاين لما فيها من عقل وحواس وذات تتصور وتخيّل وتنفعل وليست عناصر القصيدة الا هذه المدخلات التي يكون احد طرفيها المنجز الفعلي وطرفها الآخر منجز الطموح والامل . وكل ابداع للانسان يتمحور بين ما هو كائن وما يجب ان يكون وهل الابداع الا الواقع المشرب الى المستقبل والحضور المتجذر في اعماق الباطن والغائب ومهما بحثنا في العام المشترك يستحيل في ظل هذه المدخلات والمخرجات ان يستوفي الناقد او الشارح الدلالة الموضوعية والذاتية للابداع ويستعصي ذلك حتى على الشاعر نفسه . ولن يأتي الشرح والتفسير مطابقاً للقصد بعينه دون زيادة او نقصان الامر الذي تحتم معه امكانية تعدد القراءات وضرورة تعدد الاستنتاجات الدلالية بل ووجودها .

المعلقة لوحة صادقة فنياً لتجربة شعورية انسانية لنموذج اريد له ان يكون اميراً عظيماً يعيش في ذات انسان فعاش واحداً من أبناء جنسه . عاش انساناً يحمل نزعة العظمة . حين لبي الكثير من حاجتنا الانسانية بشعره .

واذا كانت القصيدة شعراً خالصاً فهي لم تخل من نزعة قصصية اشبعت جزءاً من حاجتنا الى الرواية والقصة . وحملت ملامح انسانية لسيرة ذاتية تضمنت ابلغ عناصر السيرة الاعتراف والموقف والحدث . فكان كل مقطع فيها يمثل فصلاً من فصول الرواية ، لا بل قل مشهداً من مشاهد مسرحية تضمنت كل عناصر المسرحية من حوار وصراع ونماذج وخلفيات تصويرية التقطت حتى جزئيات الحياة الصغيرة . حين يلتقي الشعر بالرواية والمسرح والسيرة والرسم والنحت ويبقى شعراً يكتب له الخلود . وتبقى القصيدة شئنا ام ابينا رمزاً ولا بد لنا من رؤية القطرة لتخيل البحر .

كل القراءات التي سبقتنا تحمل نصيباً من الصحة وما مرجعية الكلام الى الواقع في العمل الشعري الا مرجعية خيالية رمزية . وكل خيال وكل رمز يدرك بنسبة تقبل التأويل وحسبنا اننا اردنا وحاولنا ان نقدم معلقة العرب الاولى او شيئاً مما تركز اليه بخيالها .

مات العشرات من ملوك كنده ولم يغد لهم ذكر . ومات امرؤ القيس الشاعر وبقي ذكره وبقيت سيرته خالدة تعيش كما يعيش هو معنا وفي نفوسنا ونفوس اجيالنا القادمة .

والمقطع الاخير . لوحة الطبيعية الثائرة والصورة النادرة للردع والبرق والمطر والسيل امام نهاية مفتوحة من الاحتمالات لا تخرج عن طبيعة التجربة الشعورية لا موضوعياً ولا عضوياً . فمثل هذه اللوحة لا نقول عنها مستحيلة ولا هي مألوفة ، وانما مقبولة ابداعياً . وان لم تكن تحصل على وجه الاحتمال في مكان من الجزيرة تحصل في آخر من ربوع اليمن . وما لم يحصل على الواقع حصل في معاناة الشاعر وتفجره . وثلما كانت البداية صادقة صدقت الخاتمة . كل الوجوه محتملة مثلما يحتمل تعدد مسارات الدلالة المنطقية ان كانت واقعاً او ابداعاً من الواقع الى المثالي ومن السائد الى اللامالوف ، وهل من السائد ان يخلع الوالد ولده من ملكه ؟ فلماذا انن نقبل غير المألوف اذا اصبح حقيقة ولا نقبل الواقع اللامالوف ؟

نهاية القصيدة موازية لمطلعها بالتناؤ والقصيدة تبدو بيتاً واحداً رد عجزه على صدره . المعلقة لوحاً واحدة الم يروا انها (رسمت) كتبت بماء الذهب وعلقت . الا يوتي هذا ان القدماء وعوا مافيهما وانها كاللوحه تعلق على الجدران او رمزاً يعلق على الصدر سمطاً . ومثلما تتقابل الالوان في اللوحة يتقابل السلب والايجاب ، الجفاف والرطوبة ، المقبول او المرفوض في العلاقات الانسانية في قصيدة ظلت عالقة في الانهال وفي النفوس وتحت الزمن . مات انسانها وظلت انسانيته شاهداً يعبر ويمخر بغياب الزمن .

وما نستنتج : في هذه القراءة الحديثة لنص قديم ان

الهوامش

- (١٨) اعجاز القران ابو بكر الباقلاني ص ٢٤٤ وما بعدها تحقيق احمد بدر دار المعارف بمصر
- (١٩) دراسات نقدية في الشعر العربي د . محمود الجادر ص ٥٢ الموصل ١٩٩٠
- (٢٠) صراع الموت والحياة في شعر امرؤ القيس عمر الطالب مجلة وادي الرافدين ص ٢٢٨ عند ١٩٧٧ العراق
- (٢١) دراسات نقدية في الشعر العربي ص ٥٢ مصدر سابق
- (٢٢) الكتابة الفنية ص ٦٨ مصدر سابق
- (٢٣) صراع الموت والحياة ص ٢٤٢ مصدر سابق
- (٢٤) الشعر والشعراء ١ / ٦٣ مصدر سابق بيروت ١٩٦٤
- (٢٥) المدخل الى الادب العربي هملتن جب ص ٢٣ دار الجاحظ ١٩٦٩ بغداد
- (٢٦) التفسير النفسي للادب عز الدين اسماعيل ص ٩٠ بيروت ١٩٦٣
- (٢٧) الكتابة الفنية ص ٩٨ مصدر سابق
- (٢٨) شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات ابن النحاس ط ص ٣٣ ط ١ ١٩٨٥ بيروت
- (٢٩) ينظر في الادب الجاهلي طه حسين ص ٢٠٤ مصدر سابق
- (٣٠ ، ٣١ ، ٣٢) الرؤى المقننة كمال ابو نيب ص ١٤٦ مصر ١٩٨٦
- (٣٣) المدخل الى الادب العربي هملتن جب ص ٢٨ مصر ١٩٨٦
- (٣٤) الرؤى المقننة ص ١١٥ مصدر سابق
- (٣٥) في الادب الجاهلي ص ٢٠٧ مصدر سابق

- (١ ، ٢ ، ٣) ينظر الشعر والشعراء ابن قتيبة ص ١ / ٥٢ ، ١ / ٥١ ، ١ / ٦٨ على التوالي دار الثقافة بيروت ١٩٦٥
- (٤) الاغاني لابي الفرج الاصفهاني ١٦ / ٢٩٧ ط ديلاق ، وينظر العمدة في محاسن الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني ١ / ٩٤ دار الجيل بيروت ١٩٦٢
- (٥) الشعر والشعراء ابن قتيبة ١ / ٦٨ وانظر للعمدة ١ / ٩٤
- (٦) ينظر طبقات فحول الشعراء ابن سلام الجمحي ص ١٩٧٤٤٦ بغداد وينظر الشعر والشعراء ١ / ٦٨ والعمدة ١ / ٩٤ ومن المحدثين « في الادب الجاهلي » طه حسين ص ٥٧ وما بعدها
- (٧) في الادب الجاهلي طه حسين ص ١٨٠ وما بعدها دار المعارف بمصر ١٩٧٧ ط ١٢
- (٨) جمهرة اشعار العرب ابو زيد القرشي ص ١٠ دار صادر بيروت
- (٩) المصدر نفسه ص ٥
- (١٠) المصدر نفسه ص ٩٥ - ١٠٤
- (١١) غرابة الملك الضليل عبد الرشيد الصانق محدودي ص ١٣١ مجلة فصول المصرية مجلد ٤ عند عام ١٩٨٤
- (١٢) المصدر نفسه
- (١٣) المراثاة الفرثية في الشعر العربي عناد غزوان ص ٢ مطبعة الزهراء بغداد ١٩٧٤
- (١٤) الكتابة الفنية - ساسين عساف ص ٧٣
- (١٥ ، ١٦ ، ١٧) مقالات في الشعر الجاهلي يوسف على التوالي ص ١٩ ،

الماء في صور أبي تمام الشعرية

(دراسة وتحليل)

د. نادية غازي جبر العزاوي

قسم اللغة العربية / كلية التربية

الجامعة المستنصرية

□ توطئة :

إذا أمنا أن جوهر الفعل الشعري يركز الى دعامتين أساسيتين : الصورة والايقاع ، وإذا أمنا ان الصورة الشعرية مهما اختلفت الآراء في تحديد مفهوم أو تعريف جامع لها ، ومهما تنوعت وجهات نظر النقاد في استنباط انماطها وضروبها بين ان تكون صورة طويلة او قصيرة او متوسطة ، ذهنية أو حسية ، بصرية أو شمعية أو نوقية ، تشبيهية أو استعارية او كنائية و ... الخ ، فإنها أولاً وقبل كل شيء أداة تعبيرية في القصيدة ، توظف فيها ضمن مستويين متداخلين متكاملين لا انفصام بينهما : المستوى المعنوي أو الدلالي والمستوى النفسي .

فالصورة الشعرية أية صورة في القصيدة هي بين اثنتين لا ثالث لهما : اما أن تكون صورة فاعلة مضيئة نجحت في

وظيفتها وأدت دورها بعمق في تجسيد الموقف وبلورة الفكرة ، أو تكون صورة غير فاعلة ومنطفئة فشلت في أداء دورها ، وحينئذ فقط تفقد مبررات وجودها وتصبح كالملاحق الزائد على جسد القصيدة ، أو هي في أحسن الاحوال تحتل حيزاً ضيقاً غير مؤثر . ولرصد مدى فاعلية الصورة أو عدمها لابد أن ننظر الى المسألة من زاوية أساسية : هي ان الصور الشعرية صور في قصائد . وأن أي تحليل نقدي يغفل هذا الأمر ، ويعزل الصور عن ارتباطاتها وعلاقتها بالسياق العام للقصيدة تحليل قاصر ، لانه غير قادر على تشخيص طبيعة دورها وغير قادر على توجيه دلالاتها واكتشاف ابعادها الخبيثة وغير المنظورة بما يتفق والمناخ العام للقصيدة بوصفها وحدة متكاملة من الجانبين : الموضوعي والشعوري على نحو متداخل غير قابل للانقسام او التجزئة^(١) ، وبغير هذا المنظور تصبح الصور محض زخارف ونقوش جميلة ولكنها ميتة و « وجود مسطح وليس بنية متشابكة العلاقات »^(٢) . إذا أمنا بكل ماتقدم فإننا نكون قد قدمنا اجابة عن السؤال : لماذا هذا العنوان : (توظيف الصورة) ؟ ليبقى الشق الثاني منه : (في شعر أبي تمام) ، فليس من وكد البحث التنظير لمفهوم الصورة الشعرية ولانماطها ومستوياتها في الشعر عامة ، فتلك قضايا نقدية كبيرة تصدت لها ونهضت باعبانها كتب ودراسات سابقة ، وإنما اختار البحث ان يتحرك ضمن منطقة محددة من نتاج شاعر بعينه ، فهو يتناول بالتحليل الصورة المائية في شعر أبي تمام ، مركزاً الضوء على عناصرها ومستوياتها وتوظيفها ضمن شعره .

واختيار ذلك له ما يبرره ، فالقارئ لا يخطيء خلال قراءته لنتاج أبي تمام تكراراً ملحوظاً لصورة الماء في شعره ، ليس تكراراً كمياً متراكماً من المتشابه والمتمائل ، بل تكراراً نوعياً يحمل في طياته التنوع والاختلاف والثراء الدلالي ، ففي تلك الصور الكثير مما يستحق ان يدرس ويبحث في نواحي تالفه وتميظه على صعيد بناء الصورة وتشكيلها من جهة ، وعلى صعيد توظيفها ضمن القصائد من جهة ثانية . على ان هذا الامر لا يحول مطلقاً دون تقرير ملاحظة مهمة - كي تكون الدراسة موضوعية تنظر الى مواطن الجودة والرداءة على السواء وبحيادية - هي : ان الصور يمكن ان تدرج في شعره ضمن مستويين :

١ - مستوى عام نمطي وتقليدي : تكون الصورة فيه مألوفة وشائعة عند شعراء آخرين سبقوا ابا تمام في ذلك ، ومثل تلك الصور لا تشكل اية اضافة نوعية تحسب له ، فهي ذات ملامح عامة اكثر منها خاصة ، وهي قليلة في شعره .

٢ - مستوى خاص غير نمطي ومبتكر ، يعكس - بحق - جانباً من مخيلة الشاعر الخصبة وخصوصيتها مما امتاز به أو ربما كاد ان ينفرد به الشاعر ، وهي المقدرة التي أدرك ناقدنا القديم جانباً من حدودها حين وصف ابا تمام بأنه كثير الاتكاء على نفسه في عمل المعاني ، او كما عبر ابو بكر الصولي : « وليس احد من الشعراء ... يعمل المعاني ويخترعها ويتكبد على نفسه فيها اكثر من أبي تمام »^(٣) .

ومستوى التميز يتجلى في هذه الصور من حيث التقاط عناصر الصورة وطبيعة تشكيلها وعلاقاتها بالصور الأخرى في القصيدة، فتأتي ممتلئة وخصبة في دلالاتها .
ومثل هذا النمط من الصور كثير في شعر أبي تمام .

- ١ -

صور الماء : الدلالة الرمزية :

رصد ناقدنا العربي القديم - مبكراً - اتجاه مميّز لدى أبي تمام في توظيف (الماء) واستخدامه في عدد من صوره الشعرية استخداماً جريئاً، بدا - أحياناً - غير مألوف لدى القارئ القديم ، وأثير ما أثير من جدل حول (ماء الملام) في قوله :

لا تسقني ماء الملام فسانني

صَبَّ قَدْ اسْتَعَذِبْتُ مَاءَ بَكَائِي^(١)
ونقل لنا الامدي عدداً من التفسيرات التي قدمت حول تلك الصورة : « وأما قوله ... فقد عيب وليس بعيب عذبي لانه لما اراد ان يقول : (قد استعذبت ماء بكائي) جعل للملام ماء ليقابل ماء بماء وان لم يكن للملام ماء على الحقيقة ، فلما كان مجرى العادة ان يقول القائل : أغلظت لفلان القول ، وجرعت منه كأساً مرة وسقيته منه امر من العلقم ، وكان الملام مما يسعمل فيه التجرع على الاستعارة جعل له ماء على الاستعارة »^(٢) .

وقبل الامدي حاول الصولي ان يبدل برأي حول تلك الصورة فقال : « لما قال في آخره : (فأنني صَبَّ قَدْ اسْتَعَذِبْتُ مَاءَ بَكَائِي) قال في أوله : (لا تسقي ماء الملام) ، وقد تحمل العرب اللفظ على اللفظ فيما لا يستوي معناه ، قال الله عز وجل : « وجزاء سيئة سيئة مثلها » والسيئة الثانية ليست بسيئة لانها مجازة ... فحمل اللفظ على اللفظ »^(٣) .

وعلى اهمية تلك الآراء والتخريجات فانها لم تغلخ في الوقوف على البعد الجمالي الخاص بالصورة ، ولم تكن بإظهار وجه التميز ، بل العكس حاولت ان تخضعه للسياق العام بان تجد له جذوراً واصولاً عند شعراء آخرين او في كلام العرب عامة . لكنه يظل رسداً ذكياً من ناقدنا وان افترق الى بحث أعمق يتلمس الدواعي والاسباب ضمن الرؤية الشاملة لمذهب الشاعر العام في التصوير ، فبقي واقفاً عند حدود التفسير الجزائي . والحق ، ان (ماء الملام) ليست محاولة يتبعها عند الشاعر ، بل لها اشباه ونظائر كثيرة في شعره من قبيل : (ماء الود) ، (ماء الوصال) ، (ماء المعالي) ، (ماء الضلال) ... الخ ، والامر اقرب الى ان يكون ظاهرة واضحة المعالم في شعره منها الى ان يكون صورة عابرة وقعت مصادفة له ، فالماء يجيء مقروناً في صوره بكثير من المشاعر والعواطف الانسانية والحالات والمواقف .

وقد عزا بعض الدارسين هذه الظاهرة الى جذور نفسية وبيئية تغور عميقاً في وجدان الشاعر وعقله ، فذهبوا الى احتمال تأثير المهنة التي احترفها الشاعر في صباه حين كان يسقي الماء في المسجد الجامع بمصر^(٤) .

وهو احتمال مقبول جداً - وان لم يكن السبب الوحيد - فكل المؤثرات الخارجية والداخلية تصب في ذاكرة الشاعر الواعية والباطنة ثم تختمر في مخيلته وتتبلق ثانية في لحظات المخاض الشعري صوراً مختلفة التشكيل بعيدة عن هياتها الاولى الواقعية^(٥) ، ففاعلية المخيلة الشعرية لا تنحصر « في مجرد الاستعادة الآلية لمدرجات حسية ترتبط بزمان او مكان بعينه ، بل تمتد فاعليتها الى ما هو ابعد وارحب من ذلك ، فتعيد تشكيل المدرجات وتبني منها عالماً متميزاً في جدته وتركيبه وتجمع بين الاشياء المتنافرة والعناصر المتباعدة في علاقات فريدة تذيب التنافر والتباعد وتخلق الانسجام »^(٦) .

ولعل التأمل والتحليل المتأن والدقيق لهذا الكم من الشاعر والمواقف والحالات المضافة الى (الماء) عبر علاقات استعارية وتشبيهية متنوعة يدفعنا الى محاولة البحث عن مفهوم الشاعر الخاص بذلك والرؤية التي لعلها وراء هذه الظاهرة ، فلا يقتنعنا تفسير الامر في ضوء ما ذهب اليه د . عبدة بدوي - مثلاً - من انه رغبة الشاعر في تحقيق الادهاش لدى متلقي الشعر فحسب حيث يقول : « كان يريد أن يعطي لكل شيء لمسة جديدة وان يحدث داخل قلوبه الشعرية رعشة عقلية سخية ... وأنه كان يريد أن يدهش الناس من واقع بعض المعاني التي تلح عليه بما لم يتعودوه »^(٧) .

يبدو الامر ابعد من هذا ، فهو شيء يتعلق بطبيعة مخيلة الشاعر القادرة على تلمس التجانس بين الاشياء المتنافرة غير المتجانسة والقدرة على استنباط الروابط بين موجودات هذا الكون التي تبدو غريبة وبعيدة بعضها عن بعض في عقل الانسان الاعتيادي وعينه ، ولا يتم ذلك الشاعر الا عبر صوره ، وعبر العلاقات التشبيهية والاستعارية التي تتيح له التقاط العلاقات

الكامنة بين مشاهد الكون المتباينة والمختلفة^(٨) .

وبمثل هذا المنظار الصوري استسغنا الليل جملاً في قول امرئ القيس - مثلاً - :

فقلت له لما تمطى بخوزه

وأردف أعجازاً وناء بكلكل^(٩)
وبه ايضاً نقبل الحصان سائلاً صالحاً للشرب وتحقيق المتعة في قول أبي تمام :

ما الجياد فقد جرت وسبقته

وشريه صفو زلالها في المورد^(١٠)
إن مفهوم (الماء) في رؤية الشاعر يرتبط بمعنى من معاني الاصاله ، فهو اصل الشيء - عنده - وجوهره الحامل للعصارة والخلصة .

لقد استطاعت مخيلته ان تتحسس الماء في اشياء كثيرة في هذا الكون ، وبخاصة ما كان يتصل بالحلقات الثلاثة الاساسية :

١ - الانسان ٢ - الزمن ٣ - القيم والفضائل

وكشفت النقاب عن الجوهر المائي الخبيء لتلك

الجهنم ، حيث يقول :

أو يختلف ماء الوصال فماؤنا
غَذَّبَ تحسّر من غمام واحد^(١٧)
ولا يخرج الصلح بوصفه قيمة اخلاقية وفضيلة انسانية
محمودة عن الصورة الماثية لدى الشاعر ، فاذا للصلح ماء ايضاً ،
وان وظفت الصورة في احدى القصائد لتكريس معان ساخرة في
ابيات لاذعة ، يهجو فيها رجلاً عرف بالدعارة :

وهل يبقى لثوب الصديق ماء
إذا أدمنت فيه على القصارة^(١٨)
فالقصارة التي تستنزف ماء الثوب تتداخل في عقل الشاعر
بحالة مماثلة حين تستنزف الدعارة معنى انسانية الانسان فتزيل
ذلك المعنى وتأتي عليه ، أي تزيل جوهره وأصالته او ماءه -
بتمبير الشاعر - .
ويتعدى الامر الاحاسيس والمشاعر الى الزمن ، حيث يلتقي
(الماء) في اكثر من صورة برموز ثرة ، منها (الحياء) التي
وردت في قصيدة يرثي بها الشاعر الخليفة المعتصم ، حيث
يقول :

يا حفرة المعصوم تُرىك مودع
ماء الحياة وقاتل الإعدام^(١٩)
ان قراءة البيت على نحو متان دقيق تقود الى تبين اهمية
موقع (ماء الحياة) فيه حيث شكلت المركز والقمة التي حققت
للبيت تالقه الشعري ، فاية محاولة تجريبية مفترضة لاقتطاع هذه
الصورة من البيت ستؤدي الى تداعي هذا التالق ، اذ ما سيتبقى
بعد ذلك كلام اقرب الى التقريرية منه الى الشعر (يا حفرة
المعصوم ترك مودع قاتل الاعدام) . وربما كان سر تميز هذه
الصورة - هنا - في انها شكلت البؤرة او النقطة التي استقطبت
البعدين المتضادين : الوجود والعدم ، وهذا هو جوهر الحياة
ومائيتها وقانونها الصارم الذي لا استثناء فيه مطلقاً : الميلاد
والموت .
الموت برمزه الدال : القبر ، والوجود (الحياة) برمزا
الاقوى (الماء) ، يؤكد ذلك ان الماء في الذاكرة الانسانية كان
رمزاً فاعلاً مقترناً دائماً بالخلق والولادة ، وهو ما كانت تصرح به
الايات القرآنية - والقرآن واحد من اهم مصادر ثقافة الشاعر
العربي القديم - : « وما أنزل اللّه من السماء من ماء فاحيا به
الارض بعد موتها »^(٢٠) ، « والله أنزل من السماء ماء فاحيا به
الارض بعد موتها »^(٢١) ، « وجعلنا من الماء كلّ شيء حي »^(٢٢) ،
« واللّه خلق كلّ دابة من ماء »^(٢٣) ، « والذي نزل من السماء ماء
بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا »^(٢٤) .

ولان القصيدة رثائية فقد غلب الشاعر جانب الموت على
الحياة في البيت ، ولكنه ليس تغليباً نهائياً كما يتوهم للوهلة
الاولى ، بل مؤقتاً مقترناً بوعد بانباتها وتدفق آت ، ومن هنا اختيار

الموجودات ، مما شكل مذهباً تصويرياً خاصاً بالشاعر ، الامر
الذي لم يفلن اليه ناقدنا القديم حين جوبه باستعارات الشاعر
الجريئة : (ماء القافية) او (ماء الملام) ، فلم يتقبلها لانه لم
ينتبه الى جنورها الفكرية والعاطفية الفائرة في داخله . واول
الموجودات التي تلتقطها مخيلته الماثية - اذا صح التعبير -
الشعر ، فللشعر ماء في رؤية الشاعر :

فكيف ولم يزل للشعر ماء
يرف عليه ريحان القلوب^(٢٥)
يقولها لك صراحة : (للشعر ماء) ، ويفتح الباب مشرعة
امام بخيلة المتلقي ويستفزها للبحث عما عسى ان يكون كنه ماء
الشعر هذا : طراوته ؟ نبض الشاعر فيه ؟ خصب صورته ؟ عمق
معانيه ؟ صلح التجربة فيه ؟ شعريته - بالتعبير المعاصر - ؟
والتصورات تتدري في ذلك وكلها احتمالات قائمة ، ولاسيما
انها ستكون مقرونة بضرب من الاستجابة الوجدانية او التناغم
الذي منحه الشاعر للمتلقي بازاء الشعر باختياره حالة الرفيف
(رفيف ريحان القلوب) ، فماء الشعر ، وليس الشعر عامة هو
القادر على اجتذاب مشاعر السامع واثارة كوامن عواطفه . وتطوي
الصورة الماثية بين جناحيها كثيراً من القيم الانسانية ، ويقول
الشاعر في ابيات رثائية :

أفلسنا تسربل المجد واجتباب
من الحمم أئماً مجتباب
وتراءته أعين الناظرية
قمرأ باهراً ورباب غاب
وعلا عارضيه ماء الندى الجاري وماء الحجي وماء الشباب
أرسلت نحوه المنية عيناً
قطعت منه أوثق الأسباب^(٢٦)
على هذا النحو من التتابع الواعي والمقصود : (ماء الندى ، ماء
الحجي ، ماء الشباب) ، على ما بين الاختيارات الثلاثة
(الندى ، الحجي ، الشباب) من نقاط تقارب واشترك او
افتراق ، تشكل جميعها حدود الشخصية الناضجة ، بجانبها :
المادي ممثلاً بحالة الشباب ، وما يفترضه الشباب من عنفوان
الجسد واكتماله واشتماله على سمات الصحة والعافية ، ثم
الجانب المعنوي ممثلاً بالعقل الناضج المتحكم والكابح لنزوات
الشباب الجامحة .

وفي موقف عتاب ، يضطر الشاعر فيه الى تذكير الطرف
الثاني بعمق العلاقة الانسانية التي كانت تجمعهما ، لايجد سبيلاً
اجدى لتصوير هذه العلاقة الا بابرار جوهرها واساسها في قوله :

حتى اذا لم نخف نقض الهوى وصفت
لنا المؤدة حتى ماؤها سجم^(٢٧)
وهي الصورة التي ستكرر ثانية في موقف مختلف ، يثني
الشاعر فيه على علاقة صداقة راقية جمعتها بالشاعر علي بن

الشاعر الدقيق لوضع (الايداع) (مودع) وليس التلاشي والاختفاء التام ، والفرق شاسع بين مفهوم الايداع . البقاء المؤقت المقترن بحتمية العودة^(٢٦) ، وبين الاختفاء النهائي ، وكان الشاعر من خلال هذا الوضع المخصوص (ماء الحياء المودع في تراب القبر) يؤكد حالة التواصل الجدلي بين الموت والحياة ، انبثاق الماء من التراب تارة ، واستحواذ التراب على الماء تارة ثانية . وتأكيد جدلية العلاقة بين الطرفين واتصال حركتهما يبدو مناسباً تماماً مع القصيدة فهي تتضمن موقفاً رثائياً من جهة (موت الخليفة الممتص) وتحمل في الوقت ذاته انتظاراً وترقباً بمقدم الخليفة الجديد (الواصل) . ويتكرر لقاء (الماء) بالحياة في قصيدة رثائية أخرى ، تصف حالة الشاعر بعد رحيل المرثي ، في اجواء قاتمة ينفي عنها ابو تمام كل اسباب الرفاحية :

فما جانب الدنيا بسهل ولا الضحى

بطلق ولا ماء الحياة ببارد^(٢٧)

نعم ، ان (ماء الحياة) قد زادت البيت عمقاً ما ، ولكنها لا تملك تلك الدلالة الخصبة التي لمسناها في الصورة السابقة ، اذ ان هذا العمق سرعان ما تهبط مؤشرات حيز يذكر الطرف الاسنادي الثاني (الخبر) في قوله : (لاء الحياة ببارد) ؛ فالخبر - هنا - اضعف من ان ينهض بمستوى الدلالة الخصبة لماء الحياة ، بل العكس تماماً ، فقد اعاد لفظة (الماء) من موقعها الاستعماري الجريء (ماء الحياة) الى موقع قريب جداً من الموقع الوضعي الحقيقي (الماء البارد) . وتلح (ماء الحياة) مرة ثالثة على ذهن الشاعر وفي قصيدة رثائية ايضاً ، في قوله :

ألا أيها الموت فجمعتنا

بماء الحياة وماء الحياء^(٢٨)

لكنها تجيء هذه المرة مسبقة بفعل اسنابي متسلط (فجع) غير مقترنة بأي احتمال لاعادة ارجوع . الى ان ارتباط الماء بالحياة لا يظل اسير المواقف الرثائية دائماً ، بل ينتقل عبر تجاربه وقصائده المختلفة ، وبفاعلية الصورة الشورية الخصبة التي تكثف الفكرة والموقف الانفعالي يصادفنا قوله في الثناء على شخص ابي سعيد الثغري (ممدوحه المفضل) ودوره في اعلاء شأن قومه ومكانتهم :

فنهت نيهان بعد النوم وانسكبت

بك الحياة على الاحياء بن ثعل^(٢٩)

فالماء - هنا - مغيب والحاضر نيابة عنه فدل الانسكاب ضمن توظيف استعماري استطاع ان يسمو بالحالة من درجتها الطبيعية الدنيا : (التنبية بعد النوم) الى درجة سمي لا يعود الماء فيها يمارس فعل الايقاظ فحسب وانما يصل الى الذروة : الى ممارسة فعل الاحياء ، الذي يقوم بمهمته الممدوح (المغيب ايضاً) والحاضر نيابة عنه الضمير في (بك) .

وقد اختار الشاعر لفعل الاحياء صيغة مخصصة من الفعل هي صيغة المطاوعة (انفعل) ، ليجلو حقيقة كونه ليس سكباً عفويّاً وانما انصياع واستجابة لفعل الممدوح الذي شاء وعزم على ان يسكب الحياة على قومه فانسكبت به ، وهي دلالات تبدو ملائمة - تماماً - لمقاصد المديح باظهار قوة شخص الممدوح وهيمته وبأسه .

ولئن كان الماء في هذه الصورة عنصراً مغيباً في الظاهر ، فان الشاعر يختار اظهاره على السطح في صورة مشابهة ضمن مشهد طللي يقوم على التصادم بين فعلين : الماضي المشرق ، والحاضر المتجه ، وكانى بالشاعر يابى ان يترك بعد الزمن خارج حدود الصورة المائية لديه ، فلا يكتفي بـ (ماء الحياة) بل يختار هذه المرة (ماء الدهر) في قوله :

صحبني قفوا ملئتم صحباً

قضوا بنا من ربعا نحبا

دار كان يد الزمان بانواع البلى نشرت بها كتباً
أين الألى كانوا بعقوتها

والدهر يسكب مساء سكباً^(٣٠)

نلمس في هذه الوقفة الطللية التشّت بين عالمين : فعل الحاضر السلبي وفعل الماضي الايجابي ، ولأن الشاعر في مثل هذه الوقفات الطللية يظل مشدوداً دائماً الى الماضي سعيداً به رافضاً الحاضر البائس امامه ، فانه يعادل المواقع ويتلاعب بزمنية الفعلين ، فيجعل للحاضر فعلاً ماضياً (تشرق) ، بينما يختار للماضي فعلاً حاضراً (يسكب) مستمراً ومتصلاً زمنه في ذاكرته ووعيه غير قابل للانقطاع ، فهو سكب متصل دائم لديه ، وهو سكب لرمز مرتبط في وعيه بكل الدلالات الايجابية ، رمز للتجدد الدائم والمتصل .

وتتسع حدود المائيات في شعراي تمام لتشمل الانسان ، واول العينات الانسانية : الشاعر ذاته بشخصه وكيانه ، اذ يتداخل مع الماء عبر علاقات استعمارية وتشبيهية جريئة وجديدة ، كقوله :

لم تدرك من ليلة قد خاضها

ليلاء وهي تنامها وتنيمها

نكسرت فتى أزرى بنضرة وجهه

ويمائه نكد الخطوب ولومها^(٣١)

وفي جو انفعالي خاص وفي تجربة نفسية خاصة تنطوي على احساس ممتزجة من مرارة وحزن للمشيب الذي داهم الشاعر ومن بقيا مشاعر ندية من الحب والذكرى يقول الشاعر :

أرى ألفاً قد كُتبت على راسي

بأقلام شيب في مهارق أنفاس

فإن تساليني من يخط حروفها

فكف الليالي تستمد بأنفاسي

والمعروفة لترسيخ عدد من القيم الاخلاقية المحمودة : الاءاء
والانفة والشمم ... الخ ، وهو ما نلمحه في قوله :

وما ابالي وخيرُ القول اصدقهُ
حقنت لي ماء وجهي او حقنت دمي^(٣٧)
او في قوله :

غداً بالاماني لم يُرق ماء وجهه
مطالٌ ولم تقعدُ بأماله الرُدُ^(٣٨)
وقد يحرك الشاعر هذه الصورة ويزحزحها عن ذلك الى
أجواء مختلفة ، ففي مقطع ضاحٍ ومحتدم بجو معركة حيث يسود
الهلع والخوف ، يقول الشاعر :

اذا كانت الانفاس جمرأ لدى الوغى
وضاقت ثياب القوم وهي نضاض
بحيث القلوب الساكنات خوافق
وماء الوجوه الاريحيات غائض^(٣٩)
في التقاط لجملة مؤشرات خارجية تجسد حالة الخوف عبر رصد
لمظاهر دالة على هذا الخوف ، لا تخطئها العين للوهلة الاولى :
(سكون القلب) ، (شحوب الوجه) باستلاب عنصرها الحيوي
والاساسي : الماء .

وثمة تنوع آخر لـ (ماء الوجه) وباتجاه آخر ، ففي ابيات
من رسالة شعرية مفعمة بالسخرية والهزل بعث بها الشاعر الى
احد اصحابه يتندر من نبذ أهذاه الاخير اليه ، يقول :
من عقار لاريحها نفحة المنك ولاخذاً بخذ أسيل
وهي نرز لو أنها من دموع الضب لم تشف منه حر الغليل
وكأن الانامل اعتصرتها

بعد كد من ماء وجه البخيل^(٤٠)
فـ (ماء وجه البخيل) صورة يثق ابو تمام في طبيعة الدلالات
التي توحىها لذهن المتلقي : الشحة والنضوب والندرة لطول
ما اريق ماء هذا الوجه تذللًا وانكسارًا واحتقارًا من الآخرين ، وهي
معان مفعمة بالسخرية والهزء قصدها الشاعر في ابياته تلك .
ولا تأتي صورة الماء عند ابي تمام مجردة ، فالشاعر يقرن
هذا الجوهر المائي بعدد من النعوت المرتبطة بالماء : (عذب ،
زالال ، سجم ، كدر ... الخ) بما ينسجم والسياق العام للقصيدة .
فاذا كانت القصيدة غزلية ترصد جانباً من جماليات الجسد فان
النعوت ستساق بما يتلائم وذلك :

صب الشباب عليها وهو مقبيل
ماء من الحسن مافي صفوه كدز^(٤١)
بينما تتغير الحالة وتقلب الى الضد في قصيدة يشبع فيها
الدمار ، في مشهد يصف فيه منظر السبايا بعد المعركة ، وهو
مشهد كان لابد من ان توظف فيه كل الادوات والوسائل لتصوير
حجم الهلع والانكسار والخيبة :

جرت في قلوب الفانيات لهييتي
قشعريرة من بعد لين وإيناس
وقد كنت اجري في حشاهن مرة
مجارى جاري الماء في قضب الاس^(٤٢)
فالشاعر في تصور نرجسي تراءى له انه كالماء يتخلل
قصب الاس ، فهو بمثابة النسغ الحامل للعصارة في دواخل
حبيباته ، وكالماء في داخل النبات يتصاعد فيمده بالغذاء
والبقاء .
وتتعدد العيئات الانسانية ، ففي قصيدة في رثاء بعض بني
حميد يقول الشاعر عبر تساؤل فاجع :

أنسى أبا النصر يعفو التزب احسنه
دونى ودلو الردى في مائه يرد^(٤٣)
ومن صورة الانسان كلاً موحداً ، الى التفصيلات ، الى اجزاء
منه يختارها الشاعر لاعتبارات ومقاصد شتى .
واذا ما بدت (ماء البكاء) و (ماء العين) صوراً مألوفة
تجد طريقها بيسر الى ذائقة المتلقي واستيعابه بجامع الشبه
الظاهري بين الدمع والماء ، فانها عند ابي تمام لاتخرج - غالباً -
عن مثل هذه الحدود . وان زاد هنا او هناك بعض العناصر
التكميلية ، كقوله - مثلاً - :

وافردت عيني بالدموع فاصبحت
وقد غص منها كل جفن بمائه^(٤٤)
باختيار الفعل (غص) مبالغة في وصف حالة البكاء التي
هي جزء من جو الشعر الغزلي . وقد يعود الشاعر الى الاعيية
التجنيسية مزاجاً بين (العين) العضو الانساني ، و (العين)
عين الماء ضمن الدلالة السابقة .

ريم ابث ان يريم الحزن لي جلدأ
فالعين عين بماء الشوق تبتدز^(٤٥)
وسرعان ما تتداخل في مثل هذا الجو البكائي الاشياء ،
وتتسع حدود المائيات ، لتضم ماء العيون وماء الدموع وماء
الشوق ، كقوله :

لست الفتى ان لم تعز مدامعأ
من مائها والوجد بعد بمائه^(٤٦)
ولا يفلت القلب - بما استقر عليه في ذهن الانسان مجعأ
للمشاعر ولبا للعواطف الانسانية - عن مخيلة الشاعر التي
التقطت جوهره المائي :

وليت عني فدمع العين منسجم
بيكي التلاقي وماء القلب منسجم^(٤٧)
ومن التراكيب التي استثمرها الشاعر في عدد من صوره في
هذا المجال : (ماء الوجه) ، ترد حيناً - ضمن الدلالة الشائعة

أبنا بكل خريدة قد أنجزت
فيها عدات الذهر بعد مطال
خاضت محاسنها مخاوف غادرت
ماء الصبا والحسن - يبرز زلال^(٢٧)
وما كان عذبا زلالاً في صورة ما يقول الى اجاج مر في صورة
اخرى يتطلبها مقام المديح ، اذ يصف شدة ممدوحه وباسه على
اعدائه :

وفي موقبان كنت غداة ماقوا
اجاجاً طعمه صعب الورود^(٢٨)
ومع (الكدر) و (الاجاج) ثمة حالة اخرى تلغي صفاء
الماء ونقاؤه ، افاد منها الشاعر في موقفين مختلفين تماماً : مرة
في موقف نم واحتقار :

من كل مهراق الحياء كأنما
غطى غديرني وجنتيه الطحلب^(٢٩)
فاختيار (الطحلب) بما يثيره مرآه من مظاهر الاشتمزاز
والتقزز كفيل بان يهشم التصور المثالي لنقاء اماء (العذوبة
والزلال) ، ومما يزيد الصورة عمقا استخدام الشاعر الفعل
(غطى) حيث يؤكد سعة الانتشار ، وهي الصورة التي سترد .
ثانية ولكن ضمن سياق مختلف تماماً هذه المرة في قصيدة مدح :

ابذيت لي عن جلدة الماء الذي
قد كنت أعهدك كثير الطحلب^(٣٠)
فموقف المدح هنا يتطلب تنقية واجلاء وانداء للماء الى
وضعه المثالي النقي ، بدلالة الفعل (أبدى) حيث تتم الازالة
وتتحقق التنقية .

لكن القيم في الحياة الانسانية ليست على النسق نفسه من
النبل والفضيلة فتمة الرذيلة والشور ، التي لم نخطيء مخيلة
الشاعر كشف جوهرها المائي الفاسد ، ففي قصيدة يصف فيها
عصيان بابك الخزمي وتمرده وارتداده الذي انتفى الى القمع
والفشل يختار الشاعر للتعبير عن ذلك قوله :

واخذت بابك حائراً دون المني
ومني الضلال مياهن أجون^(٣١)

- ٢ -

ضروب اخرى ودلالات اخرى :

التنوع والتعدد في الدلالة الرمزية للصورة الواحدة امر
طبيعي ، فالصورة كطينة الصلصال الخام بيد الشاعر قادر على
تغييرها وتشكيلها وتوظيفها أنى شاء وعلى النحو الذي يريده
متلاعباً بهذا التوظيف من ذات اليمين الى ذات اليسار محكوماً
بدوافع نفسية وموضوعية وليس عبثاً اوسدى او انطلاقاً من فراغ .

وبذلك تقود دراسة الصور المائية عند ابي تمام الى امكانية
اكتشاف انماط اخرى منها بدلالات رمزية متنوعة ومختلفة ، منها
(الصورة الثنائية) ، التي تتضمن ابعاداً ثنائية متضادة ، وليس
في الامر ما يستغرب ، فالثنائية سمة واضحة في شعر ابي تمام
وفكره ، وهي المنطق المتحكم بوحدة الوجود والكون ، الذي يتجلى
امام فكر الشاعر المنقب سلسلة من الاضداد : سماء وارضا ، ولادة
وموتاً ، خيراً وشرأ ... الخ ، مما انعكس على شعره الذي شخص
فيه مبكراً ولع مفرط بالمطابقات والمقابلات يصل فيه الى درجة
اللجاجة - احياناً - وقد عدها ناقدنا القديم من قبيل المآخذ
عليه ، فالامدي يرى ان واحداً من اهم المآخذ على شعر ابي تمام
« اسرافه في طلب الطباق »^(٣٢) لكن الامر يبدو اعمق من هذا
التصور ، فهو مرتبط بفهم الشاعر ورؤيته لحركة الحياة الثنائية
بكل جوانبها وتفصيلاتها ، كما يتضح ذلك في شعره :

ولكنني لم احو وفراً مجمعا
ففزت به إلا بشمل مبدد
ولم تعطني الايام يوماً مسكناً
الذ به الا بيوم مشرد^(٣٣)
وفي قوله :

إن الجمامين من بيض ومن سمر
دلوا الحياتين من ماء ومن غشب^(٣٤)
وفي قوله :

لامر عليهم أن تتم صدوره
وليس عليهم أن تتم عواقبه^(٣٥)
وفي قوله يصف المشيب :

له منظر في العين ابيض ناصع
ولكنه في القلب اسود أسفح^(٣٦)
يقد تتسع هذه الثنائية الضدية من ابيات متفرقة ضمن قصيدة الى
احدود القصيدة كلها ، وهو مانراه - مثلاً - في واحدة من قصائده
التي تنطوي على حالة مزدوجة متضادة بين ماكان عليه الحال
في ولاية ممدوحه مالك بن طوق ، وما آلت اليه الامور بعد ان عزل
من الولاية ، أي بين الماضي والحاضر :

ارض مصسودة واخري تثلج
منها التي رزقت وأخري تحرم
واذا تسامكت البلاد رأيتها
تثري كما تثري الرجال وتعذب
حظ تعاوزه اليفاع لوقته
واب به صفز وواب مفنم
تلك الجزيرة مذ تحمل مالك
امست وواب الغيث عنها منهم

ولقد أراها وهي عِزْسُ كاعبٍ
فاليوم أضحت وهي تكلى أَيْمٌ^(٥٧)
ولا تخرج عن ذلك صوره المائية التي تبني في كثير من
الاحيان على اساس هذه الثنائية الضدية المتكافئة ، فقد
استثمرها الشاعر في احدى قصائده لنقل تفاصيل معركة ،
مستفيداً من دلالة المعركة في الذهن حديث تلتقي الاضداد
المتناظرة : القاتل والمقتول ، الخاسر والمنتصر ، الشجاع
والجبان :

ظَلَّ القنا يستقي من صَفِّهِ مُهْجَاً
أَمَّا ثَمَاداً وَأَمَّا نَزَّةً خُسْفَا
مِنْ مُشْرِقِ دَمِهِ فِي وَجْهِهِ يَطْلُ
أَوْ وَاهِلِ دَمِهِ لِلزَّعْبِ قَدْ نَزَقَ
فَذاك قَدْ سَقِيتُ مِنْهُ القنا جُرْعاً

وذاك قَدْ سَقِيتُ مِنْهُ القنا نَطْفَاً^(٥٨)
سلاحيات مبنية على اختيار مشهد واحد من المعركة بتفصيلات
وتفريعات ثانوية ، تنقل لنا التضاد بين الحالتين ، ولعل في توحيد
استخدام اسم الإشارة في البيت الثالث (ذاك) في الجانبين
إشارة صريحة الى هذا التناظر والتكافؤ بدلاً من الاستخدام
المعتاد (هذا ، ذاك) ، أثر الشاعر تكرار اسم الإشارة ذاته
(ذاك ، ذاك) في مقابلة تظهر جانبيين أو زاويتين من المشهد
ذاته : (البطولة : الجبن) ، البطولة بعلاماتها (تدفق الدم على
وجه البطل كناية عن الاقدام والمواجهة المباشرة من الامام) ،
والجبن بعلاماته (نزيف الدم كناية عن حجم الرعب والهلع الذي
امتص دم الجبان) ، وما يترتب على ذلك من اختلاف في كميات
الدماء التي تشربها الرماح من الطرفين : الثماد (القليل) ، النزة
(الكثير) مستفيداً من ذلك من طبيعة الماء المتجمع في العيون بين
ان يكون ثماداً أو نَزَّةً ، ثم الاختلاف في طبيعة الارتواء ذاته بين ان
يكون جرْعاً أي كمّاً كثيراً ، أو نطفاً أي كمّاً قليلاً .

ويفيد الشاعر من هذا التضاد ايضاً في ابيات له تعبر عن
احساس بالحيف والحزن وقد احس الشاعر بتردد الممدوح في
تتمين شعره ، وهو امر لا يفرط فيه أي شاعر معتز بنتاج قريحته ،
فقال :

سالي أرى جَلْباً ففها ولست أرى
سوقاً ومالي أرى سوقاً ولاجلبُ
أرض بها عُشْبٌ جزفٌ وليس لها

ماءٌ وأخرى بها ماءٌ ولاعُشْبٌ^(٥٩)
ان في البيتين عزفاً .. على نفمة واحدة هي : لا عدالة
الاشياء في الطبيعة والحياة الانسانية على السواء ، في الحياة
الانسانية حيث ثنائية العرض والطلب ، طلب من غير عرض
(جلب من غير سوق) ، وعرض وما من طلب (سوق من غير
جلب) ، وفي الطبيعة ايضاً يتكرر الحيف نفسه في الاشياء :
ارض معشبة تبحث عن ماء ، وماء مهدور في ارض لاعشب فيها .

وتصب الصورتان في مصب واحد هو في الغايات التي
تنقصها الوسائل ، والوسائل المبددة بلاغايات ، أو اذا شئنا
الاقتراب اكثر من تجربة الشاعر الحياتية : شعر مبدع يبحث عن
تتمين ، ومكافأة تبحث عن شعر يستحقها . واذا اراد الشاعر ان
يصف شدة ممدوحه على اعدائه في معركة فانه لا يجد خيراً من
استثمار (صورة الماء في قرار البئر) متلاعباً بها في حالتين
متضادتين : الامتلاء والنضوب من جهة ، وعسر المنال ويسره من
جهة ثانية :

لمعري لقد غادرتُ حَسْبِي فؤادِهِ
قريب رشاءٍ للقنا سهلٍ موردٍ
وكان بعيد القمر من كل ماتحٍ
فغادرتُهُ يُسْقَى وَيُشْرَبُ باليدِ^(٦٠)

انها قدرة الممدوح التي اوجدت هذه الهوية الفاصلة بين الاشياء .
ماكان في الماضي (وكان ...) ، وما صار في الحاضر
(فغادرته ...) ، ما كان من عمق الماء في البئر رمزاً للمنة
والقوة ، وما آل اليه هذا الماء من ضحالة المنسوب وتدنيه صيره
سهل المنال (قريب رشاء - يسقى باليد) .
وتفضي الصورتان الى اجلاء تضاد آخر هو ثنائية الخسارة
والانتصار .

وفي واحدة من قصائده في رثاء بني حميد الطوسي ، وهي
تجارب رثائية متميزة تنطوي على احساس ثرة وصداقة ، يقول
الشاعر :

إِنْ يَنْتَحِلْ حَدَثَانُ الْيُذْهِرُ أَنْفُسَكُمْ
وَيَسْلِمُ النَّاسُ بَيْنَ الْحَوْضِ وَالْعَطَنِ
فَالْمَاءُ لَيْسَ عَجِيباً أَنْ أَعَذِّبَهُ

يفنئ ويمتدُّ عَمُرُ الْأَجْنِ الْأَيْسَنِ^(٦١)
يبين ذهن الشاعر مستقراً تماماً بسؤال الموت الذي شغل
تفكير الانسان منذ وقت طويل ، وعن معيار الاختيار ، من احق
بالموت قبلاً : الانسان الايجابي او السلبي ؟ ولماذا يسرع الموت
الى الاول ويبيطه عن الثاني ؟ اسئلة ظلت منوطة بالقدر والاجل
المكتوب لكل انسان من غير ان يجد الشاعر اجابة شافية ترضيه ،
وان تعكز على صورة تظهر مصير الماء بأسبقية زوال العذب منه
تفنيه كثرة الاستهلاك بازاء الراكد والفاسد الذي يظل بعيداً عن
مثل هذا المصير بمنأى عن الزوال السريع .

- ٣ -

ويقودنا التأمل في الصور - مابة بحثنا هذا - الى كشف
ضرب آخر منها ، يظهر اوضاعاً وحالات مخصوصة متعلقة بالماء
نفسه ، ونستطيع في هذا توزيعها على محورين :

أ - الحاجة والاشباع .
ب - الانبثاق والاخراج .
أ - أما المجموعة الاولى فتضم الصور التي تشتمل على صفات
وحالات تبرز ضروباً من الاحساس بالحاجة من جهة ، من ذلك -

هو (الكرع) الذي التفتت معاجمنا الى بعض دلالاته حيث يقترن الاشباع بحالة من اللهفة والاسراع بمباشرة الماء نفسه من غير وسائط ، قال ابن منظور : « وكرع في الماء يكرع كروعا وكرعا : ناوله بفيه من موضعه من غير ان يشرب بكفيه ولا باناء ، وقيل : هو ان يدخل النهر ثم يشرب »^(١٠٠) ، وفي طبيعة المادة التي حققت هذا الاشباع ، فليست هي الخمرة او الماء ... الخ من الخيارات الاخرى المألوفة ، وانما ان تكرر من شيم الممدوح ، ان ترتفع شيم الممدوح وفضائله الى مستوى تصوير فيه هي البديل الذي ينهي الظما .

ولان القضية - دائما - قضية سياق وموقف وحالة انفعالية تعم القصيدة وتجعلها تختلف عن الاخرى فان عناصر كثيرة من تلك الصور تنهار ويعاد تشكيلها عدة مرات على نحو مختلف ولمقاصد وغايات مختلفة ، ولذلك فان علاقة الظما بالارتواء والاشباع تنهار في قصائد يلح الشاعر فيها على هذا الظما وعلى مقدرته على التحمل ويزهو به ، ملفياً - بوعي وتعمد - أي خيار آخر :

ولبو كشتفتني لبلوت خرقا
يصافي الاكرميين ولايصادي
جديرا ان يكرز الطرف شررا
الى بعض الموارد وهو صادي^(١٠١)

وتصير العلاقة بين الظما والارتواء خاصة جداً ، حين يتعلق الامر بالزمن والرؤية الى الزمن ، فظما الدهر وارتواؤه نمط آخر مختلف ، نمط يكشف عن نظرة تشاؤمية ، وذلك يظهر من جانبين : الاول : كون الزمن عند الشاعر ظامناً ابداً ، أي استمرار الحالة وبوامها :

يادهز قذك وقلما يغني قدي
واراك عيش الظم مز المورد^(١٠٢)

والثاني : كون هذا الظما الدائم لايتحقق له الاشباع الا من خلال الموت ، وهي الفكرة التي ظلت تتكرر في قصائده الرثائية ، كقوله :

موتا وقتلا كان الدهر يظما ما
عاشوا وينقح ما ماتوا وماقتلوا^(١٠٣)

ومع (الظما) ثمة فعل آخر من النمط ذاته ورد كثيراً في قصائده هو : (الجفاف) ، والجفاف قد يكون دائماً او مؤقتاً ، عرضة للزوال او البقاء ، فالشاعر يتلاعب بمدى عمق الحالة ومدى بوامها او زوالها ، بحسب طبيعة السياق في القصيدة . ففي موقف رثائي يبدو من المناسب ان يختار (الجفاف) حالة مجسدة للجذب الذي يحسه الشاعر باثر فقدان المرثي ، جفاف دائم بازاء رحيل دائم هو (الموت) :

مثلاً - أفعال الظما والجفاف ، وتشتمل من جهة اخرى على الافعال والاضاع التي تحقق سداً لهذه الحاجة (اشباعها ، أية كانت طبيعة هذا الاشباع ودرجته ، وتكاد تندرج درجات الاشباع من المستوى الأدنى فالمستوى الاوسط وصولاً الى حدود عليا ، وهي بذلك تضم :

- ١ - البلبل : مما يقع ضمن الحد الأدنى .
- ٢ - الشرب : السقي ، الارتواء ، ضمن الحدود المتوسطة .
- ٣ - الارتاع : الاتراع ، الملء ، الكرع ، مما يقع ضمن الحدود العليا .

وبذلك فان المجموعة الاولى تضم في الحقيقة نوعين وتقع في شقين : الاول منها يظهر حالة من الاحساس احساس فاجع بالحرمان ويبحث لاهث في الوقت نفسه عن وسائل للاشباع ، لاسيما في قصائد المديح حيث يتزايد احساس الشاعر بالحرمان والشهوة امام عطايا الممدوح التي تستدعي الاستعطاف والاستجداء - احياناً - ، ولايرد الظما في مثل تلك القصائد الا مصحوباً بوجود المنابع على مقربة منه امعاناً في تصوير حجم اللوعة والحرمان :

اكابرنا عطفاً علينا فإنا
بنا ظما مُرد وانتم «ناهل»^(١٠٤)

ولئن بقي الاحساس بالظما بمنأى عن أي تطمين فمن بعض الصور فانه يحقق الاشباع في صور اخرى بما يتفق وجو القصيدة مهما كانت طبيعة هذا الظما ومهما كانت درجة الاشباع ، حتى ولو كان اشباعاً على سبيل التوهم لايقود الى انفراج كما يفترض بل يزيد في الايلام والايذاء ، كقوله في ابيات نسيبية :

كان عليه الذمغ ضربه لازم
اذا ماخامم الايك في الايك غنث
لئن ظمئت اجفان عيني الى البكا.
لقد شربت عيني دماً فتروث^(١٠٥)

لكن هذا الظما الفاجع قد يشبع عند الشاعر بنمط من الاوضاع المبالغ فيها ، منها اختياره حالة (الكرع) التي يستغلها الشاعر - بمهارة - في قصائد المديح والشكر للتعبير عن الرضا والقبطة ، كقوله :

ارويث ظمان الصعيد الهامد
وملات من جزعنيك عين الزائد
ولقد اتيتك صادياً فكرعت من
شيم الذ من الزلال الباردي^(١٠٦)

والالتفاتة - هنا - ليس في تدرج حالة الاشباع من (الارتواء - فالكرع) فحسب ، ولكن في هذا الالتقاط لفعل مخصوص

قضية سياق عام موضوعي ونفسي يتحكم بذلك ، كقوله في قصيدة
متاب :

وناديتني التثويب لا أنفي امرؤ
سلاك ولا استثنى سواك برافد
ولكنها مني سجايا قديمة
إذا لم يُجسَّجاً بي فليست بوارد^(٧٨)

وتنطوي بعض الافعال على حالة مبالغ فيها من الاشباع ، ففي
تجارب المديح التي تستغرق الحيز الاكبر من نتاج الشاعر والتي
تتضمن - في الغالب - ضرباً من المبالغة : المبالغة في رسم
صورة الحروم ، المبالغة في وصف حجم عطايا الممدوح ،
المبالغة في وصف شخص الممدوح ... الخ ، من الطبيعي ان يختار
الشاعر افعالا من نمط معين ، افعالا مثل : امتلا ، اترع ، اغم ...
الخ وبشكل صوره منها :

إذا أمة العافون ألفوا حياضه
ملاء وألفوا روضة غيز مجذب^(٧٩)
وقريب منه قوله في تصوير ياس الممدوح على أعدائه :

وقد أترعت منه الجوانح رهبة
بطلت لديها سورة الابطال^(٨٠)

وشبيه بهذا الفعل فعل آخر يصور درجة اخرى من الاشباع
هو الفعل (كرع) وقد وظف في احدى الصور لتجسيد دلالات
مميعة قصدها الشاعر وهو يخاطب الوزير الزيات محذراً :

فصرت وزيراً والوزارة مكرغ
يفض به بعد اللذادة كارغة^(٨١)

وربما يصل الاشباع الى مستوى لا مزيد فيه عليه ،
حينذاك سيظهر لنا فعل آخر هو (فاض) ، وقد أفاد منه الشاعر
في تجسيد جانب من تجاربه ، وإذا كان (الفيض) يعكس درجة
من الامتلاء والتدفق فانه يرتبط في وعي الشاعر بعطايا الممدوح
وهباته تتابع وتتراكم حتى تتراءى له حالة من فيض السيل :

فاض فيض الاتي حتى غدا الموسم من فضل سيبه موسوما^(٨٢)
وفي قصائد الحب والعشق فان الشاعر يابى لمواطفه واشواقه ان
تنساب وانما تفيض تعبيراً عن عطاء غزير ومتدفق :

ناوا فظلت لوشك البين مقلته
تندي نجيماً ويندي جسمه سقما
لكاذ شوقي يتلو الذمغ منسجماً
إن كان في الارض شوقي فاض فانسجماً^(٨٣)

ثوث لفراقه الاداب شعنا
وجفت بمسده غدر الكلام^(٨٤)

وفي قصيدة رثائية اخرى تتكرر الصورة ، ولكن - هذه المرة -
مع تفصيلات جانبية جديدة ، وان بقي الجوهر واحداً . فبعد ابيات
في تصوير فعل الزمن :

إن ريب الزمان يحسن أن يهدي الرزايا الى ذوي الاحساب
تاتي صورة الجفاف :

فلهذا يجف بعد اخضرار
قبل روض الوهاد روض الزوابي^(٨٥)

فجالة (الجفاف) واحدة في الحالتين ، ولكنها في الاخيرة ترد
ضمن علاقة ذات بعدين متداخلين : زمانية ومكانية ، ترصد ضرباً
من السبق الزمني باسبقيه فعل الجفاف (قبل ، بعد) وترصد
ايضاً ضرباً من السبق المكاني لانتشار حالة الجفاف (روض
الوهاد - روض الزوابي) ، في صورة ترسخ جانباً من الحركة
والصيورة وعدم ثبات الاشياء ، جدلية الجفاف والاخضرار ،
الموت والولادة ، فالجفاف يعقبه اخضرار والاخضرار يؤول الى
جفاف .

على ان هذا (الجفاف) يرد في صورة اخرى مصحوباً
بحالة من الانفراج ضمن سعي لكسر طوق هذه الحالة باستدعاء
اسباب من الترطيب والبلل واللين ، وهذا لا يتحقق الا في القصائد
التي نلمس فيها شيئاً من التفتح النفسي ، كقوله وهو ينوي
الرحيل عن الممدوح - وقد احس جفوة منه - الى بلاد اخرى تحده
آمال وتوقعات بالدجاج :

ساقطع امطاء المطايا برحلة
الى الوطن الغري هجراً وموصلاً
الى الزحم الدنيا التي قد أجفها
عقوقي عسى أسبابها أن تبللا^(٨٦)

ما تقدم من كلامنا كان يخص الشق الاول من المجموعة ، اما
الشق الثاني فيضم افعال الاشباع وهي متنوعة ومختلفة ، منها :
(شرب ، ارتوى ، ورد) وتوظف في اغلب الصور بدلالات متقاربة .
فاذا اراد الشاعر ان يصور مشاعر الرضا والقبطة بقاء ممدوحه
اختار الفعل (أروى) لاحتواء الصورة :

فمتى أروى من لقائك همتي
ويضيئ قولي من سواك ومقولي^(٨٧)

وقريب من ذلك استخدام حالة (الورد) ضمن صوره
الشعرية وهو ورد غير معلوم او محسوم النتائج ، قد يتحقق من
خلاله الاشباع او لا يتحقق فيكون خائباً ، والقضية مرة اخرى

فلا يكتفي بفيض الدمع ، وهو من المألوف والمعتاد ، وإنما يشاء أن يفيض أشواقه عبر رؤية استعارية تتلاعب بالشرق وتخرجه من قوامه وتكوينه الروحي الاثيري إلى قوام جديد وتكوين محسوس يتلبس لبوس القوام السائل القابل للجريان والفيض .

ب - الانبثاق والاخراج .

تتنوع افعال الاخراج الموظفة ضمن صورة الماء في شعر ابي تمام من جوانب عديدة : من حيث كونها تلقائية طبيعية تحصل بانبثاق طبيعي (نبع ، انبعق) ، او ان تكون غير طبيعية تتدخل في حصولها قوى اخرى بدافع وقصد ، اي ليس ظهوراً طبيعياً وإنما اظهار بفعل فاعل - اذا صح التعبير - ثم ان تتحكم الافعال وان كانت متقاربة ومتشابهة في تحقيق الفعل النهائي وهو انزاج الماء لكنها متباينة في طبيعة هذا الاخراج ودرجته ونوعه ، فهي مختلفة من حيث حالة الخروج شدة او ضعفاً ومن حيث زمن التدفق ديمومة او انقطاعاً .

وهي جوانب خصبة تنوعت اساليب الشاعر في توظيفها بما يتلاءم وتجربة القصيدة . فاختيار الفعل (نزح) في أكثر من صورة مقروناً بالبئر (الركي) وتكرار ذلك في المقطع الطالي خاصة ، له ما يبرره اذا ادركنا بعض ما يشتمل عليه هذا الفعل من معان تفصيلية محيطية بالدلالة (الام) ، وهي النزح والاخراج بما يتطلبه العمق المكاني لموقع الماء في البئر لتحقيق الاخراج من جهد ومشقة ، فنزوح الماء من البئر لا يقتصر على دلالة الاستخراج فحسب بل هو ينزع بعسر وشدة ، وليس ذلك فقط ان الدلالة تمتد أكثر ، فنزح الماء يعني استنفاه حتى اتي على كل ما فيه ، فهو - ان - اخراج متصل يكاد لا ينتهي الا بانتهاء الماء الموجود^(٧٤) . وهو ما لعل الشاعر وعاه جيداً باحساسه اللغوي المهرف الذي دفعه الى تكرار الفعل غير مرة في موقف طالي يتطلب مثل هذه الشدة ، وكان من تمام جوه البكاء المتصل منذ ان سن امرؤ القيس هذا التقليد البكاني في مقطع الطلل حيث وقف واستوقف وبكى واستبكى ، لتستمر مواقف البكاء من بعده^(٧٥) ، وإن هذا الاتجاه قول ابي تمام :

نَزَحْتُ بِهِ رَكِيَّ الْعَيْنِ أَنِّي

رَأَيْتُ الدَّمْعَ مِنْ خَيْرِ الْعَتَادِ^(٧٦)

وتتكرر الصورة ثانية في مقطع طالي آخر :

سَنَنْتُ عِبْرَاتِهِ الْأَطْلَالَ حَتَّى

نَزَحْنَ غُرُونَهَا نَزْحَ الرُّكِيِّ^(٧٧)

وفي الجانب المقابل ، في اجواء مختلفة تماماً ، ينتخب الشاعر فعلاً آخر من افعال الاخراج والنزع ، يعكس حالة من التدفق التلقائي السلس المجرد من المشقة والعنت ، ضمن جو مفعم بالخصب ، هو الفعل (نبع) الذي افاد منه الشاعر في قصيدة مدحية يصف فيها الممدوح بقوله :

إِذَا قَالَ أَهْلًا مَرْحِبًا نَبَعْتُ لَهُمْ

مِيَاءُ النَّدى مِنْ تَحْتِ أَهْلِ وَمَرْحِبٍ^(٧٨)

ولعل موطن شعرية الصورة لا يمكن في اللقطة الاستعارية (مياه الندى) فهي من المألوف في الشعر العربي ، بل في هذا العهد المكاني الذي منحه الشاعر لمياه الندى بنقل الظرف (تحت) من دلالة المكانية الحسية البصرية المعروفة (تحت المنضدة ، تحت الرف) الى حالة محسوسة من نوع آخر ، ليس في مياه الندى وإنما في انبثاق هذه المياه من مكن آخر غير مألوف ومرئي وإنما يُحس به ويستشعر على نحو عاطفي ، في هذه النقلة الاستعارية للظرف (تحت) من حيزه المكاني المرئي (نبعث المياه من تحت الارض) الى حيز عاطفي خاص (نبعث المكارم من خلل حفاوته وبشاشته) .

وقريباً جداً من دلالة هذه الصورة ومن اسلوب تشكيلها قول الشاعر في قصيدة مديح اخرى - مما يدل على ان الصورة ظلت تلج على ذهن الشاعر - :

فَتَى نَرَاهُ فَتَنَلِي الْعَسْرَ غَزْوَتَهُ

نَفِيًّا وَيَنْبِغُ مِنْ أَسْرَارِهَا الْيُسْرُ^(٧٩)

وفي انتقالة ثالثة الى حالة مغايرة من انبثاق الماء يكون التدفق غزيراً مع شدة في الحركة التي هي - غالباً - حركة مفاجئة يستثمر الشاعر الفعل (انفجر) ونظيره المضغف فَجَر ، بالداليتين التلقائية والقصدية ، ويتأكد على تضاد الحالة : (تدفق السائل من الصلب) (تفجر الماء من الصخر) ، وافاد من ذلك كثيراً في قصائد المديح .

ففي مقطع بنى على حالة من الصراع بين طرفين : نواب الزمان وعطايا الممدوح ، ثم عطايا الممدوح بازاء عطايا الآخرين ، في مقارنة بينهما لتأكيد غلبة جانب ممدوحه - طبعاً - ، يبدأ الصراع بقوله :

صَدَمْتُ مُوَاهِبَةَ النَّوَابِ صَدْمَةً

شَقِبْتُ عَلَى شَقَبِ الزَّمَانِ الْإِنْكَدِ

ان صداماً من هذا الضرب لاشك في انه يستدعي نوعاً من التدفق يوازيه في الشدة والغزارة ، لا يتبدو ملائماً معه افعال مثل نبع او نزح ، فاهتدى الشاعر الى الفعل (فجر) :

وَطَلَّتْ حَزُونُ الْجُودِ حَتَّى خَلَّتْهَا

فَجَرَتْ عَيُوناً فِي مَتُونِ الْجَلْمِ^(٨٠)

والالتفاتة في هذه الصورة تكمن في خصوصية عطايا الممدوح التي صيرت مكاناً من جود الآخرين حزناً وصحراً - جزء من اسلوب المبالغة في شعر المديح - وهو ما يشكل الطوف الثاني من الصراع : عطايا الممدوح امام عطايا الآخرين ، فعطاياهم صخر وعطاياهم ماء متفجر متدفق .

وتخبطو صورة (تفجر الماء) خطوة اخرى ، فإذا كانت

الصورة في البيت القادم قد اظهرت حالة من التضاد الآتية ويخرجها من هذا التضاد الى حالة من التماثل (خروج السائل من السائل) ، في قصيدة مديح حيث يقول :

فاوليتني في النائبات صنائعا
كان أياديها فجزن من البحر^(٨١)

فقد تداخلت حدود الاشياء في هذه الصورة : (تفجر الماء من البحر) تعبيرا عن الانبثاق المتصل والمستمر و (تفجر العطية من البحر) كناية عن نوام المعطاء بكل ثقل رمز البحر في رموز المديح المألوفة والشائعة في الشعر العربي .

ومع (فجر) و (تفجر) ثمة افعال اخرى دالة على الانبثاق ، منها الفعل (أنبط) الذي وصفه الشاعر على نحو بليغ ودال في صورة يصف فيها جانباً من احساس العرفان والشكر لممدوحه :

انبطت في قلبي لوابك مشرعاً
ظلت تحسوم عليه طير رجائي^(٨٢)

ومن افعال الاخراج الحاصلة بفعل فاعل والمقرونة بحالة من المشقة والجهد ، وبتحذير آلي خاص بها يرد فعل الامتياح على نحو متكرر في شعره ، وهي دلالات افاد منها الشاعر كثيراً في صوره وبرز بعضها او جميعها بما يستدعيه الموقف في القصيدة ، كقوله - مثلاً - مركزاً على دلالة الجهد والمشقة :

ساجهذ عزمي والمطايا فائني
أرى العفو لا يمتاح إلا من الجهد^(٨٣)

الماء - ان - في رؤية ابي تمام جوهر الاشياء ، بوجوده يتحقق لها كيائها ، واستلابه يتهدد هذا الكيان ، وتعدد أساليب هذا الاستلاب : بالموت الذي يأتي على ماء الحياة ، وبالزيف الذي يكثر ماء الحقيقة ، وبالخوف الذي يمتص ماء البطولة ، بين حدي الوجود والاستلاب كان الشاعر حريصاً عبر صورته الشعرية على أن لا يبذد ماء الابداع أو يفرط فيه .

هوامش

- (١) تنظر : نظرية الادب : ٢٣٩ ، ٢٤٩ ، ٢٧٣ ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب : ٧ ، الصورة الفنية في شعر ابي تمام : ١٠٩ ، دير الملاك : ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٣٦٩ ، جدلية الخفاء والتجلي : ٢١ ، ٤٥ ، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي : ٧ - ١٨ .
- (٢) جدلية الخفاء والتجلي : ٢٧ .
- (٣) اخبار ابي تمام : ٥٣ .
- (٤) ديوان ابي تمام ، برواية الصولي : ١٧٨ / ١ .
- (٥) الموازنة بين الطائيين : ٢٤٤ .
- (٦) اخبار ابي تمام : ٣٥ ، ٣٦ .
- (٧) ينظر : ابو تمام وقضية التجديد في شعره : ١٥٤ ، ١٥٨ ، وتكاد تجمع المصادر والمراجع التي ترجمت لحياة الشاعر على انه اتخذ هذه المهنة سبباً للرزق في صباه . ينظر : تاريخ بغداد : ٨ / ٢٤٨ ، ابو تمام : حياته وحياة شعره : ٦٥ .
- (٨) انظر : الصورة الفنية في شعر ابي تمام : ٢٩ ، التصور والخيال (ضمن موسوعة المصطلح النقدي) : ١٧ ، ٣٢ .
- (٩) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب : ١٣ .
- (١٠) ابو تمام وقضية التجديد في شعره : ١٥١ .
- (١١) تنظر : الشعر والتجربة : ٨١ ، ٨٨ ، ٩٧ . يقول ارسطو في ذلك : ان الاستقارة الجيدة تشتمل على الادراك الحدسي لسر التجانس في الاشياء غير المتجانسة .
- (١٢) ديوان امرئ القيس : ١٨ .
- (١٣) ديوان ابي تمام : ٤٤٨ / ١ .
- (١٤) الديوان : ٨٧ / ٣ .
- (١٥) م . ن : ٢ / ٢٦٤ في رثاء احمد بن هارون القرظي .
- (١٦) الديوان : ٣ / ٥٣٨ في معاتبة الحسن بن وهب .
- (١٧) م . ن : ١ / ٤٠٠ ، وتنظر : الاغاني : ١٦ / ٣٨٤ .

- (١٨) م . ن : ٣ / ١٣٧ .
 - (١٩) الديوان : ٢ / ٣٦٣ .
 - (٢٠) البقرة : ١٦٤ .
 - (٢١) النحل : ٦٥ .
 - (٢٢) الانبياء : ٣٠ .
 - (٢٣) الثور : ٤٥ .
 - (٢٤) الزخرف : ١١ . وينظر ايضاً : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، مادة ماء : ص ٦٨٤ ، حيث يذكر آيات قرآنية اخرى في هذا المعنى .
 - (٢٥) يجلو هذه الدلالة ويوضحها قول لبيد بن ربيعة الشاعر :
- وما المـال والاهـلـون الا ودائع
ولا بد يوماً ان تسرد السودائع
- (٢٦) الديوان : ٢ / ٢٨٣ في رثاء خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني .
 - (٢٧) الديوان : ٣ / ٢١٦ في رثاء خالد بن يزيد .
 - (٢٨) م . ن : ٢ / ٢٣١ .
 - (٢٩) الديوان : ٣ / ٩٢ . المقوة : الساحة وماحول الدارج
 - (٣٠) م . ن : ٢ / ٤٤٨ .
 - (٣١) م . ن : ٣ / ٦٤٢ .
 - (٣٢) الديوان : ٣ / ٢٨٩ .
 - (٣٣) م . ن : ٣ / ٢٦٦ .
 - (٣٤) م . ن : ١ / ٥٣٢ .
 - (٣٥) م . ن : ٣ / ٢٤٧ . القصيدة في تمزية محمد بن سعيد بابيه .
 - (٣٦) الديوان : ٢ / ٤٦٠ .
 - (٣٧) م . ن : ٢ / ٣٩٥ .
 - (٣٨) م . ن : ١ / ٤٧٢ .
 - (٣٩) م . ن : ١ / ٦٠٣ .
 - (٤٠) الديوان : ٣ / ٥٣٣ .

- (٦٦) الديوان : ٢/٢١١ ، ٢١٢ .
 (٦٧) م . ن : ٢/٢٦٠ . في مدح الحسن بن وهب .
 (٦٨) الديوان : ١/٤٦٣ . التتويب : وقت الفجر . يجاجا : يدعى الى ورود الماء .
 (٦٩) م . ن : ١/٢٤٦ . في مدح عياش بن لهيعة .
 (٧٠) م . ن : ٢/٢٠٧ . في مدح المعتصم وقتل بابك الخرمي .
 (٧١) م . ن : ٢/٣٤٤ .
 (٧٢) م . ن : ٢/٤٠٢ . يمدح أبا سعيد الثغري .
 (٧٣) الديوان : ٢/٤٣٢ ، ٤٣٣ .
 (٧٤) ينظر : لسان العرب : ٢/٦١٤ ، ٦١٥ .
 (٧٥) تنظر حالة البكاء المتصل والمبالغ في أبيات أبي تمام :
 أنا الرسوم فقد أذكرن ماسلفنا
 فلا تكفن عن شأنك أو يكفنا
 لا عذر للصبي أن يقني الحيساء ولا
 للدمع بعد مضي الحي أن يقفنا
 حتى يظلل بماء سافج ودم
 في الخد يحسب من عينيه قد زعفا
 (الديوان : ٢/٤٧) .
 (٧٦) م . ن : ١/٣٨٠ .
 (٧٧) م . ن : ٣/٥٩ . سنت : سقت .
 (٧٨) م . ن : ١/٢٤٦ . في مدح عياش بن لهيعة .
 (٧٩) الديوان : ١/٥٣٤ . في مدح عمر بن عبد الميز الطائي .
 (٨٠) م . ن : ١/٤٢٥ . في مدح الخليفة المأمون .
 (٨١) الديوان : ١/٥١٨ .
 (٨٢) م . ن : ١/١٨٦ . في مدح محمد بن حسان الضبي ، الوأي ، الوعد .
 (٨٣) م . ن : ١/٤٨٥ .
 (٤١) م . ن : ١/٥٣٢ .
 (٤٢) م . ن : ٢/٢١٥ .
 (٤٣) م . ن : ١/٤٤٣ . يمدح أبا سعيد الثغري .
 (٤٤) الديوان : ١/٢٣٤ .
 (٤٥) م . ن : ١/٣١٣ . في مدح محمد عبد الملك الزيات .
 (٤٦) م . ن : ٣/٣٦ .
 (٤٧) الموازنة : ١٢٥ .
 (٤٨) الديوان : ١/٤٢٠ ، ٤٣١ .
 (٤٩) م . ن : ١/١٩٨ .
 (٥٠) م . ن : ١/٢٩٢ .
 (٥١) م . ن : ٢/٩ .
 (٥٢) الديوان : ٢/٣٥٦ . المصرية : التي مطرت مطراً قليلاً وتشجم : يدوم عليها المطر .
 (٥٣) م . ن : ٣/٥٩ ، ٦٠ . الأبيات في وصف المعركة التي قتل بها بابك الخرمي .
 (٥٤) الديوان : ١/٣١ .
 (٥٥) م . ن : ١/٤٣٣ . الأبيات في مدح أبي سعيد الثغري .
 (٥٦) الديوان : ٣/٣٥٦ . المعطن : مبارك الأبل حول حوض الماء .
 (٥٧) الديوان : ٢/٣٤٣ . الأبيات في مدح الزيات لوزيد .
 (٥٨) م . ن : ١/٣٤٥ .
 (٥٩) الديوان : ١/٤٢٢ . يمدح أبا سعيد الطائي .
 (٦٠) لسان العرب : ٢/٢٤٥ .
 (٦١) الديوان : ١/٣٨٥ . الخرق : الظريف والسمع اكرام من الرجال .
 (٦٢) الديوان : ٣/٢٧١ .
 (٦٣) م . ن : ٣/٢٤٢ .
 (٦٤) م . ن : ٢/٤٥٤ .
 (٦٥) م . ن : ٣/٢٠٥٣ .

المصادر والمراجع

- أبو تمام الطائي (حياته وحياة شعره) ، نجيب البهيتي ، ط ٢ ، دار الفكر ، مصر ، ١٩٧٠ .
 - أبو تمام وقضية التجديد في الشعر ، د . عبدة بدوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ١٩٨٥ .
 - اخبار أبي تمام ، أبو بكر الصولي ، تحقيق محمد عبدة عزام وآخرون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م .
 - أغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، مصور عن مطبعة دار الكاف ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر .
 - تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، المكتبة السلفية ، المجنة المنورة (ب . ت)
 - التصور والخيال ، موسوعة المصطلح النقدي ، زل ، بريد ، ترجمة د . عبد الواحد لؤلؤة ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٧٩ م .
 - دير الملاك (دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر المراني المعاصر) ، د . محسن اطميش ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٨٢ .
 - ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ط ٤ ، القاهرة (ب . ت) .
 - شرح الصولي لديوان أبي تمام ، تحقيق خلف رشيد نعمان ، ج ١ ، دار الرشيد للنشر ، ط ١ ، بغداد ١٩٧٧ ، ج ٢ ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٧٨ ، ج ٣ ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٨٢ .
 - الشعر والتجربة ، ارشيبالد ماكليس ، ترجمة سلمى الخضراء الجبوسي ، منشورات دار البقعة العربية للتأليف والترجمة والنشر .
 - الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي عند العرب ، د . جابر عصفور ، ط ٢ ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨٣ .
 - الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، د . عبد القادر الرباعي ، اريد ، الاردن ١٩٨٠ .
 - الصورة الفنية في الشعر الجاهلي (في ضوء النقد الحديث) ، د . نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الاقصى ، عمان ١٩٧٦ .
 - لسان العرب المحيط ، ابن منظور ، اعداد وتصنيف يوسف خياط ، دار لسان العرب ، بيروت (ب . ت) .
 - الموازنة بين أبي تمام والبحتري ، الامدي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار المسيرة (ب . ت) .
 - نظرية الادب ، أوستن وأرين وريديك ويك ، ترجمة محيي الدين صبحي ، نشر المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، دمشق ، ١٩٧٢ .



مصادر البيروني

في علم الاحجار الخريمة

أ. د. عماد عبد السلام رؤوف

كلية التربية ابن رشد - جامعة بغداد

ترجمة عربية ، او وسيطة كالسريانية مثلاً ، ومتى ترجم ، وما هي العنوانات الكاملة لهذه الاصول ، الى غير ذلك من المعلومات التي يبقى البحث ، بسبب نقصانها ، ناقصاً ، ويعوزه الكثير من الادلة والاسانيد.

ويمكننا ان نعد كتاب البيروني (ابي الريحان محمد بن احمد المتوفى سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م) المعنون « الجماهر في معرفة الجواهر »^(١) حذاً فاصلاً في تطور هذا العلم ، يؤشر انتهاء مرحلة تكونه ، بما اتسمت به من اعتماد على مصادر ذات صفة اسطورية ، كما في « منافع الاحجار » لعطارد ، او سكوت عن ذكرها اصلاً ، كما في كتب يوحنا بن ماسويه ، والكندي ، لتبدأ به مرحلة جديدة من التطور ، اتسمت بتقبل منهج البحث ، والتوسع في التجربة ، ونقد المعلومات السابقة بروح علمية جديدة ، فيها قدر وافر من الثقة بالنفس وبدقة الوسائل المستخدمة . ومن ناحية اخرى فان هذه المرحلة اتسمت بتوفر المصادر اللازمة للبحث ، اما بلغاتها الاصلية ، او عن طريق ترجمة عدد مهم منها من تلك اللغات ، فاسهم ذلك كله في اغناء حركة التأليف بالمزيد من المعلومات ، وهو ما اثر - من ثم - على احجام الكتب التالية ، ووسع من نطاقها ، الى حد كبير . وتقدم دراسة مصادر البيروني في علم الاحجار معلومات قيمة عن اهم المؤلفات العربية المبكرة في هذا العلم . فضلاً عن

تكشف دراسة التأليف العربية المبكرة في علم الاحجار ، في بعض جوانبها . عن مدى اهمية اللبانات الاولى التي استند اليها المؤلفون القائلون في هذا العلم ، ومقدار ما نقلوه ، واستفادوا منه من تراث الامم السالفة ، كما توضح تواريخ نقل الكتب المؤلفة بغير العربية ، اليها ، وصولاً الى تحديد حجم ، ونوعية ، الاضافات التي قام بها المؤلفون العرب في تلك المرحلة المبكرة من مراحل تطور العلم ، وهي ما يمكن ان نسميها بمرحلة التكون والنشوء . من المؤسف حقاً ان كثيراً مما صنفه العرب ، او تحضّل في ايديهم من اصول ، ابان تلك الحقبة ، فقد ، ولم يصل الينا لنتمكن من دراسته وتحليل مصادره ، وما وصلنا منها اقتصر غالباً على عنواناتها فحسب ، واذا كانت هذه العنوانات تعبر - الى حد ما - عن مضامينها ، فانها لم توضح هوية التراث الذي تنتمي اليه ، ولم تنوه - بالضرورة - باسماء مؤلفيها ، وما اذا كانت اصلية ، ام مترجمة . ومع ان قسماً منها وصلنا عن طريق ما تفرق من نصوصها في الكتب المؤلفة في الحقبة التالية ، فان ثمة معضلة تبقى تواجه الباحث ، وهي ان اولئك المؤلفين لم يكونوا يميزون غالباً بين المصادر الاصلية ، والمصادر المنحولة ، فنسبوا معلومات جمة الى مؤلفين سابقين لم تعرف لهم عناية بهذا العلم اصلاً ، او انهم لم يقدموا ايضاحات كافية عن طبيعة ما يستقون منه معلوماتهم ، بآية لغة كتب ، وما اذا كانوا ينقلون عنه مباشرة ، ام عن طريق

الكتب المؤلفة في لغات أخرى ، ودخلت في نطاق البحث العلمي أبان الحقبة التالية . وميزة البيروني انه صرح بعنوانات أكثر ما استقى منه معلوماته ، وكان له رأي - أحياناً - في صحة نسبة بعضها ، وفي نقدنا نقداً موضوعياً ، بل انه نوه - في حالات محددة - باسماء مترجميها ، وان لم يعرف لبعضها مؤلفاً حدد زمن تأليفها ، بل بلغت به الدقة ان وصف احداً النسخ الخطية التي لديه من تلك الكتب .

ويمكننا - في هذا المجال - ان نقسم مصادر البيروني في علم الاحجار الى المجموعات الآتية :-

أولاً : مصادر يونانية

اعتمد البيروني على مجموعة مهمة من المصادر اليونانية ، أصيلة ومنحولة ، تبحث في علم الاحجار وما يتصل بها ، كما احتوت هذه المجموعة على كتب في علم الادوية المفردة نوهت ببعض ما كان يعزى الى الاحجار من فوائد طبية ، وهذه المصادر هي :-

١ - كتاب الاحجار المنسوب الى ارسطوطاليس . وهو من الكتب القديمة المنحولة الى ارسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق . م) والبيروني هو اول من تنبه الى زيف تلك النسبة ، اذ سمى « كتاب الاحجار المنسوب الى اسم ارسطوطاليس » وقال « ما اظنه الا منحولاً عليه »^(١) ومن المحتمل انه اعتمد النسخة العربية التي قام بترجمتها لوقا بن سراجيون (القرن الرابع للهجرة / ١٠ م)^(٢) ويرى باحثون ان هذا المترجم نقل الكتاب من السريانية ، لا من اليونانية ، لانه لا اصل له بهذه الاخيرة ، وانه كان موجوداً بالسريانية في نحو سنة ٦٠٠ ميلادية^(٣) وعن طريق الترجمة العربية ذاع صيته في اوربا ، فترجم الى اللاتينية غير مرة ، احداها لجيرارد الكريموني ولقد نشر روسكا هذا الكتاب ، وترجمه الى اللغة الالمانية (هايد ليرك ١٩١٢) ووقفنا نحن على نسخة في ايا صوفيا باستانبول برقم (٣٦١٠) وبعد مقابلتها على النصوص التي نقلها البيروني تبين لنا انه ثمة اختلافات غير قليلة بين النصين مما يدل على ان الكتاب ، ليس في حقيقته ، غير روايات مجموعة ، تبحث في الاحجار ، خصائصها وتكوينها ومواطنها ، تختلف في ترتيبها ولفظها بين نسخة واخرى ، ومنو ما يدل عليه قول صاحب مخطوطة ايا صوفيا في اول مخطوطته « اني جمعت في كتابي هذا كتب الاحجار من عدة كتب ، والجميع يصفون (كذا) من نور العلم ارسطوطاليس الحكيم المستخرج من كتاب هرمس الحكيم »

نقل البيروني من هذا الكتاب عدة نصوص تبحث في بعض عيوب الياقوت وفي مواطن حجر السبناج ، ومعدن الكبريت ، وفي بعض خواص الذهب ، ومواطن العقيق والجزع . وصرح بنقده ما لم يره صحيحاً منه ، فقال في كلامه على مواعد الكبريت « ومن الخرافات فيه ما في كتاب الاحجار ان معدن الكبريت الاحمر عند مغرب الشمس بقرب البحر المحيط .. الخ »^(٤)

٢ - كتاب شرح العلل . ذكر اسم الشارح ، وهو احمد بن علي ، لكنه لم يذكر اسم مؤلف الاصل ، ومن الواضح انه كتاب « العلل » المسمى ايضاً « سر الخليفة وصناعة الطبيعة » المنسوب الى بولونيوس التياني والمعروف بالعربية ببليناس ، وبليونس الحكيم (القرن الاول للميلاد)^(٥) وقد رجح ناشر كتاب الجماهر ان يكون اسم الشارح كاملاً هو احمد بن علي بن محمد الرماني المعروف بابن الشرايبي (توفي سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م)^(٦) ولا دليل يؤيد هذا الترجيح ، فالرماني كان نحويّاً ، لم يؤثر عنه اي اهتمام بغير كتب النحو ، ولم يعن بكتاب في العلل ، فضلاً عن كتاب العلل خاصة . اما الاصل ، اعني كتاب « العلل » فلم تعرف له غير ترجمة عربية شاعت في القرن الثاني او اوائل القرن الثالث للهجرة (٨ ، ٩ م) وكانت ثمة دلائل تشير الى ان للكتاب اصلاً باليونانية ، او بالسريانية ، او انه ترجم من اليونانية الى السريانية . ويفيد الكتاب انه ترجمة قام بها قس من اهل مدينة نابلس اسمه ساجيوس Siagus^(٧) ، ولا ندري ما اذا كان هذا قد ترجمه من اليونانية الى السريانية ، ام منها الى العربية ؟ وهي الترجمة التي اطلع البيروني على شرحها . والغريب ان الاخير لم ينقل عن هذا الشرح الا نصاً واحداً ثانوياً ، يبحث في السبب الجغرافي لتسمية النهار نهاراً مع ان كتاب العلل نفسه ضم فصلاً مطولاً ، ومهماً ، في تكون الاحجار بشكل واحد من ستة فصول يتألف منها الكتاب . وعلى اية حال ، فاننا نجد عرضاً واسعاً للكتاب لجابر بن حيان (توفي في حدود سنة ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م) عنوانه « كتاب الاحجار على رأي بليناس » وكان روسكا قد نشر مقتطفات من النص العربي في دراسته المنشورة سنة ١٩٢٦^(٨) ثم تولت السيدة اورسولا فاييز نشره كاملاً ، مع مقدمة باللغة الالمانية ، وصدر عن معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب سنة ١٩٧٩ م^(٩)

٣ - كتاب الغصب (في فهرست ابن النديم : الغضب والضاد المعجمة)^(١٠) تأليف افلوطرخس ، مفسر كتب ارسطوطاليس . نقل عنه البيروني خبراً عن قبة البلور التي كانت الملك رومية ايارون^(١١)

٤ - كتاب لاوريياسيسوس (ورد في النسخة المطبوعة من الجماهر مصحفاً الى اويياسيسوس ، اورياسيسوس) وهو الطبيب الشهير من برجامون المتوفى سنة ٤٠٣ م .^(١٢) ولم يذكر البيروني عنوان كتابه ، ومن المرجح ان يكون كتاب « الادوية المستعسلة » الذي ذكره ابن النديم^(١٣) ، فان ما نقله عنه يبحث في ما يعزى الى اللؤلؤ غير المتقوب من فوائد صحية^(١٤) وقد تفرقت بعض نصوص الكتاب في قسم الادوية المفردة من كتاب « الحاوي » لابن بكر بن زكريا الرازي (المتوفى سنة ٢١٤ هـ / ٩٢٩ م)^(١٥)

٥ - كتاب لا طيوس الامدي ، لم يذكر عنوانه ، وهو موسوعة طبية باليونانية في خمسة عشر كتاباً ، وضعها أثيوس الامدي Aetios of Amida الطبيب في بلاط الامبراطور جستانيان (٥٢٧ - ٥٦٥ م)^(١٦) . نقل منه البيروني نصاً عن الماس معتمداً على

ترجمة عربية قام بها مترجم يدعى ابو الخير^(١٦) ومن المحتمل ان يكون هذا المترجم هو: ابو الخير اليهودي، احد المتفلسفين ببغداد في القرن الرابع للهجرة، وله آراء فلسفية سجلها ابو حيان التوحيدي في كتاب «المقابسات»^(١٧)

واضافة الى ما تقدم، فان البيروني اشار الى مصادر يونانية لم تختص بعلم الاحجار، ولم تفرد لها فصلاً من فصولها، وانما افادت - بصفة ثانوية - في معرفة بعض الجوانب التي لها تعلق بها، ولذا فان اشاراته اليها جاءت سريعة، ونادرة، مثل كتب هيرقليدس Heracleides^(١٨) وجالينوس Galen^(١٩) وديسقوريدس Dioskoredes^(٢٠) كما انه لم يوضح ما اذا كان ينقل من ترجمات هذه الاصول مباشرة. ام عن طريق مؤلفات سابقة.

ثانياً : مصادر شرقية

تلقت هذه المجموعة نظر الباحث لما تثل عليه من تنوع مصادر المعرفة العربية، في هذه الحقبة المبكرة، وشمولها تراث امم شتى، غير التراث اليوناني، وهو ما يبعث على اثاره مسائل مهمة تتعلق بما كان لهذه الشعوب من كتب اودعتها خبراتها العلمية الموروثة، ومصادر تلك الخبرات وطبيعتها ونطاقها، فضلاً عن تواريخ نقل هذه الكتب الى العربية، وهويات مترجميها ان كان قد جرى ترجمتها، وهذه الكتب :

١ - توبوسته. كتاب يبحث في الخز وحقاكاها، بلغة السغد (الصفد : من الشعوب التركية في اواسط آسيا) نقل عنه البيروني نصاً «في ذكر الشاننج» وهو يقيم صلة ما بين لون حكاك الخز، وحالة الانسان النفسية والعاطفية والصحية. وقد انتقد البيروني مثل هذه الاعتقادات.^(٢١)

٢ - كناش الخوز.

انفرد البيروني بالاشارة الى هذا الكتاب، ورجح ناش «الجماهر» انه «من تصنيف عدة من الاطباء في جند يسابور»^(٢٢) وهو ترجيح راجح، لعدم تخصيصه باحد الاطباء المعروفين الذين مارسوا التطبيق والتدريس في مدرسة جند يسابور الطبية الشهيرة (ازدهرت في القرون ٥ - ٨ للميلاد) وكانت هذه المدرسة معدودة - جغرافياً - ضمن اقليم الخوز، في جنوبي غربي الهضبة الايرانية، بيد ان التدريس فيها، ولغة التأليف ايضاً، هي السريانية، فمن المفهوم ان يكون الكتاب بهذه اللغة.

٣ - المجلد والمفصل. تأليف سسر (وفي احدى نسخ الجماهر: سيسرد باضافة الياء) نقل عنه البيروني نصاً في بعض فوائد حجر الافلوج من اشباه الياقوت^(٢٣) وسسر هذا هو Susruta من اطباء الهند، وقد ترجم له الطبيب منكه Mankah الهندي كتابه الطبي الى العربية في اواخر القرن الثاني للهجرة^(٢٤)

٤ - الاشباه. تأليف: نصر بن يعقوب الدينوري، ويلقب بالجوهري البغدادي (كان حياً سنة ٣٩٧ هـ / ١٠٠٦ م)^(٢٥)

لم يذكر عنوان كتابه كاملاً، وانما قال «نصر في اشباهه» فكانه اراد: اشباه الجواهر، او الجواهر واشباهها^(٢٦) وهو عنوان يقرب من عنوان رسالة للكندي في الموضوع نفسه (سياتي الكلام عليها) ويظهر ان الرسالة كانت تميل الى الايجاز، حتى انه وصفها بـ «مقالة» وقال انه عملها بالفارسية لمن لم يهتد لغيرها، وصرح بان مؤلفها «تابع للكندي في اكثرها»^(٢٧).

ولقد افرد البيروني جل هذه الرسالة في كتابه، اذ اورد منها اكثر من عشرين نصاً مطولاً، تحدثت عن الياقوت، موطنه واشباهه واخباره والوانه وعن احجار البجاذي والماس واللؤلؤ، صفاته ومفاصاته، وعن الفيروزج والمقيق، والجزع، والجمست، والدهنج، واليشم، والبانزهر، وحجر الحية، وعدا ما نقله البيروني من نصوص، فليس ثمة معلومات اخرى عن الكتاب، لفقدان نسخه، وعدم تنويه مترجمي نصر بن يعقوب بكتابه المذكور، وفي نص نقله عنه البيروني^(٢٨) يشير الى كتاب الآيين، وهو في القواعد التعليمية لملوك الفرس القدماء، مما قد يلقي ضوءاً على طبيعة مصادره.

٥ - كتاب هندي. لم يذكر عنوانه واسم مؤلفه، ويظهر ان البيروني لم يطلع عليه بنفسه، فانه قال «وقرىء علي من كتاب هندي»^(٢٩) ومن الراجح ان لغة الكتاب هي الهندية (السانسكريتية) وانه لم يكن مترجماً الى العربية لينقل عنه البيروني مادته العلمية مباشرة.

ثالثاً : مصادر غير محددة

نقل البيروني من مؤلفات اجترأ عنواناتها، او سكت عنها، فلم نهتد الى شيء من حقيقتها، ولم نتوصل الى اسماء مؤلفيها، واللغات التي كتبت بها، فمن تلك الكتب :

١ - كتاب المشاهير. نقل منه نصين، اولهما عن العصفور، وآخر عن حجر الدهنج، وانتقده في الاخير وصحح معلوماته^(٣٠)

٢ - كتاب المخزون. نقل منه نصاً في موطن الياقوت. ويظهر من عبارته انه كتاب شامل في اخبار الامم، وان ما نقله منه خاص ببلاد الصين. قال «ونكروا في اخبار الصين من كتاب المخزون»^(٣١) ولم نقف على كتاب بالعنوان المذكور، له هذه الصفة.

٣ - كتاب الطب. سكت عن ذكر عنوانه، ويظهر انه يبحث في علم الادوية المفردة، فقد نقل عنه نصاً في منافع طبية لحجر اليشب^(٣٢).

٤ - كتب سماها «مجهولة» ولعله لم يجد عليها ما يدل على عنواناتها او اسماء مؤلفيها او ازمان تأليفها، فنقل من «كتاب مجهول» خبراً عن ضرب من الياقوت الفاخر^(٣٣) ونقل من «الكتب المجهولة» نصاً مهماً عن صناعة الفصوص^(٣٤).

رابعاً : مصادر عربية

انفرد البيروني بالنقل من كتب ورسائل وضعها علماء عرب، في علم الاحجار، ابان القرون الاربعة التي سبقتة. واكثر هذه

الكتب لم يصلنا ، وبذا فان لنقوله اهمية خادمة في الكشف عن جانب من حركة التأليف العلمي في تلك الحقبة المبكرة من تاريخ الثقافة العربية الاسلامية . ولقد اكثر البيروني من النقل عن هذه الكتب ، فجاءت النصوص التي اختارها منها مطولة ، وتغطي معظم مباحث كتابه . وهذه الكتب :

١ - كتاب في الاحجار ذكر انه « مكتوب في الشام في زمان عبد الملك بن مروان قد اشتمل على نكت من هذا الفن وقيم الجواهر وقته »^(٢٦) وسماه في موضع آخر « الثبت الذي وجدته »^(٢٧) والاسم الاخير اقرب الى وصف منهجه . وقد اعتمد في موضعين ، الاول عند كلامه على الياقوت ، والثاني في حديثه على اصناف اللؤلؤ ، واستفاد من معلوماته في عمل جدول ذي حقلين ، تضمنها عند اللآلي في الدراهم (وهذه الاعداد كتبت بشكل حروف) وقيمة الواحد بالدراهم (وكتبت رقماً) وسجل ملاحظة حول الاختلاف الشديد في أوزان اللآلي ، وحاول ان يجد له تفسيراً علمياً مقنعاً ، كما سجل وحدة النقد المستعملة في عهد كتابة هذا الثبت . ولقد سكت البيروني عن الاشارة الى اسم مؤلف الكتاب ، واغلب الظن انه خلا منه أصلاً ، وان لم يخله من اسم من ألف من اجله ، أو عهده ، وهو الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦ هـ / ٦٨٤ - ٧٠٥) ومن مكان تأليفه ، وهو دمشق ، فهو بذلك يمثل - على قدر علمنا - انتم كتاب عربي في هذا العلم . وعلى الرغم من اهميته ، فان احداً - بعد البيروني - لم يشر اليه . ولم ينوه به المفهرسون ومصنفو كتب تاريخ العلوم ، امثال ابن النديم والقفطي وغيرهم .

٢ - كتاب النخب . تأليف جابر بن حيان (توفي نحو سنة ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م) وموضوعه في الطلسمات^(٢٧) . ويظهر ان لهذه الطلسمات علاقة بضروب من الاحجار ، فذ نقل منه نصوصاً عن احجار : الجمست ، والدهنج ، والمغذطيس ، والاذرك ، والدرونك ، والخاصيني . وكان جابر قد احوال فبه على كتب اصيلة لافلاطون وارسطو واخرى موضوعة لابلونيوس (بليناس) وارشميدس . وثمة نسخ خطية منه في بعض خزائن الكتب^(٢٨) .

٣ - كتاب الرحمة . تأليف جابر بن حيان . وهو من كتب « الصنعة » وموضوعها المعادن والاحجار^(٢٩) . نقل عنه البيروني نصاً مهماً عن حجر المغناطيس^(٣٠) .

٤ - منافع الاحجار . تأليف عطارذ بن محمد الحاسب (توفي سنة ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م) نقل منه في موضعين ، الاول عند حديثه على بعض خواص حجر البانزهر ، ولم يذكر في هذا الموضوع عنوان الكتاب ، واكتفى بقوله « قال عطارذ بن محمد » والثاني عند كلامه على ما كان يعزى الى حكا الاحجار من منافع وتأثيرات صحية وروحية مختلفة . وقد صرح « بنا بعنوانه ، لكنه نقده نقداً لاذعاً ان قال « ولعطارذ بن محمد المناسب كتاب سماه منافع الاحجار اكثر فيه من هذا الباب ، الا انه - نطه بمثل العزائم والرقى فاسترسل »^(٣١) . وفي الواقع فانه لم ينقل ، بعد هذا النقد ، شيئاً عنه . وكان عطارذ قد عزا معلوماته الى « صادر تغلب عليها مسحة اسطورية ، منها كتاب الاحجار تأليف هرمس الحكيم ،

وكتاب الطلسمات للحكماء السبعة ، وكتاب اوجايقي في الطلسمات ، وهذه العنوانات ، على غرابتها ، لم تكن كافية لاغراء البيروني بالاعتماد على كتاب عطارذ اكثر مما فعل ، وهو قليل . ومن كتاب « منافع الاحجار » عدة نسخ خطية ، في باريس ويناكبور واستانبول ، وهي تختلف عن بعضها في كثير من الالفاظ^(٣٢) .

٥ - كتاب ليحيى (يوحنا) بن ماسويه (طبيب الخلفاء المتوفى سنة ٢٤٣ هـ / ٨٥٧ م) لم يصرح بعنوانه ، ومن المؤكد انه ليس كتابه في الجواهر الذي اسماه « كتاب الجواهر وصفاتها وفي اي بلد هي وصفة الفواصين والتجار »^(٣٣) والا لكان قد عرف به ، نظراً لاهمية هذا الكتاب في موضوعه ، ولاكثر النقل منه ، والنص الوحيد الذي نقله عنه ، هو في استخدام الابار (ضرب من الرصاص) في الانوية^(٣٤) مما يدل على انه احد كتب ابن ماسويه في الانوية المفردة ، مثل كتاب اصلاح الانوية المسهلة ، وكتاب المنجح في التداوي من صنوف الامراض والشكاوي ، وكتاب دفع مضار الانوية وغيرها^(٣٥) .

٦ - الجواهر والاشياء . تأليف : يعقوب بن اسحاق الكندي (فيلسوف العرب المتوفى نحو ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م) وهو احد مؤلفات الكندي في علم الاحجار ، لاننا نجد في قائمة مؤلفاته التي اوردها ابن النديم والقفطي كتابين في هذا المجال ، احدهما « رسالته في انواع الجواهر الثمينة وغيرها » والاخر « رسالته في انواع الحجارة »^(٣٦) وليس ثمة عنوان كالذي ذكره البيروني ، بيد ان ابن ابي اصيصة ذكر للكندي عنوانين في العلم ذاته ، لا ندري ما اذا كانا يمثلان الكتابين السابقين ، هما « رسالة في انواع الجواهر والاشياء » و « رسالة في نعت الحجارة والجواهر ومعادنها وجيدها ورديها واثمانها »^(٣٧) ومن الراجح ان يكون اولها هو ما اشار اليه البيروني ونقل عنه . وقد اثني على هذه الرسالة وامتحنها ان قال « ولم يقع الي في هذا الفن غير كتاب ابي يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي في الجواهر والاشياء ، قد افترع فيها عذرت ، وظهر نزوته ، كاختراع البدائع في كل ما وصلت اليه يده من سائر القنون ، فهو امام المحدثين واسوة الباقيين »^(٣٨) ولاعجاب البيروني برسالة الكندي ، فانه كاد ان يفرغ جل مادتها العلمية في كتابه ، حتى بلغ عدد النصوص التي نقلها منها نحو خمسين نصاً ، اغلبها مهم في بابه . وقد عمدنا الى جمع هذه النصوص ، فاستوت لنا - تقريباً - رسالة قائمة بذاتها تبحث في الاحجار الكريمة وتتطرق الى ضروب من الحجارة تشبهها ، وكنا قد وقفنا في دار الكتب المصرية بالقاهرة على رسالة للكندي ، لا عنوان لها ، تبحث في الاحجار الكريمة ، فلما قابلناها على هذه النصوص ، تأكد لنا ان ما نقله البيروني يمثل رسالة مستقلة عنها ، اكثر تفصيلاً ، واوفر مادة ، واغنى تجربة .

٧ - كتاب للطبيب صهاربخت . لم يذكر عنوانه ، ومؤلفه هو صهاربخت بن عيسى بن ماسرجويه (عاش ببغداد في خلافة الرشيد) وقد نقل عنه البيروني نصين ، الاول في ان الدهنج هو حجر المسن^(٣٩) والثاني في ايجاد طريقة لصناعة الزجاج^(٤٠) .

وكلا النصين لا علاقة لهما بالطب ، او بالادوية المفردة ، وهما مجال اختصاص صهاربخت وموضوع تأليفه^(٥٠) مما يحمل الى الظن بانها نقلًا من كتاب آخر له ، يبحث في مجال الاحجار خاصة ، او ما يقرب منه ، ولم يصلنا خبره .

٨ - الخواص . تأليف : محمد بن زكريا الرازي (المتوفى سنة ٣١١ هـ / ٩٢٣ م) نقل منه خبرين ، الاول عن كنيسة بمصر يخرج منها زيت^(٥١) والثاني عن مواطن الحجر الجالب للمطر في ارض الترك^(٥٢) . للكتاب عنوان آخر اكثر تفصيلاً هو « الخواص والاشياء المقاومة للأمراض » يظهر ان الرازي تكلم على هذه المواد بوصفها داخلية في نطاق الادوية ، وان تطرق - كما في هذين النصين - الى المواطن التي يجلب منها . وللكتاب نسخ خطية عدة في خزائن دار الكتب المصرية ومشهد وطهران^(٥٣)

٩ - كتاب لحمزة بن الحسن الاصفهاني (توفي بين سنتي ٣٥٠ و ٣٦٠ هـ / لم يصرح بعنوانه ، وقد نقل منه نحو ستة عشر نصاً ، تبحث في احجار الكهريا والخمائناخ والبرد والسم والبلور والجزع والجريز وجريال العصفور والياقوت والبسذ والذهنج والبانزهر والموميا واللالي والمنك والماسوري^(٥٤) . ومن المرجح ان يكون الكتاب هو « كتاب الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية » ففيه باب خاص بالحجارة ، او باسمائها ، ومن كتاب حمزة هذا نسخة خطية في دار الكتب المصرية ، لكنها ناقصة جداً . وقد سقط منها هذا الباب برمته^(٥٥) .

١٠ - كتاب في الجواهر تأليف الاخوين الحسن والحسين الرازيين ، الجوهريين في بلاط السلطان محمود الغزنوي (٢٨٧ - ٤٢١ هـ / ٩٩٧ - ١٠٣٠ م) نقل عنه نصوصاً عديدة تشمل احجار الياقوت واللالي والزمرد والخنتو^(٥٦) واكثر هذه النصوص في وصف ضروب من الاحجار الكريمة مما كان في خزانة السلطان محمود - وبعض الامراء في بلاطه .

١١ - كتاب في الجواهر . ذكر انه من تأليف نصر بن احمد الخطيبي ونقل عنه اخبار قليلة في مواطن حجر البجادي في المغرب ، وحجر الزمرد في صعيد مصر^(٥٧) . ولم نقف على ترجمة لهذا المؤلف^(٥٨) ومن المستبعد ان يكون نصر بن يعقوب الدينوري الذي تقدم ، لاختلاف اسم ابيه ولقبه .

١٢ - كتاب لابي علي بن مندويه ، لم يصرح بعنوانه ، ولعله احد المؤلفات الطبية لاحمد بن عبد الرحمن بن مندويه الاصفهاني (المتوفى سنة ٤١٠ هـ / ١٠١٩ م) وقد نقل منه نصين قصيرين « الاول في خصائص حجر البانزهر ، والثاني في طبيعة حجر البانزهر^(٥٩) »

وفضلاً عن ذلك ، فان البيروني استقى مواد كثيرة من كتب مختلفة لمؤلفين عرب لا تعلق لها مباشرة بعلم الاحجار ، منها كتب في التاريخ والادب والجغرافية ، مثل كتاب سماه « دليل الدنيا والاخرة »^(٦٠) الذي لا نعلم لاي مؤلف هو ، وان كان عنوانه لا يوحي بانه كتاب علمي ، فضلاً عن ان يبحث في الاحجار . ومثل « كتاب النبات » لابي حنيفة احمد بن داود الدينوري البغدادي (المتوفى سنة ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م)^(٦١) و « مسالك الممالك » للاصطخري (المتوفى سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)^(٦٢) و « المسالك والممالك » الذي نسبه الى المسعودي (المتوفى سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)^(٦٣) ولم نعلم ان للمسعودي كتاباً بهذا العنوان و « رسالة في السيوف » ليعقوب بن اسحاق الكندي^(٦٤) و « كتاب السيوف » لعلى الحداد الدمشقي^(٦٥) و « كتاب السلاح » للباهلي^(٦٦)

خامساً : مصادر اخرى

نقل البيروني معلومات جمة عن علماء التقى بهم واخذ عنه ملاحظاتهم في هذا الشأن ، منهم ابو حسن الطبري الترنجي^(٦٧) (نسبة الى ترنجه في طبرستان) قد تصحف ايضاً الى البرنجي) فقد نقل عنه نصين عن البانزهر والاسرب ، وابو معاذ الجوامكاني ، الذي نقل عنه نصاً عن حجر الموميائي^(٦٨) والسري الموصلبي^(٦٩) وقد نقل عنه نصاً عن الحجر نفسه ، وابو علي الاصبهاني ونقل عنه نصاً عن اللؤلؤ^(٧٠) ، وابو زيد الارجاني الذي نقل منه نصين في البسذ والكهريا^(٧١) وغيرهم . كما انه نقل عن اناس التقى بهم ، ولم يسمهم ، فقال « ذكر الجوهريون »^(٧٢) و « ذكر بعض الوافدين من غزته »^(٧٣) و « ذكر احد الصنائع الخوارزميين »^(٧٤) و « بعض اليهود الريانية »^(٧٥) و « بعض تجار البحر »^(٧٦) وغير ذلك .

الهوامش

(١) طبعته جمعية دائرة المعارف العثمانية في حيدرآباد الدكن سنة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م ، وقام بتحقيقه الدكتور سالم الكرنكوي الالماني مصحح الدائرة ، معتمداً على ثلاث نسخ في الاسكوريال وخزانة خاصة في تركيا وخزانة السراي باستانبول واعادت مكتبة عالم الكتب في بيروت طبعه بالتصوير على الطبعة الاولى دون ذكر تاريخ الطبع .

(٢) الجماهر ٤١

(٤) الجماهر ١٠٤

(٥) الجماهر ١٠٦

(٦) بليونس : سر الخليفة وصنعة الطبيعة (حلب ١٩٧٩) ص ١٢ من

(١) طبعته جمعية دائرة المعارف العثمانية في حيدرآباد الدكن سنة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م ، وقام بتحقيقه الدكتور سالم الكرنكوي الالماني مصحح الدائرة ، معتمداً على ثلاث نسخ في الاسكوريال وخزانة خاصة في تركيا وخزانة السراي باستانبول واعادت مكتبة عالم الكتب في بيروت طبعه بالتصوير على الطبعة الاولى دون ذكر تاريخ الطبع .

(٢) الجماهر ٤١

(٣) حول شخصية هذا المترجم شكوك ايضاً ، ويرى عبد الرحمن بدوي

مقدمة التحقيق.

- (٧) سزكين: المصدر السابق ١٢٥ - ١٢٧
(٨) يقع المتن في ٦٢٣ ص + ٢٩ ص عربية مقمداً، وفهرس + ٧٠ ص
فهارس + ٦٥ ص دراسة بالألمانية.
(٩) الفهرست (مط. الاستقامة بمصر) ٣٦٩
(١٠) الجواهر ١٨٦
(١١) السامرائي، كمال: مختصر تاريخ الطب العربي ٢٠٨ / ١ (بغداد ١٩٨٤)
(١٢) الفهرست ٤٢٠
(١٣) الجواهر ١٣٥
(١٤) احصى الدكتور كمال السامرائي (مختصر ٢٠١ / ١) عدداً من هذه النصوص
(١٥) السامرائي: مختصر ٢١٦
(١٦) الجواهر ١٠٠
(١٧) التوحيد: المقابسات، تحقيق محمد توفيق حسين (بغداد ١٩٧٠) ٤٦٦، ١٧٤
(١٨) الجواهر ١٠١
(١٩) الجواهر ٢١٣، ٢١٧
(٢٠) الجواهر ٢١٣
(٢١) الجواهر ٢١٧
(٢٢) الجواهر ٢٠٥
(٢٣) الجواهر ٨٠
(٢٤) ذكر ابن النديم (الفهرست ٤٣٨) ان كتاب سدر عشر مقالات، امر يحيى بن خالد (توفي سنة ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م) ملكه الهندي بتفسيره في البيمارستان ويجرى مجرى الكناش.
(٢٥) البغدادي، اسماعيل: هدية العارفين ٢ / ٤٩٠ و Brock., 1, 244, S. 1, 433
(٢٦) الجواهر ٥٢
(٢٧) الجواهر ٣٢
(٢٨) الجواهر ٣٢
(٢٩) الجواهر ٧٦
(٣٠) الجواهر ٣٥، ١٩٧
(٣١) الجواهر ٤٥
(٣٢) الجواهر ١٩٨
(٣٣) الجواهر ٣٤
(٣٤) الجواهر ٢٢٧
(٣٥) الجواهر ٥٠
(٣٦) الجواهر ١٣٠
(٣٧) الجواهر ١٩٤، ١٩٧، ٢١٥، ٢٢٧، ٢٢١
(٣٨) سزكين: المصدر السابق ٤ / ٣٨٢
(٣٩) المصدر نفسه ٤ / ٣٧٢
(٤٠) الجواهر ٢١٣
(٤١) الجواهر ٢١٧
(٤٢) انظر بحثنا «منافع الاحجار»، دراسة في اول مخطوط عربي في علم الاحجار الكريمة «مجلة المورد، المجلد ١٥ (بغداد ١٩٨٦) العدد ١ ص ٨٥ - ٩٦
(٤٣) منه نسخة في دار الكتب المصرية بالقاهرة (تيمورية ٣٦٣ مجاميع) اعتمدها في تحقيق الكتاب. ونشره (الهيئة المصرية العامة

للكتاب، مركز تحقيق التراث، القاهرة ١٩٧٧) ويقع في ١١٠ ص.

- (٤٣) الجواهر ٢٥٨
(٤٤) ابن النديم: الفهرست ٤٢٦ والقطبي: تاريخ الحكماء ٣٨٠ - ٣٩١ Brock., 1, 232
(٤٥) الفهرست ٢٧٨ وتاريخ الحكماء ٢٤٥
(٤٦) عيون الانباء في طبقات الاطباء (القاهرة ١٨٨٢) ٢١٢
(٤٧) الجواهر ٣١
(٤٨) الجواهر ١٩٧
(٤٩) الجواهر ٢٢٢
(٥٠) سزكين: المصدر السابق ٣ / ٢٤٢
(٥١) الجواهر ٧٢
(٥٢) الجواهر ٢١٨
(٥٣) سزكين: المصدر السابق ٤ / ٢٨١
(٥٤) الجواهر ٣٣ و ٣٦ و ٥١ و ٩١ و ١٧٥ و ١٨٥ و ١٩١ و ١٩٦ و ٢٠٠ و ٢٠٥ و ٢١٦ و ٢٢٠ و ٢٤٢
(٥٥) محفوظ، الدكتور حسين علي: حمزة بن الحسن الاصفهاني، سيرته وآثاره واراؤه في اللغة والتاريخ والبلدان، مجلة سومر، الجزء ١ و ٢ (المجلد ١٩، بغداد ١٩٦٣) ص ٨٨
(٥٦) الجواهر ٧٤ و ٧٨ و ١٢٧ و ١٢٩ و ١٥٠ و ١٥٤ و ١٦١ و ١٦٣ و ٢١٠
(٥٧) الجواهر ٥٥ و ١٦٦
(٥٨) ابن ابي اصيبعة ٢ / ٢١ وكحالة: معجم المؤلفين ١ / ٢٦٩
(٥٩) الجواهر ٢٠٠ و ٢٣١
(٥٩) الجواهر ١٦٦
(٦٠) الجواهر ٣٥
(٦١) الجواهر ١٦٢
(٦٢) الجواهر ٤٣
(٦٣) الجواهر ٢٥٦
(٦٤) الجواهر ٢٥٦
(٦٥) الجواهر ٢٥٢
(٦٦) الجواهر ٢٠٠، ٢٥٩، ١٤٤
(٦٧) الجواهر ٢٠٤
(٦٨) الجواهر ٢٠٤
(٦٩) الجواهر ٢٠٠
(٧٠) الجواهر ١٩٢، ٢١١
(٧١) الجواهر ٢٢٧
(٧٢) الجواهر ٢٦٠
(٧٣) الجواهر ٢٢٧
(٧٤) الجواهر ٢٤
(٧٥) الجواهر ٢٦٠



فلسفة الاخلاق

هند أبي بكر الرازي

د. طه جزاع

كلية الآداب - جامعة بغداد

عُرف ابو بكر الرازي طبيباً مشهوراً، في عصر ازدهار الحضارة العربية - الاسلامية، وذلك في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري والربع الاول من القرن الرابع الهجري^(١) واشتهر الى جانب الطب، بالفلسفة والكيمياء والهندسة، وله كتب ورسائل، في الطب وكثير من المعارف الطبيعية والالهية، تربو على المائة^(٢). لقد كان الرازي طبيباً أنساني النزعة، متفضلاً باراً بالناس، حسن الرأفة بالفقراء، يمرضهم ويجري عليهم الجرايات، اما سيرته العلمية، فقد كان دائم القراءة والكتابة، الى ان توفي عام ٣٢٠هـ^(٣).

يؤمن ابو بكر الرازي بالفلسفة التي كونتها عقول كثيرة. ويذكر ابن النديم ان السرازي درس الفلسفة على ابي زيد البلخي^(٤). وان الرازي كطبيب كبير، مارس الطب علمياً وعملياً، وقرأ الفلسفة في الوقت نفسه. لاسيما وانه عاش في بغداد في عصر ازدهار الترجمة، وتنوع المدارس الفلسفية في عاصمة الخلافة العباسية وكان يفضل التجربة على الاستدلال المنطقي، ومع ذلك، فهو يرى ان الفلسفة هي السبيل الوحيد للخلاص من آلام الحياة.

لعل أشهر وأهم كتاب للرازي في فلسفة الاخلاق، هو كتاب (الطب الروحاني)، الذي هو بين ايدينا الآن، كما ان هناك كتابين في الاخلاق هما كتاب (في اللذة) وكتاب (في السيرة الفلسفية).

ان الكتب الثلاثة المذكورة، من ضمن مجموعة كتب ورسائل ومقالات في الفلسفة العامة، جمعها وقدمها المستشرق بول كراوس في كتاب واحد^(١).

يعد كتاب "الطب الروحاني" للرازي كتاباً مهماً في فلسفة الاخلاق. ولا شك ان هدف الرازي من وراء تأليف هذا الكتاب، انه كان طبيباً كبيراً قبل ان شيء. لقد كتب كتاباً مهماً في الطب الجسماني مثل (الحاوي) و(المنصوري). اما كتاب (الطب الروحاني) فقد اراد ان يعالج به النفوس، ولهذا اطلق عليه عنوانه الذي اشتهر به وهو (الطب الروحاني).

يعتقد الرازي ان للنفس اثرأ كبيراً على الجسم، وان مزاج الجسم تابع لمزاج النفس. من هذا فانه يوجب على طبيب الجسم ان يكون طبيب نفس ايضاً.

بل ان الرازي اكثر من هذا، يجيز لطبيب الجسم ان يوهم مريضه بالصحة مهما كان المرض مستعصياً، لان النفس تعمل عملها المؤثر في الجسم^(٢). ويذكر ابن ابي اصيبعة كتاب (الطب الروحاني) ضمن كذب الرازي، ويعرفه انه كتاب بطب النفوس، ويقول ان غرضه هو اصلاح اخلاق النفس، وهو عشرون فصلاً^(٣).

يقول ابو بكر الرازي في مقدمة الكتاب، ان كتاب (الطب الروحاني)، عبارة عن مقالة عمدتها في اصلاح الاخلاق، قد اطلقت عليه اسم (الطب الروحاني)، ليكون قريباً لكتاب (المنصوري) الذي غرضه في الطب

الجسماني وعديلاً له، كي يضم اليه ويكون عموم النفع وشموله للنفس والجسد^(٤).

ندرك في الحال، ان الكتاب هو كتاب اخلاقي، يعالج امراض النفس، او بالاحرى يحذرنا من انزلاق النفس في الرذيلة.

وهو كتاب في اصلاح الاخلاق. ولا شك ان الكتاب مبكر، ويعد كتاباً رائداً في فلسفة الاخلاق، بالنسبة لتاريخ الفلسفة الاسلامية، اذا ما علمنا ان اغلب الكتب الاخلاقية، التي كتبها فلاسفة اسلاميون، سيكون تاريخ كتابتها في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري مثل كتاب (تهذيب الاخلاق) ليحيى بن عدي التكريتي^(٥)، وكتاب (تهذيب الاخلاق) لمسكويه^(٦) او في القرن الخامس الهجري، كما هو شأن كتب الغزالي^(٧) في فلسفة الاخلاق.

الشيء الذي اود ان اعطي رأيي فيه، ان كتاب (الطب الروحاني) لابي بكر الرازي كتاب مبكر في فلسفة الاخلاق الاسلامية. يمكن ان نطلق عليه عناوين اخرى مثل: اصلاح الاخلاق، او تهذيب الاخلاق، او تهذيب النفوس.

يعظم ابو بكر الرازي، العقل ويعد العقل خير نعمة حبانا بها الله، وأنا بالعقل نبليج المنافع العاجلة والآجلة^(٨) ويضيف: أنا بالعقل قد ميزنا عن الحيوان، وبه ندرك الامور الغامضة البعيدة، الخفية المستورة، وبه عرفنا شكل الارض والفلك وعظمة احجام الشمس والقمر وسائر الكواكب وابعادها وحركاتها.

انه يقول أننا بالعقل عرفنا الله عز وجل، الذي هو أعظم ما استدركنا وانفع ما اصبنا. أننا سعداء

بالعقل الذي يرشدنا الى طريق النجاة وصلاح العواقب، ولولاه لكانت حالتنا حالة البهائم والاطفال والمجانين^(١٧).

يقول الرازي ان غايته اصلاح اخلاق النفس وذلك بقمع الهوى، وتمارين النفس على ذلك، حتى يتم فضل الانسان ويتميز عن البهائم. ان الهوى في النفوس، يدعو ابدا الى اتباع اللذات الحاضرة واثارها من غير فكر ولا روية في عاقبة، بينما المفروض بالانسان استعمال الفكر والروية في حياته الطبيعية، كي يتجنب كثيراً من الويلات والآلام^(١٨). ويشير الرازي ويستشهد بالفيلسوف افلاطون، الذي يقسم النفس الانسانية الى نفس عاقلة، ونفس شهوانية، ونفس غضبية. فالنفس الشهوانية لادوام الحياة والنفس الغضبية لقمع الشهوات، وان النفس الناطقة هي التي تقود الانسان نحو طريق الخير^(١٩).

ينصح الرازي بعد هذا الانسان، بالتعرف على عيوب نفسه بنفسه، كي يتجنب كل ما يضره^(٢٠). اما العشق فانه مذموم برأي الرازي، لان العشاق ينقادون الى الشهوات وطاعة الهوى، ويؤثرون اللذة، ويعانون من الحزن والسهر. انه ينصح بزم النفس قبل الوقوع في العشق. ان تحكم العقل اولى بالانسان، وذلك بان يتجه الى الحكمة وما ينفع من العلوم^(٢١).

الشيء الذي اود ذكره في هذا الشأن، ان الرازي كتب كتابه هذا بصفته طبيباً، فأتينا نراه يصف المرض الاخلاقي ثم بعد ذلك يصف الدواء الناجع، الذي على هداه يستطيع الانسان ان يكون مستقيماً في حياته العامة.

فهو مثلاً يذكر رذيلة العجب في الانسان، وبعد

ذلك ينصح الانسان الا يكون معجباً بنفسه، بل ان الاولى به ان يكون متواضعاً لطيفاً مع الناس. ان الناس يحترمون في هذه الحياة من يعترف قدر نفسه، ولا يستعلي على الآخرين. والحسد عند الرازي صفة مذمومة ايضاً، وانه عارض رديء، يتولد من البخل والشرة، وان الرجل الشرير من يتمتع بإذى غيره، او يسوؤه اذا ما اصاب الخير احد من الناس. ان الحسد يكره الخير، ولذا فهو مذموم من لدن الجميع^(٢٢).

والغضب عند ابي بكر الرازي شر، انه يقول ان على الانسان ان يكون معتدلاً في حياته عاقلاً في موازنته للامور، لان الغضب سيعود على الانسان الغاضب، في نفسه او في جسده، عاجلاً او آجلاً. والكذب ايضاً صفة مقيتة، وعلى الانسان ان يطرح الكذب، لانه اذا ما افترض امره مرة، يبقى مردولاً مذموماً من لدن الآخرين.

والبخل ايضاً من الطباع المذمومة في الانسان، وان على الانسان ان يعود نفسه على الكرم من حين لآخر، كي يتخلص من عادة البخل الذميمة^(٢٣).

ويعالج الرازي مشكلة السكر معالجة تجمع بين حرفته كطبيب وبين كونه فيلسوفاً اخلاقياً. انه يقول عن السكر، انه من العوارض الرديئة، المؤدية بصاحبها الى المهالك والبلايا والاسقام. ان المفرط في السكر مشرف في أي وقت على السكنة والاختناق وعلى امتلاء بطن القلب الجالب للموت فجأة وعلى انفجار الشرايين التي في الدماغ، وعلى التردى والسقوط في الاغوار والآبار، كما ان السكر يسبب الحميات الحارة والاورام الدموية والصفراوية في الاحشاء والاعضاء الرئيسية في الجسم،

وعلى الرعشة والقالج، وما الى ذلك من امراض. ان السكر من آفات العقل، وعلى الانسان ان يتدارك أمره فيبتعد عن مواطن السكر والشراب^(١١).

كما ينصح الرازي الانسان لدفع الغم بما حباها الله من عقل. ان الغم يكدر العقل ويؤذي النفس والجسد، والمفروض بالانسان ان يحتال لصرفه ودفعه او التقليل منه والتضيق له ما امكن. اما دفع الغم - انما يقول الرازي - فيكون بوجهين: احدهما بالاحتراز، منه قبل حدوثه، لئلا يحدث او يكون ما يحدث اقل ما يمكن. والوجه الآخر دفع ما قد حدث ونفيه، اما كله واما اكثر ما يمكن منه والتقدم بالتحفظ، لئلا يحدث او ليقل او يضعف ما يحدث منه^(١٢).

يضيف الرازي بعد ذلك موضحاً، ان المادة التي منها تتولد الغيوم، انما هي المحبوبات، ولا يمكن ان تفقد هذه المحبوبات لتداول الناس لها وكرور الكون والفساد عليها، لذلك وجب ان يكون اكثر

الناس واشدهم غماً من كانت محبوباته اكثر عدداً، وكان لها اشد حباً، واقل الناس عما كانت حاله بالضد من ذلك. ينبغي اذن للعاقل ان يقطع مواد الغيوم عنه بالاستقلال من الاشياء التي يجلب فقدها غماً، بل يتذكر ويتصور المرارة المتجرعة عند فقدها^(١٣).

بخيل لي، ان ابا بكر الرازي قد قرأ واطلع على رسالة (الحيلة في دفع الاحزان) لابي يوسف الكندي، وذلك لوجود كثير من وجوه التشابه في العبارات في هذا الشأن.

يذكر الكندي في مقدمة رسالته هذه: ان الحزن

الم نفساني يعرض لفقد المحبوبات وقوت المطلوبات^(١٤). ثم يقول بعد هذا، ان القنينة الحسية والمحبوبات الحسية والطلبات الحسية، فانها موقوفات لكل احد، ولا يمكن تحصينها، ولا يؤمن فسادها وزوالها وتبديلها. ان كل شيء حسي يكون بعد اقباله مديراً. ان القنينات الحسية لا تكون خاصة، لانها مقبلة مدبرة^(١٥).

اما الرازي فيقول ان المحبوبات تصير كلها عند الانسان، اذا وجدها او طالت صحبتها له، في سقوط لذة وجودها عنه، ما دامت موجودة له وحصول شدة ألم فقدها عليه اذا فقدها^(١٦). ويضيف بعد هذا قائلاً: ان على الانسان ان يقلل من المحبوبات الحسية، لان الحزن عليها بعد فقدها اكثر من الاستمتاع بها حين وجودها لديه^(١٧).

يذكر الرازي بعد ذلك. ان العاقل اذا تفقد ونظر فيما يعتوره الكون والفساد في هذا العالم، ورأى ان عنصرها عنصر مستحيل منحل سيال لا ثبات لشيء منه ولا دوام له، بل كلها زائل دائر مستحيل فاسد مضمحل، فلا ينبغي اذن ان يستكثر ويستعظم ويستفزع ما سلب منه وفجع به منها، بل يجب عليه ان يعد مدة بقائها له فضلاً، وما استمتع به من ذلك ربها، لان فناءها وزوالها لا محالة. ان العقل يقول ان لا دوام للاشياء الحسية، لذلك ينبغي للعاقل ان يذكر النفس في حالة المصيبة بما تؤول وترجع اليه من هذه الحالة، وان كثيراً من الناس تصيبهم المصائب مثله، وهكذا عليه ان بطبع العقل والا يتبع الهوى ولا ينقاد له^(١٨).

ان الكندي نفسه يقول ان كل شيء فاتنا او فقدناه، قد فات خلقاً كثيراً وفقده خلق كثير^(١٩). ان الكون والفساد من طبيعة الامور الطبيعية. وان جميع الاشياء

التي تصل إليها، هي مشتركة لجميع الناس، لأن القنينة الحسية تنتقل من الناس إلى آخرين وليس من العقل في شيء الحزن عليها^(٣١). يضيف الكندي موضحاً: أنه إن كان واجباً أن نحزن على المفقودات والفائتات، فواجب أن نحزن ابداً، وهذا الشيء غير ممكن، ولذا فعلى العاقل أن يقلل من القنينة، وإذا فقد شيئاً محبوباً ألا يحزن عليه^(٣٢) وهكذا يقول أبو بكر الرازي: إن الإنسان قد تميز بالعقل عن الحيوان. ثم يقول بعد هذا، لا بأس على الإنسان بالافتناء والافتخار، ما دام ذلك يؤدي إلى حسن العيش.

مع ذلك فإن الرازي يوصي بالاعتدال في الافتناء، فلا يكون الإنسان محتاجاً ولا بطراً، فلا افراط ولا تفريط في هذا الشأن، بل على الإنسان أن يسلك مسلك الاعتدال في الافتناء، وذلك بما يقيم حالته، إذا ما حدثت له حادثة مانعة من الاكتساب^(٣٣).

يشير الرازي بعد ذلك، إلى أن خير المقتنيات وأبقاها واحمدها وأمنها عاقبة، هي الصناعات، لا سيما الطبيعية، والتي تكون الحاجة إليها دائمة^(٣٤).

إن ما يؤكد عبقرية الرازي نظريته الاقتصادية الرائعة، حين يقول: إن مقدار الاكتساب ينبغي أن يكون موازياً لمقدار الاتفاق وإذا كانت فضلة مدخرة فللنوائب والحوادث. مقدار الاتفاق إذن ينبغي أن يكون أقل من مقدار الاكتساب، مع وجوب الاعتدال في حياة كريمة، لا تقتير فيها، ولا ميل إلى الشهوات.

ثم يعالج أبو بكر الرازي مشكلة الخسوف من الموت، معالجة طبيب، علمي عملي، طبيب الناس، ولاحظ حالة المرضى، وكيف يعانون قبل أن يدركهم الموت،

ولكن مع ذلك، يبدو أنه قد اطلع على كتابات الكندي، ولا سيما رسالته الموسومة (الحيلة في دفع الاحزان) ولوجود التشابه في العبارات بين ما جاء في كتابه الفيلسوفين، ففهما يخص الموت يقول الرازي إن الإنسان لا يناله بعد الموت شيء من الآذى بتاتا، لأن الآذى حس والحس ليس إلا للحي وهو في حالة حياته مغفور بالآذى منغمس فيه. يقول بعد هذا إن حكم العقل في حالة الموت اصلح من حالة الحياة على حسب اعتقاده في النفس^(٣٥). أما الكندي فيقول إن الموت ليس برديء إنما خوف الموت رديء، لأن الموت إنما هو تمام طباعنا، فإن لم يكن موت لم يكن إنسان، لأن حد الإنسان أنه حي ناطق ماتت^(٣٦).

ويشير الرازي أنه لا داعي للخوف من الموت، ويجب إطراح هذا الهم عن النفس، لأن الهم في هذا الشأن يجلب اضعاف اضعاف ما هو منتظر، لأن المتصور للموت الخائف منه يموت في كل صورة موتة، فتجتمع عليه من تصوره له مدة طويلة، مواتات كثيرة. الأجود إذن والاعود على النفس، التنطف والاحتيايل لهذا الغم عنها. إن الإنسان الفاضل العاقل، المكمل لاداء ما فرضت عليه الشريعة المحقة، لأنها قد وعدته الفوز والراحة والوصول إلى النعيم الدائم، وإذا كان مقصراً باداء ما تمليه الشريعة، فإن الله تعالى أولى بالصفح عنه والغفران له^(٣٧).

أما كتاب (السيرة الفلسفية)، فهو كتاب أخلاقي، يعالج فيه الرازي سيرة الإنسان، ويرسم له الطريق كي تكون سيرته سيرة عادلة. وإن أغلب مؤرخي الفلسفة القدماء يذكرون هذا الكتاب ضمن كتب رسائل أبي بكر

يمرض عليه، بل ما يفيد ويقي جسمه، ولا ان يتكشف الى درجة ان يؤذي نفسه^(٣٧).

يعرج ابو بكر الرازي بعد ذلك على سيرته الشخصية. ويقول ان سيرته سيرة فلسفية على المستويين، العلمي والعمل. وانه يستحق عن سيرته هذه ان ينال لقب فيلسوف. ويعطي امثلة على كثير من الكتب التي كتبها، والتي يستحق عليها لقب فيلسوف، مثل كتب (السيرة الفلسفية) و (في البرهان) و (في الطب الروحاني) و (المدخل الى العلم الطبيعي) و (في الزمان والمكان والمدة والذهر والخلاء) و (في شكل العالم) و (سبب قيام الارض وسط الفلك) و (سبب تحرك الفلك على استدارة) و (في التركيب) ويذكر غير هذه من الكتب في الطب والابوية والاعذية.

ويقول: انني كتبت في صناعة الحكمة وفي فنون الفلسفة اكثر من مائتي كتاب ورسالة. ويختم ذكر كتبه بالقول: ان لم يكن مبلغ من العلم المبلغ الذي استحق ان اسمى فيلسوفاً، فمن هو ليت شعري ذلك في دهرنا هذا^(٣٨).

اما في الجزء العلمي، فيقول: ان سيرتي تستحق ان تسمى سيرة فلسفية. ثم يضيف قائلاً: انه ما ظهر مني شره في جمع المال وسف فيه، ولا على منازعات الناس ومخاصمتهم وظلمهم، بل المعلوم مني ضد ذلك كله والتجافي عن كثير من حقوق. اما حالتي في مطعمي ومشربي ولهوي، اني لم اتعد الى طرف الافراط، اما صحبتي للعلم وحرصي عليه واجتهادي فيه فمعلوم عند من صحبني وشاهد ذلك مني، انني مكب على القراءة والكتابة طوال عمري^(٣٩).

المهم في هذا الشأن، ان الرازي ينصح الانسان

يرى الرازي، ان الانسان الذي يريد: ان يسير سيرة فاضلة، عليه الا يكون هدفه في هذه الدنيا، اللذات الجسدية، بل المفروض به ان يكون هدفه اثناء العلم واستعمال العدل، اللذين بهما يكون خلاصه عن عالماً هذا، الى العالم الذي لا موت فيه ولا ألم^(٤٠).

لا شك ان طبيعة الجسم وهوى النفس يدعواننا الى اثار اللذة الحاضرة، ولكن العقل كثيراً ما يدعونا الى ترك اللذات الحاضرة لامور يؤثرها عليها.

ان لذات الدنيا وآلامها منقطعة بانقطاع العمر، على ان لذات العالم الذي لا موت فيه، دائمة غير منقطعة ولا متناهية. ان المغبون من اشترى لذة بائدة منقطعة متناهية بدائمة باقية غير منقطعة ولا متناهية. وان الرجل العاقل الفاضل، يترك كثيراً من اللذات المباحات، ليمرن نفسه على ذلك ويعودها، فيكون ذلك عليه في الموضع الواجب اهون وايسر، وذلك لان العادة تسهل العسير وتؤنس المستوحش منه، في الامور النفسية والامور الجسدية^(٤١).

فالعاقل من الناس ان لا ينقاد الى لذة قد يكابد منها ألماً في مستقبل الايام. ان الانسان يعلم عام اليقين، انه ليس من الخلق ولا من العدل ان يؤلم الانسان غيره، فالاولى به ان لا يؤلم نفسه^(٤٢).

ان على الانسان ان يعرف قدر نفسه، في المأكول والمشرب والملبس، وان يكون معتدلاً، لا الى الحد الذي يحرم نفسه من كثير من الطيبات الضرورية للحياة، ولا الى الافراط في الملاذ والشهوات. المهم في هذا الشأن الاعتدال. ان الانسان الطبيعي من يأكل ما لا يضره ولا

بأن يقتدي بالسيرة الفاضلة التي سسار عليها أفاضل الفلاسفة، وذلك بمعاملة الناس بالعدل والخذ عليهم بعد ذلك بالفضل واستشعار العفة والرحمة، والنصح للكل والاجتهاد في نفع الكل. يضيف الرازي أن الإنسان إذا لزم العدل والعفة، وأقل من مباحكة الناس ومجاذبتهم سلم منهم على الأمر الأكثر، ولا بأس أن يضم ذلك بالافضل عليهم والنصح والرحمة لهم، كي يلقي منهم المحبة والاحترام^(١).

ولابي بكر الرازي كتاب مشهور في فلسفة الاخلاق ايضا اسمه كتاب (اللذة) يذكره الرازي نفسه في كتاب (الطب الروحاني)^(٢) وفي كتاب (السيرة الفلسفية)^(٣) كما يذكره كثيرون من مؤرخي الفلسفة الاسلامية، مثل ابن النديم^(٤) وابن أبي أصيبعة^(٥) وابن العبري^(٦)، وصدر الدين الشيرازي^(٧).

ان اللذة عند الرازي هي الراحة من الالم، ولا

توجد لذة الا على اثر ألم، كما ان اللذة اذا استمرت صارت المأ. يقول الرازي: ان الحالة التي ليس فيها لذة ولا ألم فهي من الطبيعة وهي لا تدرك بالحس^(٨).

ان الاحساس باللذة والالم اذن يكون بأحساس الانسان بتغير الحال، اما ان يكون بالخروج عن الطبيعة او بالرجوع الى الطبيعة. ان الخروج عن الطبيعة يؤدي الى الالم والرجوع الى الطبيعة يكسب اللذة. ان الحالة الطبيعية اذن للمتأثر كوسط بين الخروج عن الطبيعة، الذي يؤدي الى الالم، وبين الرجوع الى الطبيعة الذي تحدث عنه اللذة والراحة، اما الحالة الطبيعية فليست المأ ولا لذة^(٩).

وهكذا نجد الرازي فيلسوفا اخلاقيا الى جانب كونه طبيباً اخترقت شهرته الآفاق شرقاً وغرباً. وهو من اوائل الذين مارسوا الطب النفسي (الروحاني) نظرياً وعملياً قبل ان يبلغ هذا الطب مكانته المعروفة في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين.

الهوامش

(١) القفطي: تاريخ الحكماء ص ٢٧١.

(٢) القفطي: المصدر نفسه والصفحة نفسها.

صاعد الاندلسي: طبقات الامم ص ٧١.

ابن النديم: الفهرست ص ٤٣٠.

ابن أبي أصيبعة: عيون الانباء في طبقات اطباء جـ ١

ص ٣١١.

(٣) صاعد: طبقات الامم ص ٧١، القفطي: تاريخ الحكماء

ص ٢٧١.

(٤) ابن النديم: الفهرست ص ٤٢٩.

(٥) ابو بكر محمد بن زكريا الرازي: رسائل فلسفية، جمعها

وحققها بول كراوس، وقد طبع الكتاب عدة طبعات، لعل

آخرها طبعة دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٧.

(٦) ناجي التكريتي: الفلسفة الاخلاقية الافلاطونية... ص ٢٤٨.

(٧) ابن أبي أصيبعة: عيون الانباء جـ ١ ص ٣١٥.

(٨) ابو بكر الرازي: رسائل فلسفية (الطب الروحاني) ص ١٥.

(٩) يحيى بن عدي التكريتي، توفي سنة ٤٦٥ هـ.

(١٠) مسكويه، توفي سنة ٤٢١ هـ.

(١١) الغزالي توفي سنة ٥٠٥ هـ.

(١٢) ابو بكر الرازي: الطب الروحاني ص ١٧.

(١٣) المصدر نفسه ص ١٨-١٩.

(١٤) المصدر نفسه ص ٢٠-٢٢.

(١٥) افلاطون: كتاب الجمهورية - الكتاب الرابع

ساتلاتنا، تاريخ المذاهب الفلسفية جـ ١ ص ٢٦٤.

(١٦) الرازي: الطب الروحاني ص ٣٣-٣٥.

(١٧) المصدر نفسه ص ٣٥-٤٦.

(١٨) المصدر نفسه: ص ٤٦-٥٤.

- (٣٦) الففطي: تأريخ الحكماء ص ٢٧٥. وابن أبي أصيبعة:
عيون الانباء ص ٣١٦. وابن النديم: الفهرست ص ٤٣٣.
(٣٧) الرازي: السيرة الفلسفية ص ١٠١.
(٣٨) الرازي: السيرة الفلسفية ص ١٠٢.
(٣٩) المصدر نفسه ص ١٠٤.
(٤٠) المصدر نفسه ص ١٠٧.
(٤١) الرازي: السيرة الفلسفية ص ١٠٨-١٠٩.
(٤٢) الرازي: المصدر نفسه ص ١٠٩-١١٠.
(٤٣) الرازي: الطب الروحاني (فصل: في السيرة الفاضلة)
ص ٩١-٩٢.
(٤٤) الرازي: الطب الروحاني ص ٣٨-٣٩.
(٤٥) الرازي: السيرة الفلسفية ص ١٠١-١٠٣.
(٤٦) ابن النديم: الفهرست ص ٢٩٩.
(٤٧) ابن أبي أصيبعة: عيون الانباء ج ١ ص ٣١٥.
(٤٨) ابن العبري: مختصر تأريخ الدول ص ٧٧.
(٤٩) الشيرازي: الاسفار الاربعة ص ٣٦٦.
(٥٠) الرازي: كتاب اللذة ص ١٤٨-١٤٩.
(٥١) المصدر نفسه ص ١٥٠-١٥١.

- (١٩) الرازي: الطب الروحاني ص ٤٧-٥٠.
(٢٠) المصدر نفسه ص ٧٢-٧٤.
(٢١) الرازي: الطب الروحاني ص ٦٤-٦٥.
(٢٢) الرازي: المصدر نفسه ص ٦٥.
(٢٣) الكندي: الحيلة في دفع الاحزان ص ٦.
(٢٤) المصدر نفسه ص ٧-٨.
(٢٥) الرازي: الطب الروحاني ص ٦٦.
(٢٦) المصدر نفسه ص ٦٦.
(٢٧) الرازي: الطب الروحاني ص ٦٧-٦٩.
(٢٨) الكندي: الحيلة في دفع الاحزان ص ١٥.
(٢٩) المصدر نفسه ص ١٧.
(٣٠) الكندي: الحيلة في دفع الاحزان ص ١٩-٢٠.
(٣١) الرازي: الطب الروحاني ص ٨٠-٨٣.
(٣٢) المصدر نفسه ص ٨٤.
(٣٣) الرازي: الطب الروحاني ص ٩٤.
(٣٤) الكندي: الحيلة في دفع الاحزان ص ٢٨.
(٣٥) الرازي: الطب الروحاني ص ٩٦.

المصادر:

- ١- ابن أبي أصيبعة: عيون الانباء في طبقات الاطباء، القاهرة ١٨٨٢.
- ٢- ابن العبري: مختصر تأريخ الدول، بيروت ١٨٩٠.
- ٣- ابن النديم: الفهرست، القاهرة - مطبعة الاستقامة.
- ٤- ابو بكر الرازي: رسائل فلسفية، تحقيق بول كراوس، الطبعة الثانية، دار الافساق الجديدة، بيروت ١٩٧٧.
- ٥- ابو يوسف الكندي: الحيلة في دفع الاحزان، ضمن كتاب: (رسائل فلسفية) تحقيق عبدالرحمن بدوي، بيروت ١٩٨٠.
- ٦- سانتلانا: تأريخ المذاهب الفلسفية.
- ٧- صاعد الاندلسي: طبقات الامم، القاهرة - من دون تاريخ.
- ٨- صدر الدين الشيرازي: الاسفار الاربعة، طبعة حجر طهران ١٢٨٢هـ.
- ٩- الففطي: تأريخ الحكماء، القاهرة - مطبعة الخاتجي.
- ١٠- ناجي التكريتي: الفلسفة الاخلاقية الافلاونية، بغداد ١٩٨٨.

واسمها (عقد اللآلي في القراءات السبع العوالي) ،
(الكفاية في القراءات الست) لأبي عبد الله سبط
الخياط (ت ٥٤١ هـ) و (الكافي في القراءات السبع)
لأبي محمد بن شريح (ت ٤٧٦ هـ) و (الكنز في
القراءات العشر) لأبي عبد الله بن عبد المؤمن
(ت ٧٤٠ هـ) .

ويأتي في مقدمة المصادر التي انتفع منها القصيدة
الشاطبية الموسومة بـ (حرز الأمانى بوجه التهاني) في
القراءات السبع ، لأبي القاسم الشاطبي (ت ٥٩٠ هـ) ،
فقد اقتبس منها في أحد عشر موضعاً كان يكتفي فيها بنقل
جزء من بيت يتضمن مكان الاحتجاج ؛! موضعاً واحداً ذكر
فيه بيتين تامين .

كما يأتي في مقدمة الكتب التي اعتمد عليها (النشر
في القراءات العشر) لابن الجزري (ت ٨٢٣ هـ) ، فعلى
الرغم من أن المؤلف ذكره مرة واحدة إلا أنه نقل منه نصوصاً
ضمنها المسائل الثلاث الأخيرة من غير إشارة إلى المصدر ،
ومن ضمنها إشارات إلى آراء العلماء وكتبهم في الورقات
(١٥ و) و (١٥ ظ) و (١٨ ظ) تين لي أنه لم يرجع
إلى الكتب نفسها وإنما اعتمد على ما أورده صاحب
(النشر) . وعلى ذلك نبهت في هوامش التحقيق ، ودلت
على مكانها الصحيح من ذلك الكتاب .

ولاحظت بعض الأوهام التي وقع فيها المؤلف عند
الاقتراب ، مثل نسبته قولاً للداني وهو من كلام ابن الباذش
في الورقة (١٣ ظ) ، ومثل ذكره بعض الأعلام على غير
حقيقته .! في الورقات (١٥ و) و (١٦ و)
(١٦ ظ) ، وقد نبهت عليها في التعاليقات على المتن .
وهذه الهفوات لا تشكل نقصاً يخل بقيمة العمل الذي
يمثل ظاهرة في الدرس اللغوي ، سجل لنا فيه المؤلف
مسائل صوتية تبين اختلاف الناس عصره في طريقة نطق
بعض الحروف ، وما كان يدور في مجالدهم وأنديتهم من
تساؤلات ومناقشات تتعلق باللغة العربية وعلوم القرآن
الكريم .

— ٢ —

أما مؤلف الرسالة فهو محمد بن أحمد بن داود
المقرئ ، المشهور بابن النجار ، كنيته أبو عبد الله ، ولقبه
شمس الدين الدمشقي الشافعي .

ولد سنة ٧٨٨ هـ تقريباً ، ولا نعرف شيئاً كثيراً
حياته ، ولكن يبدو أنه أخذ العلم من شيوخ عصره في
دمشق ، وذكروا من هؤلاء صدقة بن سلامة الضرير المقرئ
(ت ٨٢٥ هـ) ، أخذ عنه القراءات . ولما برع فيها تصد
لها بجامع بني أمية وغيره مفيداً الطالبين .

مهر ابن النجار ، مع تقدمه بعلم القراءات في
الحساب ، وكان له مجلس يعظ فيه الناس بجامع يلبه
بدمشق .

توفي سنة ٨٧٠ هـ بعدما خلف مصنفات مفيدة بق
منها ، غير المسائل الأربع ، الآتي :

— الإفهام في شرح وقف حمزة وهشام . منه مخطوطتان في
دار الكتب الظاهرية بدمشق برقم ٥٩٨٧ و ٣٧١٤ .
— التكبير في ختم القرآن ، منه مخطوطة في المكتبة
المذكورة رقمها ٥٩٨٧ .

— غاية المراد في معرفة اخراج الضاد . مطبوع
— نثر الدرر في معرفة مذاهب الأئمة السبعة بين السور
منه مخطوطة في دار الكتب الظاهرية في دمشق رقمه
٥٩٨٧ .

ولزيادة التعرف على ابن النجار ومصنفاته تراج
المصادر الآتية :

— الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، لشمس الدين
السخاوي ٦ / ٣٠٨ .
— الأعلام ، للزركلي ٥ / ٣٣٤ .
— معجم المؤلفين ، لكحالة ٨ / ٣٥٩ .
— فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (علوم القرآن)
ج ١ ص ١١٠ .

— ٣ —

اعتمدت في اخراج المسائل على المخطوطة التي
تحتفظ بها مكتبة أسعد أفندي باستانبول ضمن مجموع
رقمه ٣٦٣٩ يشتمل على المصنفات الآتية :

١ — المفيد في علم التجويد (أرجوزه) لأحمد الطيبي
(ت ٩٧٩ هـ) .

٢ — بلوغ الأمانى في قراءة ورش من طريق الإصبهاني
(أرجوزه) ، للطبيبي أيضاً .

٣ — تحفة الملا في مواضع (كلاً) أرجوزه لأبي بكر بن
المحلي (ت ٦٧٣ هـ) .

- ٤ - المبينة في تحقيق الهمزة (أرجوزة) لابن عبد الحق (ت ٧٤٤ هـ) .
- ٥ - المسائل الأربع في التجويد والقراءات ، لابن النجار .
- ٦ - مسألة الآن ، منقولة من كتاب (النشر) لابن الجزري .
- ٧ - ألفاز شعرية في علم التجويد .
- ٨ - غاية المراد في معرفة اخراج الضاد ، لابن النجار .
- ٩ - القواعد والاشارات من أصول القراءات ، لابن أبي الرضا الحموي (ت ٧٩١ هـ) .

وهذه المصنفات كتبت بقلم ناسخ واحد لم يذكر اسمه ، بخط واضح ، وتاريخ كتابة آخر رسالة منها هو شهر شوال سنة أربعين ومئة ألف .

وتقع المسائل المحققة في ثمانين ورقة (من الورقة ١٢ و - ٢٠) وكلها مكتوب بخط واضح ، ويحروف جيدة خالية من التحريف .

وهذا اعانني على ان أخرج النص على نسخة واحدة بعد أن أعينني أمر الحصول على نسخة أخرى أو أكثر .

عَبْدُ اللَّهِ سَأَلَ أَيْضًا

مَا تَقُولُ سَادَةُ الْعُلَمَاءِ أئِمَّةُ الْفَرَاةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين في رجل قرأ وجعلنا هـ لـ تـ مـ بالياء الخالصة فانكر عليه بعض الاشياخ وقل هذا لا يجوز عند الفراء وإنما هو مذهب النحاة فلما قال صح وهل يجوز الفراء بها أفقونا ما جاوز في كتاب شيخنا العلامة شمس الدين الشهير بابن النجار امتنع الشيخان ببقائه فقال لـ مـ الحمد لله لما أدى للصلوب أقول وباللغة النوفق فم يجوز الفراء بالياء من طريق الشاطبية وغيرها وفي كلام الشاطبية يدل على ذلك كما سأبينه لك ان شاء الله فاما جواز الفراء بها فقد نضر على ذلك جماعة من أئمة الفراء منهم الشيخ الامام العالم ابو عبد الله محمد شريح ذكرها في كتابه المستفي بالكتاب والشيخ الامام العالم ابو الفراء القلووني ذكرها في كتابه المستفي لابن مباد والشيخ الامام ابو عبد الله محمد بن مؤمن ذكرها في كتابه المستفي الكثر وذكر ان جماعة من المحققين يجعلونها بالياء خالصة وكذلك ذكرها الشيخ الامام ابو محمد بن محمد في كتابه المستفي بالكتف والشيخ الامام ابو عمرو الداني في كتابه المستفي

بجامع البيان والشيخ الامام ابو العلاء وذكروها في كتابه المستفي بالكتف والشيخ الامام شمس الدين بن الجوزي في كتابه المستفي بالكتف قال ميدان كونه خطأ أئمة وسهل الثانية نافع ابن كثير وابو عمرو وابو جعفر ورويس ثم قال واختلف عنهم في كيفية تشبهها فذهب الجمهور من أهل الاداء الى انها تجعل بين يمين فظهر من كلامه ان غير الجمهور يجعلونها بالياء كما هو المتوالفة في قولهم قات اعنى التسهيل والبدل وكذلك ذكر الوهمين الشيخ الامام شهاب الدين بن جبار في شرحه في قات بالوجهين سما وبهما قرأ شيخنا علي بن عيسى قلت وكذلك اشار الى الياء الشيخ الامام العلامة برهان الدين الجعفي في شرحه وذكرها ايضا سائر العلماء وبها قرأت على شيخنا الشيخ العلامة في زمانه شرف الدين صدقة الضريوبها في رواية ايضا اذ قلنا نعلم هذه الرواية وضعوها في العربية وهي مفهومة ايضا من كلام الشاطبية رحمه الله تعالى في نسخة في نسخة السماة يجوز الاماني ووجه الثاني وسهل وبها وعفا وفي الخوايد لا يعني انما هي تهللنا مرة الثانية من لقط ائمة بين يمين لانه قد اجتمع فيها امرتان وقاعدتهم

وأسكنها الباقون^(١١)

وقال الشيخ الامام العلامة أبو عمرو الداني^(١٢) رحمه الله تعالى ورضي عنه :

(قال لي أبو الحسن بن شريح^(١٣) : لا بد من الاظهار والسكون . وَلَفَّظَ لي به ، فأطبق شفتيه على الحرف إطباقاً واحداً)^(١٤) .

قلت : وهذا هو الصحيح المقبول الذي لا يجوز غيره . وأما ما يفعله [١٤ و] بعض الأعاجم من تحريكها وازعاجها في حال إظهارها فقير جائز ، وإنما حملهم على ذلك جريان الطباع ، وهو مخالف لما قاله المحققون .

قال الشيخ الامام العالم أبو الحسن السخاوي^(١٥) رحمه الله تعالى : (فاما الميم الساكنة نحو قوله تعالى : ﴿ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ ﴾^(١٦) ﴿ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ ﴾^(١٧) وشبهه فيجب إظهار الميم وبيانها ، وبيان سكونها) ثم قال : (وكثير من الناس لا يحسن ذلك فيحرك الميم . وهو خطأ ، فيجب التحفظ منه)

والى عدم تحريكها وازعاجها قال بعض المحققين في منظومته لتجويد الفاتحة :

وللميم عند الواو أظهر ولا تكن

له مزعجاً بل مظهرأ بترفق

ينهى عن ازعاجها ، وهو تحريكها .

قلت : وإذا كان الأمر كذلك فلا التفات الى ما نقله الأعاجم من تحريكها فانه خطأ .

وكذلك يحركون أداة التعريف ، نحو : (الأرض) و (الأنهار) ، و (الآخرة) وما أشبه ذلك ، وهو أيضاً خطأ ، لأنها ساكنة لشدة امتزاجها بالاسم الداخلة عليه ، وحلولها بمنزلة جزء منه^(١٨) .

والى عدم تحريكها وغيرها من الحروف السواكن قال الشيخ الامام العلامة أبو عمرو الداني ، رحمه الله تعالى : (وأما المسكن من الحروف فحقه أن يخلو من الحركات الثلاث ، ومن بعضهن من غير [١٤ ظ] وقف شديد ، ولا قطع مسرف عليه^(١٩) سوى احتباس اللسان في موضعه قليلاً في حال الوصل) .

قلت : وحبس اللسان في موضعه مغاير للحركة .

فقد ظهر بها فساد من عدل عنه الى غيره .

وامتازت المسألة الأولى بعنوانها (الرد المستقيم على ما يفعله بعض الأعاجم من تحريك الميم) وإشارة ناسخها الى أنه نقلها من نسخة منقولة من خط المؤلف . كما نستشف من عبارة (أمتع الله المسلمين ببقائه) في المسألة الثانية ، ومن عبارة (أمتع الله بحياته) في الرابعة أنهما منقولتان من نسخة مكتوبة في عصره . لقد ثبت اسم المؤلف (شمس الدين بن النجار) على المسائل المحققة الأربع ، وهو أمر يدعو الى الاطمئنان الى نسبتها اليه ، بعد إذ لم أجد ما يشك في هذه النسبة من قريب أو بعيد .

هذا وقد سرت في التحقيق على وفق الطريقة العلمية المعهودة التي ارتضاها أصحاب هذا الفن ، وسجلوا خطواتها في مصنفاتهم في قواعد تحقيق الاصول المكتوبة ونشرها ، مع الافادة من تجربتي في هذا الميدان ، لذلك لم أجد بي حاجة هنا الى شرح ما قمت به .

[١]

الرد المستقيم

على ما يفعله بعض الأعاجم من تحريك الميم

[١٣ ظ] بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد

خاتم النبيين وعلى اله وصحبه أجمعين .

مسألة

اعلم أن الميم تخرج من المخرج الثاني عشر من مخارج الفم^(١) . وهي ذات غنة^(٢) . فإذا وقعت ساكنة قبل أحد حروف (بوف) فقد قال الشيخ الامام العلامة أبو محمد مكي^(٣) في كتبه الموضوعة للتجويد : (إذا سكنت الميم وجب أن يحتفظ باظهارها ساكنة عند لقائه باء أو واو ، أو فاء ، نحو : ﴿ هم فيه ﴾^(٤) . ﴿ عليهم ولا الضالين ﴾^(٥) . ﴿ وما هم بمؤمنين ﴾^(٦) ، وما أشبه ذلك .

فلا بد من بيان الميم الساكنة في هذا كله من غير أن يحدث فيها شيء من حركة)^(٧) .

وقال المحققون من القراء كالجعبري^(٨) وغيره : إذا سكنت الميم قبل الباء ، والواو ، والفاء فلا بد من إظهارها عندهن ساكنة من غير تحريك .

واليه الإشارة بقول ولي الله أبي القاسم الشاطبي^(٩)

رحمه الله تعالى ورضي عنه :

ثم اعلم أن للميم الساكنة الواقعة قبل حروف (بوف) أحكاماً آخر نقلها القراء من إخفاء وإدغام^(١٩) ، ولسنا بصدده ، لأن التحقيق والعمل على ما نقلناه ، فلهذا أهملت ذكرها ، إذ المراد بما نقلناه رد ما تستعمله الأعاجم ، ومن ضاهاهم من تحريك السواكن ، فإنه غير جائز ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وسميتها (الرد المستقيم على ما تفعله بعض الأعاجم من تحريك الميم) . تمت .

قال في الأصل الذي كتب منه هذا الفرع :

وقال في آخر المنقول منه : قال ذلك وكتبه محمد بن أحمد الشافعي الشهير بابن النجار كان الله له حيث يكون لنفسه ، وأنس وحشته في رسمه ، والحمد لله رب العالمين .

[٢]

[١٥ و] الحمد لله رب العالمين ، وصلواته وسلامه على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم .

ما تقول السادة العلماء أئمة القراء رضي الله عنهم أجمعين ، هل يجوز وصل الاستعاذة بالبسملة أم لا ؟ فان بعض الناس أنكر ذلك وجحد .

أفتونا ماجورين رضي الله عنكم أجمعين .

فأجاب شيخنا الشيخ الامام العالم العلامة المحقق في فنه شمس الدين محمد بن النجار بأن قال :

الحمد لله الهادي للصواب ، أقول وبالله التوفيق : أعلم أنه يجوز وصل الاستعاذة بالبسملة ، إذ لا مانع من ذلك .

وكذا يجوز الوقف عليها والابتداء بما بعدها بسملة كانت أو غيرها^(٢٠) .

وقد صرح بهذين الوجهين جماعة من علماء القراء ، منهم^(٢١) :

الشيخ الامام الكبير الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد ابن عثمان الداني مؤلف كتاب (التيسير)^(٢٢) وغيره من الكتب النفيسة^(٢٣) تغمده الله برحمته في كتابه المسمى بـ (الاكتفاء)^(٢٤) فإنه قال : (الوقف على آخر^(٢٥) التعمود تام ، وعلى آخر البسملة أتم) .

ففيه إشارة الى ترجيح الوصل .

وممن صرح أيضاً بهذين الوجهين الشيخ الامام الحافظ الخطيب أبو جعفر أحمد^(٢٦) بن علي المعروف بابن

البازش^(٢٧) في كتابه المسمى بـ (الإقناع) ، قال : (ولك أن تصل الاستعاذة بالبسملة^(٢٨) في نفس واحد [١٥ ظ] وهو أتم) . قال : (ولك أن تقف عليها ولا تصلها بالبسملة وهو أولى لمن مذهبه الترتيل)^(٢٩) .

وممن صرح أيضاً بهذين الوجهين الاستاذ العلامة أبو حيان^(٣٠) في قصيدته^(٣١) فقال :

. وقف إن شئت من بعد أو صلا

فخيز القارئ بين أن يقف على الاستعاذة وبين أن يصلها بالبسملة .

وممن نص على وصل الاستعاذة بالبسملة أيضاً الامام العلامة أبو الفتح عبد الواحد بن حسين بن شيطا البغدادي^(٣٢) ولم يذكر سواه . وكذا أكثر العراقيين لم يذكروا سوى الوصل^(٣٣) .

فكيف يجوز لهذا القائل إنكار وصل الاستعاذة بالبسملة وقد حكاها جماعة من المحققين من علماء هذا الشأن رضي الله عنهم ، ورجحه كثير منهم . فما قاله مصادم للمنقول ، مخالف للمقبول . والله أعلم

تفريع على وجه الوصل

في مذهب السوسي^(٣٤) في إدغام المتماثلين^(٣٥) وهو ما اذا التقى ميمان كما في قوله تعالى ﴿ الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ﴾^(٣٦) أدغم الميم في الميم .

فكذا في نحو : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ ما ننسخ ﴾^(٣٧) ، فيجب إدغام المثلين كما يجب حذف همز الوصل اذا وصل بميم (الرجيم) نحو : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ القارعة ﴾^(٣٨) ، وما أشبه ذلك^(٣٩) .

قلت : وقد روى شجاع^(٤٠) عن أبي عمرو بن العلاء^(٤١) أحد الأئمة [١٦ و] السبعة رضي الله عنهم أنه كان يقرأ بإخفاء الميم من (الرجيم) عند الباء من (بسم الله الرحمن الرحيم)^(٤٢) .

ولا يتأتى ذلك إلا في حالة الوصل .

وهذا نص على جواز وصل الاستعاذة بالبسملة ، والله أعلم .

تنبيه

اعلم أنه يجوز لك في الاستعاذة مع البسملة والآية أربعة أوجه :

أحدها : قطع الاستعاذة عن البسملة ووصل البسملة بالآية .

الثاني : وصل الاستعاذة بالبسملة وابتداء بالآية .
الثالث : القطع على الاستعاذة ثم على البسملة ، والابتداء بالآية .

الرابع : وصل الاستعاذة بالبسملة ثم بالآية .
وهو^(١٣) ظاهر كلام الشيخ الامام الكبير الثقة الاستاذ (أبي محمد عبد الله بن علي بن أحمد)^(١٤) المعروف بسبب الخياط^(١٥) في كتابه (الكفاية)^(١٦) والله أعلم .
وقد قرأت بوصل الجميع على شيخنا العلامة شرف الدين صدقة^(١٧) تعتمد الله تعالى برحمته .

فلا يُنكر وصل الاستعاذة بالبسملة إلا من ليس له قدم راسخ في هذا العلم ، ومن لا له اطلاع على كتب القراء .
فنعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، ونسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لفهم كتابه ، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير ، وهو حسبنا ونعم النصير .
وصلّى الله على سيدنا محمد البشير النذير ، وعلى آله وصحبه أولي العزيمة والتشمير .

[٣]

[١٦ ظ -) غيره سأل أيضاً :

ما تقول السادة العلماء أئمة القراء ردي الله عنهم أجمعين في رجل قرأ ﴿ وجعلناهم أئمة ﴾^(١٨) بالياء الخالصة ، فانكر عليه بعض الأشياخ وقال : هذا لا يجوز عند القراء ، وإنما هو مذهب النحاة ؟ فهل ما قاله صحيح ؟ وهل تجوز القراءة بها أم لا ؟ أفقونا ماجورين .

فأجاب شيخنا العلامة شمس الدين الشهير بابن النجار أمتع الله المسلمين ببقائه فقال :

الحمد لله الهادي للصواب . أقول وبالله التوفيق :
نعم تجوز القراءة بالياء من طريق (الشاطبية) وغيرها . وفي كلام الشاطبي ما يدل على ذلك كما سأبينه لك إن شاء الله .

فأما جواز القراءة بها فقد نص على ذلك جماعة من أئمة القراءة ، منهم^(١٩) :

الشيخ الامام العالم أبو عبد الله محمد بن شريح^(٢٠) ، ذكرها في كتابه المسمى بـ (الكافي)^(٢١) .

والشيخ الامام العالم أبو العزّ القلانسي^(٢٢) ، ذكرها في كتابه المسمى بـ (الارشاد)^(٢٣) .

والشيخ الامام (أبو محمد عبد الله بن عبد المؤمن)^(٢٤) ذكرها في كتابه المسمى بـ (الكنز)^(٢٥) وذكر أن جماعة من المحققين يجعلونها ياءاً خالصة^(٢٦) .
وكذلك ذكرها الشيخ الامام أبو محمد مكي في كتابه المسمى بـ (الكشف)^(٢٧) .

والشيخ الامام أبو عمرو الداني في كتابه المسمى [١٧ و] بـ (جامع البيان)^(٢٨) .
والشيخ الامام ابو العلاء^(٢٩) .

وذكرها أيضاً الشيخ الامام شمس الدين بن الجزري^(٣٠) في كتابه المسمى بـ (النشر) فانه قال بعد أن ذكر لفظ ﴿ أئمة ﴾ : (وسهل الثانية ... نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ورويس)^(٣١) . ثم قال : (واختلف عنهم في كيفية تسهيلها ، فذهب الجمهور من أهل الاداء الى أنها تجعل بين بين)^(٣٢) .

فظهر من كلامه أن غير الجمهور يجعلونها ياء كما هو المنقول . ثم قال :

(وبالوجهين قرأت ، أعني التسهيل والبدل)^(٣٣) .
وكذلك ذكر الوجهين الشيخ الامام شهاب الدين بن جبارة^(٣٤) ، في (شرحه)^(٣٥) . قال : قرأت بالوجهين لـ (سماً)^(٣٦) وبهما قرأ شيخنا على شيخه .

قلت : وكذلك أشار الى الياء الشيخ الامام العلامة برهان الدين الجعبري في (شرحه)^(٣٧) .
وذكرها أيضاً سائر الواسطيين^(٣٨) .

وبها قرأت على شيخي الشيخ العلامة في زمانه شرف الدين صدقة الضرير . وبها أقرئ أيضاً ، إذ قد ثبت نقلها في الرواية وصح وجهها في العربية^(٣٩) .

وهي مفهومة أيضاً من كلام الشاطبي رحمه الله تعالى ، فانه قال في قصيدته المسماة بـ (حرز الاماني ووجه التهاني) :

... وسهل ، سماً وصفاً وفي النحو أولاً^(٤٠) .

يعني أن (سماً) يسهلون الهمزة الثانية من لفظ ﴿ أئمة ﴾ بين بين ، لانه قد اجتمع فيها همزتان ، وقاعدتهم [١٧ ظ -] في اجتماع الهمزتين في كلمة واحدة تسهيل الثاني ، فجروا في ذلك على قاعدتهم .

ثم ذكر أنَّ الهمزة الثانية تبدل ياء في النحو عند ائمة النحو .

فظهر من كلامه جواز القراءة بها من طريقه . ولهذا أعاد ذكر تسهيل الحرميين^(٧١) وأبو عمرو^(٧٢) بعد أن أدرجه في قوله :

وتسهيلُ أخرى همزتين بكلمة^(٧٣) لينص بذلك على الخلاف المذكور .

وأيضاً لو لم تجز القراءة بالبديل لما ذكره الشاطبي في قصيدته ، إذ لا فائدة في ذكره مع عدم جواز القراءة به ، أو كان يرده بعد أن ذكره كما ردَّ وجوهاً بعد أن ذكرها كما في قوله :

(وعن قنبل يروى) ثم قال بعدُ (وليس معولاً)^(٧٤) فضعف قراءة قنبل في قصر يراه^(٧٥) . وكذلك ضعف إخفاء التعوذ عن حمزة^(٧٦) ونافع بقوله : (أباه وعاتنا)^(٧٧) ، أي ردَّه حفاظنا . ومثل هذا كثير في (الشاطبية) لمن تأمله .

ففهم من ذكره^(٧٨) إياها وعدم ردها أنَّ القراءة بها جائزة من طريقه وغيرها ، فحينئذ لا ينكرها إلا من قصر فهمه عن معنى كلام الشاطبي ، ومن ليس له اطلاع على كتب القراء .

فنسال الله العظيم أن يفهمنا وإياهم ، وأن يجعل أعمالنا كلها صالحة ، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم ، إنه رؤوف رحيم .

[٤]

[١٨ و] مسألة السكت والغنة

ما تقول السادة المشايخ أحسن الله إليهم هل يكون السكت في عرف القراء قسماً واحداً أو أقساماً مختلفة ؟ وهل تكون الغنة في المقطوعات والموصولات من نحو (عفا) و (ممّا) كاملة أو ناقصة ؟ أفوتونا مأجورين مثابين ، أتابكم الله الجنة .

فأجابه شيخنا الشيخ شمس الدين بن النجار أمتع الله بحياته أنه قال :

اللهم ألهم الصواب . أقول وبالله التوفيق : الكلام على المسألة الأولى ، وهي قول السائل عن السكت في عرف القراء هل هو قسم واحد أو أقسام مختلفة ،

من ثلاثة أوجه :

أحدها - في حدُّ السكت

الثاني - في مقداره .

الثالث - في أقسامه .

أما حدُّه فهو قطع الصوت آخر الكلمة أنا .

وأما مقداره فيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى .

وأما أقسامه فقد وقع في كلام الشيخ أبي القاسم

الشاطبي رحمه الله تعالى ورضي عنه في ثلاثة مواضع :

أحدها - بين السورتين لمن يأتي ذكره .

الموضع الثاني - السكت على الساكن الآخر

الصحيح .

الثالث - سكت حفص^(٧٩) .

أما كونه بين السورتين فمعلوم من قول الشيخ رحمه الله تعالى :

. وصل واسكتن كلَّ جلاليه خُصلاً^(٨٠)

فاخبر أنَّ لمن أشار إليهم بالكاف والجيم والحاء^(٨١)

وجهين ، وهما الوصل [١٨ ظ] والسكت . ثم بين مقداره بقوله^(٨٢) :

وسكتهم المختار دون تنفس^(٨٣)

ففيه إشارة الى عدم الاطالة المؤذنة بالإعراض عن

القراءة ، أي لئلا يُعَدُّ الساكت مُعرضاً عن القراءة .

وقال أبو عمرو الداني رحمه الله تعالى في حدِّه : وغير

قطع^(٨٤) .

قال الجعبري رحمه الله تعالى : ولا يَدُّ فيه من تقدير

(طويل)^(٨٥) .

وحَدَّه شيخنا ، يعني الشيخ صدقة رحمه الله تعالى

وعفا عنه ، قال : هو قدر ما يقرأ القارئ بسم الله الرحمن الرحيم .

وقال الشيخ الامام الكبير الثقة أبو محمد عبد الله بن

علي^(٨٦) في كتابه المسمّى بـ (المبهج)^(٨٨) : سكتة تؤذن بالبسملة^(٨٩) .

فهذا حدُّ القسم الاول ومقداره فافهم ذلك .

القسم الثاني : السكت على الساكن الآخر الصحيح .

وقد نبه الشيخ رحمه الله تعالى على ذلك بقوله :

. وعنده .

نؤى خَلَف في الوصل سكتاً مُقَلَّلاً^(١٠١)
أي عند الساكن الآخر الصحيح الذي ينقل اليه
ورش^(١٠٢) سكت عليه خَلَف^(١٠٣) سكتاً يسيراً^(١٠٤) . ولهذا وصفه
بقوله (مقللاً) .

وقال الشيخ الامام العلامة أبو عبد الله محمد بن
شريح : سكتة خفيفة^(١٠٥)
قلت : فهو حينئذ دون السكت بين السورتين .
القسم الثالث : سكت حفص المشار إليه بقول الشيخ رحمه
الله تعالى^(١٠٦) :

وسكتة حفص دون قطع لطيفة
على ألف التثنية في (عوجاً) بَلَا
وفي نون (من راق) و (مرقدا) ولا
م . (بل ران) والباقيون [١٩ و] لاسكت

فاخير الشيخ رحمه الله تعالى أن حفصاً يسكت على
هذه المواضع^(١٠٧) سكتة لطيفة من غير قطع .
قال شيخنا^(١٠٨) رحمه الله في بعض اصانيفه : وهو
دون سكت حمزة^(١٠٩) .
فقد اتضح لك بما قلناه جملة أقسام السكت في عرف
القراء . والله اعلم .

* * *

وأما المسألة الثانية وهي قول السائل عن الغنة في
الموصل والمقطوع هل تكون كاملة أو ناقصة فاقول وبالله
التوفيق :

هذه مسألة اختلف أهل الأداء فيها :
فبعضهم أطلق القول في ذلك وأجزى الغنة في
المنفصل والمتصل . لكن الذي يظهر من كلام الأئمة رضي
الله عنهم أنها تكون في المقطوع دون الموصل ، فانهم قالوا
في مذهب النهرواني^(١١٠) عن أبي جعفر في إظهار الغنة في
النون الساكنة والتثنية عند اللام والراء^(١١١) هي يظهرها في
ما رسم في المصحف بالنون فقط ويدعها في ما لم يرسم ؟
أو يظهرها مطلقاً ؟

فقال أبو عمرو الداني رحمه الله تعالى في (جامع
البيان)^(١١٢) :

(أختار في مذهب من يبقي الغنة مع الادغام عند
اللام والراء^(١١٣) أن لا^(١١٤) يبيقيها إذا عدم رسم النون في

الخط ، فان ذلك يؤدي إلى مخالفة الرسم بنون ليست في
المصحف) .

وقال الخزاعي^(١١٥) في النون الساكنة والتثنية إذا
أدغما في اللام والراء : لا تظهر الغنة إلا في ما رسم مقطوعاً
في المصحف .

وكذلك [١٩ ظ .] قاله ابن البائش في
(الاقناع)^(١١٦) .

وما قالوه واضح .

قلت : وكذلك إذا وقع بعد النون ميم لا تظهر الغنة إلا
في ما رسم مقطوعاً ؛ لئلا يؤدي أيضاً إلى مخالفة الرسم
بنون ليست في المصحف^(١١٧) .

وبعض هذا قول الشيخ^(١١٨) رحمه الله ورضي عنه في
(باب أحكام النون الساكنة والتثنية) :

وكل بينمو أدغموا مع غنة^(١١٩)

فاخير الشيخ رحمه الله تعالى أن كل القراء أدغموا
النون الساكنة والتثنية عند أحد حروف (ينمو) بغنة ،
وشرط ذلك أن يكون من كلمتين^(١٢٠) .

فظهر من هذا أن الغنة لا تكون إلا في ما إذا كان من
كلمتين ، ولا تكون في ما هو من كلمة واحدة . والمقطوع
كلمتان ، والموصل كلمة واحدة .

وقد تتبععت كلام الشراح وأصحاب التجويد وأسئلته
في ذلك فلم أر أحداً مثل بشيء من الموصل ، وإنما مثلوا
بما هو من كلمتين .

قلت : والمقطوع كلمتان . وقد قال الشيخ رحمه الله
تعالى ورضي عنه في (العقيلة)^(١٢١) :

وقل على الاصل مقطوع الحروف أتى

والوصل فرع . . .

فاخير أن الاصل في رسم الحروف القطع ، لأن الاصل
في كل كلمة أن ترسم مفصولة من غيرها ، لأن حالة الانفراد
سابقة على حالة الاجتماع ، فلهذا كان القطع هو الاصل ،
والوصل فرع ، والاصل له مزية على الفرع .

فقد ظهر مما قلته ونقلته أن الغنة لا تكون في
[٢٠ و] الموصل لعدم وجود الحرف الاغنى في الرسم ،
وهو النون .

فاعرف ذلك تصب إن شاء الله تعالى ، فانه بحث جيد
لا خفاء فيه .

وقد قال الشيخ رحمه الله تعالى :
وغنة تنوين ونون وميم أن

سَكَنَ (١١١)
فاخبر أنَّ الغنة تكون في هذه الحروف الثلاثة
بشرط (١١٢) سكونهن ووجودهن في الرسم واللفظ .
وأما الموصول ، نحو (عفا) و (مفا) (١١٣) ، مما ليس فيه

نون رسماً ولا لفظاً فلا يعطى المعلوم حكم الموجود ، وإن
كان بعضهم ساوياً بين المقطوع والموصول في وجود الغنة ،
فإنها تكون في المقطوع كاملة لوجود الحرف الأغن في الرسم
كما تقدم . والله أعلم .
والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد
 وآله وصحبه الطاهرين .

الهوامش

السبعة (ينظر : إبراز المعاني من حرز الأمانى ، لأبي شامة ص ٦٠) .
والشاهد لا علاقة له بما المؤلف بصدد الكلام عليه من ملاقات الميم
الساکنة للواو ، والباء ، والفاء .

(١١) هكذا أورد المؤلف القول منسوباً للداني (ت ٤٤٤ هـ) .
والصواب أنَّ ما نقله هو من كلام أبي جعفر أحمد بن علي بن الباناش
(ت ٥٤٠ هـ) ذكره في كتابه (الاقتناع في القراءات السبع)
١ / ١٨٠ .

(١٢) أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني (٤٥١ هـ —
٥٣٧ هـ) من أبرز شيوخ ابن الباناش ، روى عنه كثيراً في (الاقتناع) .
غاية النهاية ١ / ٣٢٤ .

(١٣) في الاقتناع ١ / ١٨٠ (وقال لي أبو الحسن بن شريح فيه
بالإظهار ، ولفظ لي به ، فاطبق شفثتي على الحرفين إطباقاً واحداً) .
(١٤) علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين السخاوي
(ت ٦٤٣ هـ) له :

(شرح الشاطبية) وغيره . ينظر : غاية النهاية ١ / ٥٦٨ .
(١٥) الانعام ٦ / ٢٤٠ .

(١٦) الزخرف ٤٣ / ٧٠ .
(١٧) قد تنقل حركة الهمزة الى اللام في (أل) التعريف فتحرك .
نص على ذلك القراء . ينظر : النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري
١ / ٤١٥ .

(١٨) عليه : زيادة تكمل المعنى من التحديد في الاتقان والتجويد ،
للداني ص ٩٧ .

(١٩) ينظر : الرعاية ، لمكي ص ٢٠٦ ، والتحديد ، للداني
ص ١٦٧ ، والاقتناع ، لابن الباناش ١ / ١٧٧ ، والتمهيد في علم
التجويد ، لابن الجزري ص ١٤٣ .

(٢٠) هذه العبارة في النشر ، لابن الجزري ١ / ٢٥٧ .
(٢١) الآراء التي سيذكرها ابن النجار (للداني ، وابن الباناش ، وأبي
حيان ، وابن شبيط ، والمراقبي . وما رواه شجاع عن أبي عمرو) وردت
في النشر ١ / ٢٥٧ .

(٢٢) التيسير في القراءات السبع ، مطبوع متداول .

(٢٣) تنظر أسماء كتبه في الرسالة التي حققها الدكتور غانم قدوري

(١) وهو مما بين الشفتين مع تلاصقهما . (الرعاية لتجويد
القراءة) ، لمكي بن أبي طالب ص ٢٠٣ و ١٢٠٦ .
(٢) الغنة : صوت يخرج من الخياشيم تابعا لصوت الميم والنون
الساکنين .

(التبصرة في القراءات السبع ، لمكي ص ٢٦٨) .
(٣) أبو محمد مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ) . ينظر : غاية
النهاية في طبقات القراء ، لابن الجزري ٢ / ٣٠٩ .

(٤) سورة البقرة ٢ / ٢٥ .

(٥) الفاتحة ١ / ٧ .

(٦) سورة البقرة ٢ / ٨ .

(٧) الرعاية ص ٢٠٦ و ٢٠٧ مع اختلاف في اللفظ . وكتب في
هامش المخطوط : (المختار عند المحققين إخفاء الميم الساكنة عند
الباء وإظهارها عند باقي الحروف إلا الميم ، فيجب انغامها فيها . وإلى
هذا يشار في المقدمة بقوله : واخفين الميم أن تسكن بغنة ...
البيت ... وحاصله أن إظهار الميم الساكنة عند الباء ضعيف والله
أعلم) .

(٨) برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري (ت ٧٣٢ هـ) له :
(شرح الشاطبية) وغيره . ينظر : غاية النهاية ١ / ٢١ .

(٩) أبو محمد القاسم بن فيزّه بن خلف الشاطبي (ت ٥٩٠ هـ) .
له :

(حرز الأمانى ووجه التهاني) وهي القصيدة الشاطبية في
القراءات السبع . ينظر : غاية النهاية ٢ / ٢٠ .

(١٠) هذا جزء من بيت في (الشاطبية) ص ١٩ ، وهو من أبيات
يتحدث فيها الشاطبي عن حكم قراءة ميم الجمع في نحو (عليهم ،
وإليهم ، ولديهم) ، وقبلة :

وصل ضمّ ميم الجمع قبل محرك
دراكا وقالون بتخييره جلا

ومن قبل همز القطع صلها لورشم
وأسكنها الباقون بعد لتكملا

يعني أن ورشاً يقرأ مثل قراءة ابن كثير إذا كان بعد الميم همزة قطع
في مثل (ومنهم أميون) يوصل الميم مضمومة ، وأسكنها الباقون من

ونشرها في مقدمة كتاب (التحديد) للداني ص ٢٤ - ٤١ .
 (٢٤) النشر ١ / ٢٥٧ ، ووجدت النص نفسه في (المكتفى)
 للداني ص ١١٦ .
 (٢٥) آخر : زيادة من (النشر) و (المكتفى) تكمل المعنى .
 (٢٦) في المخطوط : محمد . تحريف .
 (٢٧) توفي ابن البانش سنة ٥٤٠ هـ ، وترجمته في غاية النهاية
 ٨٣ / ١ .
 (٢٨) في الاقتناع في القراءات السبع ١ / ١٥٤ والنذر ١ / ٢٥٧ :
 (ولك أن تصلها بالتسمية) .
 (٢٩) في المصدرين السابقين : (ولك أن تسكت عليها ولا تصلها
 بالتسمية ، وذلك أشبه بمذهب أهل الترتيل) .
 (٣٠) أنير الدين محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)
 له (البحر المحيط) في التفسير ، وغيره : ينظر : غاية النهاية
 ٢٨٥ / ٢ .
 (٣١) سقاها (عقد اللالي في القراءات السبع الدوالي) . وهي
 قصيدة لامية تشتمل على (١٠٤٤) بيتا . ينظر : لبحر المحيط
 ١ / ٥٩ و ١ / ٩٥ و ٢٥٧ .
 (٣٢) توفي سنة ٤٠٥ هـ . له كتاب (التذكار في القراءات
 العشر) . غاية النهاية ١ / ٤٧٣ .
 (٣٣) ينظر هذا الكلام في النشر ١ / ٢٥٧ .
 (٣٤) أبو شعيب صالح بن زياد ، مقرر ضابط (ت ٢٦١ هـ) .
 روى عن أبي محمد البيهقي عن أبي عمرو بن العلاء . ينظر : النشر
 ١ / ٣٣٣ ، وغاية النهاية ١ / ٣٣٢ .
 (٣٥) ينظر : النشر ١ / ٢٧٦ .
 (٣٦) الفاتحة ١ / ٢ - ٣ .
 (٣٧) سورة البقرة ٢ / ١٠٦ .
 (٣٨) القارعة ١٠١ / ١ .
 (٣٩) ينظر العبارة في النشر ١ / ٢٥٧ .
 (٤٠) شجاع بن أبي نصر ، أبو نعيم البلخي البغدادي ، من أصحاب
 أبي عمرو بن العلاء (ت ١٩٠ هـ) . غاية النهاية ١ / ٣٢٤ .
 (٤١) زيان بن العلاء البصري (ت ١٥٤ هـ) . غاية النهاية
 ٢٨٨ / ١ .
 (٤٢) النشر ١ / ٢٥٧ ، وجمال القراء ، للسخاوي ٢ / ٤٨٣ .
 (٤٣) يعني الوجه الرابع . ينظر : النشر ١ / ٢٦٨ .
 (٤٤) في المخطوط : (أبي عبد الله أحمد بن علي) . تحريف .
 (٤٥) توفي سنة ٥٤١ هـ ، له : (المبهج في القراءات الثمان)
 وغيره . غاية النهاية ١ / ٤٢٤ ، والنشر ١ / ٨٧ .
 (٤٦) الكفاية في القراءات الست (النشر ١ / ٨٥) .
 (٤٧) صدقة بن سلامة بن حسين الضير (ت ٨٢٥ هـ) له (شرح
 على أصول الشاطبية) وغيره . ينظر : غاية النهاية ١ / ٣٣٦ ،
 والأعلام ، للزركلي ٣ / ٢٠٢ .

(٤٨) الانبياء ٢١ / ٧٣ ، والقصص ٢٨ / ٤١ ، وسينكر المؤلف
 القراءات الواردة في الآية .
 (٤٩) الآراء الآتية (لابن شريح في (الكافي) ، والقلانسي في
 (الارشاد) وابن المؤمن في (الكنز) والداني في (جامع البيان)
 ومكي وأبي العلاء) وردت كلها في النشر ، لابن الجزري ١ / ٣٧٩ ،
 وعنه نقل المؤلف .
 (٥٠) توفي سنة ٤٧٦ هـ . غاية النهاية ٢ / ٥٣ .
 (٥١) الكافي في القراءات السبع ، منه مخطوطة في مكتبة الجامع
 الأزهر بالقاهرة برقم ٤٥٥ . ينظر : معجم الدراسات القرآنية ص ٥٣٧ .
 (٥٢) محمد بن الحسين بن بندار الواسطي (ت ٥٢١ هـ) . غاية
 النهاية ٢ / ١٢٨ .
 (٥٣) إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر ص ٣٥٠ .
 (٥٤) في المخطوط (أبو عبد الله محمد بن مؤمن) ، وهو خطأ .
 وفاته سنة ٧٤٠ هـ . ينظر : غاية النهاية ١ / ٤٢٩ .
 (٥٥) الكنز في القراءات العشر ، منه مخطوطة في مكتبة يوسف أغا
 بتركيا رقمها ٦٩٥٢ . (معجم الدراسات القرآنية ص ٥٣٩) .
 (٥٦) النشر ١ / ٦٧٢ .
 (٥٧) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ / ٤٩٨ .
 (٥٨) جامع البيان في القراءات السبع . منه مخطوطة في دار الكتب
 بالقاهرة رقمها (٥٣ م قراءات) ينظر : التحديد ، للداني ص ٢٥
 (من مقدمة المحقق) .
 (٥٩) أبو العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن الهمداني
 (ت ٥٦٩ هـ) له :
 (غاية الاختصار) المسمى (الغاية في القراءات العشر)
 وغيره .
 ينظر : غاية النهاية ١ / ٢٠٤ ، والنشر ١ / ٨٧ .
 (٦٠) محمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) له : (غاية
 النهاية في طبقات القراء) وغيره ، ينظر : غاية النهاية ٢ / ٢٣٧ ،
 والأعلام ٧ / ٤٥ .
 (٦١) النشر ١ / ٣٧٨ . وتوفي نافع بن عبد الرحمن الليثي سنة
 ١٦٩ هـ ، وعبد الله بن كثير الداري سنة ١٢٠ هـ ، وأبو عمرو تقدم ،
 وتوفي أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي سنة ١٣٠ هـ ، ومحمد بن
 المتوكل المعروف برويس سنة ٣٢٨ هـ . ينظر : غاية النهاية
 ١ / ٤٤٣ و ٢ / ٣٣٠ و ٢٣٤ و ٣٨٢ و ٤٤٣ .
 (٦٢) النشر ١ / ٣٧٨ . وهمزة بين بين هي التي تكون بينها وبين
 الحرف الذي منه حركتها ، بأن يجعل لفظها بين الهمزة والالف إن كانت
 مفتوحة ، وبين الهمزة والباء إن كانت مكسورة ، وبين الهمزة والواو إن
 كانت مضمومة . ينظر : إبراز المعاني من حرز الأمان ، لأبي شامة
 ص ٩٤ و ٩٥ .
 (٦٣) قال ابن الجزري بعد أن ذكر رأي العلماء في تحقيق الهمزة
 الثانية وتسهيلها : (وذهب آخرون منهم إلى أنها تجمل بياء خالصة .

نص على ذلك أبو عبد الله بن شريح في كافيهِ ، وأبو العزّ القلانسي في إرشاده ، وسائر الواسطيين . وبه قرأت من طريقهم (. النشر ١ / ٧٩ .
(٦٤) أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الولي بن جبارة المقدسي (ت ٧٢٨ هـ) له : شرح الشاطبية . ينظر : غاية النهاية ١ / ١٢٢ .
(٦٥) يعني شرح الشاطبية ، واسمه (المفيد في شرح القصيد) .
منه مخطوطة في المكتبة البلدية في الاسكندرية برقم (٥٢٩ ب) .
ينظر : معجم الدراسات القرآنية ص ٥٥١ .

(٦٦) سما : الرمز الذي استعمله الشاطبي في قصيدته الشاطبية لكل من نافع ، وابن كثير وأبي عمرو بن العلاء من السبعة . ينظر : إبراز المعاني ص ٩٥ .

(٦٧) يعني : شرح الشاطبية ، واسمه (كنز المعاني في شرح حرز الأمان) مخطوط في المكتبة الأزهرية برقم (٢٣٦٧) . ينظر : معجم مصنفات القرآن الكريم ٤ / ٩٥ .
(٦٨) النشر ١ / ٢٧٩ .

(٦٩) في المفصل ، للزمخشري ص ١٦٧ (وإذا التقت همزتان في كلمة فالوجه قلب الثانية الى حرف لين ، كقولهم : أم ، وأيمة ... وفي القراءة الكوفية أئمة) .

(٧٠) ينظر ص ٣٢ من حرز الأمان . وصدر البيت :
وأئمة بالخلف قد مُدَّ وحده)

(٧١) الحرميّان : نافع وابن كثير من السبعة (الاقتناع ١ / ١٤٨) .
(٧٢) كذا ورد في المخطوط بالواو في (أبو) وله وجه صحيح في الاعراب .

(٧٣) تمام البيت كما في الشاطبية ص ٣٠ :
(سَمَا وَيذَات الْفَتْح خُلْفَ لَتَجُمَلَا)

(٧٤) في ص ١١٠ من الشاطبية :

وفي (مُرْبِعِينَ) الدالّ يَفْتَحُ نافعٌ

وعن قنبل يروى ، وليس معولا

وقنبل ، هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد المخزومي (ت ٢٩١ هـ) .

غاية النهاية ٢ / ١٦٦ .

(٧٥) كذا ورد اللفظ في المخطوط ، ولا أعرف له وجهاً . والمقصود بالبيت أن نافعاً من السبعة قرأ بفتح الدال من (مردفين) في (الأنفال) . وما روي عن قنبل من أنه يقرؤه كذلك ليس بصحيح ، بل الصحيح عنه أنه يقرؤه بكسر الدال كالباقين . (إبراز المعاني ص ٣٣٢) .

(٧٦) حمزة بن حبيب الزيات أحد القراء السبعة (ت ١٥٦ هـ) .
غاية النهاية ١ / ٢٦١ .

(٧٧) في الشاطبية ص ١٧ :

وإخفاؤه ففصل أباه وعاتقاه

وكم من فتى كالمهدوي فيه أعفلا

(٧٨) في المخطوط : ذكرها . والصواب ما أثبتته .

(٧٩) حفص بن سليمان الكوفي . روى القراءة عن عاصم من السبعة

(ت ١٨٠ هـ) . ينظر : غاية النهاية ١ / ٢٥٤ .

(٨٠) صدر البيت كما في الشاطبية ص ١٧ :

ووصلك بين السورتين فصاحةً

و (جلايا) جمع (جليلة) وهي الواضحة . ينظر : إبراز المعاني ،

ص ٥١ .

(٨١) وهم ابن عامر وورش وأبو عمرو بن العلاء ، رمز اليهم الشاطبي بالأحرف التي تبدأ بها الألفاظ (كلّ جلاياه حصلا) .

(٨٢) تتمة البيت كما في الشاطبية ص ١٨ .

(وبعضهم في الأربع الزهر بسملا)

(٨٣) العبارة في إبراز المعاني ص ٥٣ ، والنشر ١ / ٢٤١ . وفي هذا الموضع من النشر تراجع الآراء التي وردت (للداني ، والجعبري ، وصاحب المبهج ، والشاطبي ، وابن شريح)

(٨٤) في النشر ١ / ٢٤١ : (وقال الداني : سكتة لطيفة من غير قاطع . وهذا لفظه أيضاً في السكت بين السورتين من جامع البيان) .

(٨٥) أي لم قطع طويل وما قاله ابن الجوزي في النشر ١ / ٢٤١ هو :
(وقال الجعبري : قطع الصوت زماناً قليلاً أصغر من زمن الحراج للنفس ، لأنه إن طال صار وقتاً موجباً لبسمة) .

(٨٧) هو سبط الخياط ، وتقدم ذكره .

(٨٨) المبهج في القراءات الثمان ، منه مخطوطة في مكتبة جامعة الرياض برقم ٢٧٩٩ (معجم مصنفات القرآن الكريم ٤ / ١٤٩) .

(٨٩) في النشر ١ / ٢٤١ : (وقال أبو محمد في المبهج : وقفة تؤذن بإسرارها ، أي بإسرار البسمة) .

(٩٠) الشاطبية ص ٣٧ . وتتمام الشطر الأول :

(وعن حمزة في الوقف خُلف وعنده)

(٩١) عثمان بن سعيد المصري (ت ١٩٧ هـ) ، انتهت إليه رئاسة الاقراء بالديار المصرية . غاية النهاية ١ / ٥٠٢ .

(٩٢) خلف بن هشام البزاز أحد القراء العشرة (ت ٢٢٩ هـ) .
غاية النهاية ١ / ٢٧٢ .

(٩٣) إبراز المعاني ، لأبي شامة ص ١١٧ .

(٩٤) النشر ١ / ٢٤١ .

(٩٥) الشاطبية ص ١٢٨ ، وإبراز المعاني ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

(٩٦) وهي أربعة : في الكهف ١٨ / ١ - ٢ : ﴿ ... ولم يجعل له عوجاً ﴾ فيما لينذر بأساً شديداً من لدنه ... ﴿ ، وفي يس ٣٥ / ٥٢

﴿ قالوا يا ويلنا من بعثنا من مردقنا هذا ما وعد الرحمن وصق المرسلون ﴾ ، والقيامة ٧٥ / ٢٧ ﴿ وقيل من راق ﴾ ، والمطففين

٨٣ / ١٤ ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ .

(٩٧) هو شرف الدين صدقة ، وتقدمت ترجمته .

(٩٨) كان حمزة يسكت على الساكن ، إذا كان آخر كلمة ولم يكن حرف

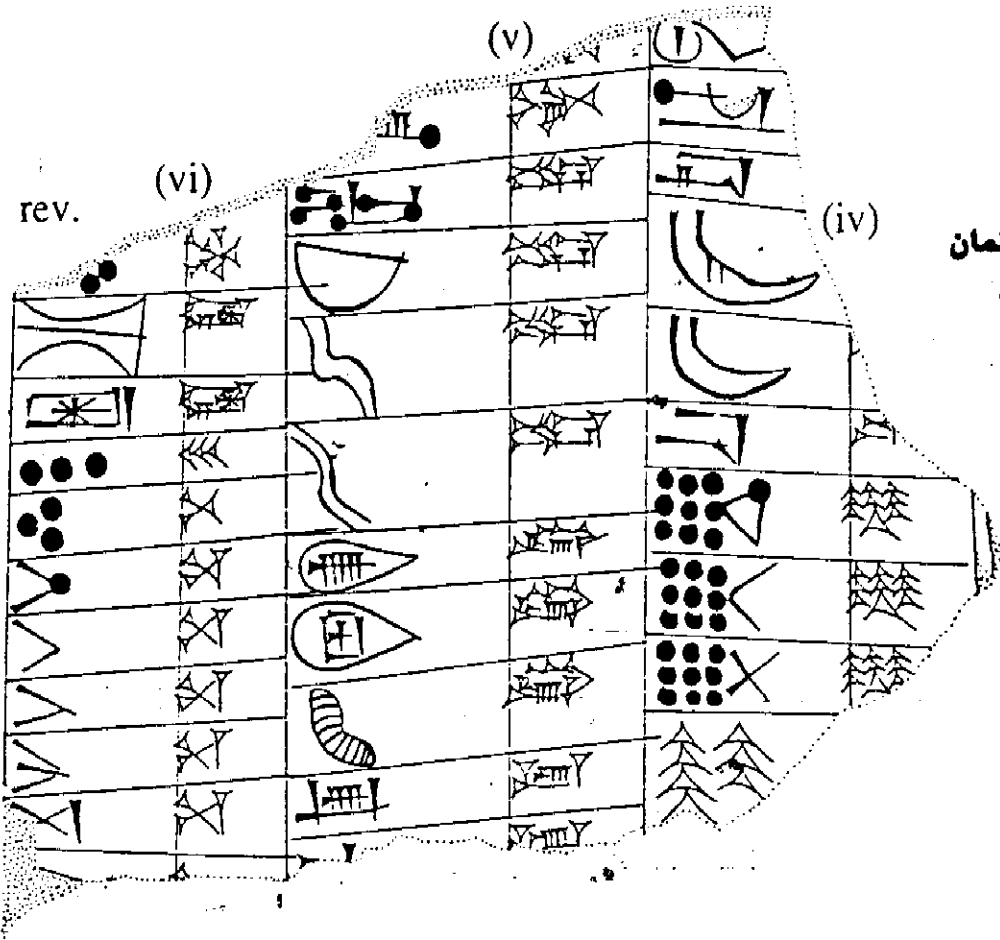
- مذ وأتت الهمزة بعده ، سكّنة لطيفة من غير قطع .
 التيسير في القراءات السبع ، للداني ص ٦٢ .
 (٩٩) أبو الفرج عبد الملك بن بكران النوراني القطان
 (ت ٤٠٤ هـ) . غاية النهاية ١ / ٤٦٧ .
 (١٠٠) النشر ٢ / ٢٣ .
 (١٠١) ورد النص في النشر ٢ / ٢٨ معزواً الى (جمع البيان) في
 سياق كلام ابن الجزري على من ذهب الى الغنة في (اللام) من غير
 التعرض للرأ .
 (١٠٢) الرأ : ليست في النشر .
 (١٠٣) لا : زيادة من النشر تصحح المعنى .
 (١٠٤) أبو الفضل محمد بن جعفر بن عبد الكريم الخزاعي . له
 (المنتهى في الخمس عشرة) ، توفي سنة ٤٠٨ هـ . غاية النهاية
 ١٠٩ / ٢ .
 (١٠٥) الإقناع ١ / ٢٥٠ .
 (١٠٦) ينظر في ما كتب مقطوعاً وموصولاً من الالفاظ : الجامع لما
 يحتاج اليه فن رسم المصحف ، لابن وثيق الاندلسي ص ٧٩ - ٨١ .
- (١٠٧) يعني الشاطبي .
 (١٠٨) تمام البيت كما في الشاطبية ص ٤٦ :
 (وفي الواو والياء بونها خَلَفَ تلا)
 (١٠٩) يفهم ذلك من البيت التالي للبيت المتقدم . وهو :
 وعندهما للكل أظهر بكلمة
 مخافة إشباه المضاعف أثقلا
 (١١٠) عقيلة أتراب القصائد . منظومة رائية في رسم المصحف
 الشريف للشاطبي والبيت بتمامه كما في مخطوطة المكتبة القادرية
 (باب المقطوع والموصول) :
 وقل على الاصل مقطوع الحروف أتى
 والوصل فرع فلا تُلفي به حصرا
 (١١١) تمام الشطر الثاني كما في الشاطبية ص ١٧٩ :
 (سَكَنَ ولا إظهار في الأنف يُحتلى)
 (١١٢) في المخطوط : يشترط . تحريف .
 (١١٣) مما : زيادة يحتاج إليها السياق .

المصادر

- إبراز المعاني من حرز الاماني ، أبو شامة المقدسي ، القاهرة
 ١٣٤٩ هـ .
 — إرشاد المبتدئ وتذكرة المنتهى في القراءات العشر ، أبو
 المزالق الانسي ، تحقيق عمر حمدان الكبيسي ، مكة المكرمة ١٩٨٤ م .
 — الاعلام ، الزركلي ، بيروت ١٩٨٠ م .
 — الإقناع في القراءات السبع ، ابن الباذش . تحقيق الدكتور
 عبد المجيد قطامش ، دمشق ١٤٠٢ هـ .
 — البحر المحيط ، أبو حيان الاندلسي ، القاهرة ١٣٢٨ هـ .
 — التبصرة في القراءات السبع ، مكي بن ابي طالب ، تحقيق الدكتور
 محمد عزت الندوي ، الهند ١٩٨٢ م .
 — التحديد في الاتقان والتجويد ، أبو عمرو الداني ، تحقيق الدكتور غانم
 قدوري حمد ، بغداد ١٩٨٨ م .
 — التمهيد في علم التجويد ، ابن الجزري ، تحقيق الدكتور علي حسين
 البواب ، الرياض ١٩٨٥ م .
 — التيسير في القراءات السبع ، أبو عمرو الداني ، دبع أوتيرتزل ،
 استانبول ١٩٢٠ م .
 — الجامع لما يحتاج اليه من رسم المصحف ، تحقيق الدكتور غانم
 قدوري حمد ، بغداد ١٩٨٨ م .
 — جمال القراء وكمال الإقراء ، علم الدين السخاوي ، تحقيق الدكتور
 علي حسين البواب ، مكة المكرمة ١٩٨٧ م .
 — الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، مكي بن أبي طالب ،
- تحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات . دمشق ١٩٧٣ م .
 — الشاطبية (حرز الاماني ووجه التهامي في القراءات السبع) .
 القاسم الشاطبي ، طبع متولي عبد الله الفقاعي . القاهرة ب . ت .
 — الضوء اللامع لاهل القرن التاسع . شمس الدين السخاوي .
 (ج ٦) ، القاهرة ١٣٥٤ هـ .
 — عقيلة أتراب القصائد (منظومة) ، للشاطبي ، مخطوطة المكتبة
 القادرية ببغداد ، رقمها ١١٢ .
 — غاية النهاية في طبقات القراء ، ابن الجزري . نشره ج .
 برجستراسر ، بيروت (ط ٢) ١٩٨٠ م .
 — الكشف عن وجوه القراءات السبع ، مكي بن ابي طالب ، تحقيق
 الدكتور محيي الدين رمضان ، بيروت ١٩٨١ م .
 — معجم الدراسات القرآنية . الدكتور ابتسام مرهون الصغار . الموصل
 ١٩٨٤ م .
 — معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة . دمشق ١٩٥٧ م .
 — معجم مصنفات القرآن الكريم ، الدكتور علي شواخ اسحاق . الرياض
 ١٩٨٤ م .
 — المفصل في النحو ، نسخة مصورة عن طبعة كريستيانيا .
 — المكتفى في الوقف والابتداء ، أبو عمرو الداني ، تحقيق الدكتور جابر
 زيدان مخلف ، بغداد ١٩٨٢ م .
 — النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، طبع علي محمد الضباع .
 بيروت (نسخة مصورة ب . ت) .

الكتابة المسماوية

نشأتها وتطورها



د. حسين احمد سلمان
الجامعة المستنصرية
كلية التربية

الانسان القديم فبقى معرفة محدودة لا تتجاوز تاريخ اكتشاف الكتابة في المنطقة^(١). وفي العراق القديم لابد من أن إنسان ما قبل التاريخ Prehistory قد استخدم لغة أو لغات قد تفاهم بها مع اخيه الإنسان، إلا أن نوع تلك اللغة بقي مجهولاً لأن الكتابة وسيلة حفظ اللغة إلى الأجيال التالية لم تكن معروفة. وربما كان بالإمكان معرفة الفصيلة أو العائلة اللغوية من خلال دراسة الآثار المادية والهياكل العظمية وتحليلها ومعرفة انتماء الإنسان العرقي وموطنه الأصلي وطريق هجرته، وأن كل ما نعرفه من لغة السكان القدماء في بلاد وادي الرافدين مفردات لغوية وتسميات جغرافية ظلت مستخدمة في اللغة السومرية واللغة الأكادية عند اختراع الكتابة المسماوية ولعل من أبرز تلك التسميات اسم مدينة آشور

من أهم ما يميز الإنسان عن غيره من الكائنات الحية قدرته على التعبير عن نفسه بطرق ووسائل إرادية شتى بصرية كانت أم سمعية^(٢). تمكنه من الاتصال بلوي جنسه، لذا استخدم الإنسان الإشارات والحركات والأصوات وهي وسائل إرادية بصرية، علماً إن استخدام الأصوات هو الذي كون اللغة وهي من الوسائل الإرادية السمعية. وأخيراً استخدم الإنسان الرسم والعلامات ثم الكتابة. وظلت هذه الوسائل جميعها قائمة حتى الوقت الحاضر ولكن ذات فائدة مختلفة تزداد أو تنقص تبعاً للظروف التي يتعرض لها الإنسان. وتعد اللغة أهم وسائل التعبير السمعية الإرادية للمجتمعات ولا يمكن تصور مجتمع حتى لو كان بدائياً من دون لغة يتفاهم بها أفرادها. أما مدى معرفتنا بلغة

تستخدم للدلالة على الشيء المادي فحسب وللدلالة على صفات ذات علاقة بالشيء المادي تمثله العلامة الصورية فصورة القدم تدل على القدم وعلى حركات القدم (المشي والوقوف) وصورة المحرات غدت تمبر عن المحرات والحرات والحارت والفلاح أما الصفات فصار التعبير عنها باستخدام صور الأشياء المادية المرتبطة بتلك الصورة فعلامة الشمس أصبحت للتعبير عن صفة البياض . ورغم هذا التطور في الكتابة الصورية والرمزية إلا أنها بقيت قاصرة عن التعبير وكتابة الجمل والتخاطب ومن هنا ولدت الحاجة الى ابتكار الطريقة الصوتية او المقطعية ويبدو إن هذا الابتكار قد تم في النصف الثاني من الالف الثالث قبل الميلاد . ذلك إن الطريقة

الصوتية بقيت تستخدم الى جانبها الطريقة الرمزية حتى نهاية استخدام الكتابة المسمارية^(٨) . إن الطريقة المقطعية هي استخدام القيم الصوتية للعلامات الصورية والرمزية لكتابة كلمات جديدة لا علاقة لها بمعاني ورموز تلك العلامات أي ان العلامة أصبحت تستخدم من أجل قيمتها الصوتية فقط من دون الالتفات الى معناها فإذا أريد كتابة اسم حمورابي فإن الكاتب يجزئ الاسم الى عدة مقاطع صوتية ثم يبحث عما يمثل أصوات تلك المقاطع من بين العلامات الصورية والرمزية دون الاهتمام بما تعنيه تلك العلامات ولما كانت العلامات التي تلفظ (ح . م . ر . ب) تعني / سمكة + اسم + ضرب + شراب) على التوالي عبر الكاتب عن اسم حمورابي بالعلامات المسمارية التي تلفظ بهذه الأصوات^(٩) ، وعلى القارئ ان يعرف ان المقصود بها اسم حمورابي وليس معنى العلامات الصورية او الرمزية . ومن الممكن المقارنة بين هذه الطريقة والطريقة الأبجدية في الكتابة حيث إن كل حرف من الحروف الأبجدية يمثل صورة لشيء معين فرسم حرف الألف يمثل (الثور) ورسم الباء يمثل (البيت) ورسم الجيم يمثل (الجمل) وهكذا غير إن هذه الرسوم استخدمت للدلالة على صوت معين (أ . ب . ج)^(١٠) . وبعد معرفة الطريقة المقطعية في الكتابة المسمارية أصبح بالإمكان التعبير عن الأدوات النحوية وجميع الأفعال والأسماء المختلفة ويمرور الزمن أصبح لكل علامة مسمارية أكثر من قيمة صوتية واحدة وأكثر من معنى رمزي واحد كما أصبح لكل قيمة صوتية أكثر من علامة واحدة باستخدام الطريقة الصوتية والرمزية الأمر الذي دعا الكتبة الى ان يبتدعوا أساليب تساعد على سهولة قراءة الكتابة ، وتزيد من دقة التعبير وكانت العلامات الدالة التي توضع قبل او بعد الأسماء فالعلامة الرمزية التي تدل على الخشب كانت توضع قبل أسماء المواد المصنوعة من الخشب جميعاً فإذا

الذي ورد في النصوص المسمارية بصيغة بال (Bal — Til) وربما كذلك اسم بابل (Babial) وأربيل (Erbil)^(١١) ، وكذلك بعض المفردات التي نسبت الى مجموعة سكانية عرفت بمصطلح الفراتيون الاوائل (Proto — Euphrates) . ومن أهم تلك المفردات أسماء معظم المدن السومرية القديمة (أريجو ، اورك ، كلاب ، لارسا ، لجش ، اور ، بادتيبا ، أوما ، أيش ، سبار ، أنب ، نغر ، لرك ، كرسو ...)^(١٢) واسمي دجلة والفرات وأسماء عدد من الحرف والصناعات (فلاح ، نجار ، محراث) (ابن) دخل نعبار ، (نجر) فخار ، بحر ، حائك (اشبر) إسكافي (اشجب)^(١٣) .

✱ الكتابة المسمارية (Cuneiform)

تمثل العلامات الصورية على الألواح الطينية المكتشفة في مدينة الوركاء (ط ٤ أ) أقدم محاولات ابن الرافدين في الكتابة وتكوين اللغة^(١٤) (٣٥٠٠ — ٣٢٠٠ ق . م) حيث إن المعلومات المنقوشة هي عبارة عن علامات صورية مجردة ليس فيها ما يشير إلى خصائص اللغة التي تنقلها فهي إن تبقى مجهولة وتمثل لغة الاقوام التي تكلمت بها سواء كانت لغة الفراتيين الاوائل أو لغة السومريين . أما الخط المسماري أو الكتابة المسمارية فهي أقدم وسيلة ابتكرت للتدوين ، وهي من المنجزات التي اهتمت اليها الإنسان وساعدت على تقدم وتطور واستمرار حضارته فهي لا تقل أهمية عن ابتكار الحروف الهجائية او اختراع القوة البخارية او الكهربائية او سواها وقد سميت بالكتابة المسمارية لان علاماتها تشبه بشكلها المتطور مجموعة من المسامير ، لقد كانت العلامات الصورية ترسم بقلم مدبب على الطين الطري المهنيء بشكل قطع منتظمة وترسم من الأعلى الى الأسفل ولكم بشكل غير منتظم ثم ما لبثت ان اختزلت العلامات واستخدام القلم ذو المقطع المستطيل والمثلث الذي يمثل طبعه خطأ مستقيماً ينتهي بما يشبه المثلث كما تغير كتابة العلامات فبعد ان كانت ترسم عمودياً أصبحت ترسم أفقياً^(١٥) . ومن الجدير بالذكر إن الكتابة الصورية كانت محدودة لا تسمح للكاتب ان يعبر عن غير الأشياء المادية لذا اقتضت النصوص الصورية الاولى على تسجيل وارادات المعابد وتثبيت أصنافها وأعدادها غير إن القوم كانوا بحاجة الى التعبير عن كثير من الأمور التي لا يمكن رسم صورها فكانت الخطوة الاولى التالية باستخدام الأسلوب الرمزي في الكتابة فالعلاقة أصبحت

هناكس ١٨٥٠ م .

اما العالم الإنكليزي (رولسن) فقد وجد عام ١٨٥٥ م جداول مسمارية ثنائية اللغة تضم مفردات بابلية الى جانبها مفردات سومرية ثم استمرت جهود الباحثين في الكشف عن اصل الخط المسماري حتى تمكن الباحث (يولس أوبرت) من القول ان الخط المسماري هو خط السومريين استناداً الى ما جاء في لقب (ملك سومر وأكد) هذا اللقب الذي اتخذ من قبل عدد من الحكام الاوائل ويتضح من خلال الدراسات ان اللغة السومرية لا تشبه اللغة الاكدية ولا غيرها من اللغات المحلية سواء في التركيب أو القواعد أو المفردات وحتى الاصوات ، ولعل من الممكن القول : ان اللغة السومرية تنتمي الى عائلة لغوية قديمة انقرضت جميع لغاتها باستثناء اللغة السومرية قبل ان تبتدع الكتابة كوسيلة للتدوين . فاللغة السومرية لغة ملصقة غير قابلة للتصريف اي ليس من اللغات المعربة كما هي اللغات العبرية القديمة واللغات الاوربية وجنورها بصورة عامة لا تتغير اما وحدتها القواعدية الاساسية المركب اللفظي وليس الكلمة المفردة^(١٤) . اما اللغة الاكدية التي كتبت بالخط المسماري فهي لغة الاقوام الاكدية (البابلية والاشورية) أي الاقوام التي هاجرت من جزيرة العرب واستقرت في بلاد سوريا وفلسطين والعراق فهي إذن تنتمي الى الشجرة نفسها التي تنتمي لها اللغة العربية واللغة الكنعانية والارامية ، وقد اطلق الباحثون القدامى خطأ مصطلح اللغات السامية على هذه المجموعة من اللغات استناداً الى ما جاء في التوراة منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي . إلا ان الدراسات الحديثة أثبتت ان الموطن الاول لهذه الاقوام هو شبه الجزيرة العربية وان اللغة الام التي تنتسب اليها جميع هذه اللغات هي اللغة التي كانت سائدة في شبه جزيرة العرب قبل هجرة هذه الاقوام منها ، وتشير الدراسات اللغوية المقارنة الى ان اللغة العربية هي اقرب لغات هذه المجموعة شياً واقترباً من اللغة الام . ومن الممكن ان نطلق على هذه المجموعة اللغوية مصطلح (عائلة اللغات العربية القديمة) أو عائلة اللغات الجزرية تمييزاً لها عن اللغة العربية الحديثة وان تسمى الاقوام التي هاجرت الى الفرات وبلاد الشام بمصطلح الاقوام الجزرية او (الاقوام العربية القديمة)^(١٥) .

وضعت امام العلامة التي تعني محراث اصبح واضحاً ان المقصود من علامة المحراث هو التعبير عن (المحراث) وليس فعل الحراثة وكذلك بالنسبة للعلامة الدالة على أسماء الاشخاص الذكور فإذا وضعت امام العلامات التي تؤلف اسم (حمورابي) اصبح واضحاً ان المقصود من هذه العلامات هو اسم (حمورابي)^(١٦) . أما النهايات الصوتية فهي علامات تكتب بعد العلامات الرمزية التي تعطي اكثر من معنى واحد ويمكن قراءتها باكثر من قراءة واحدة ، والغاية من النهاية الصوتية تحديد المعنى المطلوب من العلامة الرمزية لبيان كيفية نطق آخر مقطع صوتي منها إذا أراد الكاتب أن يعبر عن كلمة (سماء) فإن العلامة التي تعني السماء أيضاً تعني أيضاً اله الجو (انو) كما تعني (اله) ولغرض معرفة قصد الكاتب يوضع بعد العلامة الرمزية علامة تمثل المقطع الصوتي (مو) ليل على ان المقصود هي كلمة (شمو) التي تعني السماء . ولقد قام الكتاب القدماء بتنظيم جداول تضمنت العلامات المسمارية مصنفة حسب قيمتها الصوتية أو معانيها الرمزية فهناك جداول بأسماء الحيوانات والنباتات وأعضاء جسم الإنسان . والغاية من هذه الجداول هو تدريب المتعلمين المبتدئين^(١٧) .

ان اللغة السومرية هي اقدم اللغات العراقية القديمة^(١٨) من حيث تاريخ التدوين بل هي اقدم اللغات البشرية المعروفة التي وجدت طريقها للتدوين وتليها اللغة الاكدية واللغة المصرية القديمة فقد عرف المصريون الكتابة الهيروغليفية في أواخر الالف الرابع قبل الميلاد . أي بعد ابتكار الكتابة في القسم الجنوبي من العراق لبضعة قرون ، واللغة السومرية هي لغة الاقوام السومرية العراقية الاصل التي وضعت أسس الحضارة العراقية القديمة . وحتى أواسط القرن التاسع عشر الميلادي كان الاعتقاد السائد بين الباحثين ان تاريخ العراق القديم هو تاريخ البابليين والاشوريين لان النصوص المسمارية المكتشفة آنذاك كانت نصوص بابلية وآشورية ومن خلال دراسة تلك النصوص المسمارية تمكن الباحثون من القول ان هناك اقوام اخرى غير البابلية والاشورية ساهمت في بناء الحضارة العراقية القديمة ولها الفضل في اختراع الكتابة المسمارية ومن اشهر الباحثين الاوربيين الذين أشاروا الى ذلك

رسم الكتابة المسمارية

بين دولي التثوير والتطور

د. علاء الدين احمد العاني
كلية التربية / جامعة الانبار

الكتابة ضرورة ولدتها الحاجة . وأحكتها رسماً وتعبيراً حلقات
التغير والتطور المتلاحقة .

والوركاء مدينة عريقة في القدم ، ولها مكانة في التاريخ ، وفي
معبدها . ومن أجل احصاء مدخولاته ومصروفاته وتقييدهما^(١) ، ابتدع
السومري ابن الفراتين . ومنذ خمسة الاف ونيف من السنين . أول وسيلة
للتدوين عرفها المجتمع البشري ، وحين ابتدئها ثلاثات أنامله صورا ،
اتقدت فتوهجت لتثير الدرب للإنسان .

ولولا الكتابة لما كان هناك معلم يعلم وطلبة علم يتعلمون ، ولما كانت
هناك مدرسة يتم فيها لقاء وتلق وإلقاء ، ولما كانت هناك اداة يكتب بها .
ومادة يكتب عليها . ولما كان الكتاب . ولما كانت المكتبة . ولما تراكمت علوم
ومعارف ينهل من معينها الناهلون .

ومن حق انسان العراق ان يفخر بانه : « سبق الناس كلهم في جميع
المجالات ، وكان اول من تفاهم بالحرف المكتوب . وتلك هي اعظم خطوة
خطاها البشر في طريق الحضارة ، أنشا في هذه البقعة الطيبة من الارض
اول مدرسة ، فكان هنا اول تلميذ وأول معلم . واول كتاب مدرسي . واول
قاموس . واول مكتبة . وكلها احداث فريدة في تاريخ البشرية »^(٢)

والعراق ، وماذا يقال عنه ، بلد جلى العقول بعلمه ، وشحذ الازهان
بقوائمه ، عارض الجهل بالفكر ، والغفلة باليقظة ، والنقص بالكمال ،
وما خلص منه جزء لا بل بعض جزء من تراث ثر ، نهلت من معينه امم
وشعوب حين حزمت امرها على تدارك ما فاتها واللاحق بركب من تقدمها
علماً وفكراً وفناً وصناعة .

والعراق ما كبا يوماً كبوة الا واعقبها بنهوض وصحوه ، يفد السير
نحو مطلع الشمس لينير الدرب ، ويبيد الظلمة .

فعلى ارضه الطيبة المعطاءة اجتمع قديم الحضارة وجديدها
وتناوبا ، تواؤماً حيناً وتنافراً حيناً آخر ، بين القديم

١ - ينظر عبد الواحد وافني ، علم اللغة :
ط ٥ ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ٧٤ - ٧٩ .
٢ - د . عامر سليمان ، اللغة الاكدية ، بغداد ،
١٩٩١ ، ص ٢٢ .

٣ - Saggs , H. , The Might that Was
Assyria , London 1984 , p. 22 .

٤ - د . عامر سليمان ، اللغة الاكدية ،
ص ٢٤ - ٢٥ .

٥ - المصدر نفسه ، ص ٢٤ وينظر فاضل
عبد الواحد على / من الواح سومر الى التوراة
بغداد ١٩٨٩ ص ٧ ، وطه باقر / مقبلة في
تاريخ الحضارات القديمة ، ج ١ / بغداد
١٩٧٣ / ص ٧٤ و د . عامر سليمان /
التراث اللغوي / ص ٢٧٤ - ٢٧٧ .

٦ - Oppenheim , leo , Ancient Meso-
potamia , chicago 1964 — PP . 40 —
50 .

٧ - د . عامر سليمان / الكتابة المسمارية
والحرف العربي / الموصل / بلاد تاريخ ص ٩ .
٨ - Kvarner , s. The Smerian , chica-
go 1963 — 1963 — P. 19 .

٩ - د . عامر سليمان ، الكتابة المسمارية
والحرف العربي / ص ١٢ .

١٠ - المصدر نفسه ، ص ١٢ .

١١ - المصدر نفسه / ص ١٢ .

١٢ - د . فوزي رشيد / قواعد اللغة
السومرية / بغداد / ١٩٧٢ ص ١٢ .

١٣ - هاري زاكس ، امة بابل ، ترجمة د .
عامر سليمان / الموصل / ١٩٧٩ /
ص ٥١ .

١٤ - عن اللغة الاكدية وتطورها . انظر : د .
عامر سليمان / اللغة الاكدية .

١٥ - المصدر نفسه . ص ١٨ .

رسم الكتابة المسمارية

بين دولي التثوير والتطور

د. علاء الدين احمد العاني
كلية التربية / جامعة الانبار

الكتابة ضرورة ولدتها الحاجة . وأحكتها رسماً وتعبيراً حلقات
التغير والتطور المتلاحقة .

والوركاء مدينة عريقة في القدم ، ولها مكانة في التاريخ ، وفي
معبدها . ومن أجل احصاء مدخولاته ومصروفاته وتقييدهما^(١) ، ابتدع
السومري ابن الفراتين . ومنذ خمسة الاف ونيف من السنين . أول وسيلة
للتدوين عرفها المجتمع البشري ، وحين ابتدئها ثلاثات أنامله صورا ،
اتقدت فتوهجت لتثير الدرب للإنسان .

ولولا الكتابة لما كان هناك معلم يعلم وطلبة علم يتعلمون ، ولما كانت
هناك مدرسة يتم فيها لقاء وتلق وإلقاء ، ولما كانت هناك اداة يكتب بها .
ومادة يكتب عليها . ولما كان الكتاب . ولما كانت المكتبة . ولما تراكمت علوم
ومعارف ينهل من معينها الناهلون .

ومن حق انسان العراق ان يفخر بانه : « سبق الناس كلهم في جميع
المجالات ، وكان اول من تفاهم بالحرف المكتوب . وتلك هي اعظم خطوة
خطاها البشر في طريق الحضارة ، أنشا في هذه البقعة الطيبة من الارض
اول مدرسة ، فكان هنا اول تلميذ وأول معلم . واول كتاب مدرسي . واول
قاموس . واول مكتبة . وكلها احداث فريدة في تاريخ البشرية »^(٢)

والعراق ، وماذا يقال عنه ، بلد جلى العقول بعلمه ، وشحذ الازهان
بقوائمه ، عارض الجهل بالفكر ، والغفلة باليقظة ، والنقص بالكمال ،
وما خلص منه جزء لا بل بعض جزء من تراث ثر ، نهلت من معينه امم
وشعوب حين حزمت امرها على تدارك ما فاتها وللحاق بركب من تقدمها
علماً وفكراً وفناً وصناعة .

والعراق ما كبا يوماً كبوة الا واعقبها بنهوض وصحوه ، يفد السير
نحو مطلع الشمس لينير الدرب ، ويبعد الظلمة .

فعلى ارضه الطيبة المعطاءة اجتمع قديم الحضارة وجديدها
وتناوبا ، تواؤماً حيناً وتنافراً حيناً آخر ، بين القديم

١ - ينظر عبد الواحد وافني ، علم اللغة :
ط ٥ ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ٧٤ - ٧٩ .
٢ - د . عامر سليمان ، اللغة الاكدية ، بغداد ،
١٩٩١ ، ص ٢٢ .

٣ - Saggs , H. , The Might that Was
Assyria , London 1984 , p. 22 .

٤ - د . عامر سليمان ، اللغة الاكدية ،
ص ٢٤ - ٢٥ .

٥ - المصدر نفسه ، ص ٢٤ وينظر فاضل
عبد الواحد على / من الواح سومر الى التوراة
بغداد ١٩٨٩ ص ٧ ، وطه باقر / مقبلة في
تاريخ الحضارات القديمة ، ج ١ / بغداد
١٩٧٣ / ص ٧٤ و د . عامر سليمان /
التراث اللغوي / ص ٢٧٤ - ٢٧٧ .

٦ - Oppenheim , leo , Ancient Meso-
potamia , chicago 1964 — PP . 40 —
50 .

٧ - د . عامر سليمان / الكتابة المسمارية
والحرف العربي / الموصل / بلاد تاريخ ص ٩ .
٨ - Kvarner , s. The Smerian , chica-
go 1963 — 1963 — P. 19 .

٩ - د . عامر سليمان ، الكتابة المسمارية
والحرف العربي / ص ١٢ .

١٠ - المصدر نفسه ، ص ١٢ .

١١ - المصدر نفسه / ص ١٢ .

١٢ - د . فوزي رشيد / قواعد اللغة
السومرية / بغداد / ١٩٧٢ ص ١٢ .

١٣ - هاري زاكس ، امة بابل ، ترجمة د .
عامر سليمان / الموصل / ١٩٧٩ /
ص ٥١ .

١٤ - عن اللغة الاكدية وتطورها . انظر : د .
عامر سليمان / اللغة الاكدية .

١٥ - المصدر نفسه . ص ١٨ .

والجديد صراع سرمدي ، منذ الازل وحتى الابد . القديم لو يكن في البدء قديماً ، والجديد لن يظل على جدته ، تلك سنة الحياة ولن تجد لسننها تبديلاً فالحضارة تنمو وتكبر وتشيع وتهرم لتفنى في غيرها الاقدر على التواءم مع ظروف المرحلة ومتطلباتها من اجل مستقبل زاهر وحياة افضل .

وتلك اصالة العراق وحضارة العراق ، لان الاصالة ما كانت تعني عنده الانكفاء على الذات ، والانكفاء على الموروث ، والاكتماء به . كما لا تعني الانسلاخ عن الماضي والتجرد عن الاصول والتقاليد المتوارثة عبر حلقات التطور المتلاحقة . وإنما تعني التواصل بين الماضي والحاضر ، والتفاعل مع روح العصر ومتطلباته في التحديث من اجل خلق جديد .

والكتابة وان ابتدأت . في الالف الرابع قبل الميلاد^(٢)

بسيطة ، الا انها اخذت في النماء والتطور عبر مراحل ثلاث : الاولى « الصورة » حيث عبر انسان الوركاء بالصورة عن الصورة نفسها ، وفي الثانية « الرمزية » اشتق معاني تعلق بالصورة وارتبطت بها ، وفي الثالثة « المقطعية - الصوتية » ألف بين عدة صور ، اخذ اصواتها وأهمل معانيها^(٣) ، وما كان له ان يتوقف عند هذا الحد بل اضاف ، وضمن اطر مراحل التطور الثلاث ، كلما مست الحاجة الى ذلك سبيلاً ، صوراً جديدة ، واشتقاق معاني ، وتوليد اصوات .

ان تطور الكتابة ما هو الا نتاج فعل ارادي للإنسان . مخفيط له ومدرس ، من اجل الارتقاء بالكتابة تعبيراً نحو الافضل . وقد تلاشت الصور ، كلما تقدم الزمن بالكتابة ، واستحالت خطوطاً أشبه بالمسامير عبر حلقات التغيير المتلاحقة ، لذا عرفت بـ « الكتابة المسمارية » .

والتغير نتاج فعل لا ارادي للإنسان ما لم يصاحبه ارتقاء وتطور ، فالتكرار وما يسببه من ملل حمل الكاتب على تجريد الصورة واختزالها ، ليعبر عنها بأبراز جزء فيها وفي ذلك اختصار وقت وجهد . وسرعة اداء ووفرة انتاج ، وما لادوات الكتابة وموادها ، على تعددها وتنوعها وتفاوت درجات مرونتها وطواعيتها . من اثر في حدوث التغيير في الرسم الكتابي واستمراره . فالكتابة بالقلم المثلث على الطين غير النقش في الحجر والطرق على المعدن ، وما لليد الكاتبة ، ارتكازها وحركتها وحركة سلاميات اصابعها ، ومرونتها وطواعيتها ، من اثر في ابتعاد الرسم الكتابي عن الاصل عن المحاكاة فضلاً عما للرغبة وما يتولد عنها من جد واجتهاد . والموهبة وما تتطلبه من تشذيب وتهذيب بالدرية والمران ، من اثر في تفاوت الاداء من حيث الجودة

والدقة والضبط والإتقان .

إن تعدد اشكال الدلالة على المعنى الواحد وتنوعها يعطي الدليل على مدى تغير الـ . الكتابي ، ففي طبقة الوركاء الرابعة وجدت احدى وثلاثون علامة للدلالة على معنى الغنم ، واقتصر على ثلاث في طبقتها الثالثة ، وفي مرحلة لاحقة على اثنتين^(٤)

الهوامش

- (١) ينظر : « الخط المسماري واللغة الاككية » للدكتور فاضل عبد الواحد علي ، مجلة كلية الآداب ، بغداد م ٣٢ / ١٩٨٢ ص ١٩٣ . و « الكتابة واللغة والآداب » للدكتور فاضل عبد الواحد علي ، العراق في موكب الحضارة ، الاصاله والتأثير ، بغداد ١٩٨٨ ج ١ ص ١٨١ و « الكتابة » للدكتورة بهيجة خليل اسماعيل ، حضارة العراق ، بغداد ١٩٨٥ ، ج ١ ص ٢٢٢
- (٢) هنا بدأ التاريخ ، كريم ، ترجمة ناجية المراني ، بغداد ١٩٨٠ ص ٥ - ٦ .
- (٣) « الخط المسماري واللغة الاككية » ص ١٩٢ . « الكتابة واللغة والآداب » ص ١٨١ « الكتابة واللغة والآداب » ص ١٨١ - ١٨٢ . « الكتابة » ص ٢٢١ .
- (٤) « الخط المسماري واللغة الاككية » ص ١٩٣ - ١٩٤ . « الكتابة » ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .
- (٥) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة للاستاذ طه باقر . بغداد ١٩٧٣ ، ج ١ ص ٢٤١ . « الكتابة » ص ٢٢٢
- (٦) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج ١ ص ٢٤٠ . « الخط المسماري واللغة الاككية » ص ١٩٤ . « الكتابة واللغة والآداب » ص ١٨٢ « الكتابة » ص ٢٢٢
- (٧) « الكتابة » ص ٢٢٢ .
- (٨) « الخط المسماري واللغة الاككية » ص ١٩٢ ، ١٩٧ « الكتابة واللغة والآداب » ص ١٩٤ . « الكتابة » ص ٢٣٥ - ٢٤٠

المراجع

- (١) « الخط المسماري واللغة الاككية » للدكتور فاضل عبد الواحد علي ، مجلة كلية الآداب ، بغداد م ٣٢ لسنة ١٩٨٢
- (٢) « الكتابة » للدكتورة بهيجة خليل اسماعيل ، حضارة العراق ، بغداد ١٩٨٥ ج ١ .
- (٣) « الكتابة واللغة والآداب » للدكتور فاضل عبد الواحد علي ، العراق في موكب الحضارة ، الاصاله والتأثير ، بغداد ١٩٨٨ ، ج ١
- (٤) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة للاستاذ طه باقر ، بغداد ١٩٧٣ ج ١ .
- (٥) هنا بدأ التاريخ لكريم ، ترجمة ناجية المراني ، بغداد ١٩٨٥ .

أهمية الكتابة في حفظ الحديث النبوي الشريف

وتمازجه خلال القرن

الأول الهجري

د. عبد الخضر جاسم

كلية التربية / جامعة بابل

تداول العرب كلمة (الكتاب) فيما بينهم من دون ان يتحدد بعدد الكلمات أو الاسطر أو الصفحات المكتوبة فيه ، وهكذا سمي كتاباً ، لأنه يجمع حرفاً الى حرف ^(١) ومع ان مفهوم الكتاب على إنه « اسم لما كتب مجموعاً » ^(٢) لم يظهر الا في وقت متأخر عند العرب ، إلا أن هذا المفهوم بقي موازياً ومساوياً في الاستعمال للمفهوم الاول في معنى الكتاب . فالقرآن الكريم الذي يضم الالاف من الكلمات كتاباً ، ورسائل الرسول (ﷺ) التي كان بعضها لم يتجاوز السطر الواحد كتاباً ايضاً ، وعلى هذا صار كل شيء يكتب فيه (كتاباً) ، فالمسبب والاحجار والقراطيس والورق وما شابه كلها كُتِبَ لأن فيها مادة مكتوبة . فالكتاب عند العرب لم يتحدد بنوع المادة المكتوب فيها ، وإنما بقي لزمان طويل في لغة العرب يعني كل ما كتب فيه .. وما يكتب فيه ^(٣) .

أفة وآفة العلم النسيان ^(٤) ودعا علقمة بن قيس النخعي (ت ٦١ هـ) الى اعتماد المذاكرة الدائمة لحياء العلم والتغلب على آفة النسيان ^(٥) . واعتمد عبدالله بن زيد ابو قلابة (ت ١٠٢ هـ) على الكتابة للتغلب على النسيان فقال « الكتابة أحب الي من النسيان » ^(٦) وكان زائدة بن قدامة الكوفي (ت ١٦١ هـ) يخرج الى الناس يدعوهم للكتابة عنه قبل ان ينسى حديثه ^(٧) ، وهكذا صار عبدالله بن المبارك (ت ١٨١ هـ) فيما بعد يقول « لولا الكتاب ما حفظنا » ^(٨) .

وفهم المسلمون ان الموت يذهب العلم مع صاحبه ايضاً فقال عبدالله بن عباس (ت ٦٨ هـ) عندما دفن زيد بن ثابت (ت ٤٥ هـ) « هكذا يذهب العلم .. يموت الرجل الذي يعلم الشيء ولا يعلمه غيره فيذهب ما كان معه » ^(٩) .

وعليه يكون التوجه العام الذي صار الى حفظ العلم بالكتاب هو انعكاس لحالة الإدراك بضرورة ابقاء العلم للأخرين ، وعدم التفريط به بسبب النسيان أو الموت . ويبدو ان هذا التوجه كان

وعندما نبحث عن أهمية الكتاب عند العرب فإننا لا نبحث من خلال شكله الفني المعروف في هذا الزمن ، وإنما من خلال كونه مادة كتبوا فيها ما أراؤوا من افكار عبرت عن وعي خاص بهم بعد أن بدأت أهمية الكتاب في الوضوح وأحست بها جماعات كثيرة ، ولانت مواقف من كره الكتابة في المراحل الأولى من تدوين العلم ، حتى انهم كتبوا لانفسهم ولغيرهم فيما بعد ، فمن طريق الكتابة « جمع القرآن وحفظت اللسان والآخر .. وسيقت التواريخ » ^(١٠) ولأهمية الكتابة في حفظ العلم وتناقله بدأت العرب تقول « كل خط ليس في قرطاس ضاع » ^(١١) وعرض الجاحظ (٢٥٥ هـ) أهمية الكتاب فقال « ولولا الكتب المدونة .. والحكم المخطوطة .. لبطل أكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر » ^(١٢) وصارت « الكتابة من أشرف العلوم والصنائع .. اذ بها يقيد العلم ما أضمحل من العلوم » ^(١٣) .

ولقد فهم المسلمون ان الانسان يمكن ان يفقد علمه بالنسيان ، فقال عبدالله ابن مسعود (ت ٣٢ هـ) « لكل شيء

متقدما في الزمن إذ قال أنس بن مالك (ت ٩٢ هـ) ، « نحن لا نعد من لا يكتب علمه علما »^(١٦) وذكر معاوية بن قرّة - أبو أيّاس (ت ١١٣ هـ) ، إنه « كان يقال من لم يكتب علمه لم يعد علمه علما »^(١٧) وصار رفيع بن مهران - أبو العالية الرياحي (ت ٩٣ هـ) يقول لجار له « سلني واكتب حديثي قبل أن تتلمسه عند غيري فلا تجده »^(١٨) وكذلك عطاء بن أبي رباح (ت ١١٧ هـ) كان يدفع الغلمان الى كتابة الحديث ويقول « يا غلمان تعالوا اكتبوا فمن كان منكم لا يحسن ، كتبنا له ، ومن لم يكن معه قرطاس أعطيناه من عندنا »^(١٩) أما يحيى بن اليمان (ت ١٨٨ هـ) الذي كان يكره كتابة الحديث اصبح يقول « ان لم تكتب فإنك قد ضيعت العلم واخطأت فيه »^(٢٠) . وهكذا جعل خالد ابن معدان الحمصي (ت ١٠٣ هـ) الذي أترك سبعمين من الصحابة علمه في مصحف ابراهيم منه لاهمية الكتاب وإكراهها للعلم^(٢١) .

ثم بدأت مرحلة أخرى عند كتابة الحديث النبوي الشريف وهي ضبط وتصحيح ما يكتب عن أهل العلم ، فكان القاسم بن محمد (ت ١٠١ هـ) يأمر ابنه في النظر بما كتبه عنه حتى اذا بدا خطأ في كتابتهم صححها لهم^(٢٢) . وكان نافع مولى ابن عمر (ت ١١٧ هـ) يصحح لمن يكتب عنه الحديث أيضاً^(٢٣) ، وهكذا صار محمد بن عمرو بن علقمة الليثي (ت ١٤٤ هـ) لا يحدث احدا حتى يكتبه أمامه خشية الغلط فيه^(٢٤) .

إن هذا التوجه أدى الى زيادة مدونات الحديث في نهاية القرن الاول ، وصار التباعد في وجهات نظر العلماء حول طريقة قبول الرواية من تلك الكتب وليس في رفضها ، لانهم اختلفوا « في الاحتجاج برواية من لا يحفظ حديثه غير ان معموله على الكتابة ، فعلهم من لم يصحح ذلك ومنهم من صححه »^(٢٥) فصار تضعيف بعض الأشخاص ليس لشيء الا لكونهم لا يحفظون ما هو مكتوب في كتبهم التي يتحدثون منها ، فهم في نظر اصحاب هذا الاتجاه كتابا وليس حفاظا ، واستنادا على هذا الاتجاه تكلموا في خلاص ابن عمرو الهجري (ت قبل ١٠٠ هـ) والحسن البصري (ت ١١٠ هـ) ووهب بن منبه (ت ١١٤ هـ) وعمرو بن شبيب (ت ١١٨ هـ) وغيرهم^(٢٦) .

إن التشدد في عدم قبول الحديث الا ممن يحفظ علمه ، لفرض ابعاد الحديث عن جملة المشاكل والمصاعب التي قد تظهر في الكتاب ، ومنها الضياع والاحتراق والتصحيف وما شابه ، ومن هنا صارت الموازنة بين اصحاب الكتب ، فمن كان حافظاً فهو أكثر ضبطاً للحديث من الشخص الآخر الذي لا يحفظ ، حتى وإن كان صحيح الكتاب . فعلى الرغم من صحة ما كتبه عقيل بن خالد الأيلي (ت ١٤٤ هـ) ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي نذب

(ت ١٥٨ هـ) ويونس بن يزيد الأيلي (ت ١٥٩ هـ) عن محمد بن مسلم الزهري (ت ١٢٤ هـ) فإن ملك بن أنس (ت ١٧٩ هـ) كان أرجح في حديثه عن الزهري ، لان مالكاً كان « صاحب كتاب وصاحب حفظ »^(٢٧) وعلى اساس وجود مثل هذه المفاضلة اندفع العلماء الى حفظ علمهم حتى وان كان مكتوباً عندهم ومنهم سفيان بن عيينة (ت ١٩٨ هـ) الذي قال « ما كتبت شيئا قط الا شيئا حفظته قبل أن أكتبه »^(٢٨) واذا ما طلبوا منه كتاباً من كتبه امتنع عن ذلك ويقول « أنا أحفظ من كتبتي »^(٢٩) .

يبين ان الاتجاه الداعي لاعتماد الحفظ في نقل العلم انما يمثل استمراراً للمنهج الفكري السابق الذي عاشته الأمة ويعيب من يعتمد الكتاب في تحصيله . ومما لا شك فيه ان هذا الاتجاه ومنذ ظهور الاسلام لم يستطع ان يثبت امام جملة المتغيرات العقلية والاجتماعية التي أظهرت سلوكاً فكرياً جديداً يقوم على اعتماد الكتابة كوسيلة في البناء الفكري للأمة ، حيث كانت الحياة قبل ظهور الاسلام اقل ابداعاً وتفجراً ، وكان تنوعها محدوداً والحاجات الاجتماعية فيها قليلة ، فلما ظهر الاسلام طور الاشياء جميعاً حتى أصبح التنوع والتطور في المجتمع الجديد عبأً على الذاكرة التي لم تعد بمقدورها ان تحفظ كل هذه المتغيرات .

ومع ذلك فإن نهج هؤلاء الحفاظ قد استمر داخل الاتجاه التدويني في حفظ العلم ونقله لمدة طويلة عندما ظهرت الكتب المصنفة ، والتكوين الواسع لفروع العلم فكان شعبة بن الحجاج (ت ١٦٠ هـ) « لا يحدث من حديثه الا بما يحفظ وان كان مكتوباً في كتابه »^(٣٠) . ولهذا كان يقول « اذا رأيتموني أئج الحديث فاعلموا اني تحفظته من كتاب »^(٣١) . وكان سفيان بن سعيد الثوري (ت ١٦١ هـ) يحفظ من كتابه ثم يحدث به الناس^(٣٢) . فالكتاب يعطي العالم دفعا في تواصل حديثه ولا يتربد فيما يقوله لصحة حديثه .

ولكن الذي استقر عليه العمل في الحركة الفكرية هو اعتماد الكتاب سواء كان الشخص حافظاً لما هو فيه أم غير حافظ له ، وصار العلماء يحدثون من كتب الآخرين ومن كتبهم دون ان يحفظوها كمحمد بن عبد العزيز بن جريج (ت ١٥٠ هـ) وجريز بن حازم (ت ١٧٠ هـ) وغيرهم^(٣٣) . ولم يتوقف الامر عند هذا الحد ، وإنما صارت الرواية التي ترد من الكتاب أكثر اتقاناً من التي تأتي من الحفظ لما أصاب الحفظ من الخلل والفساد ، فكانت رواية معاوية بن يحيى الدمشقي (ت ١٥٠ هـ) عن الزهري (ت ١٢٤ هـ) مستقيمة لأنها من كتاب^(٣٤) . ورواية

الوضاح بن عبدالله (أبو عوانة) (ت ١٧٦ هـ) ضعيفة عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٧ هـ) . بعد أن ضاع كتابه عنه^(٣٢) . وكان الوضاح أبو عوانة ثقة وثبت إذا حدث من كتابه بينما إذا حدث من حفظه فإنه يغلط ويهم^(٣٣) . وكذا الحال مع داود بن أبي هند البصري (ت ١٣٩ هـ) فإنه ثقة إذا حدث من كتابه^(٣٤) .

لقد صار الميل بعد ذلك إلى الكتاب واضحاً ، إذا ما حصلت الموازنة بينه وبين الحفظ ، فقال يحيى بن سعيد القطان (ت ١٩٨ هـ) « أبو عوانة من كتابه أحب إلي من شعبة من حفظه »^(٣٥) . وقال عبدالرحمن بن مهدي (ت ١٩٨ هـ) كتاب أبي عوانة أثبت من حفظ هشيم^(٣٦) . وكانت رواية اسماعيل بن عياش الحمصي (ت ١٨١ هـ) عن الشاميين صحيحة لأنها من كتاب عنده بينما خلط في روايته عن الحجازيين عندما حدث عنهم من حفظه بعد أن ضاع كتابه عنهم^(٣٧) . ومع إن أيوب بن عتبة (ت ١٦٠ هـ) كان أصح الناس كتاباً عن يحيى بن أبي كثير (ت ١٢٨ هـ) إلا أنه عندما حدث في البصرة وفي بغداد من دون كتابه هذا غلط فيه وتوهم^(٣٨) .

وإذا جرت الموازنة بين حفاظ الحديث ، فإن الترجيح بينهم يضم على أساس من له كتاب من عدمه ، ويكون رواية الحافظ الذي عنده كتاب أرجح على رواية الحافظ الذي ليس عنده كتاب ، لأن الراوي الحافظ إذا كان له « كتاب يرجع إليه والراوي الآخر حافظ غير أنه لا يرجع إلى كتاب ، فحديث الأول أولى أن يكون محفوظاً لأن الخاطر قد يخون أحياناً »^(٣٩) ، إن ذلك قال أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) « حدثنا قوم من حفظهم وقوم من كتبهم فكان الذين حدثونا من كتبهم أثقن »^(٤٠) .

ومن خلال هذا الاتجاه يمكن فهم قول هشيم بن بشير الواسطي (ت ١٨٣ هـ) « من لم يحفظ الحديث فليس هو من أصحاب الحديث يجيء أحدهم بكتاب كأنه سجل مكاتب »^(٤١) لأنه لا يعيب الكتاب لأن فيه حديثاً مكتوباً وإنما يعيب حامله الذي لا يحفظ ما فيه ، لأن حفظ ما في الكتاب . وفهم معانيه إضافة إلى الحيلة عليه بعد درجة متقدمة من العلم على من يعتمد في علمه على القراءة فقط ، وهكذا صاروا يقولون « ثلاثة ليس لصاحب الحديث عنها غناء : الحفظ والصق ، وصحة

الكتب »^(٤٢) .

ثم بللت حالة الندم على فقدان الكتاب على قوة تأثيره في أفكار الناس وأهميته عندهم ، فابراهيم بن يزيد النخعي (ت ٩٥ هـ) مع ما عرف عنه من كراهيته للكتابة قال « لأن أكون كتبت أحب إلي من كذا وكذا »^(٤٣) . وعندما محا عروة بن الزبير (ت ٩٣ هـ) بعض كتبه ندم على ذلك ، قال : « فوالله لو بدت أن كتبي عندي »^(٤٤) ، وكذلك منصور بن المعتمر (ت ١٣٢ هـ) هو الآخر قد ندم على عدم الكتابة لأنه لم يحفظ من العلم إلا قليله فقال : « ما كتبت ولو بدت أني كتبت . وما حفظت نصف ما سمعت »^(٤٥) ، وندم أيضاً يحيى بن سعيد الانصاري (ت ١٤٤ هـ) لأنه لم يكتب جميع ما سمعه فقال « لأن أكون كتبت ما كنت اسمع أحب إلي من أن يكون لي مثل مالي »^(٤٦) . وهكذا تتضح أهمية تدوين الحديث وأيداعه في بطون الكتب وأعتاد التدوين كصفة متقدمة عما كانوا عليه من المشافهة والحفظ ، وصارت الرواية للحديث التي تعتمد على الكتاب أتم وأكثر ضبطاً من الرواية التي تعتمد على الحفظ ، لما أصاب الحفظ من الخلل والارتباك أمام التنوع الكبير في ظواهر الحياة وبما دخل على الحديث من علامات الوضع ، فصار الميل إلى ما هو منون وثابت في كتاب أكثر اطمئناناً عند أخذ الحديث وعلى هذا فإن كل شيء تحدث به أبو عوانة من كتاب فهو محفوظ ، وما لم يجيء من كتاب فليس بمحفوظ »^(٤٧) .

والكتاب إذا اشتهر بين الناس وذاع صيته صار التحريف فيه أمراً صعباً ، وعليه أقبل العلماء على نشر كتبهم والتوجه إلى التدوين بما في ذلك الصحف والكتب التي يقال عنها بأنها موضوعة حتى لا يلجأ إليها الناقلون فيما بعد فيغيروا في أساندها أو منتهى ثم ينشرونها على أساس أنها صحيحة .

لقد قدمت كتابات الحديث طيلة القرن الأول الهجري مادة تكوينية واسعة عاد إليها العلماء فيما بعد عندما حصل التصنيف فأدخلوها في تصانيفهم ، وأعتمدوا عليها في تقييم الروايات الشفهية واختبارها . ووضعت تلك الكتابات الأسس السليمة لما يمكن أن يكون عليه تحمل الحديث وأداؤه وأخذها علماء القرن الثاني الهجري وأصلحوا هفواتها وطوروا إجابياتها بما يختم التطور الفكري للامة .

هوامش البحث ومصادره

- ١٩٥ / ٢ .
(٢) نفسه ، ١٩٢ / ٢ .
(٣) نفسه ، ١٩٢ / ٢ ، ١٩٣ .

- (١) أبين ملظور ، محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ) : لسان العرب ، القاهرة ، مطابع كوستا توماس وشركاه ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ،

- (٤) الصولي ، محمد بن يحيى بن عبدالله (ت ٣٣٥ هـ) : أدب الكتاب ، تحقيق محمد بهجة الاثري ، (مصر ، ١٣٤١ هـ ، المطبعة السلفية) ٢٤ .
- (٥) الكافيجي ، محيي الدين محمد بن سليمان (ت ٨٧٩ هـ) : المختصر في علم التاريخ ، (ملحق مع كتاب علم التاريخ عند المسلمين لروزنتال) ٣٣٦ .
- (٦) الجاحظ ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) : الحيوان ، تحقيق فوزي عطوي ، (دمشق ، ١٩٦٨ م ، الطبعة الاولى ، مكتبة محمد حسين النوري في بيروت) ١ / ٣٩ .
- (٧) الطيبي ، محمد بن حسن بن محمد (ت بعد ٩٢٢ هـ) : جامع محاسن كفاية الكتاب ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، (بيروت ، ١٩٦٢ م ، دار الكتاب الجديد) ، ١٣ .
- (٨) البخاري ، محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦ هـ) : التاريخ الكبير ، (الهند ، ١٣٦٠ هـ / ١٣٧٨ هـ) ، الطبعة الاولى ، مطبعة جمعية المعارف العشمانية) ، ٢ / ٣٥٤ .
- (٩) الراهبرمي ، الحسن بن عبدالرحمن بن خلاد (ت ٣٦٠ هـ) : المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ، تحقيق محمد عجاج الخطيب ، (بيروت ، ١٩٧١ م ، الطبعة الاولى ، دار الفكر) ، ٥٤٦ .
- (١٠) ابن رجب ، عبدالرحمن بن أحمد البغدادي (ت ٧٩٥ هـ) : شرح علل الترمذي ، تحقيق صبحي جاسم البدري ، (بغداد ، مطبعة العاني) ، ٧٤ ، ابن عبدالبر ، أبو عمرو يوسف بن عبدالله القرطبي (ت ٤٦٣ هـ) : جامع بيان العلم وفضله ، تصحيح ادارة الطباعة المنيرية ، (بيروت ، ١٩٧٨ م ، دار الكتب العلمية) ، ١ / ٧٢ .
- (١١) ابن عبدالبر : جامع بيان العلم ، ١ / ١١٧ .
- (١٢) الراهبرمي : المحدث الفاصل ، ٣٧٧ ، ابن رجب : شرح علل الترمذي ، ٧٤ .
- (١٣) ابن سعد ، محمد (ت ٢٣٠ هـ) : الطبقات الكبير ، تصحيح ادوارد سخو ، (لندن ، ١٣٢١ هـ - ١٣٢٨ هـ ، مطبعة بريل ، مؤسسة النصر ، طهران) ، ٢ / ١١٧ .
- (١٤) الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ) : تقييد العلم ، تحقيق يوسف العش ، (الطبعة الثانية ، ١٩٧٤ م ، نشرته دار احياء السنة النبوية) ٩٦ .
- (١٥) الدارمي ، عبدالله بن عبدالرحمن (ت ٢٥٥ هـ) : سنن الدارمي ، طبع بمناية همام احمد محمد ، (دمشق ، ١٣٤٩ هـ ، مطبعة الاعتدال والحديثة) ، ١ / ١٢٦ .
- (١٦) الراهبرمي : المحدث الفاصل ، ٣٦٠ .
- (١٧) نفسه ، ٣٧٣ .
- (١٨) نفسه ، ٣٧٢ .
- (١٩) ابن حنبل ، أحمد بن محمد (ت ٢٤١ هـ) : العلل ومعرفة الرجال ، تحقيق طلعت فوج بيكيت واسماعيل جراح اوغلي ، (أنقرة ، ١٩٦٣ م ، نشریات كلية الاهليات بجامعة انقرة) ، ١ / ٣٦٤ .
- (٢٠) الراهبرمي : المحدث الفاصل ، ٥٣٩ .
- (٢١) ابن عدي ، أبو أحمد عبدالله (ت ٣٦٥ هـ) : مقمة الكامل في ضعفاء الرجال ، تحقيق صبحي الصامرائي ، (بغداد ، ١٩٧٧ م ،

- مطبعة سلمان الاعظمي) ، ١ / ٢٣٥ .
- (٢٢) نفسه ، ١ / ٥٠٠ ، الراهبرمي : المحدث الفاصل ، ٣٨٩ .
- (٢٣) الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ) : الكفاية في علم الرواية ، تقديم محمد الحافظ التيجاني ، (مصر ، الطبعة الاولى ، مطبعة السعادة) ، ٣٢٧ .
- (٢٤) الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩ هـ) : سنن الترمذي ، (حمص ، ١٩٦٥ م - ١٩٦٩ م ، الطبعة الاولى ، المطبعة الوطنية) ، ٢ / ٦ ، ٤ / ٢٩٧ .
- (٢٥) ابن أبي حاتم ، أبو محمد عبدالرحمن الرازي (ت ٣٢٧ هـ) : علل الحديث ، تحقيق محيي الدين الخطيب ، (القاهرة ، ١٣٤٣ هـ) ، ٣٢ / ١ .
- (٢٦) الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ) : تاريخ بغداد ، (بيروت ، دار الكتاب العربي) ، ٩ / ١٧٩ .
- (٢٧) ابن حجر ، أحمد بن علي المسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) : تهذيب التهذيب : (الهند ، ١٣٢٥ هـ - ١٣٢٧ هـ ، الطبعة الاولى ، دار صابر ، بيروت) ، ٤ / ١٢١ .
- (٢٨) ابن عدي : الكامل ، ١ / ١٣٢ .
- (٢٩) ابن عبدالبر : جامع بيان العلم ، ١ / ٧٥ ، والشج في اللغة يعني السيلان والصب الكثير كما في ابن منظور : لسان العرب ، ٣ / ٤٣ .
- (٣٠) الفسوي ، يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧ هـ) : المعرفة والتاريخ ، تحقيق اكرم ضياء العمري ، (بغداد ، ١٩٧٤ م ، مطبعة الارشاد) ، ١ / ٦٨٢ .
- (٣١) ابن عدي : الكامل ، ١ / ١٧٦ .
- (٣٢) الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ) : ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق علي محمد البجاوي ، (مصر ، ١٩٦٣ م ، الطبعة الاولى ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه) ، ٤ / ١٢٨ .
- (٣٣) نفسه ، ١ / ٢٣٧ .
- (٣٤) ابن حبان : مشاهير ، ١٦٠ .
- (٣٥) ابن حجر : تهذيب ، ٢ / ٢٠٤ .
- (٣٦) الذهبي : نفكرة ، ١ / ٢٣٧ .
- (٣٧) ابن حجر : تهذيب ، ١١ / ١١٧ .
- (٣٨) نفسه ، ١ / ٣٢٣ .
- (٣٩) ابن أبي حاتم : علل ، ١ / ٤٠٠ .
- (٤٠) الحازمي ، محمد بن موسى : الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار ، (بيروت ، ١٩٨٠ م ، دار احياء التراث العربي) ١١ .
- (٤١) ابن رجب : شرح علل الترمذي ، ٧٤ .
- (٤٢) الخطيب البغدادي : الكفاية ، ٣٣٨ .
- (٤٣) ابن عدي : الكامل ، ١ / ٢٥٠ .
- (٤٤) ابن سعد : الطبقات ، ٦ / ١٨٩ .
- (٤٥) الاصبهاني : حلية الاولياء ، ٢ / ١٧٦ .
- (٤٦) الراهبرمي : المحدث الفاصل ، ٤٠٠ .
- (٤٧) الفسوي : تاريخ ، ١ / ٦٤٩ .
- (٤٨) ابن سعد : الطبقات ٧ - ٢ / ٤٣ .

النقوش الكتابية في شبه جزيرة الحرب قبل الإسلام

أ. د عياض عبد الرحمن أمين الدوري

لقد اهتم بهذه الدراسات المستشرقون الذين اتوا ينقبون ويحللون ما يعثرون عليه من النقوش واتخذوها مادة لدراساتهم فنشروا هذه الدراسات على شكل كتب ويحوث في مجلات الاستشراق ، ومن هؤلاء العلماء ، السويصري لودفيج بروكهارت والغنلندي جورج اغطسس وليفش ، والبولندي سنوك هوغويه ، والانكليزي تشارلز دوتي ، وهنري سان جون فليبي الذي عرف باسم (عبد الله فليبي) ، الذي قام بعدة رحلات والف العديد من الكتب ، كان آخرها في سنة ١٩٥١ - ١٩٥٢ ، وجلب معه الف ومائتي نقش مختلف^(١) .

فيما تباينت الآراء في اصل الكتابة العربية واهم النظريات التي تعرضت لنشأة الكتابة العربية هي كما يلي :-
١ - نظرية التوقيف : قال تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها) صلى الله العظيم . تردد في بعض المصادر العربية على ان الخط الذي كتب به العرب (توفيق) من الله تعالى على آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة كتبه في الطين ثم طبخه ، فلما اصاب الارض الفرق ، وجد كل قوم كتابهم فكتبوا به ، فكان اسماعيل (ع) قد وجد كتاب العرب وهو يعد ايا العرب المستعربة ، روي عن ابي عن النبي محمد (ص) ان ادريس اول من خط بالقلم بعد آدم (ع) وعن ابن عباس ان اول من وضع الكتابة العربية اسماعيل بن ابراهيم (ع) واول من نطق بها فوضعت على نطقه ومنطقه .

٢ - النظرية الجنوبية : شاع بين العرب ان خطهم مشتق من المسند الحميري حيث ان للعرب حضارة قديمة في اليمن فرضت في وقت ما سلطانها السياسي على بعض القبائل العربية الشمالية في حكم دولتي (سبأ وحمير) في القرنين الاول والثاني (ق م) . ولا بد ان تكون قد فرضت على تلك الامم ثقافتها .

فيما يقول د . جواد علي (الكتابة في الجاهلية من ناحية ابيديتها ونوع قلمها ترجع كلها الى قلمين المسند الذي دون به الكتابات المعينية والسبئية والحميرية ، اما النصوص الثمودية الصفائية والحيانية فانها بقلم مشتق من القلم المسند وهو اقدمها

نقش الفنان العربي ورسم على الحجر والطين والخشب والعظام والعاج والمعدن وغير ذلك من المواد . وكانت اولى الخطوات في نشأة هذا اللون من الفن ممثلة بمعالجة الحجارة وتشذيبها ليصنع منها ابوات للصيد ، ووسائل الدفاع عن النفس ، وبعض الابوات الزراعية والحاجيات المنزلية .

ثم اخذ الفنانون ينقرون في سفوح الجبال مشاهد من الطبيعة والحياة . ومع تطور القوى المنتجة واهو التكنولوجيا واتساع صلات العرب بالعالم الخارجي ، تطور فن النقش والتصوير ، واشتد ساعد الفنان وقوي عوده ، وسمى للتغلب على بعض الصعاب التي اعترضته مثل : مسألة التعبير عن الحركات ، ورسم الاشياء المتجاورة ، والتمييز بين البعيد والقريب ، والتزيق بين الاشخاص حسب منزلتهم الاجتماعية ، والاخذ ببعض قواعد المنظور ، والعمل بقدر الامكان على ابراز الملامح وتقدير النسب بين اعضاء الجسم ، فنقش اعمالاً ورسم لوحات واقعية تظهر فيها الحركة والبساطة والمرونة والحرية والاستقلالية من بعض قيود القواعد الفنية التقليدية . واستخدم اللوان ثم مزج بينها فرسم لوحات جاءت آية في الابداع بالنسبة الى ظروف اجتماعه التاريخية . والحفر او النقش على المادة نوعان : بارز ونائر . فالاول : يكون بتفريغ ما حول الصورة وابرار تفصيلاتها . والثاني : هو حفر الصورة في ارضية المادة^(٢) .

ويتبين من المعثورات التي عثر عليها المنقبون في اليمن والعربية الجنوبية ، ان الفنان قد تمكن من التعبير عن مواهبه الفنية في بعض هذه الاعمال وابرارها بشكل واضح ، وهذا ما نجده في مشاهد قبر من الحجر الجيري عليه نقش بالعربية الجنوبية باسم (عجل بن هفعم) عثر عليه في مقبرته^(٣) .

ان فترة ما قبل الاسلام بالنسبة للكتابة العربية تلفها حجب واستار كثيفة ثم ازيل عنها الغبار بجهود الباحثين في مجال علماء اللغات والاثار الذين جابوا الصحراء بحثاً عن بقايا نقوشها وكتابات في مواطن المراكز الحضارية القديمة في الجنوب والشمال ، وعلى طريق القوافل التي كانت تربط جنوبي الجزيرة العربية وشمالها .

عهداً ، وهو قلم العرب الاول وهو القلم الشائع عند العرب .
فيما نجد ابن خلدون يقول : (وكان الخط بالفاء من الاحكام
والاقتان والجلودة في دولة التباينة عما بلغت من الحضارة والترف
وهو المسمى بالخط الحميري فكان لحمير كتابة تسمى المسند
حروفها منفصلة وكان يمدون من تعلمها الا بانهم .

٣ - النظرية الشمالية : الخط الانباري والحميري :- هناك رأي
آخر طوّز خط العرب القدامى منهم يقولون ان ثلاثة نفر من طي من
قبيلة (بولان) سكنت مدينة الانبار ، وهم (مرار بن مرة ، وأسلم
ابن سدره ، وعامر بن جررة) اجتمعوا وقاسوا هجاء اللغة العربية
على هجاء السريانية ثم وصفوا الخط العربي فالاول (مرار)
وضع الحروف ، والثاني (اسلم) فصل الحروف ووصلها ، والثالث
(عامر) وضع الاعجام اي النقاط على الحروف ، فتعلم منهم قوم
من اهل الانبار ثم تعلم من هؤلاء جماعة من الحيرة .

٤ - الرأي الحديث - الاصل النبطي :-

هناك اراء حديثة تقول ان العرب اخذوا طريقته في الكتابة
عن بني عمومته من الانباط الذين كانوا قبل الاسلام ينزلون على
تخوم المدينة (في حوران والبتراء ومعان) والذين كانوا يجاورون
العرب الحجازيين في تبوك ومدائن صالح ، والعلا في شمالي
الجزيرة وقد وضع ذلك تمام الوضوح عندما عثر المنقبون في تلك
الجهات على النقوش النبطية القريبة الشبه باقدم النقوش
العربية المعروفة .

واتفقت على هذا الرأي جميع الآراء التي كانت متداولة عن
اصل الخط العربي في نظرية التوقف التي تجعل من الكتابة
العربية شيئاً من عند الله الى النظرية الجنوبية « الحميرية »
التي تنهب الى ان اعتبار الخط العربي اشتقاقاً من الخط المسند
الحميري ، وخط (التباينة) من اليمن الى النظرية الشمالية
« الحميرية » (١) .

ومما تجدر الإشارة اليه ان كثيراً من الباحثين في اصل
الكتابة العربية قد اعتمدوا النقوش النبطية مائة لراستهم
وبحوثهم وقد عدت هذه النقوش المرجع التاريخي الذي يستند
اليه في كثير من الامور .

فنجد ان الكتابة العربية وصلت الى الحجاز بطريقتين : -
الطريق الاول : الطريق الدائر من حوران احد ربوع النبط الى وادي
الفرات الاوسط حيث الانبار والحيرة ثم بوحه الجنبل في المدينة
ومنها الى مكة والطائف .

والثاني : طريق اقصر من ديار النبط الى البتراء ثم العلا فشمال
الحجاز الى المدينة ومكة وسواء كانت رحلة الخط على هذا
الطريق او ذاك فالثابت انها تمت بين منتصف القرن الثالث
الميلادي ونهاية القرن السادس وهو الوقت الذي تم فيه قول الخط
العربي من مدينة النبطية البحتة الى صورته التي نراها الان .
وتعد هذه الحقبة الزمنية مرحلة اقتباس وانتقال ويساعد
على الاعتقاد باشتقاق العرب لخطهم عن خطوط النبط وجود
(سوق نبطية) في المدينة في نهاية القرن الخامس الميلادي
يدل وجودها على وجود علاقات تجارية مهمة بين بلاد النبط

والحجاز (٢) .

حيث عد الخط من السمات الحضارية المهمة في توضيح
حضارة العرب قبل الاسلام على الرغم من ان كتابات المؤرخين
العرب الاوائل عنها كانت غير دقيقة احياناً واقترب ما تكون الى
الاساطير احياناً اخرى . والحق يقال ان معظم ما كتب عن تلك
الحقبة في المصادر يتعارض مع بعض التقاليد الاسلامية ، كما ان
اغلب المعلومات عن تلك الحقبة الزمنية كانت روايات شفوية
دخل فيها الكثير من القصص الاسطورية .

فيما عد الانباط والتدمريون والفساسنة والمناذرة من اجداد
العرب ، ومن الشواهد التي خلفها لنا الانباط النقوش التذكارية
الكتابية والنقود اضافة الى المدن الكبيرة مثل البتراء (سلع)
ومدائن صالح وبصرى . وان معظم النقوش النبطية التي وصلتنا
كانت نقوش شخصية مثل تقديم قريان او ذكر اسم تاجر او ملك .

فيما يجمع الباحثون ان الكتابة نشأت وتطورت في ارض
الوطن العربي القديم وان مراحل ايجاد الابجدية تمت على
الاراضي العربية القديمة ، سواء ابجدية سيناء ام ابجدية جيبيل
او ابجدية شمرا ، وهي اتمها وتعد ام الابجديات .

واذا ما تجاوزنا الكتابات القديمة كالهيريوغليفية وتطورها
والمسمارية فالتنا عثرنا على عدد من الكتابات العربية القديمة ،
واذا كان الخط الآرامي يُعد جذّ الخطوط العربية ، اذ تفرع عن
الخط النبطي الذي يعد اقرب ما يكون للخط العربي عند اول
اتصال حروفه العربية بعضها ببعض ، فان عدداً من الخطوط
الاخرى استعملت في جزيرة العرب مثله وهي :-

١ - الخط المسند الصفائي نسبة الى جبل الصفا (جبل الدروز
السوري حالياً) (شكل - ١) .

٢ - الخط الثمودي نسبة الى ثمود (مدائن صالح) .

٣ - الخط اللحياني في نسبة الى بني لحيان .

٤ - الخط الحميري والخط السبئي نسبة الى حمير وسبأ .

٥ - الخط الحيري نسبة الى الحيرة والانبار ، وهو الخط الذي
انقل الى عرب الحجاز في الجاهلية ، وكان بغير نقط .

وهذا ما تم تحديده من قبل د . محمد الطاهر احمد مكي
بالشجرة التالية :-

الهيريوغليف
الكنعاني

العربي القديم
الفوايبي الآرامي المسند

الصفائي الثمودي اللحياني

السرياني النبطي التدمري
المعبري المربع الفهري الزرد
الحديث

السمرنجلي الحجازي
الكنفي (النسخي)

يذكر القلقشندي « أن أول من وضع الخط والحروف الهجائية ستة نفر من طسم العرب البائدة كانوا أزولاً عند عدنان ابن اند فكانت أسماؤهم : أبجد ، هوز ، حطبي ، كلمن ، سمفص ، قرشت ، فوضموا الخط على اسمائهم ، الحقوباً بها وسموها الروانف وهي تخذ ، ضطخ ، والواقع أن هذه الروانف ليس لها نظائر في أبجدية اللغات التي تطورت عنها الكتابة العربية وأخذت عنها . فيما تروي كتب الأدب أن ترتيب الأبجدية العربية الهجائية حدث في عهد عبد الملك بن مروان ، على يد دسر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر ، وهو ترتيب مبني على تقارب أشكال الحروف ، بينما اعتمد مؤلفو المعاجم الأوائل على ترتيب مخارج الحروف من الحلق أو الفم وكانت على هذا النحو : حروف المد (الألف والواو والياء) ثم الهمزة فالعين فالخاء ثم هـ ، و ، ز ، ح ، ط ، ث ، ف ، ب ، م . أن الحروف الأبجدية لم تظهر مرة واحدة على ما هو معروف في يومنا هذا بل مرت بمراحل عديدة طورتها إلى الصورة المعروفة الآن وقد شاركت في هذا التطور أجيال عديدة كانت فيها الكتابة أول الأمر صورية ثم تطورت إلى شكل رموز ومقاطع ظهرت ذلك بوضوح في الحضارة السومرية في العراق خلال الألف الثالث ق . م .

وتبين النقوش التي عثر عليها في بعض المواقع النبطية وخصوصاً ، البتراء ، إضافة إلى الكتابات التي ظهرت على المسكوكات النبطية ، أو بعض منوت النبط قد لقبوا « بملك النبط » فهل كان هذا اسماً للمكان أو للقبيلة أم لاقبال الجديدة التي وفدت إلى شمال الجزيرة العربية أو اسماً لأتوم عاشوا في المنطقة من قبل ؟ .

لقد وردت كلمة نبط في المعاجم اللغوية لتشير إلى استخراج الماء ، وفلاحة الأرض^(٧) ، ويبدو أن بعض الباحثين قد استند إلى هذه اللفظة ليطلقها عليهم وقد عرف عنهم استنباط الماء من باطن الأرض ، إلا أن هذا الرأي لم يلق تجاوباً لدى الباحثين ، فكثير من الأمم قد استنبطت الماء وفادت الأرض ولم يطلق عليهم هذا الاسم .

فيما يرى آخرون أن أول ذكر للنبط جاء في نص آشوري من عهد الملك آشور بانيبال سنة (٦٦٨ - ٦٦٣ ق . م) باسم النباياتي (Nabayati) بين من أخضعهم في حرايه على العرب ولكن ليس هناك ما يعزز القول بأنهم أجداد النبط .

وكما هو معلوم أن الانباط يشكلون قبيلة عربية ذات شأن ، في بداية أمرهم وكان موطنهم آنذاك يقع في المنطقة القديمة التي كان يعيش فيها شعب مدين ، أي في الطرف الشمالي - الغربي من الجزيرة . أما الطريق التجارية الجنوبية ، الشمالية الشهيرة ، فإنها كانت تمر عبر أراضيهم أو بالقرب منها . وهذه الطريقة كما تقدم ، كانت تسلكها القوافل ، من بلاد سبأ وحضرموت إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط ، حاملة البخور والتوابل ومنتجات اليمن والهند الثمينة الأخرى .

فيما نجد العديد من الكلمات التي وردت في العهد القديم ، ويمكن الربط بينها وبين أصل كلمة النبط ، فقد ورد في سفر الملوك الأول ١٥ : ١ ، اسم يريعام بن نباط ، وفي سفر الملوك الثاني ٩ : ٩ ، اسم نباط ، واسم تابوت في كل من سفر الملوك الأول ٢١ : ١ ، وسفر الملوك الثاني ٩ : ٢١ ، ٢٥ وورد اسم نبايون في سفر أخبار الأيام الأول ٢٩ : ١ عند الحديث عن سيدنا إبراهيم وابنه اسماعيل ، فقد ذكرت التوراة أن أول من ولد لاسماعيل هو ابنه نبايوت ، وتكرر ذكر هذا الاسم عندما ذهب اسحق بن إبراهيم إلى اسماعيل وتزوج مهالات اخت نبايوت .

ويرى البعض أن الاسم ربما بدا كاسم لعائلة في أحد المواقع ، ثم انتشر بين عدد قليل من العوائل تجمعت حولها ، ثم بين عدد كبير منها عندما تجمعوا حول مركز أو مجموعة قوية في المنطقة ، وقد استخدمت في بحثي لفظة نبط ولم استخدم لفظة انباط ، لأن جميع اشتقاقات الكلمة تأتي من اللفظة الأولى . ولعل من نافلة القول أن النبط هم من أصل عربي ، وفيه يتفق الباحثون إلا أنهم يختلفون حول المكان الذي هاجروا منه ، فمنهم من يرى أنهم من جنوب الجزيرة العربية^(٨) ، والبعض الآخر يرى أنهم من الشمال الشرقي منها^(٩) ، إلا أنني أرجح الرأي الأول . وذلك مما ذكره ابن الكلبي أن أهل الحجاز قد اخذوا عبادة الاصنام عن أهل البلقاء في بلاد الشام ، أي عن النبط^(١٠) الذين اخذوه عن أجدادهم في منطقة جنوب الجزيرة العربية .

ويمكن أن نؤكد أن أصل النبط من جنوب الجزيرة العربية من طريق الري والزراعة وعمل المنشآت المائية لدى النبط ، وهي على غرار ما هو موجود في اليمن .

ويرى ستاركس أن الاسم نباتو هو ترجمة مختصرة لاسم حقيقي ، والترجمة الكاملة هي نبائل ، والتي تعني (كشف الله عن نفسه) ، وهو اسم عائلة من جنزب الجزيرة العربية ، وربما كان (نباتو) هو الجد الذي أعطى اسمه للقبيلة . وعبارة (ملك نبطو) تشير إلى شعب النبط أكثر من بلد النبط^(١١) .

يتبين مما سبق أن هناك خلافاً حول أصل كلمة النبط ، ويبدو أن (نبايوت) اسم علم وهو بكر اسماعيل ، ولا علاقة له بالنبط ، كما أن جذر الكلمة الآشورية (نباياتي) وكلمة (نابوت) من جذر يختلف عن كلمة (نبط) ، ويبدو واضحاً أنه ليس هناك علاقة بين كلمة نباط التي ذكرت في التوراة ، مع اسم النبط .

أن أول ذكر مؤكد للنبط يعود إلى عام (٣١٢ ق . م) عندما هاجم (انتيفونس) النبط ونهب عاصمتهم البتراء . ويرجح أن التسمية قد أخذت من نقوشهم ، أما الصيغة التي كانت تتكرر فهي (بنطو) وقد درجت هذه التسمية في المصادر الكلاسيكية^(١٢) . وقد نشأت دولة النبط التي نتحدث عنها قبل الميلاد في المنطقة الشمالية الغربية من جزيرة العرب ، في المكان الذي عرف باسم (العربية الحجرية) (Arabia petraea) ، عند اليونان والرومان^(١٣) .

وبعد ما حل النبط في بلاد آتوم وموآب (القرن الخامس

ق. م) تبنا شيئاً فشيئاً لغة وكتابة أهل البلاد ، التي كانت حينذاك اللغة والكتابة الآرامية .

من هنا جاءت معظم النقوش التي خلفها النبط باللغة الآرامية ، رغم أن اللغة العربية أو لهجة قريبة منها ربما استخدمت في الحياة اليومية^(١١) ، وتميل الآراء إلى أن النبط كانوا يتكلمون العربية عند بداية استيطانهم في الأردن وفلسطين ، ثم شاعت بينهم الآرامية من دون أن يفقدوا صلتهم باللغة الأم ، فكانت نتيجة ذلك الكتابة التي وصلت إلينا وفيها استخدموا الخط النبطي الذي تطور عن الآرامية^(١٢) .

وقد مر الخط النبطي بمرحلتين الأولى : الخط النبطي القديم ، والثانية شهدت ما يعرف بالخط النبطي المتأخر ، وعن هذا الأخير ولد الخط العربي ، الذي ظهر بوضوح في النقوش النبطية المتأخرة^(١٣) ، التي استمر استخدامها حتى منتصف القرن الرابع الميلادي في كل من الحجر وبصرى وأم الجمال^(١٤) . وتختلف الكتابات النبطية القديمة من حيث رسم الحروف ، بعض الاختلاف عن الكتابات النبطية المتأخرة المدونة بعد الميلاد ، وتختلف أيضاً باختلاف الأماكن التي وجدت فيها ، فلكتابات (طور سيناء) مثلاً خصائص كتابية محلية لا نجدها في النصوص الأخرى . وتفيدنا هذه الخصائص المحلية والتطورات التي طرأت على أشكال الحروف على مر العصور في مثل (التريخ والانفصال والاتصال وتقاريفها وتباعدها عن الخط الكوفي في دراسة تطور الخطوط السامية وعلاقاتها ببعضها ببعض^(١٥) .

وهي على اختلافها تشارك الكتابات العربية التي عثر عليها في العربية الجنوبية أو في المواضع الأخرى من جزيرة العرب في كونها شخصية في الغالب . كتبت في أمور خاصة ، لا علاقة لها بالمجموع . أما الكتابات العامة ، أعني النصوص التي لها علاقة مباشرة بالدولة وحياة الشعب وسياسة الحكومة أيام السلم والحرب ، فهي قليلة جداً ، وبالإلصاف - مع أنها المادة الأساسية في كتابة التاريخ . (شكل ٢)

والرأي السائد اليوم بين العلماء أن النبط عرب مثل سائر العرب . وأن استعملوا الآرامية في كتاباتهم ، بدليل أن أسماءهم هي أسماء عربية خالصة ، وقد كان النبط من أهل جزيرة العرب في الأصل ، نزحوا من البوادي ، إلى أعالي الحجاز فاقاموا بها ، وقد ذهب بعضهم إلى أن أصلهم من العربية الجنوبية ، وأن عرقهم هذا هو الذي جعلهم يشتغلون بالزراعة والعمارة وبالحرف التي كانت مألوفة عند العرب الجنوبيين منذ المهود القديمة^(١٦) .

وعندي أن النبط عرب ، بل هم أقرب إلى قريش وإلى القبائل الحجازية التي اندركت الإسلام من العرب الذين يعرفون (بالعرب الجنوبيين) . والنبط يشاركون قريشاً في أكثر أسماء الأشخاص ، وخط النبط قريب جداً من خط كتبة الوحي . وقد قلت أن من العلماء من يرى أن قلمنا هذا مأخوذ من قلم النبط ، يضاف إلى ذلك ما ذكرته من وجود كلمات عربية كثيرة في النصوص النبطية المدونة بالآرامية ، هي عربية خالصة من نوع عربية القرآن

الكريم^(١٧) وبهذه الأسباب أرى أن النبط أقرب إلى قريش وإلى المدنانين .

هذا ولقد عثر على كتابات مدونة بالنبطية وعلى كتابات مدونة بثلاث لغات هي النبطية والآرامية واليونانية ، بعضها يعود إلى بعد ضم مملكة (النبط) إلى (الكورة العربية) ، أي بعد سقوطها في أيدي الرومان .

ويُعد الخط من السمات الحضارية المهمة في توضيح حضارة العرب قبل الإسلام ، والحق يقال أن أغلب المعلومات عن تلك الحقبة الزمنية كانت روايات شفوية دخل فيها الكثير من القصص الأسطورية^(١٨) .

وعُد الانبساط والتدمير والفساسنة والمنازرة من أجداد العرب ، ومن الشواهد التي خلفها لنا الانبساط النقوش التذكارية والنقود إضافة إلى المدن الكبيرة مثل البتراء (سلع) ومدائن صالح وبصرى . فيما كشفت لنا النصوص التذكارية عن بعض معالم الحياة اليومية والاجتماعية عن الكثير مما غمض من أسرار الماضي ، ويجب أن نوضح أن معظم النقوش النبطية التي وصلتنا كانت نقوش شخصية مثل تقديم قربان أو ذكر اسم تاجر أو ملك^(١٩) . واكتت الدراسات المتخصصة بالخط ، والقائمة على المقارنات أن الخط النبطي كان قد انحدر عن الخط الآرامي ، ومن النقوش النبطية المتأخرة التي تضمنت بعض الكلمات العربية هي^(٢٠) .

١ - نقش وادي المكث الذي عثر عليه في شبه جزيرة طور سيناء ويتكون من سطرين ومؤرخ سنة (٢١٠) ميلادية .

٢ - نقش وادي فران مؤرخ سنة ٢٣٠ ميلادية عثر عليه في طور سيناء أيضاً ويتكون من ثلاثة أسطر .

٣ - نقش طور سيناء المؤرخ سنة ٢٥٣ ميلادية ويتكون من ثلاثة أسطر احتوت على بعض الكلمات العربية .

٤ - نقش مدائن صالح ، مؤرخ سنة ٢٦٧ مؤرخ سنة ٢٦٧ ميلادية ويتكون هذا النقش من تسعة أسطر ، ضمت بعض الكلمات العربية .

٥ - نقش أم الجمال ، وقد عثر عليه في مدينة أم الجمال التي عدت من المدن النبطية المهمة .

٦ - نقش النمارة مؤرخ سنة ٣٢٨ ميلادية ، عثر عليه في جبل الدروز والنقش يتكون من خمسة أسطر^(٢١) ، (شكل - ٣) وقد تميز الخط النبطي ببعض الخصائص نذكر أهمها :-

١ - خلو الخط النبطي من الأعجام (التنقيط) .

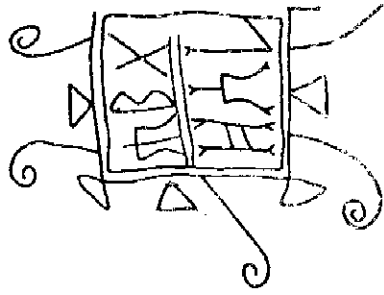
٢ - عدد الحروف في الخط النبطي اثنان وعشرون حرفاً .

٣ - تبدأ الكتابة فيه من اليمين إلى اليسار .

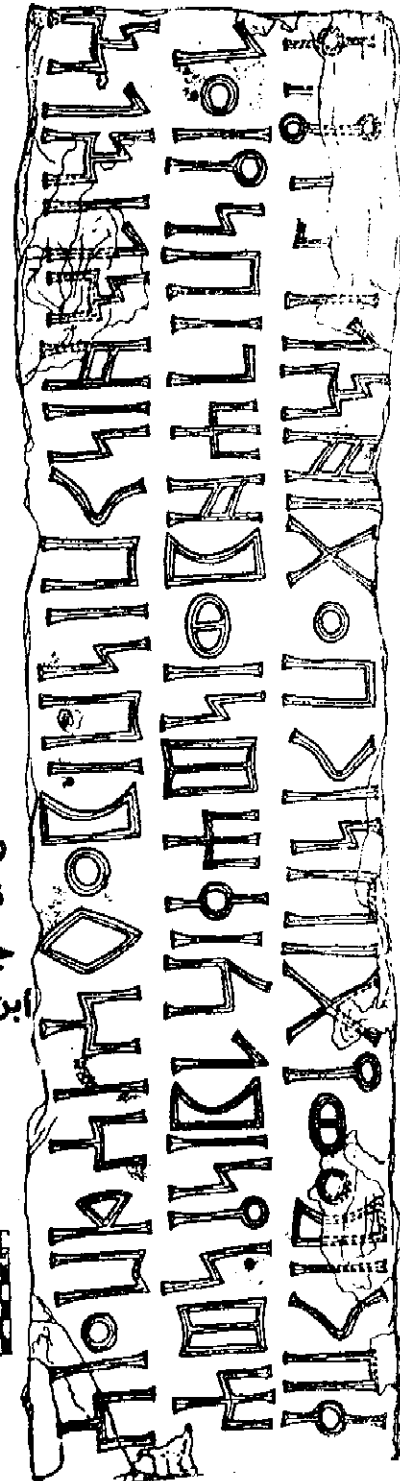
٤ - إسقاط حرف الالف من بعض الأسماء والكلمات مثل حارث تكتب بالنبطية (حرت) .

٥ - أداة التعريف في الخط النبطي هي الالف الممدود بنهاية الاسم مثل ملكا تعني الملك ، ونقشاً تعني النقش وهكذا

٦ - استخدمت في الكتابة النبطية كلمة آل ويون نسبة للقبيلة ونلاحظ من خلال هذه الخصائص التشابه الكبير بين الخط



كتابة عربية بالخط
المسند الجنوبي علم
لوحة مستطيلة داخل
اطار ومزينة بمثلثات
وفروع نباتية عند
الزوايا .



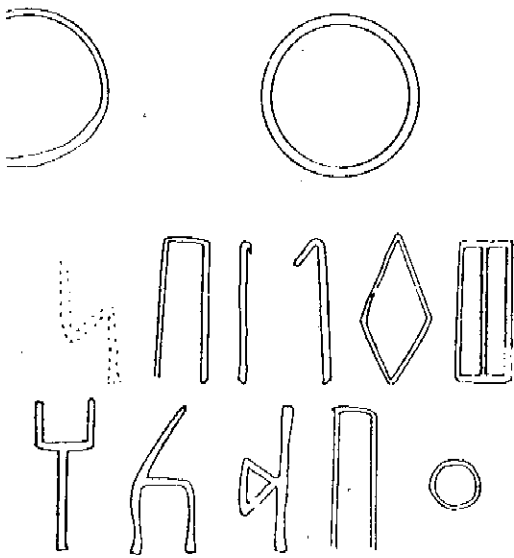
رسم تخطيطي لشاهد
قبر عليه كتابة عربية
جنوبية باسم (معاوية
ابن ربيعة)

(شكل ١)

النبطي والخط الديلمي مما يؤكد رأي المتخصصين في مجال
التفقد من أن الخط الديلمي كان قد انحدروا أو ولد من الخط النبطي
المتأخر . ويأتي الخط النبطي وأخيراً على حضارة دولة الانباط
الشرقية عاصمة الدولة في تاريخ العرب .

الهوامش والمصادر

- ١ - ابن خلدون ، تاريخ ، جزيرة العرب قبل الاسلام ، ج ٢ ، دار الفارابي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٩ ، ص ٢٩ .
- ٢ - نفسه ، ص ٧٩ .
- ٣ - المشهور ، تاريخ زمن النبي ، سوريات الخط الديلمي ، ج ١ - ٢ ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، ١٩٨٤ .
- ٤ - نفسه .
- ٥ - أبو بصير ، محمود شكري : المدرسة النبطية في العهد العربي ، مرجان : كتاب العالم ، الخط الديلمي والزخرفة الاسلامية ، ١٩٩٧ .
- ٦ - ستاركي ، جان : الحضارة النبطية ، عولية دائرة الآثار العامة ، ج ١٤ ، ط ١ ، ١٩٦٩ ، ص ٨ .
- ٧ - ابن خلدون ، تاريخ العرب ، ج ٧ ، ص ٤٦٠ - ٤٦١ .
- ٨ - ستاركي ، جان : المصدر السابق نفسه ، ص ٢٩ .
- ٩ - عيسى ، جون : الانباط و ميدان صنائع و حولية الآثار العربية ، اطلال ، ج ١ ، ط ١ ، ١٩٨٩ ، ص ١٣٦ .
- ١٠ - ابن الكلابي : الاسلام ، تحقيق احمد زكي باشا ، ط ٢ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٤ ، ص ١٣ .
- ١١ - ستاركي ، جان : المصدر السابق نفسه ، ص ٨ .
- ١٢ - عيسى ، احسان : تاريخ دولة الانباط ، بحث في تاريخ بلاد الشام ، ط ١ ، عمان ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، ١٩٨٧ ، ص ٢٥ .
- ١٣ - جواد ، علي : الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٢ ، ص ٥ .
- ١٤ - عيسى ، جون : المصدر السابق نفسه ، ص ١٣٦ .
- ١٥ - أندري ، ايان : رسم ياسين : تماثيل الآلهة النبطية موضوعاتها .
- ١٦ - رسالة الفنية ، رسالة الدكتوراه (غير منشورة) كلية الفنون الجميلة ، جامعة بغداد ، ١٩٩٧ ، ص ٧ .
- ١٧ - الحاضر ، عبد الرزاق : النقوش والكتابات النبطية اسم حضارية ، ندوة الانباط صاحب حضارة ، جامعة بغداد ، مركز احياء التراث العلمي العربي ، ١٩٩٠ ، ص ٦٣ .
- ١٨ - ستاركي ، جان : المصدر السابق نفسه ، ص ١٢٥١ .
- ١٩ - جواد ، علي : المصدر السابق نفسه ، ص ٧ .
- ٢٠ - المصدر نفسه ، ص ١٤ .
- ٢١ - نفسه ، ص ١٠ .
- ٢٢ - ندوة ، اسبانييل كاشف : مصادر التاريخ الاسكندري ومناهج البحث فيه ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ١٢ .
- ٢٣ - جواد ، علي : المصدر السابق نفسه ، ص ١٢٥ .
- ٢٤ - ملكو ، اليكس : مصادر تاريخ العرب قبل الاسلام ، مكتبة كلية الاداب ، جامعة القاهرة ، العدد (١) ، ١٩٧٥ ، ص ٨ .
- ٢٥ - د . محمد أبو النجيج ، المثل : نقاش الخط الديلمي وتطوره مجلة الحوليات للدراسة للدراسة .



كتابات جدارية تحمل اسم (نبت كبش) كتبت
بالخط المسند الجنوبي .

رسم لشاهد قبر يحمل كتابات بالعربية ا
القديمة باسم (طفل بن عبد كهل) .

(شكل - ٢)

نقش النمارة

- ١ -

نقش أم الجمال

« نموذج يجسد الكتابة
قبل الاسلام »

نقش أم الجمال

- ب -

نقش أم الجمال

(شكل - ٣)

خط الثلث والمخطوطات

يوسف ذنون

من الخطوط الاساسية التي نشأت في العصر الاموي واستمرت حتى الوقت الحاضر « خط الثلث » المعروف بـ « قلم الثلث » ايضاً ، لان تسميته جاءت من عرض قطة قلعه ، وقد شهد تطورات متلاحقة وكان له حضور مميز في شعبي الخط الكبيرتين « الخطوط الموزونة » و « الكتابة المنسوبة » بل عد هو الاساس والمنطلق في الخطوط المنسوبة ، ولذلك لا ننالي اذا قلنا ان تاريخ الخط العربي هو تاريخ خط الثلث في الاسلام ، لان اغلب الخطوط اشتقت منه ، فهو في العصر الاموي واول العصور العباسي الشكل المعروف للخطوط الموزونة التي اطلق عليها فيما بعد « الخط الكوفي » ، وحينما جرى التحول الى الكتابة المنسوبة في نهاية القرن الثاني الهجري تركز شكله الجديد خلال القرن التالي ، فكان هو الاساس والاصل الذي اشتقت منه بقية الخطوط في عصر كبار الخطاطين في بغداد في القرن الرابع الهجري من امثال اليزيدي (ت ٣١٠ هـ) وابن مقلة الوزير (ت ٣٢٨ هـ) وابن مقلة الاخ الخطاط (ت ٣٢٨ هـ) ومهلهل بن احمد (ت بعد ٣٤٧ هـ) والجوهري (ت ٣٩٣ هـ) وابن اسد (ت ٤١٠ هـ) وابن البواب (ت ٤١٣ هـ) ، والسعسماني (ت ٤١٥ هـ)^(١) جادوه واتفقوا قواعده لتسير على خطاهم فيه الاجيال المتعاقبة حتى القرن الثامن الهجري عامة لتبدأ فيه خطوة تطويرية اخرى بفهم جديد لمجموعة الخطوط المشتقة من خط الثلث ، سبق ذلك تحديد للمسميات التي كثرت للخطوط واقتصرت على اقلام (خطوط) ستة فقط ، الا ان هذا التطور الجديد برز في العماثر اكثر مما في المخطوطات حتى القرن العاشر الهجري الذي كان بداية جديدة لنقلة اخرى في خط الثلث نتابعت فيه التحسينات خلال العهد العثماني منذ القرن العاشر الهجري حتى وصل شكله الحديث قمته في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) ليستمر مع الاجيال التالية حتى الوقت الحاضر باساليب كبار خطاطيه .

الاصلية الموزونة « كما نقل عنه ابن النديم^(٢) والتي حملت شخصية واحدة الا انها اخذت تتنوع حسب دقة الاقلام التي كتبت بها وغلظها ، فكان « قلم الجليل » اجلها واكبرها بلا حدود واصغره « قلم الطومار » لكتابة الصفحة الكاملة ، وتتسلسل بعده الاقلام تصغيراً الى ثلثي الطومار « قلم الثلثين » ونصفه « قلم النصف » وثلثه « قلم الثلث » واخيراً « قلم الغباء » الدقيق الذي تكتب به بطائق الحمام ، ولدى الاستعمال في الاغراض المختلفة غلبت على بعضها اسماء المادة التي استعملت فيها مثل : قلم السجلات والمؤمرات (المراسلة بين الامراء) والمهود والاشربة والقصاص (الظلمات) والرقاع (عرض الحال) والتوقيعات والامانات وغيرها^(٣) ، وقد كان للمادة التي تكتب عليها اثرها الواضح في تطور اساليب جديدة في الخطوط الموزونة ، وكان من ابرزها الكتابات التي نفذت على جدران المساجد والمباني الاخرى في العهدين الراشدي من زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه في المسجد النبوي ، والاموي في زمن الخليفة عبد

لقد بدأت مسيرة الخط العربي بـ « قلم الجزم » وهو الكتابة العربية قبل الاسلام ، الذي وصل الى مكة المكرمة قبيل ظهوره ، وحينما شاع نور الاسلام اتخذت هذه الكتابة الخطية لتدوين القرآن الكريم وقد اطلقت عليها بعض المصادر « الخط المكمل »^(٤) ، وقد حملته اقلام الكتبة الاول من الصحابة الكرام بكثير من العناية واحاطوه بالمزيد من الاجلال والتقدير ، وفرقوا بينه وبين الكتابات اليومية الاخرى ، فامتاز بالتحقيق في الاداء ، بينما ترك غيره على سجية الكاتب في كتابة العقود والمعاملات والمراسلات والمهود وغيرها والذي غلبت عليه صفة الكتابة السريعة « المشق »^(٥) التي رفضت في كتابة المصاحف الكريمة ، بينما اخذ خط المصاحف بالتبلور في صورة معتمدة على المساواة الهندسية الواضحة الاشكال والمحددة المعالم والرسيم ، فكانت خطأ « ميسوياً جليلاً » كما ذكر القلقشندي^(٦) ، ان هذه الاشكال التي خضعت لنظام واضح واصف دقيقة وشكل اساسي موحد ، اطلق عليها ابو العباس بن ثوبة (ت ٢٧٧ هـ) « الخطوط

خَطُ الثَلَاثِ الْقَدِيمِ

أن وجود عدد كبير من الخطاطين وتزايد اهتمام الدولة العباسية بالدواوين واختيار الكتاب الجيدين (الخطاطين) لها خاصة في عصر المأمون (خلافته ١٩٨ - ٢١٨ هـ) وهم المرشحون في الوقت نفسه لتسلم منصب الوزارة أفرز حركة نشيطة بالاتجاه إلى الخطوط التي غلب اللين عليها والتي أخذت تتكون لها شخصية جديدة تختلف عن الخطوط اليابسة (الموزونة) بالرغم من جلالها ، نتيجة للاداء اليدوي في رسوماتها وهذا ما تحتاج إليه الدواوين كتابة يدوية تتمثل فيها السرعة في الرسم والوضوح في الصور وجمالية جلالية هي من خصائص رسوم الحروف العربية ، لقد دفع ذلك الخطاطين المجيدين إلى التنافس في اختراع اشكال جديدة تحمل هذه الصفات واستقلوا الصور اللينة للحروف فخرجوا منها بخط جديد يختلف عن شخصية الخطوط الموزونة ، وكان على رأسهم ابراهيم الكاتب السابق ذكره الذي نجد ان المصادر القديمة تنسب اليه اختراع الثلث^(١٢) وواضح ان هذا الثلث الذي يخترع للمرة الثانية هو غير ثلث الطومار الجليل ، فهو خط جديد يضاهي الجليل ولذلك انطلقت منه مجموعة من الخطوط ومن دون الخروج عن تسميته في المرحلة الاولى الا باضافة صفة تقرر حجمه فهو « قلم الثلث » و « قلم الثلث الثقيل » و « قلم الثلث الخفيف » او خفيف الثلث و « قلم الثلث الكبير الثقيل » و « قلم خفيف الثلث الكبير »^(١٣) ، وواضح ان هناك نقلة جديدة لكن النقلة والرواة خلطوا بين الثلث الاقدم الذي يعود إلى الخطوط الموزونة وبين الثلث الجديد الذي شكل بداية الخطوط المنسوبة ، وقد كان من نتيجة ذلك صموية فهم المعلومات التي قدمت عن الثلث في مرحلة التحول والانتقال ، ومع ذلك يمكن الفرز اذا وضحت لنا الصورة التي تقدمت والتي يؤكدنا ظهور نخبة من الخطاطين المجيدين ارسى قواعده وضبطت اشكاله ، منهم الاحول المعاصر للمأمون^(١٤) وبعده ، ومن بعده اسحق البربري المحرر معلم الخليفة المقتدر واولاده (ولادته ٢٨٢ هـ وخلافته ٢٩٥ هـ) وهو كذلك استاذ ابن مقلة^(١٥) ، ومن اشتهر بخط الثلث في القرن الثالث الهجري احمد بن محمد ابن حفص المعروف بزاقف وكان ابن الزييات (ت ٢٢٢ هـ) وزير الممتصم والواثق يعجبه خطه ولا يكتب بين يديه غيره^(١٦) .

ان ما تقدم يدل على ان خط الثلث القديم قد لقي اهتماماً كبيراً بعدما استقرت اشكاله التي حققت جمالية جديدة قائمة على النسبة الفاضلة على وفق المعايير الهندسية والرياضية

الملك بن مروان وابنه الوليد في مبانيهم المختلفة وخاصة قبة الصخرة (٧٢ هـ) فقد كان لمادة الفسيفساء التي نفذت بها الكتابات اثرها في ارساء الاسلوب الشامي في الخطوط الموزونة والذي اطلق عليه « الجليل الشامي »^(١٧) ، وهو في حقيقته لا يخرج عن الشخصية العامة للخطوط الموزونة والتي كما ذكرنا اطلق عليها فيما بعد « الخطوط الكوفية » لتباعد زمنها وتداخل اسماء خطوطها وتقارب اشكالها واندثار المعلومات الدقيقة عنها^(١٨) .

الْثَلَاثُ الْأَقْدَمُ : (نوع من الخطوط الموزونة « الكوفية »)

ان الخطوط الموزونة هي التي ولد فيها مصطلح « قلم الثلث » نتيجة لاعتماد « قلم الطومار » وهو اصغر اقلام الجليل الشامي ، حيث وضعت اوصاف رأس قلمه المصنوع من الجريد والتي قدرت بحيث تساوي (٢٤) شعرة من شعر البزؤون ، قياس دقيق على قياس وزن الذهب والمعادن النفيسة لنفاسته ، فكان قلم الثلثين (١٦) شعرة وقلم النصف (١٢) شعرة وقلم الثلث (٨) شعرات^(١٩) ، ان ذلك يعني ان هذه النقلة لم تغير شخصية الحرف وانما تداخلت في مساحته تصغيراً او تكبيراً ، ولذلك نستطيع القول ان خط الثلث في هذا التقسيم هو نوع من انواع الخطوط الموزونة ، ولذلك يمكن ان نطلق عليه « الثلث الاقدم » تمييزاً له عن خط الثلث الذي اعقبه في الخطوط المنسوبة والتي سوف نأتي عليها فيما بعد ، فهو هنا ضرب من الخط الكوفي وقد اندثرت اشكاله هذه مع اندثار المعلومات التي ورثت في المصادر القديمة عن الخطوط الموزونة ، والتي تعذر فهمها على الخطاطين وغيرهم ممن غمرتهم موجة « الكتابة المنسوبة » ولذلك يمكن اعتبار اي اثر خطي من الخطوط الموزونة يكون عرض قلمه بحدود (٢ - ٣ ملم)^(٢٠) هو مكتوب بقلم الثلث الاقدم سواء في المصاحف او المبنونات الاخرى خلال القرون الثلاثة الاولى وان كان قد نكر انه يكتب في قطع الثلثين من الورق ويستعمل في المكاتبات من الوزراء الى العمال^(٢١) .

وقد اشتهر في هذه الخطوط قطبة المحرر (الخطاط) المتوفى سنة ١٨٤ هـ وهو الذي ينسب اليه اشتقاق الاقلام الاربعة (الطومار والثلثين والنصف والثلث) من قلم الجليل الشامي ، ومن بعده الضحاک بن عجلان الكاتب (الخطاط) واسحق بن حماد الكاتب ، الاول في خلافة السفاح (خلافته ١٣٢ - ١٣٦ هـ) والثاني في خلافة المنصور (خلافته ١٣٦ - ١٥٨ هـ) والمهدي (خلافته ١٥٨ - ١٦٩ هـ) وقد برز عدد كبير من تلامذتهم من امثال ابراهيم الكاتب (ت ٢٠٠ هـ) واخوه يوسف الكاتب وغيرهم^(٢٢) .

فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ قَبْلِهِ
وَأَمْسَهُمْ مِنْ خَوْفٍ
سُورَةُ الْأَرْكَاتِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُو اللَّهَ
وَأَخْضَعَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ تَوَنُّوا لِلْمُصَلِّينَ إِذْ هُمْ
عَبْدُ اللَّهِ يَمْنَعُونَ
سُورَةُ الْكَافِرُونَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَنَا أَغْنِيَنَّكَ الْكَوْثَرَ فَصِرْ إِلَىٰ رَبِّكَ وَأَلْحِمْنَا مَا تُرِيدُ
هُوَ الْأَشَدُّ
سُورَةُ الْكَافِرُونَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

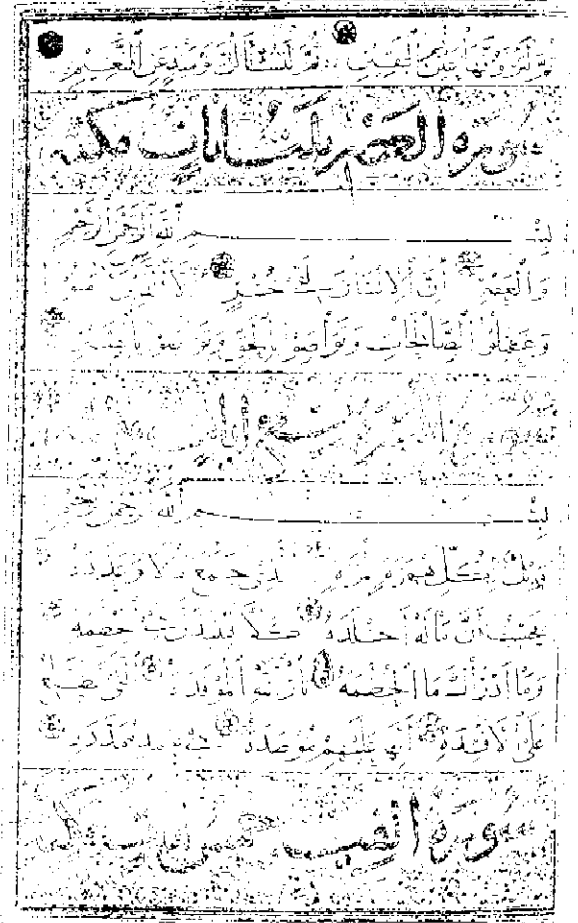
عن : مطبوعه في باريس ١٩٧٢

الحزب الثالث من كتاب المقاصب
 تأليف أبي العباس محمد بن يزيد البرقي
 كتبه محمد بن الحسين

واستلهم الطبيعة وخاصة الانسان الذي خلق في اسن تقويم والانطلاق من الاصول التي فصلها اخوان الصفا^(١٨) ، (ذكر بعضها في رسالة ابن مقلة في الخط والقلم^(١٩) ، ومن هذا التناسب في الحروف جاء مصطلح « الكتابة المنسوبة » الذي اطلق على هذه النقلة الكتابية بالتحول من الخطوط الموزونة (الهندسية اليابسة) الى الخطوط اليدوية اللينة التي شكل اساسها خط الثلث القديم ، يؤيد ذلك ما عثر من كتابات بخط الثلث القديم بشكله المتكامل في نهاية القرن الثالث الهجري في كتابات النقود المعدنية التي ظهرت في شرق العالم الاسلامي والدورخة سنة ٢٩٢ هـ و ٢٩٣ هـ و ٢٩٩ هـ^(٢٠) ، وهذا مؤشرا على ذبوع هذا الخط وانتشاره وتمكنه الذي ظهر بصورته التي كتب لها الاستمرار مدة قرون طويلة ، وقد برز بشكل واضح لا لبس فيه في مخطوطات القرن الرابع الهجري في اثار كبار خطاطي تلك الحقبة التي وصل الينا منها مخطوطات مهلهل بن احمد في كتاب (المقتضب) الذي كتبه سنة ٣٤٧ هـ (الشكل - ١) او ابن اسد شيخ ابن البواب الذي كتب (امالي البيهذي) سنة ٣٦٨ هـ - ٣٧٠ هـ) وكذلك كتابات ابن البواب وخاصة نسخة المصحف الشريف الاعجوبة الذي كتبه سنة ٣٩١ هـ وهو من اوائل المصاحف التي كتبت بغير خط المصاحف من الخطوط الموزونة ، كتبه بقلم الريحان وزينه بقلم الثلث القديم بالاشكال التي تفرعت منه^(٢١) . (الشكل - ٢)

لقد برع ابن البواب في خط الثلث وخفيف كما ذكر صاحب رسالة في الكتابة المنسوية ، و اضاف بانه ابدع في

بالشعرات لان شخصيته واحدة ، نلمح ذلك فيما اورده القلقشندي حينما نقل بعض المعلومات القديمة عن الثلث



الشكل - ٣ - خط الثلث القديم سنة ٦٨٦ هـ - ١٢٨٧ م بغداد (الشيخ المستنصري في عناوين السور ، كتب ببغداد .

عن : Lings ,The QURANIC Art , P . 55 .

أفكر انه « ربما قيل ثقل الثلث ، وهو المقدرة مساحته ثماني شعرات . » فهذا واضح فيه الكلام عن الثلث الاقدم ، وحينما ذكر الثلث الخفيف بين ان فيه « يقال فيه خفيف الثلث وصوره كصور الثقل المتقدمة الذكر لا تختلف الا انه ابق منه قليلاً والطف مقادير منه بنز يسير »^(٢١) ، ان هذا الوصف ينسحب على الثلث الاقدم ايضاً ، ولذلك نراه يستدرك على ما تقدم باوصاف اخرى نقلًا عن ابن الصانع (ت ٨٤٥ هـ) حينما ذكر ان الفرق بين الثلث الثقل والخفيف هو ان الثقل تكون منتصباته ومبسوطاته سبع

نقط على ما في قلمه . والخفيف تكون خمس نقاط ، نقص عن ذلك سمي اللؤلؤي^(٢٢) ، وواضح ان المستنصر قد نقل الثلث القديم في الكفاية المستنصرية

واذا استعرضنا ان وصفاً لثلاثي (الثلث) في القرن الثالث للثلاث الاقدم وخط الثلث القديم ، إضافة - إضافة - لثلاثي (الثلث) في القرن الاول منها ، نجد ان الفرق هو في المقاييس بدرجة بين الثلث وقلم الثلثي (الثلث) والرقاع حيثما ذكر التوافق واضاف انهما « في الحقيقة »^(٢٣) معروف ان الرقاع بدرجة من التوافق ، واستاء الخطيب في « اللبونة » ودرجة تفاوتها بين النوعين (الثلث) والرقاع في الفرق بين الثلث والتوافق هو صغر « عذارى التوافق » في المقاييس بالنقاط [وصحفي الخطيب (اللبونة) ، ص ١٠٧] ان الاختلاف في درجة اللبونة قد ارجع رأياً اخر من سبب تسمية « الثلث » جهات من عدة المخطوطات المستنصرية (الباسية) التي المخطوطات المعقورة (الخفية) في القلم الواضح ، فان كانت المخطوطات المستنصرية تسمى « الثلث » سمي قلم الثلث واذا بلغت الثلثين سمي قلم الثلثين^(٢٤) ، ان هذا يدعو الى القول بان الثلث المستعمل من عيسى وأبي القاسم والمفاس بالشمعة يرتبط بالمخطوطات المبرورة ومنه جاءت التسمية القديمة ، اما الرأي الثاني هذا فانه يرتبط بالمخطوطات المنسوبة وهو قائم على التفسير الذي لا يحسن ضبطه ولذلك نرجح عليه (الرأي الاول فليبدأ لرأي المخطوطات المتأخرين^(٢٥) ، وقول ان « لم الثلث الاقدم (الثلث) » الذي استعمل في الثلث المبرور هي المخطوطات المنسوبة والذي بقي على الوصف الخاص بهذا القاسم في الرأس وفي غيرها انه يفرج بين ، التي ، « واثبات بالمعنى على يد البداية في هذا البحث .

ان سيادة خط الثلث القديم استمرت في المخطوطات في جميع ارجاء الممالك الاسلامي بصوره العلوياني (الجليل) او الجلي والتقليد والعتاد والخفيف وصورة اللينة التواقيع والرقاع واللؤلؤي وغيرهم ، وكانت شارة الاستعمال في الكتب الكاملة وحتى في المصاحف القرآنية وانما كانت تقتصر على المعاوين او العبرانيين المخطوطة لما في هذه المخطوطات من صعوبة لا تكاد الا للمعاصرين المعجدين تلك صار من انما التباينات اللغوية واللغوية وكان اكثرها على النماذج علماً انها قد بدأت على المخطوطات في القرن الثالث الهجري وبداية سبيلها

لَا يَخْأُ فَوْكُ يَأْتِيهَا الَّذِينَ لَمْ يُؤُوا

لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ

عَنْ كَرِيمٍ مِنَ بَيْتِ مُحَمَّدٍ

فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَائِرُونَ وَأُولَئِكَ

يَتَمَنَّوْنَ أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُمْ

الشكل - ٤ - مصحف كريم بخط الثلث القديم مهدى لقطب الدين محمد
ابن زكي بن موبود (٥٩٤ - ٦١٦ هـ / ١١٩٨ - ١٢١٩ م)
حاكم سنجار ونصيبين .

عن : James , The Maste Scribes , 2 , P. 44 .

كَتَابُكَ كَفَى نَفْسِي

الْفِرْعَانِيَّةَ حَسْبِي مَنْ

أَهْتَدَى فَأَهْتَدَى لِنَفْسِي

وَمَرْضِي فَأَهْتَدَى لَهَا

وَلَا رَوْزَةَ وَلَا خَيْرَ مَا

الشكل - ٥ - خط المحقق سنة ٧٠٦ هـ - ١٢٠٦ م خط علي بن محمد
ابن زيد الحسيني في الموصل .

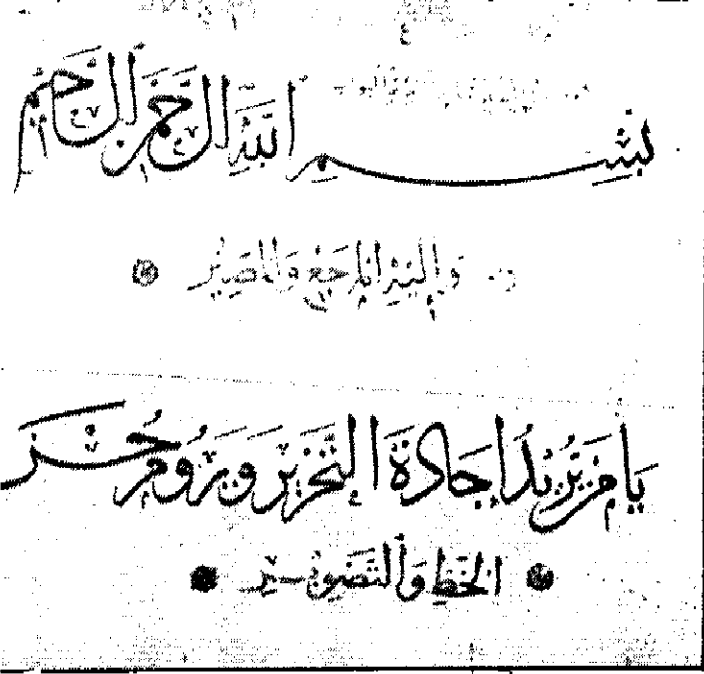
عن : James , OUR'ANS Of The MAMLÜKS , P. 99 .

بشكل واسع الى القرن السادس الهجري واستمرت فيهما
معا حتى القرن الثامن الهجري ، وقد برز خطاطون كبار في
هذه المرحلة / الحقبة من غير ما تقدم من امثال المبارك ابو
طالب الكرخي (ت ٥٨٥ هـ) وقد ذكر انه كتب خيراً من
ابن البواب ولم يكتب احد مثله بقلم الثلث^(٢١) ، وكذلك ياقوت
الموصللي (ت ٦١٨ هـ)^(٢٢) وياقوت المستعصي ، وقد
كتبت كثير من المصاحف في هذه المرحلة / الحقبة بخط
الثلث القديم نذكر منها المصحف الذي كتب لقطب الدين
محمد بن زكي بن موبود حاكم سنجار ونصيبين (٥٩٤ -
٦١٦ هـ) (الشكل - ٤ -) وهناك غير ما كتب في
الشام ومصر وغيرها^(٢٣) ، كما ان في هذه المرحلة / الحقبة
ايضاً افريت بعض المؤلفات لخط الثلث القديم هذا عرف
منها كتاب « قلم الثلث » لعمر بن الحسين المعروف بفلام
ابن خرنقا (ت ٥٥٢ هـ)^(٢٤) .

لقد شهدت نهاية المرحلة / الحقبة التي ازدهر فيها
خط الثلث القديم والتي عاصرت الذين اعتبروا تلامذة ياقوت
المستعصي الستة او ما اطلق عليهم الاساتذة السبعة
والذين اختلف في تحديدهم ، او الذين وصلت اليها آثارهم
الرائعة ولم يعرف لهم تراجم ، من امثال ابن الوحيد
(ت ٧١١ هـ) وعلي بن محمد بن زيد الحسيني (ت بعد
٧١١ هـ) (الشكل - ٥ -) واحمد بن السهروردي
(ت ٧٤١ هـ) وارغون الكاملي (ت ٧٤٤ هـ) وعبد الله
الصيرفي (توفي بعد ٧٤٥ هـ) ومبارك شاه السيوفي
(ت بعد ٧٤٥ هـ) وغيرهم^(٢٥) ، شهدت « نافسة » خط
المحقق « من الاقلام الستة » الذي هو الآخر مشتق من خط
الثلث القديم والذي يتسم بالجلال والوضوح والميل الى
الاستقامة في رسم مساراته ، لذلك كتبت به في الغالب
المصاحف الكريمة الخزائنية ذات الاحجام الكبيرة ، لذلك
نرى ان مؤلفات القرن الثامن الهجري عن فن الخط العربي
تعد ان هناك اصلين للخطوط ، الاول هو « المحقق » والثاني
هو « الثلث » فقد ورد عند ابن البصيص^(٢٦) (النصف
الاول من القرن الثامن الهجري) نقلاً عن والده الخطاط
نجم الدين موسى بن علي الشافعي المعروف بابن البصيص
(ت ٧١٦ هـ) :

ان الكتابة تنقسم الى اقسام ، من ذلك ادسلان ، الاصل
الاول « قلم المحقق » وهو اول ما يبدأ به (ذلك لتحقيق
حروفه ومنه يستخرج قلم الريحان ، ثم قرن به « قلم

مقدمتها « خط التعليق » وما تطور عنه من خطوط منها « خط المستعليق » وخطوط « الشكسته »^(١٦) . وحدث الشيء نفسه في المغرب العربي ، فقد جرى التركيز على



الشكل - ٦ - خط الثلث القديم سنة ٩٠٨ هـ - ١٥٠٢ م بخط الطيبي
في مصر (الثلث المعتاد)
عن : جامع محاسن كتابة الكتاب ص ٢٢



الشكل - ٧ - خط الثلث القديم سنة ٩٠٨ هـ - ١٥٠٢ م بخط الطيبي
في مصر (قلم الجليل بخط الثلث) .
عن : جامع محاسن كتابة الكتاب ٤٦

النسخ « بعد ذلك عرج على الاصل الثاني وذكر انه « قلم الثلث » واعترف بعدها بانه هو اصل الكتابة المنسوبة وان اتقانه هو اتقان جميع حروف الكتابة ، اكد بعدها انه هو اساس الكتابة واصلها ومنه تتفرع الاقلام^(٢٦) ، ويمكن تبين ذلك في « قلم الطومار » المعروف في زمن ابن البصيص ، رآه اصغر خليل في الكتابة المنسوبة الذي شاع في البلاد الشامية ومصر وبه صارت هناك الاقلام سبعة او ثمانية باضافة « قلم الغبار » الذي يستعمل في بطائق الحمام كما وردت عند القلقشندي وغيره^(٢٧) ، فقد كتب ابن الطومار بالطريقتين المتقدمتين ، طريقة المحقق وطريقة الثلث القديم .

ان خط الثلث القديم قد واصل وجوده في بلاد الشام ومصر واليمن حتى القرن العاشر الهجري ، واشتهر فيه عند من الخطاطين من امثال عماد الدين الشيرازي القعشقي (ت ٦٨٢ هـ)^(٢٨) وابن الوحيد وعماد الدين بن العفيف (ت ٧٣٦ هـ)^(٢٩) والزفتاوي وشعبان الاثاري (ت ٨٢٨ هـ)^(٣٠) وعبد الرحمن الصائغ (٨٤٥ هـ)^(٣١) وغيرهم ، ولم يقف بعض هؤلاء الخطاطين عند حدود فن الخط وانما تجاوزوه الى التأليف عن الخطوط عامة بمعالجة بعض من تاريخها وطرق تعلمها والقاء الضوء على انواعها واسرارها وقد ركزوا على خط الثلث فيها مثل ابن الوحيد^(٣٢) وابن البصيص وحسن بن ياسين بن محمد الكاتب (القرن الثامن الهجري) والزفتاوي وابن الصائغ^(٣٣) ، وقد توج اعمالهم القلقشندي (ت ٨٢٨ هـ) بموسوعته المرجعية « صبح الاعشى »^(٣٤) ، وربما كان من آخرهم الطيبي في مؤلفه الذي انجزه سنة ٩٠٨ هـ الذي قدم لنا نماذج تاريخية للخطوط السائدة في زمانه والتي تمتد في اصولها الى عهد ابن البواب^(٣٥) ، (الشكل - ٦ -) و (الشكل - ٧ -) وفي مؤلفاتهم هذه التفاصيل الكاملة لقواعد خط الثلث القديم وكيفية كتاباته وعلاقته بالخطوط الاخرى وقطعة قلمه ورسومه حرفاً حرفاً ، وقد كان هذا آخر العهد في هذه البلاد بخط الثلث القديم فجرى التغيير بعد سيطرة العثمانيين على هذه البقاع سنة ٩٢٢ هـ و ٩٢٣ هـ . اما شرق العالم الاسلامي فان الثلث القديم قد تراجع في القرن الثامن الهجري ليحل محله « الثلث المحقق » الا ان حركته كانت محدودة وهي في الغالب على العماثر ، لان التركيز انصب في هذه البقاع على خطوط اخرى يأتي في

الضوء عليه^(١٨) .

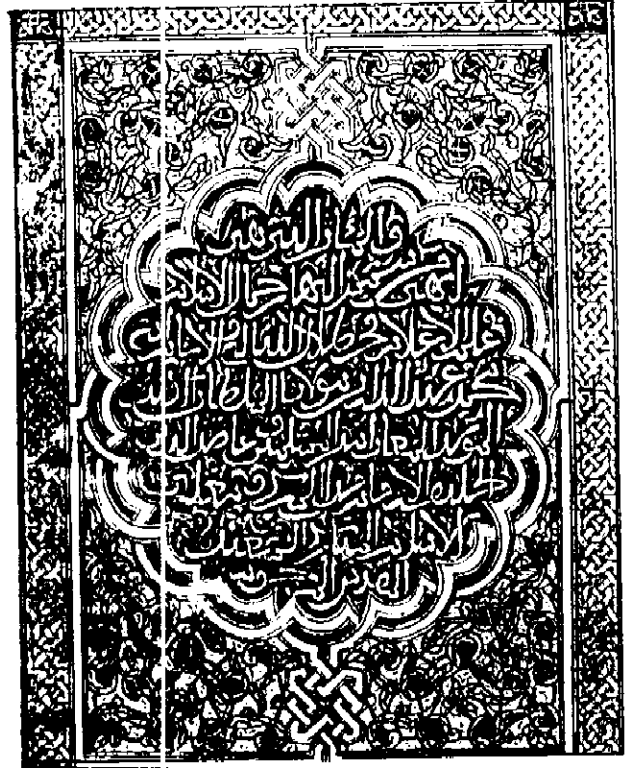
خَطُ الثُلُثِ الْمُحَقَّقِ

بعد سقوط بغداد على يد المغول سنة ٦٥٦ هـ التي كانت المركز الرئيس للخطوط المنسوبة وعلى رأسها خط الثلث القديم توزعت مراكز الثقل في النشاطات الخطية شرقاً حتى وصلت الى الهند ، وغرباً في بلاد الشام ومصر والمغرب العربي وشمالاً في بلاد الاناضول ، وبالنظر لشيوخ « خط المحقق » فيها وخاصة في كتابة المصاحف الكريمة التي وصل الينا منها اعداد كبيرة تتميز بالوضوح التام والاحجام الكبيرة والمزينة بالزخارف الرائعة وخاصة النسخ الخزائنية منها التي تعيد الى الازهان هبة الجليل في الخطوط المنسوبة التي حملت جمالاً فائقاً ويسراً في الاداء عند الخطاطين الكبار من امثال ابن الوحيد والسهورودي والحسيني والصيرفي والسيوفي والكاملي وغيرهم^(١٩) ، ان ذلك جعل بعض الخطاطين يعنون الى الاصل وهو خط الثلث القديم لمعالجته بحيث يستعيد مكانته السابقة اساساً لكل الخطوط بما فيها خط المحقق ، فدخلت عليه بعض التحسينات مصدرها الاول خط المحقق وبشكل محدود في اول الامر ، فظهر الثلث القديم بصورة جديدة تحمل ميزات مشتركة كانت اساساً فيه واضيف اليها بعض صفات المحقق فخرجت به من الغلظ والاكتناز المميز له الى نوع من الرشاقة التي عرف بها خط المحقق بشكل مفرط ، عندها برزت صورة « الثلث المحقق » شخصية وسطى بين الاثنين ، وعلى سبيل المثال اذا ما اخذنا حرف الالف المشعر الملفوف الاسفل الى اليسار وحتى الالف المحرف قليلاً في النهاية الى اليسار ايضاً فانهما قد تخلصا بشكل كامل من التشعير والتحريف وانتهيا الى الالف المطلق الذي ينتهي بسن فصار كالمحقق لكنه حافظ على قياس طوله البالغ سبع نقاط ، وفي الوقت نفسه قد تخلص من الغلظ الشديد في الاعلى فتناسبت اجزائه^(٢٠) ، كما ان خط الثلث قد حافظ على النهايات المجموعة في حروف الراء والواو والميم وما شابهها وهي المرسله في خط المحقق ، هذا في المراحل الاولى ولكن في النهاية تمكن من احتواء خط المحقق بكامله ولم يبق الا على بسملته التي بقيت حية مع الثلث المحقق والثلث الحديث حتى الوقت الحاضر .

ان حركة التغيير هذه قد تولاهما كبار الخطاطين بعد ياقوت المستعصمي الذي سار على الطريقة المعروفة في الثلث القديم ، ولعل الذي تولى ذلك هو الخطاط احمد طيب شاه الذي اشتهر بين اساتذة الخط الذين اعقبوا ياقوت بخط الثلث ، والذي وصلتنا كتاباته الثلثية بشكل معجب في النصوص الكثيرة التي خطها

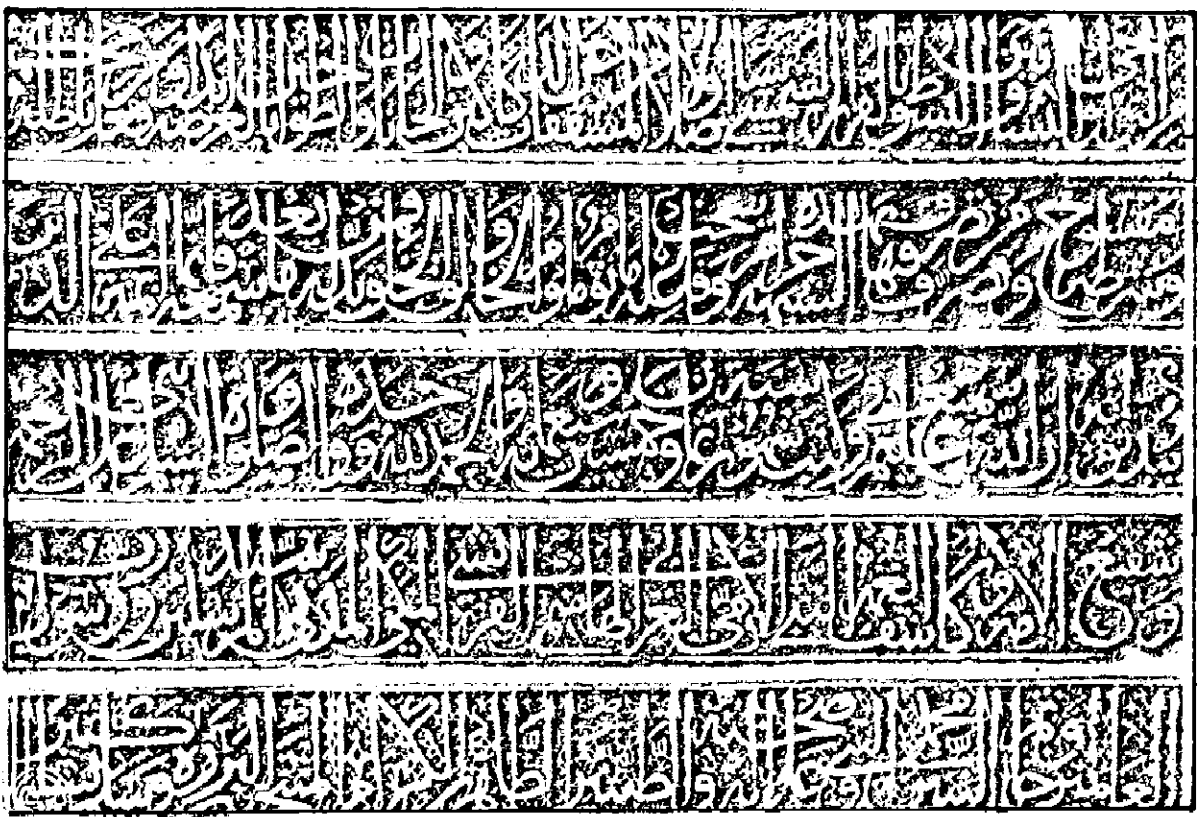
« الخط المغربي » الذي هو امتداد للخطوط الموزونة ، واستعمل الثلث القديم بشكل محدود في المخطوطات وكان اغلبه على العماثر ، وقد طرأت عليه بعض التحويرات التي طبعته بخصوصية واضحة ميزته من الثلث القديم الشائع في المشرق العربي والاسلامي ، ان هذه الخصوصية التي جعلت منه نمطاً آخر من انماط الثلث القديم يتعين ان تفرد له دراسة خاصة تحت اسم « الثلث النديم المغربي^(٢١) » خاصة انه هو الباقي الوحيد من خط الثلث القديم حتى الوقت الحاضر في المغرب العربي . (الشكل - ٨ -)

وقبل ان نواصل مسيرة هذا الخط ، لابد من الاشارة الى ان دارسي الفنون الاسلامية من الغربيين قد اطلقوا على خط الثلث القديم (خط النسخ) وقد تابعهم الدارسون الشرقيون في ذلك ، ولم يكتفوا بهذه التسمية وانما ربطوه باسماء الدول التي وجد فيها فقالوا « النسخ الاتاكي » و « النسخ الايوبي » و « النسخ المملوكي » وغير ذلك من التسميات المقترنة بالنسخ ، وهذا خطأ واضح لان « خط النسخ » خط معروف وله اشكاله الخاصة التي تختلف عن اشكال حروف خط الثلث وقواعده معلومة وه تاريخ مختلف ومميز ، وهذا ما دعا لافراد دراسة خاصة لهذا الجانب تلقي



الشكل - ٨ - خط الثلث القديم ا مربي سنة ٩٧٦ هـ - ١٥٦٨ م من مصحف كتب في مراکش سلطان محمد بن عبد الله .

عن : . 76 . P : Calligraphy , Islar : S/AFADI



الشكل - ٩ - خط الثلث المحقق في النص التذكاري المؤرخ سنة ٧٥٨ هـ - ١٣٥٦ م لجامع مرجان في بغداد للخطاط احمد شاه النقاش .

عن : ناصر النقشبندی ، المدرسة المرجانية ، لوح (١٦)

لجامع مرجان في بغداد والمؤرخة سنة ٧٥٨ هـ وكذلك خان مرجان المجاور للجامع والمؤرخ سنة ٧٦٠ هـ^(١) وقد كانت طريقته في هذه الكتابات هي طريقة « الثلث المحقق » المبكرة (الشكل - ٩ -) ، والتي تركزت عند الخطاطين الذين اعقبوه والذي كان هاجس المقتدرين منهم محاولة تطوير الخطوط او ابتكار انواع جديدة منها كما ورد عند ابن البصيص في الكلام عن ابيه ومحاولاته لابتكار خطوط جديدة^(٢) ، وكذلك محاولة الطيبي الذي ذكر انه ابتكر بعض الخطوط واثبت رسومها في كتابه^(٣) . لقد تركزت رسوم « خط الثلث المحقق » بشكل معجب عند الشيخ حمد الله الاماسي المعروف بابن الشيخ (ت ٩٢٦ هـ)^(٤) رأس الطريقة العثمانية في الخطوط الستة وفي مقدمتها الثلث المحقق (الشكل - ١٠ -) وكذلك عند الخطاط الكبير احمد القره حصارى (ت ٩٦٤ هـ)^(٥) الذي اعقبه في هذا الخط الذي ركز عليه الخطاطون من العهد العثماني هو وخط النسخ مما جعل بقية الاقلام الستة تأخذ طريقها الى الاندثار ولم يبق منها ما عدا الثلث والنسخ الا خط الاجازة الذي هو الوريث المحسن لخطي التوقيع والرقاع ، وكانت آخر كتابات لهم على يد الشيخ حمد الله ، اما ما تلاها فهي مجرد تقليد له لم يأخذ طريقة الى المخطوطات التي اقتصر فيها الخطاطون على خط الثلث المحقق والنسخ بالدرجة الاساس . لقد انتشر الثلث المحقق في مختلف بقاع العالم الاسلامي ما عدا بلاد المغرب العربي لانه حافظ على الثلث القديم



الشكل - ١٠ - خط الثلث المحقق بخط الشيخ حمد الله المتوفى سنة ٩٢٦ هـ - ١٥٢٠ م عن درج الاقلام الستة في عهده .

عن : Serin , HATTAT , SEYH HAMDULLAH , S. 186 ...

وَلَوْ أَنَّا زُلْزَلْنَا إِلَى الْيَوْمِ لَظَنَّوْا أَنَّهُمُ الْمُؤْتُونَ وَحُشِرَ
 عَلَيْهِمْ كُلُّ شَيْءٍ قَبْلَ مَا كَانُوا يَوْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ
 وَلَئِنْ أَكْثَرُهُمْ فَتَنُوا ۖ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا الْكُلَّ بَحْرًا
 عَذَابًا لِّسَيَّاطِينَ الْأَشْرَارِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى الْبَعْضِ
 زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَأَوْشَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوا فَلَا تَغْوَ
 وَاقْتَرَبُوا ۖ وَلَيَضْحِكُنَّ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِالْآخِرَةِ وَلَيَرْضَوْنَهُ وَلَيَكُنَّ لَهُمْ مَقَرُّهُمْ ۖ وَأَفْهَمَ اللَّهُ
 أَفْهَمَ اللَّهُ ابْنَهُ كَمَا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ لِيُكْمِلَ الْكِتَابَ
 مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آمَنُوا هُمُ الْكُتَّابُ يُحْمَلُونَ بِأَنَّهُمْ يُزَكَّرُونَ
 مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ وَلَا يَكُنْ مِنْ الْمُهْزَنِينَ ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ
 رَبِّكَ صَلَاقًا وَمَا كَانَ مَبْدِلَ الْكَلِمَاتِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
 ۖ وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
 إِنْ يَشَاءُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۖ
 إِنْ رَبُّكَ هُوَ غَلُّمٌ يَلْبِغُ عَنْ نَسَبِهِ وَهُوَ غَلُّ الْقُلُوبِ
 ۖ فَكُلُّوا مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لِعِبَادِهِ كَثِيرٌ مِمَّا لَا يَعْلَمُونَ

الشكل - ١١ - مصحف كريم بخط الثلث (المحقق المقرط) ناقص
 اسم الخطاط ومكان وسنة الطبع

مكتبة الباحث

تحسين حروف الثلث وأوضاعها في التركيب وصلت به الى درجة
 الاعجاز ، وقد تم ذلك بالاهتمام بكل جوانب الخط من اعداد القلم
 القصب والحبر المعد اعداداً خاصاً والورق المطلي والمصقول
 والتنافس في الاتقان وتحسين صور الحروف ورسومها ، فظهرت
 في هذه الحقبة مجموعة مجيدة من الخطاطين وكان في مقدمتهم
 في الثلث الحديث الخطاط مصطفى عزت قاضي عسكر (ت ١٢٦٥ هـ)
 وتلامذته شفيق (ت ١٢٩٧ هـ) كاتب كتابات
 قبة الصخرة الخارجية ، وعبد الله زهدي (١٢٩٦ هـ) كاتب
 كتابات الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة
 وكذلك تلميذ شفيق المعروف حسن رضا (ت ١٣٣٨ هـ) وقد
 تركوا لنا فيضاً من مخطوطاتهم في المصاحف واللوحات
 والمرقعات والحليات والرقع والقطع وغيرها ، وبالرغم من المدى

المتغرب - كما مر بنا - وصارت استانبول عاصمة الدولة
 العثمانية مركز التجويد والتحسين والاشعاع فيه ، وبلغت اعداد
 الخطاطين المجيدين له اعداداً تفوق الحصر لتشجيع الدولة الذي
 اشاع حب فن الخط والتنافس في تعلمه في جميع اوساط
 المجتمع ، ومن اشتهر في هذه المرحلة / الحقبة الخطاط الحافظ
 عثمان (ت ١١١٠ هـ)^(١١٠) ، كما نذكر منهم اسماعيل بغدادي
 (ت ١٨١١ هـ)^(١١١) ونعمان الزكائي (ت ١٢٢٧ هـ)^(١١٢)
 وصالح السعدي (ت ١٢٥٤ هـ)^(١١٣) وسنيان الوهبي (ت ١٢٦٧ هـ)^(١١٤)
 ممن شارك في هذه المسيرة من العراقيين وقد
 بقيت طريقهم في بعض الاماكن حتى وقت قريب .

ومما تجدر الاشارة اليه ان كتابة المساحف الكريمة قد
 استقرت على الكتابة بخط النسخ في مرحلة خط الثلث المحقق
 الا اننا مع ذلك نجد بعض المصاحف قد كتبت بهذا الخط الا انها
 نادرة منها المصحف المخطوط الذي كتبه محمد شوكت سنة
 ١٢٨٨ هـ بخط الثلث المحقق على شكل تراكيب ، وقد كتب
 مصحفين بهذه الطريقة^(١١٥) ، وهناك مصحف آخر مطبوع لربما في
 القرن الثالث عشر^(١١٦) . (الشكل - ١١ -)

وقد ثبت هذا الخط وبشكل حافظ على مقوماته الاساسية
 وقواعده حتى القرن الثالث عشر الهجري وان جرت عليه بعض
 التحسينات وذلك بفضل الطريقة التي اتبعت في تعليمه عن طريق
 الكرايس التي تداولها الخطاطون من عهد ابن الشيخ وحتى نهاية
 القرن المذكور^(١١٧) ، الا في مصر فقد احييت الطريقة التي عرفت في
 عصر المماليك والتي نكرنا بعضاً منها وهي استعراض الحروف
 والتبسيط في طريقة رسمها وقد مثل ذلك كتاب « الميزان المألوف
 في وضع الكلمات والحروف » لمحمد مؤنس زادة (ت ١٣٠٠ هـ / ١٩١٨ م)^(١١٨) .

خَطُ الثَّلَثِ الْحَدِيثِ

ما إن أطل القرن الثالث عشر الهجري حتى توجت مسيرة
 خط الثلث المحقق بنقلة جديدة حافظت على الشكل المحقق
 الذي استوعب « خط المحقق » وركن ما تبقى منه في طي
 النسيان ، ولم يبق منه سوى بسملة - كما نكرنا - وقد جرى
 التعامل معها مثلما تم التعامل مع خط الثلث المحقق بدقة
 متناهية وضبط عالٍ وسيطرة تامة ، وبعد مدسطفى الراقم (ت ١٢٤١ هـ)
 من اوائل من عالجوه وخاصة في جلي الثلث
 (جليل الثلث) فقد حقق فيه صورة الثلث المعتاد (الذي يكتب
 عادة على شكل سطور على مختلف انواع المساحات سواء أكان
 ذلك في القطع او الرقاع او الابرار) والذي اندكس على الاشرطة
 الخطية في المساجد والالواح الخطية ، والتي تمت فيها معالجة

الهوامش والتعليقات

ص ٢٣١ نقلًا عن مخطوط «رياض السنبل وحياض اوراق التنبيل لسعد الدين الهندي» والبرنون: هو البفل العظيم الخلفه الفليط الاعضاء، انظر مادة (برذان) في لسان العرب، وعن هذا التقسيم انظر: - القلقشندي، مصدر سابق ٢ / ٦٤ و ٣ / ٤٨

(١٠) لقد تبين لي نتيجة قياس الشجرة المذكورة انه اكثر من ثلاثة اعشار المليمتر قليلًا، وعلى هذا القياس يكون عرض رأس قلم الثلث القصب اقل قليلًا من ٣ ملم وهو عرض صدر قلم الثلث حتى الوقت الحاضر، وعلى هذا القياس يكون قلم الطومار اقل قليلًا من (٨ ملم) وقلم الثلثين اقل قليلًا من (٦ ملم) وقلم النصف اقل قليلًا من (٤ ملم)، وقد اندثرت هذه الاقلام كخطوط وبقيت اقلامها القصب متداولة في الخطوط المنسوبة وخاصة الطومار، كما ان كلمة الاقلام صارت تعني الخطوط.

(١١) ابن وهب الكاتب (ابو الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان) ت ٣٣٥ هـ، البرهان في وجوه البيان، تحقيق احمد مطلوب (الدكتور) بغداد ٢٨٧ هـ ١٩٦٧ م ص ٣٤٤. القلقشندي، مصدر سابق ٣ / ٥٨.

(١٢) ابن النديم، مصدر سابق، ص ١٦.
(١٣) البغدادي، مصدر سابق ص ٤٧، ابن النديم مصدر سابق، ص ١٦. القلقشندي مصدر سابق ٣ / ١٢. البطلبيوسي، مصدر سابق، ص ٨٩.

(١٤) تردت هذه التسميات في المصادر التي نكرناها في الهوامش السابقة.

(١٥) ابن النديم، مصدر سابق، ص ١٨. وليد الاعظمي جبهة الخطاطين البغدانيين بغداد ١٩٨٩ م ١ / ١٥

(١٦) المصدر السابق، ص ١٩. ياقوت الحموي (شهاب الدين بن عبد الله الرومي) ت ٦٢٦ هـ، معجم الادباء، القاهرة ١٩٣١ - ١٩٣٨، ٦ / ٦١.

(١٧) البغدادي، مصدر سابق، ص ٤٧. القلقشندي، مصدر سابق ٣ / ١٣. وابن الزيات هو محمد بن عبد الملك وزير المعتصم والواتق العباسيين، انظر عنه: توفيق سلطان البيوزيكي (الدكتور)، الوزارة نشاتها وتطورها في الدولة العباسية، الموصل ١٩٣٦ هـ ١٩٧٦ م، ص ١٣٠.

(١٨) رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا، بيروت ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧ م ١ / ٢٢٠، ٣ / ١٤٦

(١٩) رسالة في علم الخط والقلم، تحقيق هلال ناجي، ضمه كتاب ابن مقلة للمحقق، مرجع سابق، ص ١٢٠.

(٢٠) ادولف كروهمان، النسخ والتلث، ترجمة غانم محمود، المورد

(١) انظر عنهم: نهاد جتين، فن الخط ترجمة صالح سعادوي، استانبول ١٤١١ هـ ١٩٩٠ ص ٢١. هلال ناجي، ابن مقلة خطاطاً واديباً وانساناً، بغداد ١٩٩١. هلال ناجي، ابن البواب عبقري الخط العربي عبر العصور، بيروت ١٩٩٨، يوسف نون، قديم وجديد في اصل الخط العربي وتطوره في عصوره المختلفة، سومر ٤ / ١٩٨٦ ص ١٦

(٢) ابن النديم (ابو الفرج محمد بن اسحق) ت ٣٨٥ هـ، الفهرست، القاهرة (د. ت) ص ١٤

(٣) المشق الكتابة السريعة وقد قال عنها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان «شر الكتابة المشق» وقد كره ان تكتب المصاحف به، عن المشق انظر: السجستاني (ابو بكر عبد الله ابن ابي داود سليمان بن الاشعث) ت ٣١٦ هـ، كتاب المصاحف، تحقيق آرثر جفري، مصر ١٩٣٦، ص ١٣٤، الصولي (ابو بكر محمد بن يحيى) ت ٣٣٦ هـ تحقيق محمد بهجة الاثري، القاهرة ص ٥٥، ١٢٣، ١٣٧. التوحيد (ابو حيان علي بن محمد بن العباس الصوفي البغدادي) ت ٤١٠ هـ رسالة في علم الكتابة، تحقيق ابراهيم الكيلاني (الدكتور) ضمن «ثلاث رسائل لابي حيان» بمشق ١٩٥١ ص ٢٨.

(٤) القلقشندي (ابو العباس احمد بن علي) ت ٨٢١ هـ، صبح الاعشى في صناعة الانشا، مصورة الطبعة الاميرية ١٤٧٧. الزفراوي (محمد بن احمد) ت ٨٠٦ هـ، منهاج الاصابة في معرفة الخطوط وآلات الكتابة، تحقيق هلال ناجي، المورد ٤ / ١٩٨٦ ص ٢٢٧.

(٥) مصدر سابق ص ١٧

(٦) المصدر السابق ص ١٧

(٧) البغدادي (ابو القاسم عبد الله بن عبد العزيز) القرن الثالث الهجري، كتاب الكتاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها، تحقيق هلال ناجي، المورد ٢ / ١٩٧٣ ص ٤٧. ابن النديم، مصدر سابق، ص ١٦. البطلبيوسي (ابن السيد) ت ٥٢١ هـ، الاقتصاب في شرح ادب الكتاب، تحقيق عبد الله البستاني، بيروت ١٩٠١ ص ٨٨ و ٨٩.

(٨) يوسف نون، مرجع سابق، ص ١٢.

(٩) العدد (٢٤) مستمد من الميثاق الذي يساوي ٢٤ قيراطاً، والشجرة من شعرات البرنون وهي مقياسه انق وتساوي اربع ذرات، ولتفصيل ذلك انظر: ما أورده الدكتور محمد عيسى صالحية في ملحق لكتاب «المخترع في فنون من الصنع» للملك المظفر يوسف الرسولي في تحقيقه له ونشره سنة ١٩٨٩.

الذي وصلت اليه طريقتهم والاشواط الفنية التي حققوها ، فإن معالجات الخطاط سامي (ت ١٣٣٠ هـ) التي اتسمت بايجاد جمالية فائقة في خط الثلث الحديث حروفاً وزوايا وحركات وزينة في مجال اللوحات الفنية بصورة خاصة في لانشاء الشكلي والعلاقات الداخلية المتناغمة والاطر الخارجية المتنوعة والضبط المتناهي والذوق العالي في معالجة الفراغات الداخلية مع التسلسل في قراءة المضمون سواء في الثلث المتباد او الجلي ، فتحققت لديه اجمل اشكال خط الثلث واروع امثلكه ، اعقبه تلميذه الخطاط محمد نظيف (ت ١٣٣١ هـ) فاجاد وابدع تلاه تلميذه استاذنا الخطاط الكبير حامد الامدي (ت ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م) رحمه الله^(١٠) ، وأستاذ الاجيال المعاصرة في البلاد العربية والاسلامية وغيرها الذي برع في جميع انواع الخطوط الفنية وبخاصة الثلث وجلي الثلث والمثنى (المماكس) وكانت طريقته فيهم هي استمرار لهؤلاء الخطاطين العظام في قاعدتهم الحية وحروفهم الناطقة بكل معاني الجمال ، والتي نسخت الطرق الاخرى ، وعلى هذا المسار المرمع سار تلامذة الاستاذ حامد وكان من ابرزهم الخطاط هاشم محمد البغدادي (ت ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م) رحمه الله^(١١) ، (الشكل - ١٢ -) وقد حفلت المؤلفات الحديثة بخط الثلث الحديث وافاضت في الكلام عن

خطاطين ونشرت نماذج وفيرة لنتاجاتهم فيه^(١٢) ، وفي ذلك ما يغني عن التفصيل فيه .
مما تقدم ندرك ان خط الثلث قد مر بمراحل تطويرية عدة ، حيث كان في البدء نوعاً من انواع الخطوط الموزونة (الكوفي) ثم انتقل الى الخطوط المنسوبة عن طريق القلم (الاداة) الذي كتبت به الصورة الجديدة التي شكلتها تطورات الكتابات السريعة وتناولتها ايدي الخطاطين المبدعين فاضععتها لقوانين النسبة الفاضلة والعلاقات الرياضية القائمة على اسس هندسية فكان نواة الكتابة المنسوبة ويتكامله في القرن الثالث الهجري انطلق بشكله القديم الذي يختلف عن شكله الكوفي الاقدم من عاصمة الخلافة العباسية بغداد ليعم البلاد الاسلامية كافة ، وحينما أقل نجمها تناثر قديمه هذا ولم يبق منه سوى الثلث المغربي ، وقد حل محله الثلث المحقق الذي انتشر في الارحاء الاسلامية كافة ما عدا المغرب العربي ليستقر اخيراً في عاصمة الدولة العثمانية استانبول ليحقق اعلى مراحل تطوره في خط الثلث الحديث الذي ما زال يواصل تقديم الروائع الفنية في انحاء العالم كافة حتى الوقت الحاضر ، يتمتع الابصار ويلفت الانظار في النماذج الفنية في مختلف النواحي الحضارية للامة العربية والامم الاسلامية ، يصل الحاضر بالماضي ، يؤصل لمجد عريق ، ويفصل مسيرة عمرها اكثر من اربعة عشر قرناً ، تاريخاً ولغة وعلماً وفناً .



الشكل - ١٢ - لوحة للخطاط هاشم محمد البغدادي بخط الثلث (الحديث الجلي)

صورة مهداة من الخطاط للباحث سنة ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م

في مكتبتي وقد حققته وهو قيد الطبع ، ص ٢١ .
حسن بن ياسين بن محمد الكاتب (القرن الثامن عشر) ، لصحة
المختلف في صناعة الخط الصلف ، تحقيق هيا محمد
الدوسري ، الكويت ١٩٩٢ م ص ٤٥ .

(٢٧) القلقشندي ، مصدر سابق ٤٧ / ٣ . حسن بن ياسين الكاتب ،
مصدر سابق ص ٤٧ . الاتاري (شعيبان بن محمد القرشي) ت
٨٢٨ هـ ، العناية الربانية في الطريقة الشيعانية ، تحقيق هلال
ناجي ، المورد ١٩٧٩ / ٢ ص ٢٢٩ .

(٢٨) المقرئ (نقي الدين احمد بن علي) ت ٨٤٥ هـ ، كتاب
المقفي الكبير ، تحقيق محمد اليملاوي ، بيروت ١٤١١ هـ
١٩٩١ م ٩٨ / ٧

(٢٩) عباس المزوي . الخط ومشاهير الخطاطين في الوطن العربي ،
سومر ١ و ٢ / ١٩٨٢ ص ٢٨٨

(٤٠) انظر مقدمة العناية الربانية ، مصدر سابق ص ٢٢١
(٤١) عبد اللطيف ابراهيم (الدكتور) ، ابن الصائغ الخطاط
ومدرسته ، مجلة المكتبة العربية ١٩٦٣ / ٣ ص ٨٠
(٤٢) شرح ابن الوحيد على رائية ابن البواب ، تحقيق هلال ناجي ،
تونس ١٩٦٧

(٤٣) تحفة اولي الالباب في صناعة الخط والكتاب ، تحقيق هلال
ناجي ، تونس ١٩٦٧ وقد نشرت في « ميزان الخط » المطبوع
في استانبول ١٩٨٦ على انها لمصطفى حلمي حكاك زانة وهو
كاتبها فقط ، واعاد نشرها الدكتور فاروق سعد بعنوان « رسالة في
الخط ويري القلم » في بيروت سنة ١٩٩٧ .

(٤٤) عبد اللطيف حمزة (الدكتور) ، القلقشندي في كتابة صبح
الاعشى ، القاهرة ١٩٦٢

(٤٥) الطيبي ، مصدر سابق وعددها (١٦) قلماً .

(٤٦) حبيب الله فضائي ، اطلس الخط والخطوط ، ترجمة محمد
التونجي ، دمشق ١٩٩٣ .

(٤٧) طرحت هذه التسمية في الندوة العلمية التي اقامتها جامعة
محمد الخامس في الرباط في ١٩ / ٣ / ١٩٩٠ التي صحبت
مهرجان المغرب العربي الاول للخط العربي والزخرفة الاسلامية
فلاقت القبول ، الا ان العلامة محمد المنوني رحمه الله (ت
١٩٩٩) اقترح ان يسمى « التلث المتمغرب » وقد ثبت ذلك في
مؤلفه « تاريخ الوراقة المغربية » الذي اصدرته كلية الاداب
والعلوم الانسانية في جامعة محمد الخامس سنة ١٤١٢ هـ
١٩٩١ م ولكنه اسماه « الخط المشرقي المتمغرب » ص ١٤ .

(٤٨) يوسف نون ، خط التلث ومراجع الفن الاسلامي ، نشر في
كتاب الندوة العالمية المنعقدة في استانبول سنة ١٩٨٣
الموسم « الفنون الاسلامية ، المبادئ والاشكال والمضامين
المشتركة ، دمشق ١٩٨٩ ، ص ١٣ .

(٤٩) عن المصاحف المحققة (المكتوبة بالخط المحقق) التي

(٢١) يوسف نون ، مرجع سابق ، ص ١٦

(٢٢) مؤلفها مجهول نشرت سنة ١٨٨٧ كما ذكر رايس في كتابه
« المخطوط الوحيد لابن البواب » بالانكليزية ، واعاد نشرها
الدكتور خليل عساكر في مجلة معهد المخطوطات العربية ١ /
١٩٥٥ ص ١٢٣ .

(٢٣) الطيبي (محمد بن حسن) القرن العاشر الهجري ، جامع
محاسن كتاب الكتاب ، نشر صلاح الدين المنجد (الدكتور)
بيروت ١٩٦٢ .

(٢٤) انظر عنه : صلاح الدين المنجد (الدكتور) ياقوت
المستعصي ، بيروت ١٩٨٥ . وكذلك مادة « ياقوت » في
الموسوعة الاسلامية التركية ، ج ١٣ ص ٢٥٢ للدكتور نهاد
جتين . وعن الاقلام الستة انظر : محمد بهجة الاثري ، تحقيقات
وتعليقات على كتاب « الخطاط البغدادي علي بن هلال المشهور
بابن البواب » تأليف ا . سهيل انور (الدكتور) ترجمة محمد
بهجة الاثري وعزيز سامي ، بغداد ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م
ص ٨٠ . وكذلك نهاد جتين ، فن الخط ، مرجع سابق ، ص ٢٦ .

(٢٥) منهاج الاصابة ، مرجع سابق ، ص ١٩٢ ، وقد ورد هذا النص
عند القلقشندي ٤٨ / ٣ على انه الخط الكوفي ، وهذا غير وارد
لان نهاية الفقرة تفيد ان هذا الخط قد استقر عند ابن مقلة وابن
البواب ، والذي استقر عندهما هو الخط المنسوب وأساس التلث
كما ورد في الاصل .

(٢٦) القلقشندي ، مصدر سابق ، ٥٨ / ٣ ، ١٠٠

(٢٧) المصدر السابق ٣ / ١٠٠ .

(٢٨) الهيتي (عبد الله بن علي) ت ٨٩١ هـ ، العمدة ، تحقيق
هلال ناجي ، بغداد ١٩٧٠

(٢٩) القلقشندي ، مصدر سابق ٤٨ / ٣

(٣٠) المصدر السابق ٣ / ٤٨ .

(٣١) ياقوت ، مصدر سابق ١٤١ / ٦ . وليد الاعظمي ، مرجع سابق
٢٩٢ / ١

(٣٢) يوسف نون ، الخط العربي في الموصل منذ عقيدها حتى بداية
القرن العاشر الهجري ، موسوعة الموصل الحضارية ، جامعة

الموصل ، الموصل ، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م ٢ / ٢٢٨

(٣٣) James , D . , The Master Scribes . , OXFORD
1992 , P . 44 , 168 , 170 , 183 , 34 , 140

(٣٤) ياقوت ، مصدر سابق ١٦ / ٥٩ . القلقشندي ، مصدر سابق
١١ / ٣

(٣٥) نهاد جتين ، فن الخط ، مرجع سابق ص ٢٤

(٣٦) شرح قصيدة ابن البواب في علم صناعة الكتاب لمحمد بن
موسى بن علي الشافعي المعروف بابن البصيص ، مخطوط مصور

شاعت في العالم الاسلامي انظر: كتاب المستشرق الانكليزي دافيد جيمس الذي اطلق عليه « مصاحف المماليك » خطأ لانه يشمل مصاحف خط المحقق في النص الاول من القرن الثامن الهجري في وسط العالم الاسلامي وشرقه في الغالب ، ولم يقتصر على المصاحف المملوكية ، وكان الاولى ان يسميه « مصاحف الخط المحقق في النصف الاول من القرن الثامن الهجري » .
James , D . , QUR'ANS OF THE MAMLUKS , London , 1988 .

نسخة اخرى منه كانت عند الاخ الخطاط الكبير هاشم محمد البغدادي رحمه الله ، وهو ايضاً ليس لديه اية معلومات عنه ، ومع هذا البحث صورة صفحة منه لعلها تكون مرشداً الى نسخة اخرى كاملة المعلومات تفني بما يفيد دراسة مثل هذا البحث مستقبلاً ان شاء الله .

(٦٣) يوسف ندون ، تيسير تعلم الخط العربي في الاقطار العربية منذ اواخر العهد العثماني وحتى الوقت الحاضر . نشر في « الموسم الثقافي السادس عشر لمجمع اللغة العربية الاردني » عمان ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ص ٥٨

(٦٤) طبع بمطبعة المدارس الاميرية سنة ١٢٨٥ هـ ، وعن محمد مؤنس زادة انظر: المزوي ، الخط ومشاهير الخطاطين ، مرجع سابق ، ص ٢٩٠

(٦٥) فيما كتبه الاستاذ مصطفى اوغر درمان في « فن الخط » المرجع السابق تغطية كاملة لتراجم هؤلاء الخطاطين العظام وكذلك عن حركة الخط في الدولة العثمانية في موضوعه « فن الخط بعد ياقوت المستعصي » ص ٣٠ - ٣٩ وفي شرحه على اللوحات الخطية وتراجمه لخطاطيهم ص ١٨٦ - ٢٢٦ وهو من اصدار مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية باستانبول .

(٦٦) يوسف ندون ، هاشم محمد البغدادي ، الموسوعة الاسلامية (التركية) ١٦ / ١٩٩٧ ص ٤٠٩ . وليد الاعظمي ، تراجم خطاطي بغداد المعاصرون ، مرجع سابق .
(٦٧) لقد كتبت عن الخط في المؤلفات الحديثة في الوطن العربي والبلاد الاسلامية وكان نصيب خط الثلث متواضعاً من الناحية العلمية ، ورد بعضها فيما تقدم من الحواشي والتعليقات ويضاف اليها :

- محمد طاهر الكردي المكي ، تاريخ الخط العربي وآدابه ، ط ٢ ، الرياض ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م
- عزيز الدين وكيلي فوفلزائي ، هلر خط در افغانستان در دو قرن اخير ، كابل ١٣٤٢ هـ ش [١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م]
- فوزي سالم عفيفي ، نشأة وتطور الكتابة الخطية العربية ، الكويت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م
- محمد بن سميد شريف ، اللوحات الخطية في الفن الاسلامي المركبة بخط الثلث الجلي ، بيروت ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

(٥٠) القلقشندي ، مصدر سابق ٥٩/٢
(٥١) عباس المزوي ، خطاطو جامع مرجان ، سوبر ٢ / ١٩٤٧ ص ٣١٢ .

(٥٢) ابن البصيص ، مصدر سابق ص
(٥٣) الطيبي ، مصدر سابق ، ص ٢٠ و ٢١ .
(٥٤) Muhittin Serin , HATTAT SEYH HAMDULLAH , Istanbul , 1992

(٥٥) مصطفى اوغر درمان ، فن الخط ، مرجع سابق ، ص ٣٠
(٥٦) المرجع السابق ص ٣١
(٥٧) Sevket Rado , Turk Hattatları , Istanbul , 1984 . 5 . 168

(٥٨) وليد الاعظمي ، مرجع سابق ٦١٥ / ٢
(٥٩) عبد الله الجبوري ، صالح السعدي الموصل ، الاقلام ١٠ / ١٩٦٨ ص ٤٤ .
وليد الاعظمي ، تراجم خطاطي بغداد المعاصرون ، بيروت ١٩٧٧ ص ١٣٣
(٦٠) وليد الاعظمي ، جمهرة الخطاطين البغداديين ، مرجع سابق ٦٤٤ / ٢

(٦١) درمان ، مرجع سابق ، ص ٢٠٨
(٦٢) تضم مكتبتي مصحفاً كريماً مطبوعاً بخط الثلث ، اهدانيه الشيخ صلاح الدين عزيز سنة ١٩٧٠ وهو كابل المتن الا انه ناقص ورقة المعلومات التي تحوي اسم الكاتب ومكان وسنة الطبع ، ومنذ ذلك الحين لم ينقطع تنقيري على نسخة ثانية منه في كل الاماكن التي زرتها على كثرتها مع السؤال عنه ، ولكنني لم اعثر على نسخة اخرى ، وكل ما توصلت اليه ورقة واحدة من

كتاب احكام صنعة الكلام

لابن عبد الغفور الكلاعي
دراسة تحليلية

د. هدى شوكت بهنام

كلية التربية - الجامعة المستنصرية

السادس الهجري ، فقد قال صاحب التكملة ان الكلاعي صاحب ابا الحسن بن بسام وهو من طبقته من الادباء (٢) وذكر الكلاعي نفسه في كتابه الاحكام خبراً يدل على انه ادرك وفاة ابي الحسن ابن بسام التي كانت سنة ٥٤٢ هـ ، وذلك عند حديثه عن مؤلفات

الثعالبي قال : « واخبرني ابو الحسن بن بسام قال :

اخبرني الوزير الفقيه ابو بكر بن العربي انه سقط اليه من تواليه احد وعشرون تأليفاً [لم] يسمها لي ابو الحسن المذكور ، ثم وجدت بعد موته تسميتها بخط يده (٣) .

ونقل صاحب المغرب نقلاً عن سمط الجمان في ترجمة الكلاعي انه اعتبط شاباً (٤) ومن هنا يظهر انه ولد في اوائل القرن السادس الهجري وتوفي في أواسطه (٥) بعد وفاة ابن بسام التي اشرنا الى انه شهدا .

نشا الكلاعي في احضان هذه الاسرة العالمة ، وتعلم على ايدي شيوخ عصره في الادب والبلاغة ، وكان ذكياً لمّاحاً ، ويذكر ابن الابار بعض شيوخ الكلاعي في كتابه التكملة : فقد اخذ الادب عن ابيه ابي محمد ، واخذ العربية عن ابي عبد الله بن ابي العافية ، وتفقه بابي القاسم الزنجاني (٦) .

ونكر في احكام صنعة الكلام شيخه ابا عبد الله بن ابي العافية وشيخه الحافظ ابن اسماعيل (٨) .

وكان اهتمام الكلاعي بالادب فقد ذكر ابن الابار انه من طبقة ابن بسام من الادباء ، هي ان الادب هو اهتمامه الاول وان كانت قد جرت بينه وبين ابي بكر بن العربي مخاطبات ، فلقد تغلب جانب الادب عنده على جانب الفقه ، ويؤكد ذلك كلامه في نهاية الكتاب بان خاطره متقسم بين تفقه في ادب وتفقه في شرع (٩) .

والمطلع على كتابه يللمس ثقافته الواسعة ، وتخصصه في فنون كثيرة من الادب والشرعية وترات عصره الفكري والادبي (١٠) . آثاره : للكلاعي مؤلفات كثيرة وصل إلينا منها :

تفخر الاندلس بادبائها النقاد الذين تركوا لنا كتباً نقدية وبلاغية اشهرها ثلاثة اختصت في هذا المجال ، وهي (احكام صنعة الكلام) للكلاعي ، و (الوافي في نظم القوافي) للرندي و (منهاج البلغاء) لحازم القرطاجني .

مؤلف كتاب (احكام صنعة الكلام) موضوع الدراسة هو الوزير ابو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي .

آلف كتابه في مقدمة وبابين قصرهما على فن النثر (الكلام الذي يقابل النظام) ، فتحدث في المقدمة عن : البيان ومعناه ومدلوله ، واتخذ من الشعر موقفاً خاصاً ، وكان الباب الاول لادب الكتابة : من إجابة الخط واختيار الورق وكيفية العنونة والكتابة ، وصور الرسائل وخواتيمها ، وطرق مخاطبة أصناف الناس على مراتبهم ، والباب الثاني خصه بضروب الكلام وانواع الاساليب واقسام السجع مما يدخل في النقد والبلاغة .

مؤلف الكتاب : هو الوزير ابو القاسم بن عبد الغفور : محمد بن عبد الغفور بن محمد بن عبد الغفور الكلاعي (١) ، ابوه هو الوزير الكاتب ابو محمد عبد الغفور (٢) نشأ في دولة المعتمد ، واتنى عليه كل من ترجم له الا الفتح بن خاقان في كتابه القلائد ، لكن ابن بسام أورد له رسائل عديدة عارض في بعضها ادباء الاندلس . وجده هو ابو القاسم محمد بن عبد الغفور صاحب المعتمد بن عباد ، صاحبه قبل امارته ، وتوفي في عنفوان شبابه ، وكان شاعراً ترجم له ادباء الاندلس ، فالكلاعي اذاً من اسرة عريقة مشهورة من أسر العلم والادب والوزارة في الاندلس ، لكن كتب التراجم اقلت في ذكره ، وبقيت سنتا ولادته ووفاته مجهولتين ، ويبقى لدينا الشيء المؤكد من الاحداث التي روتها المصادر انه من اعلام القرن ١ - الانتصار لابي الطيب : ذكره المؤلف في كتابه الاحكام اكثر من مرة (٣) كما ذكره مؤلفون آخرون كابن الابار في التكملة (٤) .

٢ - الساجعة والغريب : ألفه معارضاً لابي الملاء المعري في كتابه : الصاهل والشاحج ، واورد ابن سعيد قطعة منه في كتابه

أما المقطوعة الثالثة فبدأها بالغزل فذكر ان المحبوبة حين ظهرت تحسرت العيس ، وتلكات الكواكب في سيرها ، لأنها فوجئت بجمال هذه الجميلة ، وببياضها ذهب الليل ، وأنه على الرغم من كلفه بالشباب يأنف من الحسن الكاذب ، والشباب المقنع صادراً عن فكرة دينية ، وهو في شعره لا يبتعد عن أسلوبه النثري في استعمال الصور الشعرية والكناية والبديع في التكرار والجناس خاصة وأنه يرى ان الشعر موسيقى .

قال :

رويدك يا بذر التمام فإنني
أرى العيس حسرى والكواكب ظلما
كان اديم الصبح قد قد انجما
وغويز دمع الليل فيها مرققا
فإنني وان كان الشباب محببا
إني وفي قلبي اجل وأوقعا
لأنف من حسن بشغري مفتري
وأنف من حسن بشغري قنعا (١٣)

سبب تأليف الكتاب : أما عن سبب تأليف الكتاب فإنه قد بدأه بمجالس أربعة عقدها مع شخصية مجهولة كان يحترمها ويجلها ، وكانا يتحدثان عن الفصاحة والبلاغة والكتابة وفنون الآداب والاخوانيات ، وذكر الشعراء والعلماء ، ولكنه في المجلس الرابع اتهم الكلاعي بأنه لا يقابل كل طبقة بما يشاكلها من اللفظ ، وأنه لا يفرق بين من يكتب اليه ومن يكتب اليه ، ووجد في قول المنتقد رداً لشهادة محدثه ، فرأى ان يصلي انتقاده ، فكتب هذه الرسالة لتكون قالباً ومثالاً يحتذى (١٤) ، فمعنى كلامه هذا انه لا يتقن الكلام في السلطانيات ، فكان كتابه هذا دفاعاً عن نفسه — مقتدياً في ذلك بوالده — صب فيه اموراً أدبية ذات صلة بأسلوب الكتابة وحدود البلاغة والبراعة (١٥).

مصادر الكتاب : اعتمد الكلاعي في كتابه على مصادر مشرقية ومغربية كثيرة ، لم يشر الى الكثير منها ، من هذه المصادر : ادب الكاتب ، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، وقيمة الدهر للشعالبي ، ومقامات بديع الزمان الهمذاني ورسائله ، ونجد نقولا اخرى عن البيان والتبيين للجاحظ ، وفحولة الشعراء للاصمعي ، والملاحن لابن نريد ، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر وغيرهم .

ومن المصادر الاندلسية والمغربية : الذخيرة لابن بسام ، وزهر الآداب للحصري ورسالة التوابع والزوابع لابن شهيد وديوان ابن خفاجة وغير ذلك وهناك نقول اخرى من آراء شيوخه اخذها مشافهة (١٦).

٣ — السجع السلطاني : ذكره في كتابه الاحكام وذكر انه الفه على مثال السجع السلطاني لابي العلاء المعري (١٧).

٤ — خطبة الاصلاح : ذكره في كتابه الاحكام ، عارض فيه خطبة الفصيح لابي العلاء المعري (١٨).

٥ — احكام صنعة الكلام : الكتاب موضوع الدراسة .

أدبه : للاديب الكلاعي نثر فني كان اداته في كتابه (الإحكام) ، مستعملاً الفواصل القصيرة المسجوعة ، والصرر الفنية ، وهو في هذا لم يبتعد عن طريقة اهل عصره كالفتح بن خاقان ، وابن بسام ، وهو يفضل النثر على الشعر في كتابه لان النثر اسلم جانباً ، واكرم حاملاً وطالباً (١٩) ، ولان الشعر داع لسوء الادب ، ويحمل الشاعر على الغلو والكذب (٢٠) ، منطلناً بذلك من نظرة دينية . لكنه مع ذلك كان شاعراً ؛ ذكر ابن خاقان في المطمح ان له شعراً بديع السرد مفوق البُرد ، واثبت له ثلاث مقطعات (٢١) . لكن صاحب الخريدة العماد الاصبهاني ينسب هذا الشعر الى ابي القاسم بن ابي بكر بن عبد العزيز (٢٢) كما ان ابن سعيد في المغرب ينسب هذه المقطعات الى جده (٢٣) ، ومحقق الذخيرة د . احسان عباس يقول عند ترجمة جده ان ترجمته مذكورة في المطمح (٢٤) وهو خطأ واضح .

وهو في هذه المقطعات الثلاث يصدر عن نظرة زهد وحكمة وفكرة دينية في ترك التصابي والاهتمام بالتاليين وتحويل ادوات الملات الى ادوات للكتابة والتأليف ، لان هذا شمله الشاغل ويقرر اننا في رحلة ابدأ نحث خطانا في متاهة حيناً وفي الهدف حيناً لان دهرنا ظلمة ، ونحن كالنجوم نضيئها بخطم واضحة ثابتة ، وان الدهر لو اضاء له وحقق هدفه لتك سفره ولم يتمسك به . قال الكلاعي :

لا تنكروا اننا في رحلة ابدأ
نحث في نفنف طورا وفي فننف
فدهرنا سُدفة ونحن أنجُمها
وليس يُذكر مجرى النُجم في السُدفِ
لو أشفر الدهر لي أقصرْتُ عن سفري
وملثُ عن كُلفِي بهـــــــــــــــــ هذه الكُلفِ

وقال :

تركْتُ التصابي للصواب وأهله
وبيضُ الطُلا للبيضِ والشُعمر للشُمرِ
مُدامي مُدادي والكُوس مُحابري
ونُدماي أقلامي ومنقلبي سِفري (٢٥)

اقسام الكتاب : عند استعراض منهج الكتاب نرى انه يقسم الى مقدمة وبابين . ذكر في المقدمة ستة فصول :

الاول : ذكر فيه اشتراكه في مجلس مع شخصية مجهولة يحمل لها الاحترام والتقدير من دون ان يشير الى اسم صاحبها .

وهنا كان المجلس الاول لتبادل صنوف الكلام عن الفصاحة والبلاغة فقد اتهمه صاحبه باتخاذ طريق الغريب اسلوباً له ، حتى انه يخرج عن الاسلوب الصحيح في صدور رسائله ، وابدى رأيه في ان استخدام الغريب اسهل من المستعمل لان مركبه صعب ، فكان رد الكلاعي ان من يقدر على الغريب يقدر على المستعمل ، ويستشهد باقوال مديح تستعمل في الرسائل السلطانية ، وهذه الاقوال المألوفة يتداولها الكتاب .

وفي المجلس الثاني تناولا الكلام في الاداب ، وقال صاحبه عنه انه يكتب في الاخوانيات ولا يتقن السلطانيات ؛ فاخبره بكتابة سلطانية ، ثم ذكر رغبته في تأليف كتاب على مثال السجع السلطاني لابي العلاء الممري ، وفي المجلس الثالث ذكرنا الشعراء والعلماء ومنهم ابو العلاء وتذكروا ما له من التأليف البديعة فرأى محدثه انه قد نال قصب السبق وانه لا يجارى في ابه ، فاراد الكلاعي معارضته فعارضه في رسالته [الصاهل والشاحج] برسالة سماها [الساجعة والغريب] ثم عارض كتاب [سقط الزند] بكتاب سماه [ثمرة الادب] ذكر اوله ، ثم عارض [خطبة الفصيح] بـ [خطبة الاصلاح] وذكر اولها ، وانشأ هذه الخطب بكتاب [المُنخل] وهو مجرد [اصلاح المنطق] يحيط بجميع فوائده دون تكراره وشواهد ، وخصه بأشياء منها :

١ - ما سأل مؤلفه من التقييض .

٢ - ما شهدت به رسالة الإغريض .

٣ - تعريه من ابيات القريض ، لتكون هذه الخطبة كخطب الجمهور خالية من المكروه والمحجور ، ثم يذكر الخطبة التي يرى فيها انه في مجاراته ابي العلاء وكأنه منع ان يزيد على رسالته احد .

وفي المجلس الرابع اتهم بانه لا يقابل كل طبقة بما يشاكلها من اللفظ والمعنى ولا يفرق بين من يكتب اليه (وهو الامير) وبين من يكتب إليه ، وهذه التهمة هي رد شهادة صاحبه ، فرأى ان يدافع عن نفسه بهذه الرسالة لتكون مثلاً يحتذى وخصها بالكتابة عن المنثور لانه الاصل ، اما النظم ففرع تولد منه .

وياتي فصل آخر في فضل البيان افتتحه بالاية ﴿ الرحمن

عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ وقول النبي ﴿ ﷺ ﴾ ﴿ إن من البيان لسحرا ﴾ ، وناقش بعض العلماء الذين فسروا هذا الحديث بانه نم للبيان لان به تستخرج الحقائق ، وقد عذ الله تعالى من آلائه ؛ وهكذا يمضي في بيان فضل البيان من جميع النواحي ويقرر ان قول الرسول ﴿ ﷺ ﴾ عن البيان خارج مخرج المثل (٧٧) ، وقصده هنا الجمع بين الايجاز والبيان ليحوز قصب السبق ، وقد افاد من بابي البلاغة والبيان في العمدة (٧٨) .

وكان الفصل الاخير في المقدمة عن الترجيع بين المنظوم والمنثور ، وهو ميدان طرقة كثيرون ، ورأى ان الوزن والقافية يزين القريض ، فيبدو باحلى حلة لكن النثر اسلم جانباً ، ويستعرض آراء مختلفة في الإقلال من شأن الشعر وبيان معايبه من دون ان ينكر فضائله منطلقاً بذلك من موقف ديني .

جاء الباب الاول في فصول كثيرة ، اولها في :

في الكتابة وأدائها وما يتعلق بها من اسبابها يبدأ بالاية القرآنية ﴿ اقرأ وريك الاكرم ﴾ وما في الحديث عن القلم والكتابة ، ويورد شعراً وحكاية عن فضل الكتابة المتمثل بالخط والقلم والمقراض مستشهداً على ذلك بالشعر .

والفصل الثاني عن رتبة الخط وتسوية البطاقة وختمها :

وفيه استشهد بمثل هو (الخط نصف الكتابة) و (رداءة الخط قذى في عين القاريء) ، وناقش مسائل : ترتيب الخط والشكل والنقط واستقامة الاسطر والفصل بينها واستشهد بنصين هما احسن ما وصف بهما كاتب مقصر ، وجاء بنص لابن شهيد عن غموض الخط وضعف حروفه ، ورأيه في ان خطوط العلماء ضعيفة وخطوط الخلفاء لطيفة ، فرد على هذا الرأي ، وبين كيفية اختيار البطاقة وما يستحب في الخط ورتبه .

والفصل الثالث في (العنوان) :

وفيه يشرح معنى العنوان لغوياً ، أخذاً باقوال بعضهم الذي يشبه حروف العنوان بالمعرب ويشبه احتضانه للنتن ودلالته عليه بالمعرب في احتضانها السّم وداللتها عليه مع الاستشهاد باقوال وحكايات في ذلك .

والفصل الرابع في الاستفتاح :

الذي يختلف باختلاف الازمان ؛ ففي الجاهلية يكتبون (باسمك اللهم) والرسول ﴿ ﷺ ﴾ كتب ﴿ بسم الله ﴾ ثم نزلت ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ .

والفصل الخامس في الصلاة على النبي ﴿ ﷺ ﴾ اذ

قال (لا تجعلوني في اعجاز كتبكم كقدح الراكب) فكان الناس يختلفون في ذلك وفي عصر الكلاعي صار كل كتاب يضم الصلاة على النبي ﷺ ، وذهب المؤلف يناقش اصل هذا الموضوع واستعماله .

والفصل السادس في صدور الرسائل ، وقد وجدها تختلف في قول : اما بعد ، او الاستفتاح بحمد الله في الخطب واصلاح ذات البين والاستنفار كما استفتحوها الرسائل بقولهم : سلام عليك ثم حمد الله ، ويأتون باطراف الاستفتاح والابتداء ، او يستفتحون رسائلهم بمنظومهم او بمنظوم غيرهم ، ويأتي بأمثلة على ذلك .

والفصل السابع في الإشارة في الصدور الى الغرض المذكور فيستشهد بقول ابن جني ، بان الحائق يشير في تحميده الى ما جاء بالرسالة من اجله ويأتي بأمثلة على ذلك من التراث .
والفصل الثامن في التخلص من الصدور الى الغرض المذكور ، وهنا يرى الرسائل على قسمين : اولها ابتداء الخطاب والثاني رد الجواب ويأتي بأمثلة على ذلك : حكايات واشعار ويعلق عليها .

والفصل التاسع في الاكثار من الدعاء في الرسائل ويعده من ابهر الدلائل على ضعف البضاعة في الصناعة ، وقد يختصر الكاتب في ذلك ، وقد يستسهل الاطناب في الدعاء في مخاطبة الملوك ، ويرى ان على الكاتب : ان يتحرى في الدعاء الالفاظ الرائقة والمعاني اللائقة بما يناسب الحال ويوافق المخاطب ، ويستشهد على انواع من الدعاء في النظم والنثر مع التعليق عليها ، وقد اطال في هذا الفصل لكثرة الامثلة التي اوردها في باب الدعاء .

الفصل العاشر في السلام : يبدأ الفصل بنقل قول القتبي بان السلام صفة من صفات الله ، والسلام عذد أهل اللغة هو السلامة ، وان الله ﷻ سمي نفسه بالسلم لسلامته من الميوب التي تلحق الخلق ، وقولهم : السلام عليكم اي اسم السلام عليكم ، او اسم الله عليكم ، وان تقديم الجار المجرور اي ﷻ عليك السلام ، يقال للميت ، ويناقش هذا ، ويورد عدة انواع من طرق القاء السلام سمي كل نوع (فصلاً) .

الفصل الحادي عشر في مكاتبة اقوام اخرى ، يذكر طرق المعاملة معهم ويورد نصوصاً استشهداً على ذلك .

الفصل الثاني عشر في اقسام الخطاب : حيث قسمه الى ثلاثة اقسام :

منه ما افاض في اللفظ على المعنى وهو الاسهاب ،

ومنه ما قل لفظه عن معناه وهذا هو الايجاز ، ومنه ما ساوى اللفظ معناه ، ولكل قسم من هذه الاقسام موطن يصلح فيه ومقام يختص به ، يوضحها ويأتي بأمثلة على ذلك من الجاحظ لان الاسهاب موطنه العامة والتحضيض على الحرب والايجاز يخاطب به اهل الرتب العالية ويأتي في كلام البلغاء على ضربوط عدة .^(٢٩)

ويرى . الداية ان الكلاعي في المقدمة والباب الاول متكيء على آراء مشهورة ومعمل على الاختيار من كتب بعينها وعن اعلام يسميهم^(٣٠) ، اشرت اليهم خلال العرض . وله هنا ملاحظات ابدى فيها رأيه بصراحة .

ويأتي الباب الثاني الخاص بضروب الكلام منها : الترسيل ، والتوقيع ، والخطبة ، والحكم المرتجلة والامثال المرسل ، والموزن والمعنى ، ومنها المقامات والحكايات والتوثيق والتأليف . وتامل الاسجاع فوجدها على ضربوط وأنواع : المنقاد والمضارع والمشكل ويبدأ بشرح كل نوع في فصل مستقل ثم يشرحه ويعطيه ايضاً تسمية فصل .

الفصل الاول : الترسيل : وجعله العاطل والحالي والمفضن والمفصل والمبتدع ، ووعد بذكره فصلاً فصلاً ، لقد ادرك الكلاعي ابتداعه الاسماء والالقاب فنبه على ذلك في مطلع الفصل واجعل مصطلحاته التي ميز بها انواع الكتابة واقسامها متدرجاً مع تطورها التاريخي منبها على مشاهير كل مدرسة من مدارس الكتابة الفنية ، مع نماذج متعددة تعطي فائدة تعليمية من جهة وتبين مقصده من التوبيخ من جهة اخرى^(٣١) .

الفصل الثاني : للعاطل وهو نوع من الترسيل قليل التحلية بالاسجاع والفواصل وهو الاصل ، والمزين بالسجع وهو فرع طارئ عليه ، فيشرحه ويأتي بنص نثري مثلاً على ذلك .
والفصل الثالث : للحالي سماه بذلك لانه خلي بحسن العبارة ولطف الاشارة وبدائع التمثيل والاستعارة ، وفيه اسجاع وفواصل وجاء بنصوص نثرية في معان عدة امثلة لهذا النوع من الترسيل .
والفصل الرابع : للمصنوع سماه بذلك لانه نُقِيَ بالتصنيع وأنواع البديع وكثرة الفواصل والاسجاع ، واستجلب له منها ما يلذ في القلوب ويحسن في الاسماع ويأتي بنماذج نثرية في معان عدة .

الفصل الرابع في المرصع : سماه المرصع لانه رُصِعَ بالاخبار والامثال والاشعار وروايات القرآن واحاديث النبي ﷺ الى غير ذلك من النحو والعروض وحل ابيات القريض ووجد ان المعري هو المتخير في هذا الباب ، وينقل من نثره نصوصاً عدة ، وكذلك

من نثر ابن خفاجة ، والملاحظ ان المختارات هنا من نصوص
الشمراء الكتاب .

والفصل الخامس في المغصن : سمي بذلك لكونه ذا فروع
وأغصان وقلما استعمله الكتاب الا المحدثون من اهل عصر
الكلاعي في القرن السادس الهجري ، فيه تقابل كل سجمتين
بسجمتين ، كل سجمة موافقة لصاحبيتها ، وقد يُقابل ثلاث بثلاث ،
ويورد النماذج النثرية على ذلك .

والفصل السادس في المفصل سمي بذلك : لانه فصل فيه
المنظوم بالمنتور فجاء كالوشاح الـ فصل ، ويورد فصولاً عدة في
اقوال نثرية يقابلها بيت شعري في المعنى نفسه .

والفصل السابع في المبتدع : وهو الفصل الاخير في انواع
الترسيل ويتعلق بفصل المفضل السابق لامتزاج المنظوم فيه
بالمنتور ويذكر لابي محمد بن عبدون البراعة في هذا النوع على ان
هناك نصوصاً عارض صاحبها ابن عبدون وباراه فيها ذكرها
الكلاعي .

والفصل الثامن في التوقيع : وهو مما عدلوا فيه عن التطويل
والتكرار الى الايجاز والاختصار ، منه ما جاء بالكلمات ، ومنه
بالكلمة الواحدة وبالحرف الواحد ، كما فعل ابن رشد في جواب
بعض فتواه فقال : لا .

ويأتي بأمثلة متنوعة على التوقيع (٢٢) ويعد الكلاعي مبتكراً
في فصل الترسيل المقسم الى فصول درس فيه النثر العربي الى
زمانه فاحسن درسه وتبويبه واستخراج مدارسه ، مع اعلام كل
مدرسة ، مؤكداً شخصيته من خلال عبارات جاءت في مطلع
الفصل لما فيها من تجديد واضح بَيّن ، كما وضع لهذه الانواع
مصطلحات مبتكرة فيها جدة ، ومطابقة لما هي عليه ، وقد افاد
مما نقله عن ابن شهيد ، ويبقى له فضل التنبه والتقسيم
والتسمية الاصطلاحية والتمثيل بشواهد دالة ، وهذا من ابرز
ما قدمه في كتابه (٢٣)

والفصل التاسع في الخطبة التي عرّفها المؤلف بأنها تقوم
على كلام منظوم له بال ، وهي اول ما استفتح بالتحميد وأعلم
غفلة بالتمجيد ، فتحدث عن اهمية الخطبة واشترط في الخطيب
ان يجمع ذهنه ويحضر تخشعه ويخلص لله سبحانه نيته ،
ويشغل بذكره حواسه ، فاذا ما فعل ذلك لم تلحقه هيبه ، وقدر
على الكلام ، كما يستحب ان يهيء الخطيب خطبته سلفاً وان
يشير عند الخطبة ، مع توشيحها بالآيات وما صلق من شعر
العرب ، ويستشهد بخطب كثيرة فيها نصوص شعرية ، ويذكر حالة
الخطيب عند ذكر خطبته وانواعاً من الخطب .

ويأتي الفصل العاشر في الحكم المرتجلة والامثال
المرسلة : وهي على ضربين ما روي اثناء الخطب والرسائل ،
وما جاء جواباً مرتجلاً للسائل تقدمه القرائح دون روية او كلفة ،
ويستشهد بنماذج نثرية لكل ضرب .

والفصل الحادي عشر في الموزي : وهو ما كان باطنه على
غير ظاهره ، ويراه نوعاً من غريب الكلام ، ويأتي بأمثلة على ذلك
من الحديث الشريف ومن قصص العرب ومما اورده ابو العلاء
المعري في رسالة الصاهل والشاحج التي عارضها في رسالة
الساجة والغريب .

ومن باب الموزي ما يجري مجرى اللفز ، وقد يكون في
المنظوم والمنتور ولكنه يأتي في المنتور وقد اورده في هذا الباب
مع نماذج نثرية وشعرية .

والفصل الثاني عشر في المقامات والحكايات : قال
الكلاعي انه اجري ذكر المقامات في ذكر بديع الزمان لابداعه
واحسانه في هذا الباب وقد كتب اربعمئة مقامة في غاية الجودة
والفخامة وصل له منها نحو اربعين مقامة ، واورد نص المقامة
الاصفهانية والكوفية والجاحظية والبغدادية . وينهي الفصل
بايراد كلام لابي العلاء على لسان الحيوان الناطق .

والفصل الثالث عشر في التوثيق : وهو من اوكد ما اهتم به
الكاتب وكتب لانه اجل العلوم خطراً وارفعها قدراً واحمدها اثرأ
واطيبها خبراً . ويفضل عنه وضوح اللفظ والمعنى وعدم اعتماد
الالفاظ المبتذلة واللفات المتداولة المستعملة ، ويجوز فيه التكرار
والتوكيد والتطويل والترديد لان ذلك ابلغ في البيان ، ويفضل في
كاتب التوثيق ان يكون عالماً بالسجلات ، مضطماً بحمل الدعاوى
والبيانات وغيرها مستعملاً الجيد من الرقوق والمداد ، ويجب على
الكاتب ان يقدم اسم من قدمته كفايته او عنايته وتقديم اسم من
يجب تقديمه ، ويستشهد على هذه النواحي كلها بنصوص تؤيد
صحة كلامه . فكانت نصائحه للقاريء تتعلق باختلاف الاسلوب
في معالجة كل واحد من تلك الاغراض والموضوعات .

الفصل الرابع عشر في التأليف : وهو غير موقوف على
زمان او أوان ويذهب الكلاعي الى بيان حال هذه الصنعة ورؤ من
يجرد زماناً من التأليف بدعوى ان الاول لم يترك للاخر شيئاً ،
فيرى ان الدنيا ازمان ، ولكل زمان منها رجال ، والاداب لا تقصر
على زمان معلوم لان الناس لو اقتصروا على كتب القدماء لضاع
علم كثير ولمجت الاسماع كل مرند مكرر ، وتنقسم التأليف على
اقسام :

منها ما أقل فضيلته حسن الاختيار ؛ ومنها جمع ما افترق ،

ومنها اختصار الطويل في اللفظ القليل ، ومنها رد القصير في معرض الطويل الكثير وشرح معاني الاشعار ، او اعتماد المؤلف على فكره ، ويمضي فيعدد كتب ابي العلاء ورسائله ومؤلفاته ، ويذكر تأليف الثعالبي الذي لم يسلك فيها مسلك ابي العلاء ، وذكر كتاب سيبيويه ، ويبين تعقيد الفاظه وابهام معانيه التي عزاها الى ثلاثة اسباب : انه تعمد ذلك ، وانه كان مبلغ تلك الطائفة من البسط والبيان وانه صنعته ، وتلك لُكنته ، فاستشهد بقول من سماه (شيخنا) الذي رد على كل سبب بانه لا يصح من هذه الالوجه الثلاثة إلا وجه واحد هو تعمد ذلك لترتاض به الافهام ، ولان كتب الخليل موجودة غاية في البسط ، اما المكنة فهي في اللسان لا في القلم .

ويأتي الفصل الخامس عشر في السجع الذي عرّفه بانه كلام له فواصل كفواصل الشعر وكسجع الحمام ، وذكر اختلاف العلماء في نمه ومدحه . ويرى ان لا وجه لذهمه الا اذا دل على تكلف وغطى على الضعف في اصابة الغرض ، ويرى ان لا وجه لذهمه الا اذا دل على تكلف ، وغطى على الضعف في اصابة الغرض ، ويرى ان النظم والنثر يشتركان في ان الاول لا يقدح فيه تكلف الوزن والقافية كما لا يقدح في الثاني تكلف السجع ، ويذكر رأي ابن شهيد في السجع في رسالته (التواضع والزابع) ويجعل للسجع اوزاناً ، وان الكلام المسجع ينقسم ثلاثة اقسام : احدها ان يكون القسم الثاني اكمل من الاول ، وهذا القسم يتنوع على انواع منها : مقابلة سجتين بسجتين ، ومنها ما يأتي في نفس القسم الثاني من غير جنس الاول .

والقسم الثاني : ان يكون القسم الاول اطول من الثاني ، واما القسم الثالث فهو ان يكون القسمان متساويين ، ويحسن عند الكلاعي في فصل المغضن ، فيستشهد على اوان الاسجاع بنماذج عديدة^(٢٤) ، ويرى د . الداية ان هذه التقسيمات جعلها قوانين في تجميد الاسلوب العربي^(٢٥) .

والفصل السادس عشر في المنقاد وهو نوع من السجع ينقاد طوعاً ويأتي قبل ان يُستدعى ويستجلب ، واكثر ما يرد في العاطل فمنه ما يأتي متفقاً في الوزن والسجع ومنه ما يأتي متفقاً في السجع دون الوزن ، او يأتي بحروف متقاربة كالسين والصاد او الطاء والضاد مع امثلة لكل نوع ، ورأى د . الداية انه كان من المنطقي جعله ملحقاتاً بالعاطل لانه ايضاً يمثل النثر المرسى الذي لا تعمل للصنعة الاسلوبية فيه^(٢٦) .

والفصل السابع عشر في المستجلب : ويأتي بعد ان كثرت الصناعة واستجلبوا فيها السجع الفائق واللفظ فجاءوا (بغفور

مع كفور) ، وكان ابو العلاء يلتزم في اسجاعه ما لا يلزم ، وجاء بنص وحده داخلاً في رسم الباب في التضمين والاعراب والكلاعي هنا كان من النقاد الذين طبقوا قواعدهم على نثرهم ، كما نقل المصطلح من الشعر الى النثر المحلي بالسجع ، وصور النقلة التي انتقل بها الاسلوب العربي من العاطل الى الحالي وما تلاه من اساليب ، ويبين اثر السجع في ذلك وتقننهم في ان تكون العبارة مصنوعة من اولها الى آخرها كلمات وحروفاً وحركات^(٢٧) .

والفصل الثامن عشر في المضارع : الذي تتشابه حروفه ولا يتفق آخرها ، فهو كالفعل المضارع الذي لم يخلص للحال ولا للاستقبال ، والسجع المضارع ايضاً لا يخلص لباب السجع المنقاد ولا السجع المستجلب ، ويورد الشواهد عليه .

والفصل التاسع عشر في المشكل : الذي يأتي متفق اللفظ مختلف المعنى ، ويورد خطبة مثلاً على ذلك ، ويذكر ان ابا الفتح البستي كان إمام هذه الطريقة في التسجيع ويسميه المتشابه ويستشهد بنتف شعرية تتضمن هذا اللون من السجع ، ويرى د . الداية ان الكلاعي كانه اخترع هذه الالقاب في السجع لتخلص للنثر ، واستخلص هذه الانواع الاربعة بعد ان بنى النثر على السجع بناء مصنوعاً ، قيدت فيه كل حركة وكلمة وحرف^(٢٨) .

واخيراً جاء الفصل العشرون في قوانين الكتابة وآدابها : وفيها يمدح الكتابة والخطابة فيختار عبارات تستخدم في المخاطبات السلطانية ، ويبين كيفية استعمالها كمعبرة : (ادام الله إعزازه ، اعزك الله) وكذلك الكنى ، ومن الوصايا التي اكدتها عند الكتابة الابتعاد عن الالفاظ الخشنة والمعاني القلقة في كتب الاعتذار ورسائل الاستعطاف ، ويستحب الاتيان بالنادرة ، ويجب ان يُستجاد آخر الرسالة ويُتقن حتى يكون قفلاً لمحاسنها ، كما ان اولها مفتاح لذلك ، واذا ذكر الله ان يعترض بتحميمه وتمجيده ، والتحفظ من التصحيف واللحن وان يجعل للكاتب ملكة نقد ما يقرأ نقداً علمياً لا تعصب فيه ، والابتعاد عن تكرار المعاني ، ومدح الشخص بما فيه ، وان يكون الكاتب حاضر الجواب ، متقد الخاطر ، وان يهذب افعاله كما يهذب اقواله . وينتهي الكتاب بالاعتذار عن الخطا والتقصير والصلاة على

النبي وعلان انجازه عمله وحمد الله^(٢٩) .

مخطوطة الكتاب : من الكتاب نسخة مصورة في دار الكتب المصرية (برقم ١٨١٩٠ ز) عن اصل فريد مصور من مكتبة الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب باشا .

صفاتها : خطها مغربي نو تنسيق ، عناوين الفصول مكتوبة بخط اكبر ، ومن المرجح ان يعود خطها الى القرن الحادي عشر

الهجري ، لكن الكتاب لا يحمل اي تاريخ ، ونجد بعض العبارات مضبوطة ، وفي حالة العبارات المبهمة كان الناسخ يكتبها كيفما اتفق فجر ذلك الى التصحيف والتحريف .

لا يوجد للمخطوطة صفحة عنوان ، وانما وجدت ورقة بخط حديث خط الاستاذ عبد الوهاب باشا تعرف الكتاب وصاحبه ومصادر ترجمته ومنها القلائد التي ورد فيها ترجمة والده وليست ترجمته هو لانها وردت في المطمح والتكملة والمغرب والنفع . عدد الاوراق ٧٨ في كل صفحة ١٩ سطرأ متوسط الكلمات ، كل سطر ١١ كلمة . وعن هذه النسخة الفريدة حقق المخطوطة د . محمد رضوان الداية ونشرها في دار الثقافة ببيروت سنة ١٩٦٦ م ، والكتاب مزود بفهارس عامة ويقع في ٣١٧ . (ملاحظات تحليلية حول كتاب الاحكام)

عند التامل في كتاب إحكام صناعة الكلام يمكن ان نستخلص منه مادة نقد ادبي يمكن اجمالها في الآتي :

١ — ذكر في الكتاب اربعة مجالس دارت فيها مناقشات نقدية وضحت اعجاب الكلاعي باستعمال الغريب ونفوره من اكتثار الدعاء والاغراء في الرسائل بقصد تحليلتها ، واخذ بالنظرية القائلة لكل مقام مقال واعتناؤه بمشاكله اللفظ للمعنى ، فاثبت من خلال ذلك تمكنه منها ، وعارض بنثره ابا العلاء المعري ثم بين عجزه عن بلوغ مكانته وتقديره عنه .

٢ — تحدث في المقدمة ايضاً عن فضل البيان والترجيح بين المنظوم والمنثور ، فقصر كلامه على النثر دون الشعر الذي خاف عليه العلماء من عدم اتقان وزنه وقافيته . اما النثر فهو ممتزج بطبع العلماء فامنوا نهاب اسمه فاغفلوه مستمداً افكاره من نظرة اخلاقية دينية ، ففهم لذلك النثر على النظم .

٣ — جعل الكلام ضرورياً واساليب هي : الترسيل والتوقيع والخطبة والحكم ، والامثال ، والمقامة والحكاية والتوثيق والتأليف مع فصل عن الموزي والمعنى والسجع ، ووقفه الكلاعي هذه مهمة لاستطاعته تحديد هذه الانواع بدقة ووضوح ، كما ان انصرافه عن انواع البديع كان بسبب كثرة القول فيه .

٤ — يمكن عد الفصل الذي كتبه بخصوص موضوع « الترسيل » نوعاً من الابتكار او الاصاله ، لاهتمامه باقسامه ومصطلحاته واعلامه ومدارسه فوضع لانواع الترسيل مصطلحات فيها الجدة والمطابقة لما هي عليه .

٥ — نجد تناقضاً في موقف الكلاعي عند حديثه عن السجع وذلك انه يبيح تكلف السجع بينما عند حديثه عن انواع الترسيل يفضل النوع الاول وهو العاطل الخالي من السجع ويعتد اصل النثر .^(١٠)

ملاحظات على كتاب احكام صناعة الكلام :

١ — لم يسم المؤلف فقرات المقدمة باسمها ، ولم يفصل بين اقسام كتابه الثلاثة الا مرة واحدة حين عيّن مطلع الباب الثاني فقال (باب : صفحة ٩٥) وسقى باقي موضوعات كتابه فصولاً .
٢ — ونجد خللاً في تقسيم ابوابه ؛ إذ عند ضروب الكلام وجعل لكل ضرب فصلاً لكنه يعطي للترسيل — وهو الضرب الاول من ضروب الكلام — اقساماً يعدّها في فصول مستقلة بعدها ، تطول وتقصّر وكأنها نوع من انواع الكلام وليست جزءاً او فرعاً من الكلام ، وكذا الحال بالنسبة للسجع الذي جعله فصلاً ولانواعه ايضاً ، إذ جعل لكل واحد منها فصولاً متتابعة .

٣ — جاء الكتاب عن اصول الكتابة وضروب النثر ، لكنه لم يستغن عن الشعر فهو يستشهد به وهو الذي ذمه وفضل عليه النثر .
٤ — جاء استشهاده بالنصوص الادبية لشعراء المشرق وكتابه معادلاً لابناء الاندلس اذا ما تفوق عليه بالكثرة والاهتمام .
٥ — فضلاً عن أهمية الكتاب بوصفه يدرس النثر العربي ويعرض لاهم اعلامه في المشرق والاندلس ؛ فانه يتضمن ملاحظات جانبية قيمة على ثلثها .

٦ — كان ابو العلاء المعري الشخصية التي تآثر بها في كتابه خاصة وقد عارضه فيه ، وذكر الكتب التي دخلت الاندلس من تأليف المعري والتعاليبي ويديع الزمان ، كما انه معجب بالتعاليبي ، ينقل آراءه ويحتج بشهادته ، الا انه خالفه في قيمة ادب ابن العميد وحمل عليه في ترجمته .^(١١)

صدي كتاب الإحكام لدى النقاد :

اهتم الادباء والنقاد المعاصرون بدراسة كتاب إحكام صناعة الكلام لما يتضمنه من آراء نقدية في مجال فنون النثر وآداب الكتابة والسجع وقد كانت للدكتور مصطفى السيوفي وقفة عند اقسام السجع التي وضعها الكلاعي فشرحها وعقب عليها ضمن لراسته لتيارات السجع عند الاندلسيين^(١٢) .

كما كان الكلاعي واحداً من النقاد الذين وقف عندهم كل من د . احسان عباس ود . محمد رضوان الداية حين درسا تاريخ النقد الادبي في الاندلس .^(١٣)

واستشهد د . حازم عبد الله خضر بنصوص من كتاب إحكام صناعة الكلام عن موضوع السجع وغيره ضمن دراسته للنثر الاندلسي في عصر الطوائف والمرابطين .^(١٤)

ختاماً ارجو ان اكون قد وفقت في اعطاء صورة كاملة عن كتاب احكام صناعة الكلام للكلاعي خدمة للتراث العربي في الاندلس .

الهوامش والمصادر :

- (١) انظر ترجمته في : مطمح الانفس ومسرح الناس للفتح بن خاقان ، تحقيق هدى شوكت بهنام ، بيروت ، دار الفنون ، ١٩٨٩ ، ٥٩ - ٦١ : التكملة لكتاب الصلة لابي عبد الله محمد ، المعروف بابن الابار ، نشر عزة المطار الحسيني ، القاهرة ، مطبعة السادة ، ١٩٥٥ ، ٤٦٨/٢ : المغرب في حلى المغرب لابي الحسن علي بن سعيد ، تحقيق د . شوقي ضيف ، ط ٢ ، مصر ، دار المعارف ، ١٩٦٤ ، ٢٤٢/١ - ٢٤٣ : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب لاحمد بن محمد المقرئ ، تحقيق : د . احسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٨ ، ٣ / ٥٥١ - ٥٥٣ .
- (٢) انظر ترجمته في : قلائد العقيان ومحاسن الاعيان للفتح بن خاقان تحقيق وتعليق : حسين خريوش ، طا ، عمان ، مكتبة المنار ، ١٩٨٩ ، ٤٦٦/٢ - ٤٧٦ : النخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، لابن بسام الشنتريني ، تحقيق : د . احسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٧٨ ، ٣٦٨ - ٣٢٥/١/٢ : خريدة القصر وجريد : المصر للعماد الاصفهاني ، تحقيق الاستاذين عمر النسوتي وعلي عبد العظيم ، القاهرة ، دار نهضة مصر ، د . ت ، ٤٢٤/٢ - ٤٣٠ : المطرب من اشعار اهل المغرب : لابي الخطاب ابن بحية ، تحقيق : ابراهيم الابياري وآخرون ، مراجعة د . طه حسين ، القاهرة ، المطبعة الاميرية ، ١٩٥٤ ، ٢٠٠ - ٢٠١ : المغرب ١/٢٤١ - ٢٤٢ : رايات السبزيين وغايات المميزين لابي الحسن علي بن سعيد ، تحقيق : د . نعمان عبد المتعال القاضي ، القاهرة ، مطابع الاهرام ، ١٩٧٣ م ، ٤٠ .
- (٣) التكملة لابن الابار ٤٦٨/٢ .
- (٤) احكام صنعة الكلام ٢٣٢ .
- (٥) المغرب ١/٢٤٢ - ٢٤٣ .
- [٦] مقبلة كتاب احكام صنعة الكلام ص ١٠ .
- (٧) التكملة ٤٦٨/٢ .
- (٨) احكام صنعة الكلام ٥٧ .
- (٩) م . ن : ٢٦١ .
- (١٠) مقبلة كتاب الاحكام ١١ .
- (١١) الاحكام ٥٠ ، ٦٧ وغيرهما .
- (١٢) ٢ : ٤٦٨ .
- (١٣) ١ : ٢٣٨ .
- (١٤) الاحكام ٢٢٦ .
- (١٥) م . ن ٢٨ .
- (١٦) م . ن ٢٧ .
- (١٧) م . ن ٣٦ .
- (١٨) مطمح الانفس ٥٩ - ٦١ .
- (١٩) خريدة القصر ٤٣٩/٢/٤ .
- (٢٠) المغرب ١ / ٢٤١ .
- (٢١) النخيرة ١/٢/٣٢٣ .
- (٢٢) مطمح الانفس ٦٠ .
- (٢٣) م . ن ٦٠ - ٦١ .
- (٢٤) الاحكام ٢١ - ٣١ .
- (٢٥) مقبلة الاحكام ١٥ .
- (٢٦) م . ن .
- (٢٧) الاحكام : ٢١ - ٣٥ .
- (٢٨) تاريخ النقد الادبي في الاندلس : محمد رضوان الداية ٤٠٦ .
- (٢٩) الاحكام ٣٩ - ٩٥ .
- (٣٠ - ٣١) تاريخ النقد الادبي في الاندلس ٤١٢ ، ٤١٣ .
- (٣٢) الاحكام : ٩٦ - ١٦٦ .
- [٣٣] تاريخ النقد الادبي في الاندلس ٤١٧ .
- (٣٤) الاحكام ١٦٦ - ٢٤٢ .
- (٣٥ - ٣٨) تاريخ النقد العربي في الاندلس ٤٢٦ - ٤٢٧ ، ٤٢٩ .
- (٣٩) الاحكام ٢٤٢ - ٢٦١ .
- (٤٠) النقد الادبي في كتاب نفح الطيب للمقرئ رسالة ماجستير تقدمت بها هدى شوكت بهنام ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٧٥ ، ١٥٠ - ١٥٣ .
- (٤١) الاحكام ١١٣ : تاريخ النقد الادبي في الاندلس ٤٣١ .
- (٤٢) ملامح التجديد في النثر الاندلسي خلال القرن الخامس الهجري : د . مصطفى محمد احمد السيوفي ، طا ، ١ ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٨٥ م ، ٥٧٦ - ٥٨٠ .
- (٤٣) تاريخ النقد الادبي عند العرب (نقد الشعر) : د . احسان عباس ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ١٩٧١ ، ٥٠٩ - ٥١٢ : تاريخ النقد الادبي في الاندلس :
- (٤٤) النثر الاندلسي في عصر الطوائف والمرابطين : د . حازم عبد الله خضر ، بغداد ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٨١ ، ٤٠٢ ، ٤٦٠ .

ببليوغرافيا الخط العربي وما يتصل به

اعداد : حسن عريبي الخالدي

- ١ - الخط العربي والتركي (بالانجليزية) - اناثا كوماتا
سوامي . نشرة متحف بوسطن للفنون الجميلة مج ٢٧
(١٩٢٩) ٥٧ - ٥٠ .
- ٢ - الخط العربي وتطوره في العصور العباسية في العراق - سهيلة
الجبوري ، بغداد ، المكتبة الاهلية ، ١٣٨١ - ١٩٦٢ ، ١٤٦ ص .
- ٣ - الخط العربي ومستقبله في الطباعة - اسماعيل شوقي .
المجلة (القاهرة) ع ١٣٩ (... ١٩٦٨) ٥٢ - ٥٠ .
- ٤ - الخط العربي ومهنة التعليم في العهد الاموي - كامل جاسم
المقبلي التاجر ع ١٧ ، س ٢ (... ١٩٦٩) ٤٢ - ٤٣ .
- ٥ - الخط العربي والمواد التي حملته - د : ناهض عبد الرزاق
دفتر آفاق عربية (بغداد) ع ٩ (... ١٩٨٤) ٧٢ - ٨١ .
- ٦ - الخط العربي وواجبنا نحوه - علي تقي علي المعلم الجديد
(بغداد) ج ١ - ٢ ، مج ٢٣ (... ١٩٦٠) ٩٣ - ٩٥ .
- ٧ - الخط العربي يلائم عصر الكمبيوتر - كامل البابا . المقاصد
(بيروت) ع ١٠ ، س ٢ (... ١٩٨٣) ٦٤ - ٦٨ .
- ٨ - الخط على العملة الاتاكية - المرحوم : محمد باقر
الحسيني . الاقلام (بغداد) ع ٢ س ٢ (... ١٩٦٦)
١٧٦ - ١٨٢ .
- ٩ - الخط في باكستان الشرقية (بالانجليزية) - عبد المليم
المجلة الفصلية الباكستانية ع ٣ مجلد ٩ (١٩٥٩) ٤٦ -
٥١ ، ٦٨ .
- ١٠ - الخط في عهد المغول - يوسف (ك . م) . المجلة
الاسلامية مج ٤٨ (١٩٦٠) ١٩ - ٢٣ .
- ١١ - الخط الكوفي - حسن قاسم حبش . التراث الشعبي
(بغداد) ع ٧ (... ١٩٧٩) ١١٧ - ١٢٢ .
- ١٢ - الخط الكوفي - زهير طمان . العلوم (بيروت) ع ٢ ، س
١٤ (... ١٩٦٩) ٣٢ - ٣٤ .

- ١٣ - الخط الكوفي علي المسكوكات الاسلامية في العهد
البهويهي - د : ناهض عبد الرزاق دفتر . المسكوكات (بغداد) ع
٧ (... ١٩٧٦) .
- ١٤ - الخط الكوفي المعماري له مكانة في صناعة العصر -
عبد المجيد وافي . العربي ع ٢٧٧ (... ١٩٨١) ١٢٦ - ١٣٠ .
- ١٥ - الخط الكوفي واثره في الزخرفة العربية - عبد الحسين
الشمري آفاق عربية (بغداد) ع ١١ ، س ١٤ (١٩٧٩)
٧٧ - ٨١ .
- ١٦ - الخط الكوفي والخط النسخي - المقتطف (القاهرة) ج
٢٣ (... ١٨٩٩) ٣٩٠ .
- ١٧ - الخط الكوفي والخطوط . المقتطف (القاهرة) ج ٥٣
(... ١٩١٨) ٤٠١ .
- ١٨ - الخط مثير للابداع - فاروق بسيوني . الفصيل
(الرياض) ع ٨ ، س ١ (١٣٩٨ - ١٩٧٨) ٦١ - ٦٨ .
- ١٩ - الخط لدى محمد بن عبد الرحمن - روبرتسون الدراسات
السامية والشرقية (مجلد روبرتسون) ، كلاسكو (١٩٢٠)
٥٧ - ٨٣ .
- ٢٠ - خط المصاحف - للكرماني برهان الدين ابي القاسم
محمود بن حمزة بن نصر (... ٥٠٥ هـ / ... ١١١٠ م)
ط ١ معجم مصنفات القرآن الكريم ٣ / ٢٨١ و ٢٤٠١ .
- ٢١ - خط المصحف والقراءات - عبد الله السنوي . الرسالة
الاسلامية (بغداد) ع ٧٦ ، ٧٧ (١٣٩٤ - ...) ٨١ - ٨٤ .
- ٢٢ - الخط المغربي - رحلة مع الخط العربي - د : حسين
علي محفوظ . الفصيل (الرياض) ع ٢٩ ، س ٣ (...)
(١٩٧٩) ٦٨ - ٦٩ .
- ٢٣ - خط النسخ - عماد حليم ، بيروت ، دار المثلث ، ...
١٩٨١ ، ٣٢ ص (سلسلة تعليم الخطوط العربية) .
- ٢٤ - الخط الواضح - اسماعيل توفيق ومحمد عبد الرحمن ،
القاهرة ، دار المعارف ، ... ١٩٦٥ ، ١ - ٤ ج ، كل جزء في
٢٤ ص .
- ٢٥ - الخط والزخرفة (بالانجليزية) - كريزويل . ضمن ..
ببليوغرافيا العمارة والفن والكرافك في الاسلام حتى كانون الثاني
١٩٦٠ ، لندن ، ١٩٦١ ، ٦٢٥ - ٧١٤ .
- ٢٦ - الخط والقلم - لابي طالب المفضل بن سلعة بن عاصم
الكوفي (... ٢٩٠ و / ... ٩٠٣ م) .
- ٢٧ - الخط والكتابة (قائمة مباحث ودراسات) - فؤاد
قزائجي والمرحوم الاستاذ : كوركيس عواد . في : مراجع الكتب

والمكتبات ٩٧ - ١٠٥ .

متحف كاليري فريير للفن .

٤٠ - خطاطون وفنانون - سي . سي . انوار . نشرة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية مج ١٠ (١٩٤٠ - ١٩٤٢) ١٩٩ - ٢١١ .

٤١ - خطوط جامع مرجان - عباس المزوي سومر (بغداد) مج ٢ (... - ١٩٤٧) ٣١٢ - ٣١٧ .

٤٢ - الخطوط العربية في العصر العباسي - د : عبد الله عبد الرحيم السوداني البلاغ (بغداد) ع ٧ (... - ١٩٦٧) ٦٦ - ٧٠ .

٤٣ - الخطوط في النقود - عباس المزوي النفط ع ١ (... - ١٩٦٢) ١٤ - ١٧ .

٤٤ - خطوط المصاحف الشريفة والخطاط الحسن البغدادي - عباس المزوي مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد) مج ٨ (١٣٨١ - ١٩٦١) ٣٢٦ - ٣٣٠ .

٤٥ - خميلة ارباب المقاصد في رسم المصاحف - لبراهيم ابن عمر بن ابراهيم الجعبري (... - ٧٣٢ هـ / ... - ١٣٣٢ م) مخطوط ظ معجم مصنفات القرآن الكريم ٢ / ٢٤٠٢٢٨١ .

— د —

٤٦ - دراسات في اوراق البردي العربية الادبية . نصوص تاريخية (بالانجليزية) - جفري شيكاغو ، ١٩٥٧ م ، ١٤ + ١٢٣ ص + ١٣ لوحات .

٤٧ - دراسات في الخط العربي منذ بدايته الى نهاية العصر الاموي - صلاح الدين المنجد بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ... - ١٩٧٢ ، ١٥١ ص .

٤٨ - دراسات في علم الكتابة العربية - محمود عباس حمودة ، القاهرة ، مكتبة غريب ... - ١٩٨١ م ، ٢٣٨ ص .

٤٩ - دراسة الخط الاسلامي في صلته بالخطوط الهندية بالانجليزية - باتاشاريا مجلة الشؤون الهندية - الايرانية ع ٢ - ٣ ، مج ٤ (١٩٥٠ - ١٩٥١) ١٣ - ٢٣ .

٥٠ - دراسة عن الخط الاسلامي - محمد زيان ، كلكتا ، ١٩٣٦ ، ٧٢ ص .

٥١ - دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الاحجار في مصر في القرون الخمسة الاولى للهجرة مع دراسة مقارنة لهذه الكتابات في بقاع اخرى في العالم الاسلامي . ابراهيم جمعة ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ... - ١٩٦٩ ، ٢٩٢ ص .

٥٢ - دراسة مقارنة عن الخط العربي في مدارس الاقطار

٢٨ - الخط والكتابة العربية : بيليوغرافيا مفتارة - خالد احمد اليوسف . عالم الكتب (الرياض) ع ٣ ، مج ١١ (... - ١٩٨٤) ٥٤٣ - ٥٥٠ .

٢٩ - الخط والكتابة في الحضارة العربية : دراسات ولوحات د : يحيى وهيب الجبوري ، بيروت ، دار الغرب الاسلامي ، ... - ١٩٩٤ ، ٣٨٢ ص .

٣٠ - الخط ومشاهير الخطاطين في الوطن العربي - عباس المزوي تح : فاضل عباس . سومر (بغداد) ع ١ - ٢ ، مج ٢٨ (... - ١٩٨٢) ٢٨٤ - ٣٠٢ .

٣١ - الخط والهجاء - للمبرد ابي العباس محمد بن يزيد الازدي البصري (٢١٠ - ٢٨٥ هـ / ٨٢٥ - ٨٩٨ م) ظ مقدمة المنكر والمؤث - له . تح د : رمضان عبد التواب ٤٩ ر ١٧ ومقدمة البلاغة للمبرد تح د : رمضان عبد التواب ٥٤ ر ١٧ وهو مفقود حالياً

٣٢ - الخطاط البغدادي علي بن هلال المشهور بابن البواب - سهيل النور . ترجمة المرحوم : محمد بهجة الانزي وعزيز سامي ، بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ... - ١٩٥٨ ، ٨٩ ص .

٣٣ - الخطاط الحافظ الحاج حسن رضا افندي والمصاحف الشريفة التي كتبها - عبد الله عبد المجيد السنوي . الرسالة الاسلامية (بغداد) ع ١٣٤ - ١٣٥ (١٤٠٠ - ١٤٠٠) ، ١٠٧ - ١١٠ .

٣٤ - الخطاط توسي البغدادي - عباس المزوي مجلة مجمع اللغة العربية « القاهرة » ع ١٩ (... - ١٩٦٥) ٨١ - ٨٤ .

٣٥ - الخطاط هاشم محمد البغدادي (١٣٣٥ - ١٣٩٣ هـ / ١٩١٧ - ١٩٧٣) - وليد . الاعظمي مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد) مج ٢١ (١٣٩٣ - ١٩٧٣) ٣١٠ - ٣١٦ .

٣٦ - الخطاط والرسام علي رضا العباسي - هويارد . الفن الاسلامي مج ٤ (١٩٣٧) ٢٨٢ - ٢١٤ .

٣٧ - الخطاط ياقوت المستعصي - محدود شكر الجبوري المورد (بغداد) ع ٤ ، مج ١٥ (١٤٠٧ - ١٩٨٦) ١٤٩ - ١٥٦ .

٣٨ - الخطاطة : الكتابة العربية - عبد العزيز الدالي ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ... - ١٩٨٠ ، ١٣٦ ص .

٣٩ - خطاطون ورسامون (بالانجليزية) - احمد القاضي بن ميرمنشاد مترجم من الفارسية بقلم مينورسكي مع مقدمة من قبل زاخوهر ، واشنطن ، ١٩٥٩ ، ٢٢٣ ص + ٨ لوحات ، منشورات

المربية — محمد حسن يونس الوادي ، بغداد ، وزارة التربية ، — ١٩٧٥ ، ٣٢ ص .

٥٢ — درة القاري : منظومة في ظاءات القرآن الكريم — لابي محمد عبد الرزاق بن رزق الله الرسمي (... — ٦٦١ هـ) تح د : عبد الهادي الفضلي . مجلة مجمع اللغة العربية الاردني (عمان) ع ٣٠ ، مج ١٠ (... — ١٩٨٦) ١٨٥ — ٢٠٠ ظ . يكتب الضاد والطاء ٦٠٣ — ٥٥٦٠٥ .

٥٤ — الدليل العملي الى استعمال الابجدية العربية في الكتابة السواحلية زنجبار ، ١٨٩١ م ، ٥٥ ص + ١٢ ص . ٥٥ — دليل المعلم في تدريس الخط العربي — محمد احمد المرشدي ، القاهرة ، وزارة التربية والتعليم ، ... — ١٩٦٢ ، ٣١ ص .

٥٦ — نور اسلاف عرب شمال الجزيرة العربية في نشأة الخط المسند اليمني القديم — عبد المنعم عبد الحليم سيد . الدارة « الرياض » ع ١ (... — ١٩٨٢) ٢٠٢ — ٢١٤ .

— د —

٥٧ — ذكر الطاء على حروف المعجم — لابن بري علي بن محمد بن علي (... — ٧٣٠ هـ / ... — ١٣٢٩ م) مخ . ظ كتب الضاد والطاء ٢٦٠٥٨٩ .

٥٨ — ذكر الفرق بين الاحرف الخمسة وهي : الطاء والضاد والذال والصاد والسين لابن السيد البطلليوسي ابي محمد عبد الله ابن محمد بن السيد الاندلسي النحوي اللغوي (٤٤٤ — ٥٢١ هـ / ١٠٥٢ — ١١٢٧ م) تح د : حمزة عبد الله النضرتي مجلة كلية اللغة العربية (جامعة الرياض) مج ٨ (... — ١٩٧٨) ١٢٥ — ١٧٩ مج ٩ (... — ١٩٧٩) ١٤٩ — ٢١٠

ظ كتب الضاد والطاء ٥٨٥ — ١٩٥٨٦ ظ الفرق بين الحروف الخمسة .

٥٩ — تكريات وسطور عن عميد الخط العربي [المرحوم هاشم الخطاط] — د : عبد الله الجبوري الرسالة الاسلامية (بغداد) ع ٦١ (١٣٩٣ — ...) ٨٢ — ٨٩ .

— د —

٦٠ — راي في الخط العربي — عبد الجبار الوائلي ، الكتاب (بغداد) ع ٥ ، س ١ (١٦٣ — ١٠٠٠) ١٠٤ — ١٠٨ . ٦١ — راي في قواعد الاملاء العربي — محمد بهجة الاثري مجلة

المجمع العلمي العراقي (بغداد) مج ١ ، مج ٤ (١٣٧٥ — ١٩٥٦) ٣٢٠ — ٣٢٦ .

٦٢ — رحلة مع الخط العربي — الفصيل (الرياض) ع ٢٧ ، س ٣ (... — ١٩٧٩) ١١٤ — ١١٥ .

٦٣ — رحلة مع الخط العربي — محمد عبد الغني الافوكاتو العربي ع ٢٨٣ (... — ١٩٨٢) ٦٤ .

٦٤ — رحلتي مع الخط العربي — محمد عباس محيي الدين . المجلة العربية (ليبيا) ع ١٠ ، س ٥ (١٤٠٢ — ...) ١٠٢ — ١٠٤ .

٦٥ — رد الالحاد في النطق بالضاد — علي بن سليمان المنصوري (... — ١١٣٤ هـ / ... — ١٧٢١ م) مخ ظ كتب الضاد والطاء ٦١٦ — ٧٢٦١٧ .

٦٦ — الرد على من خالف مصحف عثمان — لابي بكر محمد بن القاسم بن بشار البغدادي (٢٧١ — ٣٢٨ هـ / ٨٨٤ — ٩٤٠ م) ظ مقدمة الزاهر في معاني كلمات الناس تح د : حاتم صالح الضامن ج ١ / ١٨٢٣ .

٦٧ — رسالة الخط — احمد رضا . المقتبس (دمشق) مج ٨ (... — ١٩١٤) ٦٢٦ .

٦٨ — رسالة الخط والقلم المنسوبة الى ابن قتيبة الدينوري ابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣ — ٢٧٦ هـ / ٨٢٨ — ٨٨٩ م) تح د : حاتم صالح الضامن . مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد) ج ٤ ، مج ٣٩ (١٤٠٩ — ١٩٨٨) ٢٦٢ — ٢٩٢ .

٦٩ — رسالة الضاد والضاء — لابن الاثير ضياء الدين ابي الفتح نصر الله بن محمد بن محمد الشيباني الاديب الكاتب (٥٥٨ — ٦٣٧ هـ / ١١٦٣ — ١٢٣٩ م) ظ كتب الضاد والطاء ٥٨٠ — ١٠٥٨١ .

٧٠ — رسالة في التفرقة بين مخرجي الضاد والذال المفخمة — لمؤلف مجهول ، احد تلاميذ الامير عبد القادر الجزائري (... — ١٣٠٠ هـ / ... — ١٨٨٢ م) ظ كتب الضاد والطاء ٧٧٦١٩ .

٧١ — رسالة في ذكر امور تتعلق بالضاد والطاء — للمتولي محمد بن احمد بن عبد الله (... — ١٣١٣ هـ / ... — ١٨٩٥ م) مخ ظ كتب الضاد والطاء ٣٠٥٩٠ .

٧٢ — رسالة في الرد على رسالة المرعشي في الضاد — لمحمد بن اسماعيل الازميري (... — ١١٦٠ هـ / ... — ١٧٤٦ م) مخ ظ كتب الضاد والطاء ٧٥٦١٨ .

٧٣ - رسالة في شرح ما يكتب بالياء من الاسماء المقصورة والممدودة - لابن نرسويه ابي محمد عبد الله بن جعفر بن المرزبان (٢٥٨ - ٣٤٧ هـ / ٨٧٢ - ٩٥٨ م) تح المرحوم د : عبدالحسين الفتلي مجلة كلية الآداب (جامعة بغداد) ع ١٧ (... - ١٩٧٣) ١٥٢ - ١٧١ .

٧٤ - رسالة في الضاد - لمجهول في المكتبة التيمورية « بالكتب المصرية » ظ كتب الضاد والطاء ٣٦٥٩٢ .

٧٥ - رسالة في الضاد والطاء - لابي الفتح احمد بن مطرف بن اسحاق القاضي المصري (... - بعد ٤١٣ هـ) ظ كتب الضاد والطاء ٥٧٨ - ٥٧٩ ومشكلة الضاد العربية ٢٢٦٥٢٢٦ .

٧٦ - رسالة في الضاد والطاء - لابي الفتح نصر بن محمد الموصللي (... - ٦٣٠ هـ / ... - ١٢٣٢ م) ظ كتب الضاد والطاء ٩٥٨٠ ومشكلة الضاد العربية ١٩١٣٢ .

٧٧ - رسالة في الضاد وكيفية ادائها - محمد المرعشلي ساجقلي زادة (... - ١١٥٠ هـ / ... - ١٧٢٧ م) مخ ظ كتب الضاد والطاء ٦١٧ - ٧٤٦١٨ .

٧٨ - رسالة في الظاء الواقعة في كتاب الله تعالى - للسماي الانلسي عبد العزيز بن علي محمد بن سلعة (... - ٥٥٩ هـ / ... - ١١٦٣ م) مخ ظ كتب الضاد والطاء ٢٠٥٨٦ .

٧٩ - رسالة في علم الكتابة - لابي حيان النوحدي علي بن محمد بن العباس (... - ٤١٤ هـ / ... - ١٠٢٣ م) نشرها : فرانز روزنتال في مجلة الفنون الاسلامية (جامعة مشيفان) مخ ١٣ - ١٤ (... - ١٩٤٨) ١٠ - ٣٠ . ونشرها د : ابراهيم الكيلاني ضمن (ثلاث رسائل لابي حيان التوميدي) دمشق ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، ١٩٥١ .

ظ النثر الفني عند ابي حيان التوحدي د : نائز طه عمر ص ٢٢٨ وقد نشرها د : ابراهيم الكيلاني ضمن (ثلاث رسائل لابي حيان التوحدي) وفي كتابه (رسائل ابي حيان التوحدي) .

٨٠ - رسالة في الفرق بين الضاد والطاء - ط بن صالح الراوي (١٣٦٥ - ١٩٤٦ م) مخ ظ كتب الضاد والطاء ٢٢٥٩١ .

٨١ - رسالة في الفرق بين الضاد والطاء - محمد رضا بن هادي بن عباس كاشف الغطاء (... - ١٣٦٧ هـ / ... - ١٩٤٧ م) مجلة / المرشد (بغداد) س ٤ (١٩٢٨ - ١٩٢٩) ظ كتب الضاد والطاء ٣٣٥٩١ .

٨٢ - رسالة في الفرق بين الضاد والطاء - لمجهول مخ في مكتبة الازهر ، القاهرة ظ كتب الضاد والطاء ٣٧٥٩٢

٨٣ - رسالة في الكتابة العربية المنقحة - الاب انستاس ماري الكرمللي ، بغداد ١٩٣٥ م .

٨٤ - رسالتان في صناعة المخطوط العربي - تح : برون بدري توفيق . المورد (بغداد) ع ٤ ، مج ١٤ (١٤٠٦ - ١٩٨٥) ٢٦٧ - ٢٨٦ .

٨٥ - رسم الاصوات العربية بالحروف اللاتينية - اللجنة الاردنية للتصريب والترجمة للسان العربي (الرباط) ج ١ ، مخ ١٢ (... - ١٩٧٥) ١١٤ - ١١٥ .

٨٦ - رسم القرآن - محمد بن جابر الفسائي المكناسي (... - ٨٢٧ هـ / ... - ١٤٢٤ م) ظ معجم مصنفات القرآن الكريم ٢٨٢ / ٣ ٢٤٠٣٢٨٢ .

٨٧ - رسم القرآن - لمحمد بن عيسى بن ابراهيم بن رزين التيمي الاصفهاني (... - ٢٥٣ هـ / ... - ٨٦٧ م) ظ معجم مصنفات القرآن الكريم ٢٨٢ / ٣ ٢٤٠٤٢٨٢ .

٨٨ - رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية - د : غانم قدوري احمد ، ط - ١ ، بغداد اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس الهجري ، ١٤٠٢ - ١٩٨٢ ، ٨٢٢ ص .

٨٩ - رسم المصحف ونقطه - عبد الحي حسين الفرماوي . ٩٠ - رسم نموذجي بخط الرقعة لمشروع اصلاح الطباعة العربية - احمد الاخضر غزال اللسان العربي (الرباط) ج ١ ، مخ ٩ (... - ١٩٧٢) ٢١٨ .

٩١ - الروضة في الفرق بين الضاد والطاء - لمحمد بن الحسن (٩) مخ . ظ كتب الضاد والطاء ٢٩٥٩٠ .

— ز —

٩٢ - الزخارف الكتابية في الفن الاسلامي - زكي محمد حسن (... - ١٣٧٦ هـ / ... - ١٩٥٧ م) الكتاب (القاهرة) ع ١ (... - ١٩٤٦) ٢٧٧ - ٢٨٦ .

٩٣ - زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والطاء - لابن الانباري كمال الدين ابي البركات عبد الرحمن بن محمد (٥١٣ - ٥٧٧ هـ / ١١١٩ - ١١٨١ م) تح د : رمضان عبد القواب ، بيروت ، دار الامانة ... - ١٩٧١ ، ١٣٤ ص

ظ كتب الضاد والطاء ٥٨٦ - ٢١٥٨٧ ومشكلة الضاد العربية ١٦٢٣١ .

— س —

٩٤ - كتاب سراج الكتبة شرح تحفة الاحبة في رسم الحروف العربية - طمطموم مصطفى المالكي ، بولاق ، المطبعة الكبرى ،

٩٤ - كتاب سراج الكتبة شرح تحفة الاحبة في رسم الحروف العربية - طمطموم مصطفى المالكي ، بولاق ، المطبعة الكبرى ،

٩٤ - كتاب سراج الكتبة شرح تحفة الاحبة في رسم الحروف العربية - طمطموم مصطفى المالكي ، بولاق ، المطبعة الكبرى ،

٩٤ - كتاب سراج الكتبة شرح تحفة الاحبة في رسم الحروف العربية - طمطموم مصطفى المالكي ، بولاق ، المطبعة الكبرى ،

٩٤ - كتاب سراج الكتبة شرح تحفة الاحبة في رسم الحروف العربية - طمطموم مصطفى المالكي ، بولاق ، المطبعة الكبرى ،

٩٤ - كتاب سراج الكتبة شرح تحفة الاحبة في رسم الحروف العربية - طمطموم مصطفى المالكي ، بولاق ، المطبعة الكبرى ،

النحو (ط - ١) ج ١٧ / ٦٠

— ص —

١٠٦ — صبح لإعشى في صناعة الانشا — للقلقشندي
شهاب الدين ابي العباس احمد بن علي بن احمد القاهري
(٧٥٦ — ٨٢١ هـ / ١٣٥٥ — ١٤١٨ م) طبع ظ كتب
الضاد والطاء ٥٩٣ ر. ٤٠

١٠٧ — صفة الكتابة في عهد الرسول والصحابة — محمد حميد
الله . المنهل (الرياض) ع ٢٥٠ ، ٢٧٠ (١٣٨٤ — ...)
١٣٩ — ١٤٧ .

١٠٨ — صفحة من مخطوطة (automata) — هولس (هـ)
نشرة متحف كليفلاند للفن مع ٢٢ (١٩٤٦) ٨٥ — ٨٧ .
١٠٩ — صناعة الاحبار والليق والاصباغ فصول من
مخطوطة قطف الازهار للمغربي تح : برون بدري توفيق .
المورد (بغداد) ع ٣ ، مخ ١٢ (١٤٠٣ — ١٩٨٣)
٢٥١ — ٢٧٨ .

١١٠ — صناعة الكتاب — لابن النحاس ابي جعفر احمد بن
محمد بن اسماعيل المرادي المصري (... — ٣٣٨ هـ /
... — ٩٥٠ م) ظ .

نصوص اخرى من كتاب صناعة الكتاب — للنحاس
(١) جمع د : احمد خطاب عمر (المورد) ع ٢ ، مخ ٢
(١٣٩٤ — ١٩٧٤) ٣٢٧ — ٣٢٨ .

نصوص باقية من صناعة الكتاب — للنحاس (١)
جمعا وعلق عليها وشرحها د : احمد نصيف الجنابي المورد
(بغداد) ع ٤ ، مخ ٢ (١٣٩٣ — ١٩٧٣) ١٨٥ —
٢٠٨ .

١١١ — صناعة الورق والحبر والاقلام والمحابر وتجليد
الكتب — المرحوم د : ناجي معروف . الاقلام (بغداد) ع ٥ ،
س ٥ (... — ١٩٦٩) ٤٧ — ٧١ .

— ض —

١١٢ — الضاد والطاء — للقزاز القيرواني ابي عبد الله
محمد بن جعفر التميمي (... — ٤١٢ هـ) — ظ القزاز
القيرواني حياته وآثاره — للمنجي الكعبي ٧٢ — ٧٣ ظ
كتب الضاد والطاء ٣٥٧٨ ر ومشكلة الضاد العربية
٢٢٦ — ٢٢٧ .

١١٣ — الضاد والطاء — لابي القاسم مرجى بن كوثر

١٣١١ هـ — ... ، ٧٨ ص .

٩٥ — سوريا ، القسم الرابع : الخطوط السامية ، الفصل الرابع .

الخطوط العربية لثمان (اينو) ليدن ، ١٩٤٩ .

٩٦ — السيف المسلول على من ينكر المنقول — لابي بكر بن
محمد بن الحاج بكر البرسوي (... — ١١٨٧ هـ / ... —
١٧٧٣ م) مخ ظ كتب الضاد والطاء ٦١٨ — ٧٦٩ ر .
— ش —

٩٧ — شاه خليل الله خوشناوس قاعة عادل شاه الملكية
للخطوط (بالانجليزية) ناصر احمد . الثقافة الاسلامية مع ٤٤
(١٩٧٠) ٣٥ — ٥٥ .

٩٨ — الشاه محمود النيسابوري خطاط ومذهب — عيسى
سلمان . سومر (بغداد) ج ٢ ، مخ ٢٢ (... — ١٩٧٧) ١٠٤ — ١١١ .
٩٩ — شرح ابن الوحيد على رائية ابن البواب — لابن الوحيد
محمد بن شريف بن يوسف الاديب الناظم (٦٤٧ — ٧١١ هـ /
١٢٤٩ — ١٣١١ م) تح الاستاذ : هلال ناجي ، ط - ١ ،
تونس ، مطبعة المنار ... — ١٩٦٧ ، ٢٤ ص .

١٠٠ — شرح ثلاثة ابيات في ما وقع في كتاب الله تعالى من
الطاء وما سواه من الضاد — لسليمان بن ابي القاسم السرتوسي
التميمي (ت ٩) مخ . ظ كتب الضاد والطاء ٦١٢ ر ٦٤٤ .
١٠١ — شرح قصيدة الحريري في الطاء للسيد جعفر الاعرجي .
١٠٢ — شرح قصيدة في الطاءات — للشذيني العبادي ابي
الحسن علي بن سالم بن محمد (... — قبل ٦٤٦ هـ / ... —
١٢٤٨ م) ظ كتب الطاء والطاء ٦٠٣ ر ٥٣٢ .

١٠٣ — شرح ما يكتب بالياء من الاسماء المقصورة والافعال —
لابن درستويه ابي محمد عبد الله بن جعفر (٢٥٨ — ٣٤٧ هـ /
٨٧٢ — ٩٥٨ م) ظ ابن درستويه للدكتور عبد الله الجبوري
٧١ — ٧٢ ر ٤٧٠ . ونشر بتحقيق د . محمد بدري المختون في
مجلة معهد المخطوطات العربية (القاهرة) ج ٢ ، مخ ٢٢
(١٣٩٧ — ١٩٧٧) ٤٩ — ٩٦ ونشر بتحقيق المرحوم د :
عبد الحسين الفتلي ظ رسالة في شرح ما يكتب بالياء من
الاسماء المقصورة والممدونة .

١٠٤ — شرح المنظومة المستطابة في علم الكتابة — لابن
البصيص وابن الوحيد . تح الاستاذ : هلال ناجي المورد (بغداد)
ع ٤ ، مخ ١٥ (١٤٠٧ — ١٩٨٦) ٢٥٩ — ٢٧٠ .

١٠٥ — والشكل والنقط — لابن السراج ابي بكر محمد بن السراج
الدحوي البغدادي (... — ٣١٦ هـ) ظ مقدمة الاصول في

المعري المقرئ النحو (... - حيا قبل ٤٤٩ هـ / ... -
١٠٥٧ م) ظ كتب الضاد والطاء ٥٧٩ ر و مشكلة الضاد
العربية ٧٢٢٧ .

١١٤ - كتاب الضاد والطاء - لابي البركات محمد بن محمد بن
الحسين بن ابي حفص النحوي (... - ٦١٨ هـ / ... -
١٢٢١ م) ظ كتب الضاد والطاء ٥٨٠ ر .

١١٥ - كتاب الضاد والطاء - لابي بكر احمد بن ابراهيم بن ابي
عاصم اللؤلؤي (٢١٨ / - ٩٣٠ م) ظ كتب الضاد والطاء
٥٧٧ - ١٥٧٨ ر ظ مشكلة الضاد العربية ٢٢٥ - ١٢٢٦ ر .
١١٦ - كتاب الضاد والطاء - لابن القفطي جمال الدين ابي
الحسن علي بن يوسف الشيباني (٥٦٨ - ٦٤٦ هـ /
١١٧٢ - ١٢٤٨ م) ظ كتب الضاد والطاء ١١٥٨١ ر
ومشكلة الضاد العربية ٢١٢٣٢ .

١١٧ - كتاب الضاد والطاء - لابي الفرج محمد بن عبيد الله بن
سهيل النحوي (ت حوالي ٤٥٠ هـ) تح المرحوم د :
عبد الحسين محمد الفتلي . المورد (بغداد) ع ٢ ، مج ٨
(١٢٩٩ - ١٩٧٩) ٢٨٥ - ٣٢٢ ظ كتب الضاد والطاء
٥٨٢ - ١٤٥٨٣ .

١١٨ - كتاب الضاد والطاء والذال والصاد - لابي الفهد
النحوي البصري (... - ٣٢٠ / - ٩٣٢ م) ظ كتب الضاد
والطاء ٥٧٨ ر .

١١٩ - ضبط الكتابة العربية - محمود تيمور ، القاهرة ، مطبعة
الاستقامة ، ... - ١٩٥١ ، ٤٧ ص ونشر فيما بعد في مجلة
مجمع اللغة العربية (القاهرة) ج ٨ (... - ١٩٥٥) ٣٥٠ - ٣٦١ .

١٢٠ - ضوابط ظاءات القرآن - لابن مالك جمال الدين ابي
عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك (٦٠٠ - ٦٧٢ هـ /
١٢٠٤ - ١٢٧٤ م) ظ كتب الضاد والطاء ٦٠٨ ر ٥٨ .

— ط —

١٢١ - طباعة اللغة العربية بالحروف اللاتينية - ابراهيم
حمودي الملا موسى ، بغداد ، مطبعة الاهرام ، ... - ١٩٥٦
١٢٢ - طريقة جديدة لنقل الحروف العربية - باكستون مجلة
كلية الآداب (جامعة القاهرة) ع ٤ ، مج ٢ (... - ١٩٣٦)
١٣١ - ١٣٦ .

١٢٣ - طريقة لكتابة نصوص اللهجات العربية الحديثة بحروف
عربية - خليل عساكر مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة) ع ٨
(... - ١٩٥٥) ١٨١ - ١٩٢ .

١٢٤ - الطفرا (مادة) دائرة المعارف الاسلامية .
١٢٥ - الطفرا في العهد السلجوقي (بالفرنسية) - كلود
كاهن المحلة الاسيوية مج ٢٣٤ (١٩٤٧) ١٦٧ - ١٧٢ .

— ظ —

١٢٦ - الظاء والضاد والذال والسين والصاد - لابي الفهد
النحوي البصري (القرن الرابع الهجري) ظ مشكلة الضاد
العربية ٢٢٢٦ ر .

١٢٧ - الظاءات في القرآن الكريم - لابي عمرو الداني (ابن
الصيرفي) عثمان بن سعيد بن عثمان (٣٧١ - ٤٤٤ هـ /
٩٨١ - ١٠٥٢ م) تح د : علي حسين البواب .

١٢٨ - ظاءات القرآن - للسرتوسي ابي الربيع سليمان بن
عبد الرحمن تح د : حاتم صالح الضامن . مجلة المجمع العلمي
العراقي (بغداد) ج ١ ، مج ٤٠ (١٩٨٩ - ١٤٠٩)
٢٥٥ - ٢٧٣ .

١٢٩ - ظاءات القرآن الكريم - لابي العباس احمد بن عمار
المثنى (... - ٤٤٠ هـ / ... - ١٠٤٨ م) شرح ابي الطاهر
اسماعيل بن احمد التجيبي البرقي .

١٣٠ - ظاءات القرآن (الكريم) واختلافهم فيها - لابي
عبد الله محمد بن ابراهيم بن رضي الجزري (... - ٧٣٩ هـ /
... - ١٢٣٩ م) ظ كتب الضاد والطاء ٦٠٩ ر ٦٠ .

١٣١ - ظهور الخط العربي الشمالي وتطور خط المصحف مع
وصف تام للمخطوطات القرآنية في المعهد الشرقي - جفري ،
شيكاغو ، ١٩٣٩ ، ٢٢ + ١٠٣ ص + ٣٣ لوحات .

— ع —

١٣٢ - العالم الاسلامي (بالانجليزية) - جفري ، ١٩٤٠ ،
١٩١ - ١٩٨ .

١٣٣ - عبقرية العرب في خطوطهم - عقل القمري . الدوحة ع
٩٥ (... - ١٩٨٣) ١١٦ - ١٢٣ .

١٣٤ - عقيلة اتراب القصائد في اسنى المقاصد في رسم
القرآن - وهي منظومة رائعة لكتاب المقطع لابي عمرو الداني
(ابن الصيرفي) عثمان بن سعيد بن عثمان (٣٧١ -
٤٤٤ هـ / ٩٨١ - ١٠٥٢ م) مخ ظ معجم مصنفات القرآن
الكريم ٣ / ٢٨٣ - ٢٤٠٧ .

١٣٥ - علاقة الخط السرياني السطر نجيلي بالخط العربي
الكوفي - برصوم يوسف ايوب ، المجلة العربية ع ١٠ - ١١ ، ص

٢ (١٣٩٨ - ...) ٢٢٣ - ٢٢٨ .

١٣٦ - العمدة ، رسالة في الخط والقلم - للهيتي عبد الله بن علي (... - ٨٩١ هـ) تح الاستاذ : هلال ناجي ، بغداد ، مطبعة المعارف ، ... - ١٩٧٠ م ، ٢٦ ص .

١٣٧ - عمدة القراء وعدة الاقراء في الفرق بين ظاءات القرآن المجيد قصيدة في الفرق بين ظاءات القرآن وضاداته - لابن الفصيح عبد الله بن احمد بن علي الكوفي (... - ٧٤٥ هـ / ... - ١٣٤٤ م) مخ - كتب الضاد والطاء ٦١٠ - ٦٢٦١١ ومشكلة الضاد العربية ٢٣٤ - ٢٤٢٣٥ .

١٣٨ - عمدة الكتاب - لابن النحاس ابي جعفر احمد بن محمد ابن اسماعيل المرادي المصري (... - ٣٣٨ هـ / ... - ٩٥٠ م)

١٣٩ - عمدة الكتاب وعدة نوي الالباب - ألف للمعز بن باديس ابن المنصور الصنهاجي (... - ٤٥٤ هـ) تح : عبد الستار الحلوجي وعلي عبد المحسن زكي مجلة معهد المخطوطات العربية (القاهرة) ج ١ (... - ١٩٧١) ٤٥ - ١٧٢ .

١٤٠ - العناية الربانية في الطريقة الشعبانية - للثاري زين الدين شعبان بن محمد بن داود الموصلي القرشي (٧٦٥ - ٨٢٨ هـ / ١٣٦٤ - ١٤٢٥ م) تح الاستاذ : هلال ناجي . المورد (بغداد) ع ٢ ، مخ ٨ (١٣٩٩ - ١٩٧٩) ٢٢١ - ٢٨٤ .

١٤١ - عنوان الدليل في موسوم خط التنزيل - لابن البناء المراكشي العددي ابي العباس احمد بن محمد بن عثمان الازدي (٦٥٤ - ٧٢١ هـ / ١٢٥٦ - ١٣٢١ م) حققته وقدمت له د : هند شلبي ، ط - ١ ، بيروت ، دار الغرب الاسلامي للنشر والتوزيع والطباعة ، ... - ١٩٩٠ ، ١٦٠ ص .

١٤٢ - عودة الى تيسير الطباعة العربية - البشير بن سلامة . الفكر (تونس) ع ٩ ، س ١٣ (... - ١٩٦٨) ٨١٢ - ٨١٦ .

— غ —

١٤٣ - غاية المراد في معرفة اخراج الضاد - لابن النجار محمد بن احمد بن داود الشافعي (... - ٨٧٠ هـ / ... - ١٤٦٦ م) مخ - كتب الضاد والطاء ٧٠٦١٤ .

١٤٤ - الفنية في الضاد والطاء - لابن الدهان تاج الدين ابي محمد سعيد بن المبارك بن علي البغدادي النحوي (٤٩٤ - ٥٦٩ هـ / ١١٠١ - ١١٧٤ م) مخ - كتب الضاد والطاء

٧٥٨٠ ومشكلة الضاد العربية ١٥٢٢١ .

— ف —

١٤٥ - فائت نظائر الظاء والضاد - د : حاتم صالح الضامن من مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد) ج ٤ ، مج ٣١ (١٤٠٠ - ١٩٨٠) ٣٦٢ - ٣٧٤ .

١٤٦ - الفرق بين الحروف الخمسة (وهي : الظاء والضاد والذال والصاد والسين) لابن السيد البطليوسي ابي محمد عبد الله بن محمد بن السيد الاندلسي النحوي اللغوي (٤٤٤ - ٥٢١ هـ / ١٠٥٢ - ١١٢٧ م) تح د : علي زوين ، ط - ١ ، بغداد وزارة الاوقاف والشؤون الدينية ، مطبعة المعاني ، ... - ١٩٨٥ (الايداع) ٩٧٦ ص . سلسلة احياء التراث الاسلامي . اصل الكتاب جزء من رسالة ماجستير قدمت الى كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ... - ١٩٧٦ مخ - مشكلة الضاد العربية ٢٢٨ - ١١٢٢٩

..... دراسة وتحقيق عبد الله الناصر ، ط - ١ ، دمشق ، دار المأمون للتراث ، ١٤٠٤ - ١٩٨٤ ، ٧٤٣ ص .

١٤٧ - الفرق بين الضاد والطاء - لابن حيان الاندلسي اثير الدين محمد بن يوسف بن علي الغرناطي (٦٥٤ - ٧٤٥ هـ / ١٢٥٦ - ١٣٤٤ م) تح الشيخ محمد حسن آل ياسين ، بغداد ، مطبعة المعارف ، ... - ١٩٦١ ، ١٨٤ ص ضمن : رسالتان في الفرق بين الضاد والطاء .

١٤٨ - الفرق بين الضاد والطاء - للحريري ابي محمد القاسم ابن علي بن محمد البصري (... - ٥١٦ هـ / ... - ١١٢٢ م) نشره : توريكة ، ليبسك ، ١٨٧١ م حققه المرحوم د : محمد جبار المعبيد وهو معد للنشر مخ - كتب الضاد والطاء ٥٨٥٠٨٥ ومشكلة الضاد العربية ١٠٢٢٨ .

١٤٩ - الفرق بين الضاد والطاء - للحميري احمد بن محمد (... - ٦١٠ هـ) تح الشيخ محمد حسن آل ياسين ، بغداد ، مطبعة المعارف ، ... - ١٩٦١ ، ١٨٤ ص ضمن : رسالتان في الفرق بين الضاد والطاء .

١٥٠ - الفرق بين الضاد والطاء - للصاحب بن عباد ابي القاسم اسماعيل بن عباد بن العباس الكاتب الوزير (٣٢٦ - ٣٨٥ هـ / ٩٣٧ - ١٩٩٥ م) تح الشيخ محمد حسن آل ياسين ، بغداد ، مطبعة المعارف ، ... - ١٩٥٨ ، ٥٥ ص و

ط ٢ في بغداد عام ١٩٦١ مخ - كتب الضاد والطاء ٥٨١ - ١٣٥٨٢ . ومشكلة الضاد العربية ٢٢٦٤ .

١٥١ - الفرق بين الضاد والطاء - لغلام ثعلب ابي عمر محمد

١٦١ - فلسفة الحركات في اللغة العربية - احمد الاخضر
غزال . اللسان العربي (الرباط) ج ١ ، مج ١٠ (...)
(١٩٧٢) ٦٦ - ٧١ .

١٦٢ - الفن الاسلامي : اصوله ، فلسفته ، مدارسه - ابو صالح
الافلي ، ط ٢ ، القاهرة ، دار المعارف ، د . ت .

١٦٣ - فن الخط العربي - كامل ابراهيم . فكر وفن ع ٢٨
(... - ١٩٨٣) ١٠٠ .

١٦٤ - فن الخط العربي رمز الاصاله ولبيل الحيوية - يوسف
ذنون الجامعة « الموصل » ع ٨ ، س ١ (... - ١٩٧١) ٤٣ -
٤٨ .

١٦٥ - فن الخط العربي : نماذج من الخط الثلث والنسخ
والفارسي والرقعة والديواني . سيد ابراهيم ، جنة ، شركة المدنية
للطباعة والنشر ، د . ت ، ٨٠ ص .

١٦٦ - فن الكتابة في الادب العربي - د : نعمات احمد فواد
مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة) ع ٢٧ (... - ١٩٧٦) ٩٠ - ١٠١ .

١٦٧ - فن الوراقة خلال العصر العباسي (بالانجليزية) -
احمد ميان اختر . مجلة / الثقافة الاسلامية مج ٩ (١٩٢٥)
١٣١ - ١٤٣ .

ونشر في اعمال المؤتمر الشرقي السابع لمعوم الهند ،
١٩٣٥ ، ١٠٢٧ - ١٠٤١ .

١٦٨ - الفوائد اللطيفة والطريقة في رسوم المصاحف
العثمانية - تاليف : حسين بن علي الاماسي امام جامع
السلطان محمد الفاتح اتمها سنة ١٠٦٤ هـ (مخ) طه معجم
مصنفات القرآن الكريم ٢ / ٢٨٣ - ٢٤٠٨٢٨٤ .

١٦٩ - في الاصوات الاجنبية والدلالة عليها بعلامات في
الكتابة العربية - محمد شوقي أمين في كتاب المنظمة العربية
للتربية والثقافة والعلوم ، اللجنة الفنية لدراسة احرف الطباعة
العربية ، القاهرة ، ... - ١٩٧٣ م ، ١٤٢ - ١٤٣ .

١٧٠ - في تيسير الاملاء والالف اللينة - مجمع اللغة العربية
« القاهرة » ع ١٦ (... - ١٩٦٣) ٨٧ - ٩٠ .

١٧١ - في ذكرى الاستاذ (الخطاط) هاشم محمد
البغدادي - صادق النوري التربية الاسلامية (بغداد) ع ١٠ -
١٦ (١٣٩٤ - ٠٠٠) ٥٩ - ٦١ .

١٧٢ - في رسم اصوات الحروف العربية باللغات الاوربية -
جميل الملاثة مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد) مج ٢٩
(١٣٩٨ - ١٩٧٨) ٢٩٠ - ٢٩٢ .

١٧٣ - في سبيل تيسير العربية وتحديثها - فؤاد حنا ترزي ،

ابن عبد الواحد بن ابي هاشم (... - ٢٤٥ هـ) طه مشكلة
الضاد العربية ٢٢٢٦ .

١٥٢ - الفرق بين الضاد والظاء - لابي الحسن علي بن ابي
الفرج بن احمد القيسي الصقلي القاضي مخ طه مشكلة الضاد
العربية ٢٢٢٧٨ .

١٥٣ - الفرق بين الضاد والظاء - لابن حميدة النحوي ابي
عبد الله محمد بن علي بن احمد الحلبي (... - ٥٥٠ هـ /
... - ١١٥٥ م) طه كتب الضاد والظاء ٦٥٧٩ ومشكلة
الضاد العربية ٢٢٢٩١٢ .

١٥٤ - الفرق بين الضاد والظاء - محمد بن نشوان بن سعيد
الحميري (... - ٦١٠ هـ) طه مشكلة الضاد العربية
١٧٢٣١١٧ نشر بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، بغداد
١٩٦١ م .

١٥٥ - الفرق بين الضاد والظاء - لابي سعيد نشوان بن سعيد
الحميري (... - ٥٧٢ هـ /) تح الشيخ : محمد حسن آل
ياسين .

١٥٦ - الفرق بين الظاء والضاد - لابي القاسم سعد بن علي
ابن محمد الزنجاني (٣٨٠ - ٤٧١ هـ) (١) تح ودراسة
المرحوم د : موسى بناي العللي ، ط ١ ، بغداد ، مطبعة وزارة
الاعواق والشؤون الدينية ، ١٤٠٣ - ١٩٨٣ ، ٥٣ ص
(ب) تح : محمد سعيد مولوي ، ط ١ ، ديم ، منشورات مركز
جمعة الماجد للثقافة والتراث العربي بيروت ، طبع دار الفكر
المعاصر ، ... - ١٩٩١ ، ٢٠٨ ص .

١٥٧ - الفرق بين الظاء والضاد - لمجهول مخ في المكتبة
الوطنية في باريس طه كتب الضاد والظاء ٣٨٥٩١٢٨ .

١٥٨ - الفرق بين الضاد والظاء في كتاب الله عز وجل وفي
المشهور من الكلام - لابي عمرو الداني (ابن الصيرفي) عثمان
ابن سعيد بن عثمان (٣٧١ - ٤٤٤ هـ / ٩٨١ -
١٠٥٢ م) تح د : احمد كشك ، القاهرة ، ... - ١٩٨٩ ، ١٥٦ ص .

١٥٩ - فصل القضاء في الفرق بين الضاد والظاء - لاحمد عزت
ابن رشيد البغدادي (١٣٥٥ هـ - ١١٣٦ م) ، بغداد ،
مطبعة الشايندر ، (١٣٢٨ - ١٩١٠) ١٦٨ ص طه كتب
الضاد والظاء ٣١٥٩١٣١٠ .

١٦٠ - فلسطين موطن ولادة فن الخط العربي - يوسف ذنون .
المجلة العربية للثقافة ع ١ ، س ٢ (... - ١٩٨٢) ١١٧ -
١٢٣ .

بيروت ، ... — ١٩٧٣ ، ١٥٢ ص .

١٧٤ — في الضاد والطاء — خليل بنيان الحسون . الأستاذ (بغداد / اصدار جديد) ع ٤ (... — ١٩٨٢) ٣ — ٣٦ .
١٧٥ — في مجال التطبيق العملي لاختصار صور الحروف الطباعية ، ١ — طريقة جمع اللغة العربية ٢ — طريقة الأستاذ احمد الاخضر غزال — محمد شوقي امين في كتاب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، اللجنة الفنية لدراسة احرف الطباعة العربية ، القاهرة ، ... — ١٩٧٣ ، ١٣٨ — ١٤١ .
— ق —

١٧٦ — قديم وجديد في أصل الخط العربي وتطوره في عصوره المختلفة — يوسف ذنون . المورد (بغداد) ع ٤ ، مج ١٥ (٢١٤٠٧ — ١٩٨٦) ٧ — ٢٦ .
١٧٧ — ترآن باي — سونغوري ومصيره — يحيى زوكا . مجلة المعهد الاقليمي الثقافي (ايران ، باكستان ، تركيا) مج ٢ (... — ١٩٦٩) ٩٦ — ١٠٢ .

١٧٨ — قصة النقط والشكل في المصحف الشريف — تاليف : عبد الحي حسين الفرماوي القاهرة ، دار النهضة العربية ، ب ت ، ١٢٢ ص .
١٧٩ — قصيدة الطاء والضاد — لابي عبد الله محمد بن احمد ابن علي بن جابر الهواري الاندلسي الضريز (٦٩٨ — ٧٨٠ هـ) تح د : علي حسين البواب المورد (بغداد) ع ٢ ، مج ٢٢ (١٤١٥ — ١٩٩٤) ٤٤ — ٥٠ .
١٨٠ — قصيدة في الالفاظ التي تكتب بالضاد — لابي نصر عيسى بن مواهب (... — ٧٠٧ هـ حيا) .

١٨١ — قصيدة في الطاءات — لابي الحسن علي بن سالم ابن محمد العبادي الشنيني (٩) ظ مشكلة الضاد العربية ٢٩٢٣٦ .
١٨٢ — قصيدة في الفرق بين الضاد والطاء — لابن مالك جمال الدين ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك (٦٠٠ — ٦٧٢ هـ / ١٢٠٤ — ١٢٧٤ م) مخ ظ كتب الضاد والطاء ٥٩٦٠٨ .
١٨٣ — قصيدة في الفرق بين الضاد والطاء في القرآن الكريم — لعلي بن ابي محمد بن ابي سعد بن ابي الحسن الواسطي (٩ ت) مخ ظ كتب الضاد والطاء ٦٦٦١٣ .

١٨٤ — قصيدة في الفرق بين الطاء والضاد — علي بن عبد الله بن المبارك المروزي (... — ٥١٩ هـ / ... — ١١٢٥ م) مخ ظ . كتب الضاد والطاء ٦٠١ — ٥١٦٠٢ .

١٨٥ — قصيدة في الفرق بين الطاء والضاد — لشميم الحلبي .
١٨٦ — قصيدة في الفرق بين طاءات القرآن وضاداته ظ عمدة القراء وعدة الاقراء

١٨٧ — قصيدة فيما يقال بالطاء المعجمة — لابن الجواليقي ابي منصور موهوب بن احمد بن محمد (٤٦٩ — ٥٤٠ هـ / ١٠٧٣ — ١١٤٥ م) مخ ظ كتب الضاد والطاء ٤٧٥٩٧ .
١٨٨ — قواعد الاملاء — عبد السلام محمد هارون ، ط ٣ ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ... — ١٩٧٦ ، ٨٠ ص .
١٨٩ — قواعد خط الرقعة — يوسف ذنون ، ط ٢ ، بغداد ، اوفست الزهراء الحديثة ... — ١٩٨٢ ، ٢٠ ص .
١٩٠ — قواعد الخط الديواني — يوسف ذنون ، بغداد ، دار الحرية للطباعة ، ... — ١٩٧٨ ، ١٤ ص (سلسلة الخط الجديد — ٢) .

١٩١ — قواعد الخط العربي — مجموعة خطية لانواع الخطوط العربية — المرحوم هاشم محمد البغدادي الخطاط ، بيروت ، دار القلم ، ... — ١٩٨٠ ، ٧٥ ص .
١٩٢ — قيمة الخط العربي لتأسيس فن النقش المجرد — لويس ماسينيون . مجلة مجمع اللغة العربية « القاهرة » ج ١٢ (... — ١٩٦٠) ١٠٣ — ١٠٤ .

— ك —

١٩٣ — الكتاب العربي المخطوط الى القرن العاشر — صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، معهد المخطوطات العربية ، ... — ١٩٦٠ .

١٩٤ — الكتاب العربي مخطوطاً ومطبوعاً : تاريخه وتطوره حتى مطلع القرن العشرين . محمد ماهر حمادة ، الرياض ، دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠٤ — ١٩٨٤ ، ٣١٥ ص .

١٩٥ — كتاب في الخط وعلومه ووصف آدابه واقلامه — لابن العديم كمال الدين ابي القاسم عمر بن احمد بن هبة الله العقيلي الحلبي المؤرخ (٥٨٦ — ٦٦٠ هـ / ١١٩١ — ١٢٦٢ م) .

١٩٦ — كتاب في الضاد والطاء — لابي بكر احمد بن ابراهيم بن ابي عاصم اللؤلؤي النحوي (... — ٣١٨ هـ)

١٩٧ — كتاب في الضاد والطاء — لابي البركات محمد بن محمد ابن الحسين الشهرستاني .

١٩٨ — كتاب في الفرق بين رسم المصحف ورسم القواعد الاملائية — محمد عادل عبد السلام الشريف الحسيني الخليلي ، عمان ، دار الفقه والحديث .

١٩٩ — كتاب في الفرق بين الضاد والطاء — لابن مالك جمال الدين ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك (٦٠٠ — ٦٧٢ هـ / ١٢٠٤ — ١٢٧٤ م) ظ مشكلة الضاد العربية ٢٢٢٢٣ .

٢٠٠ - كتاب في معرفة الضاد والظاء - لابي الحسن علي بن ابي الفرج الصقلي تح د : حاتم صالح الضامن مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد) ج ٢ - ٣ ، مج ٢٣ (١٤٠٢ - ١٩٨٢) ٢٨٦ - ٤١٤ ظ كتب الضاد والظاء ١٥٥٨٣ .

٢٠١ - كتاب الكتاب - لابن درستوريه ابي محمد عبد الله بن جعفر النحوي اللغوي (٢٥٨ - ٣٤٧ هـ / ٨٧٢ - ٩٥٨ م) تح د : محمد بدوي المختون مجلة معهود المخطوطات العربية (القاهرة) ج ٢ ، مج ٢٣ (... - ١٩٧٧) ٤٩ - ٩٦ .

ونشره اولاً لويس شيخو عام ١٩٢١ وطبع في بيروت من قبل المطبعة الكاثوليكية ووقع في ١١٥ ص ظ . بشانه : ابن درستويه للدكتور عبد الله الجبوري ص ٧٤ - ٥٢٧٨ .

٢٠٢ - كتاب الكتاب وصفة النواة والقلم - تاليف : عبد الله بن عبد العزيز البغدادي مؤلف المهنتي بالله الخيفة العباسي (٢١٨ - ٢٥٦ هـ) أو ولده . تح الاستاذ : هلال ناجي المورد (بغداد) ج ٢ ، مخ ٢ (١٣٩٣ - ١٩٧٣) ٤٣ - ٧٨ .

٢٠٣ - الكتابات والخطوط القديمة - تركي عمية الجبوري ، بغداد ، مطبعة بغداد ، ... - ١٩٨٤ ، ١٥٢ ص .

٢٠٤ - كتاب الاعلام الاجنبية بحروف عربية - مجمع اللغة العربية (القاهرة) ، مجلة اللغة العربية (القاهرة) ج ١٦ (... - ١٩٦٣) ٨٣ - ٨٥ .

٢٠٥ - الكتابة العربية - فرانسيسكو غوديرا .

٢٠٦ - الكتابة العربية - مورتيز مادة في : دائرة المعارف الاسلامية مج ١ (١٩١٠) ٣٨١ - ٣٩٣ مج ١٠ صور .

٢٠٧ - الكتابة العربية - منصور فهمي مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق) مج ٢٢ (... - ١٩٦٧) ١٠٤ - ١١٦ .

٢٠٨ - الكتابة العربية - محمد شوقي الامين ، القاهرة ، دار المعارف ، ... - ١٩٦٨ ، ٦٣ ص .

٢٠٩ - الكتابة العربية تاريخ وفكر - محمد بن عبد الله مليباري . الفصيل (الرياض) ج ٣ ، س ١ (... - ١٩٧٧) ١٢٦ - ١٢٩ .

٢١٠ - الكتابة العربية في ازمة - ر . ميني حوليات الجامعة التونسية (تونس) ج ٩ (... - ١٩٧٢) ٢٠١ - ٣٠٧ .

٢١١ - الكتابة العربية القديمة ، تطور الخط الاسلامي المبكر (بالانجليزية) - نبيهة عبود . الفنون الاسلامية (... - ١٩٤١) ٦٥ - ١٠٤ .

٢١٢ - الكتابة العربية القديمة مجموعة من النصوص العربية

من القرن الأول الهجري حتى القرن العاشر - مورتيز (بي) ، القاهرة ، ... - ١٩٠٥ .

٢١٣ - الكتابة العربية واثرها في تكوين المعادلات اللغوية السليمة - محمود اسماعيل صيني مجلة كلية الاداب (جامعة الرياض) مج ٤ ، س ٤ (١٣٩٥ - ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٥ - ١٩٧٦ م) ٢١٥ - ٢٣٦ .

٢١٤ - الكتابة العربية والانوار التي مرت بها - محمد علي مكاي ، في كتاب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم للجنة الفنية لدراسة احرف الطباعة العربية ، القاهرة ... - ١٩٧٣ ، ٥٣ - ٥٩ .

٢١٥ - الكتابة في العراق - الاب انستاس ماري الكرملني . لغة العرب (بغداد) مج ٢ (... - ١٩١٣) ٤٢٥ - ٤٣٤ .

٢١٦ - كتابة قواعد الرسم الهيئة في الهمزات والالف اللينة - عبد الحميد بدران نمياط ، ١٣٣٠ هـ - ... ، ١١١ ص .

٢١٧ - الكتابة المسمارية والحرف العربي : دراسة تاريخية لغوية للنصوص المسمارية المكتشفة في مدينة تريبض الاشورية - عامر سليمان ، الموصل جامعة الموصل ، ... - ١٩٨٢ ، ١٧٤ ص .

٢١٨ - كتابة الهمزة والالف اللينة - ابراهيم مصطفى . مجلة مجمع اللغة العربية و (القاهرة) ج ٢٢ (... - ١٩٦٧) ١١٧ - ١٢٢ .

٢١٩ - كتب الضاد والظاء عند الدارسين العرب - المرحوم د : محمد جبار المعيد مجلة معهد المخطوطات العربية (القاهرة) مج ٢ ، مج ٣ (١٤٠٦ - ١٤٠٧ / ١٩٨٦) ٥٧٥ - ٦٣٤ .

٢٢٠ - كراسة خط الرقعة المعروفة بكراسة صبري - محمد صبري مهدي الهلالي ، بغداد ، ... - ١٩٤٨ .

٢٢١ - كراسة الخط العربي : قواعد خط التعليق - خليل الزهاوي ، ظ - ٣ ، بغداد مكتبة النهضة ، ... - ١٩٨٤ ، ١٠٣ - ١٢٨ ص .

٢٢٢ - كراسة الخط العربي وقواعد التعليق - خليل الزهاوي ، بغداد ، مطبعة اوفسيت المينا ، ... - ١٩٧٧ م ، مج ١ .

٢٢٣ - كراسة الخط العربي مصور خط التعليق - خليل الزهاوي ، بغداد ، مطبعة ثويني - ١٣٨٤ هـ - ... ، ١٤٥ ص .

٢٢٤ - كراسة المشق - لاسماعيل الزهدي - بقلم المرحوم الاستاذ ناجي زين الدين المصرف المورد (بغداد) ج ٣ - ٤ ، مج ١ (١٣٩٢ - ١٩٧٢) ١٤٧ - ١٤٨ .

٢٢٥ - الكشاف الاسلامي ببيرون ظ الخط .

٢٢٦ - كشاف الدوريات العربية ١٨٧٦ - ١٩٨٤ - اعداد :

عبد الجبار عبد الرحمن بغداد، مركز التوثيق الاعلامي للول
الخلوي العربي، بيروت، طبع الدار العربية للموسوعات —
١٩٨٩، ١ — ٤ ج (سلسلة الكشافات، ١٠).
٢٢٧ — كشاف عام للمخطوطات الاسلامية في المكتبة الاهلية
(الوطنية) في باريس.
٢٢٨ — كشف الاسرار في رسم مصاحف الامصار — للسمرقندي
محمد بن محمود بن محمد (— ٧٨٠ هـ) دراسة وتحقيق
الباب الاول والباب الثاني والعشرين — د: حاتم صالح الضامن.
المورد (بغداد) ع ٤، مج ١٥ (١٤٠٧ — ١٩٨٦)
٤١٣ — ٤٣٢ ظ بشأن الكتاب: معجم مصنفات القرآن الكريم
٢٨٤ / ٢٤١٠.
٢٢٩ — كيف تعالج قضية الشكل في الطباعة العربية — محمد شوقي أمين.
٢٣٠ — كيف حلت علامات الخط المسماري — فوزي رشيد آفاق
عربية (بغداد) ع ٤ (١٩٨٢ — ٨٤ — ٨٧).

— ل —

٢٣١ — اللطائف في جمع هجاء المصاحف. لمحمد بن الحسن
ابن يعقوب بن الحسن بن مقسم المطار (— ٣٥٤ هـ / —
٩٦٥ م) — ظ معجم مصنفات القرآن الكريم ٢٨٥ / ٢٤١٢.
٢٣٢ — اللغة العربية والحروف اللاتينية — عبد القادر حمزة
مجلة مجمع اللغة العربية (نمشق) مج ٨ (— ١٩٢٨) ٥٦٧ — ٥٧٣.
٢٣٣ — اللغة العربية ومشاكل الكتابة — البشير بن سلامة،
تونس، الدار التونسية للنشر، — ١٩٧١ م، ٢٠٢ ص.
٢٣٤ — لمحات من الخط العربي — نزار فارس رسالة المكتبة
(عمان) ع ٣، مج ١٦ (— ١٩٨١) ٥ — ١٠.
٢٣٥ — لمحة عن تاريخ الخط العربي أولاً: بالمشرق
الاسلامي — محمد المنوني المناهل (الرباط) ع ٢٤، ص ٩
(— ١٩٨٢) ٢٢٨ — ٢٦٦.
٢٣٦ — ما يقرأ بالضاد المعجمة — لابي الفضل يحيى بن
سلامة الحصكفي (— ٥٥١ هـ / — ١١٥٦ م) مخ. ظ
كتب الضاد والظاء ٨٥٩٧ ومشكلة الضاد العربية ٢٢٩ —
١٣٢٣٠.
٢٣٧ — ما يكتب بالضاد والظاء مع اختلاف المعنى — لابن فهد
المكي يحيى بن عمر بن محمد بن فهد القرشي — ٨٨٥ هـ /
— ١٤٨٠ م) مخ. ظ كتب الضاد والظاء ٨٥٩٠ ومشكلة
الضاد العربية ٢٣٥ / ٢٥٠.
٢٣٨ — ما يكتب بالظاء المعجمة دون الضاد — لابي جعفر

النحوي (ت ٩) مخ. ظ كتب الضاد والظاء ٦١٢ / ٦٥٠.
٢٣٩ — مبدأ ظهور الحروف العربية وتطورها لغاية القرن الأول
الهجري — اسامة ناصر النقشبندى المورد (بغداد) ع ٤، مج
١٥ (١٤٠٧ — ١٩٨٦) ٨٣ — ١٠٢.
٢٤٠ — المثلث لابن السيد البطلليوسي الاندلسي ابي محمد
عبد الله بن محمد بن السيد النحوي (٤٤٤ — ٥٢١ هـ /
١٠٥٢ — ١١٢٧ م) تح ودراسة د: صلاح مهدي علي
الفرطوسي، ط — ١، بغداد، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة
والاعلام، ط — دار الحرية للطباعة، ١٤٠١ — ١٤٠٢ هـ /
١٩٨١ — ١٩٨٢، ١، ٢، ٣، ٥٢٢ ص + ٥٩٣ ص سلسلة
كتب التراث (١١١).
٢٤١ — المجرد للغة الحديث — لابن اللباد الموصلية البغدادي
النحوي موفق الدين ابي محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد
(٥٥٧ — ٦٢٩ هـ) ظ من كتاب المجرد للغة الحديث تح د:
فاطمة حمزة الرازي المورد (بغداد) ع ٢، مج ٨ (١٣٩٩ —
١٩٧٩) ١٢١ — ١٣٦.
٢٤٢ — مجلة دراسات الشرق الاوسط — جب. مجلد ١٧، ص ٢٢٢ — ٢٢٤.
٢٤٣ — محاولة في الخط المغربي — لهوداس ترجمة:
عبد المجيد تركي حوليات الجامعة التونسية (تونس) ع ٣
(— ١٩٦٦) ١٧٥ — ٢١٤.
٢٤٤ — المحكم في نقط المصاحف — لابي عمرو الداني (ابن
الصيرفي) عثمان بن سعيد بن عثمان المقرئ الحافظ
(٣٧١ — ٤٤٤ هـ / ٩٨١ — ١٠٥٢ م) تح د: عزة
حسن، ظ — ١، دمشق، مديرية احياء التراث القديم، وزارة
الثقافة والارشاد القومي، — ١٩٦٠ م، ٣٠٤ ص.
٢٤٥ — محمد صالح الشيخ علي الخطاط الموصلية — يوسف
ذنون. بين النهرين (الموصل)، ع ٣ (— ١٩٧٥)
٢٧٧ — ٢٨٣.
٢٤٦ — محمد المسعود — الخط العربي — بقلم: عماد حليم.
شؤون عربية (بيروت) مج ١١ (— ١٩٨٢) ٢٦٤ —
٢٦٨.
٢٤٧ — مختصر في الفرق بين الضاد والظاء والذال — لابي
عبد الله محمد بن احمد بن مسعود المقرئ (— ٥٠١ هـ /
— ١١٠٨ م) مخ. ظ كتب الضاد والظاء ١٧٥٨٥.
٢٤٨ — مختصر في الفرق بين الضاد والظاء — لمحمد بن
نشوان الحميري (— ٦١٠ هـ / — ١٢١٣ م) تح
الشيخ: محمد حسن آل ياسين، بغداد، — ١٩٦١ ضمن

كتاب (رسالتان في الفرق بين الضاد والظاء) ظ كتب الضاد والظاء ٢٢٥٨٧ .

٢٤٩ - المخطوطات الاسلامية (بالانجليزية) - د . اف -
نشرة متحف متروبوليتان للفن مع ٩ (١٩١٤) ١٥٩ -
١٦٢ .

٢٥٠ - مخطوطات الظاء والضاد في مكتبة المتحف العراقي في
بغداد - د : طه محسن مجلة معهد المخطوطات العربية
(القاهرة) ج ١ ، مع ٢٨ (١٤٠٤ - ١٩٨٤) ٢٩١ -
٣١٠ .

٢٥١ - مخطوطات القرآن (الكريم) الاسلامية الاولى -
المرحوم : ناصر النقشبندي المجلة الاسلامية - ع ٤٦
(١٩٥٨) ١٨ - ٢٨ .

٢٥٢ - مخطوطة ابن البواب الفريدة في مكتبة جستریتی -
رايس (دي . اس) دبلن - ١٩٥٥ م . الفن الاسلامي مع ٢
(... - ١٩٥٧) ٥٦٣ - ٥٦٤ .

٢٥٣ - مخطوطة نادرة عن الخط (بالانجليزية) - ي . ك .
بخاري . الثقافة الاسلامية مع ٢٧ (١٩٦٣) ٩٢ - ٩٩ .
٢٥٤ - المدرسة البغدادية ودورها في تطوير الخط العربي -
وليد الاعظمي دراسات عربية واسلامية (بغداد) ع ١ ، س ١
(... - ١٩٨٢) ١٧٢ - ٢٠٢ .

٢٥٥ - مدرسة الخط العراقية من ابن مقلة الى هاشم
(محمد) البغدادي - المرحوم د : نوري حمودي النائسي المورد
(بغداد) ع ٤ ، مع ١٥ (١٤٠٧ - ١٩٨٦) ٦١ - ٨٢ .
٢٥٦ - مراجعة كتاب (تيسير الكتابة العربية) الذي صدر عن
مجمع اللغة العربية بالقاهرة - انيس فريخة ، الابحاث
(بيروت) ع ١٥ (... - ١٩٦٢) ٩٧ - ١٨ .

٢٥٧ - مراحل البحث في تيسير احرف الطباعة - محمد شوقي
امين في كتاب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
(القاهرة) ١٠٤ - ١١٥ .

٢٥٨ - المراد في كيفية النطق بالضاد - لابي القاسم عيسى
ابن عبد العزيز بن سليمان اللخمي الاسكندراني (... -
٦٢٩ هـ / ... - ١٢٣١ م) ظ كتب الضاد والظاء ٦٩٦١٤
ومشكلة الضاد العربية ٢٣١ - ١٨٢٣٢ .

٢٥٩ - المزهر في علوم اللغة وانواعها - للسيوطي جلال الدين
ابي الفضل عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد المصري
(٨٤٩ - ٩١١ هـ / ١٤٤٥ - ١٥٠٥ م) طبع غير مرة ظ
كتب الضاد والظاء ٤١٥٩٣ .

٢٦٠ - مستقبل الكتابة العربية على ضوء معرفة الحروف
العربية والحروف اللاتينية . احسان محمد جعفر . اللسان العربي
(الرباط) ج ١ ، مع ١٧ (... - ١٩٧٩) ٢٤٤ - ٢٥٣ .
٢٦١ - مشاركة ابن مقلة في الخط العربي الشمالي
(بالانجليزية) نبيهة عبود المجلة الامريكية للغات والاداب
السامية LXI (١٩٣٩) ٧٠ - ٨٣ .

٢٦٢ - مشاهير الخط العربي في تركيا - عباس المزوي .
سومر (بغداد) ج ١ - ٢ ، مع ٣٦ (... - ١٩٨٠)
٢٣٤ - ٣٥٢ .

٢٦٣ - مشاهير الخطاطين في العراق في عهد المماليك -
عباس المزوي سومر (بغداد) مع ٥ (... - ١٩٤٩)
٨٥ - ٩١ .

٢٦٤ - مشروعان جديان لتيسير الكتابة العربية -
صبحي السبكي ويونس عبد الرزاق مجلة مجمع اللغة
العربية (القاهرة) ع ٤٠ (... - ١٩٧٧) ٢٢٧ .

٢٦٥ - مشكلة الضاد العربية وتراث الضاد والظاء -
رمضان عبد التواب مجلة المجمع العلمي العراقي
(بغداد) ، مع ٢١ (١٣٩١ - ١٩٧١) ٢١٤ - ٢٤٠ .

٢٦٦ - المصاحف - عبد الله بن سليمان بن الاشعث
الازدي السجستاني (... - ٣١٦ / ... - ٩٢٩ م)
نشره المستشرق آرثر جفري ، لندن ١٩٣٦ - ١٩٣٧ م
ونشر غير مرة ظ معجم مصنفات القرآن الكريم ٣ /
٢٨٥ - ٢٤١٤٢٨٦ .

٢٦٧ - المصادر التركية لدراسة الخط الاسلامي
(بالانجليزية) - محمد عبد الله خجتي المؤتمر الدولي
الاول للفنون التركية ، انقره ، ١٩٥٩ ، ١٩٦١ ، ٧٧ - ٧٩ .

٢٦٨ - المصباح في الفرق بين الضاد والظاء - لابي
العباس احمد بن حماد بن ابي القاسم الحراني (... - بعد
٦١٨ هـ / ... - ١٢٢١ م) مع ظ كتب الضاد والظاء ٥٢٦٠٢ .

٢٦٩ - المصحف الشريف ، دراسة تاريخية فنية - محمد
عبد العزيز مرزوق مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد)
مع ٢٠ (١٣٩٠ - ١٩٧٠) ٨٨ - ١٣٧ .

٢٧٠ - المصحف الشريف ، دراسة تاريخية فنية - محمد
عبد العزيز مرزوق ط - ١ ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ،
... - ١٩٧٥ ، ١٤٠ ص .

٢٧١ - مصور الخط العربي - المرحوم ناجي زين الدين
المصرف ، ط - ٣ ، بغداد ، مكتبة النهضة ، ... -

٢٨٢ — مقدمة الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد —
لابن مالك جمال الدين ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن
مالك (٦٠٠ — ٦٧٢ هـ / ١٢٠٤ — ١٢٧٤ م) تج
د : طه محسن وحسين تورال .

٢٨٣ — مقدمة زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد
والظاء — لابي البركات بن الانباري تج الاستاذ : رمضان
عبد التواب .

٢٨٤ — مقدمة في كتبة المصاحف وعددها ورسم القرآن —
تأليف ابي عيد رضوان بن محمد بن سليمان المخللاتي
(... — ١٣١١ هـ) مخ ط معجم مصنفات القرآن الكريم
٢ / ٢٤١٧، ٢٨٦ .

٢٨٥ — المقنع في معرفة مرسوم مصاحف اهل الامصار
(والمقنع في رسم مصاحف الامصار) — لابي عمرو الداني
(ابن الصيرفي) عثمان بن سعيد بن عثمان الحافظ (٣٧١ —
٤٤٤ هـ / ٩٨١ — ١٠٥٢ م) نشره برتزل ، استانبول —
١٩٣٢ .

وحقه ثانيا الصالح القمعاوي ، القاهرة ، مكتبة الكليات
الازهرية ١٩٧٨ م .

ونشر باسم : المقنع في معرفة مرسوم مصاحف اهل الامصار
بتحقيق محمد احمد بهمان ط ٢ ، دمشق ، دار الفكر للطباعة
والتوزيع والنشر ، ... — ١٩٨٢ م ، ١٨٠ ص ط معجم
مصنفات القرآن الكريم ٢ / ٢٤١٥، ٢٤١٦ .

٢٨٦ — ملاحظات على طبعة المصحف الشريف بخط المرحوم
حامد الامدي — وليد الاعظمي . الرسالة الاسلامية (بغداد) ع
١٦٠ — ١٦١ (١٤٠٣ — ١٩٨٣) ٩١ — ٩٧ .

٢٨٧ — ملاحظات على كتاب بدائع الخط العربي للمرحوم ناجي
زين الدين المصروف — وليد الاعظمي الرسالة الاسلامية
(بغداد) ع ٦٢ — ٦٣ (١٣٩٣ — ...) ٦٥ — ٧٢ .

٢٨٨ — ملاحظات على كتاب : الخط العربي الاسلامي —
تأليف : تركي عطية الجبوري — وليد الاعظمي مجلة المجمع
العلمي العراقي (بغداد) ج ٣ — ٤ ، مج ٣٢ (١٤٠١ —
١٩٨١) ٦٣٩ — ٦٥١ .

٢٨٩ — ملاحظات على كتاب (مصور — الخط العربي للمرحوم
ناجي زين الدين المصروف) بقلم : وليد الاعظمي الرسالة
الاسلامية (بغداد) ع ٤٣ (١٣٩١ — ...) ٥٦ — ٦٤ .
٢٩٠ — ملاحظات على (مصور الخط العربي للمرحوم ناجي
زين الدين المصروف) .

١٩٨٠ ، ٤٢٣ ص .

٢٧٢ — مصور الخط العربي — للمرحوم ناجي زين الدين المصروف .
عرض : وليد الاعظمي . الرسالة الاسلامية (بغداد) ع ٤٣
(١٣٩١ — ...) ٥٦ — ٦٤ .

٢٧٣ — مع آلات الخط العربي — ضياء محمد حسن
النصار . التراث الشعبي (بغداد) ع ٤ (... — ١٩٧٦) ٩٩ — ١٠٦ .
٢٧٤ — مع بدائع الخط العربي (للمرحوم : ناجي
زين الدين المصروف) في مادته وشروحه — بقلم : عطا
الحديثي واسامة ناصر النقشبندي المورد (بغداد) ع ٢ ،
مج ٣ (١٣٩٤ — ١٩٧٤) ٢٢٣ — ٣٢٦ .

٢٧٥ — مع الخطاط يوسف ذنون — عبد الوهاب النعيمي
العاملون في النقط (الموصل) ع ١٠٣ ، س ١٠ (... —
١٩٧١) ٣٤ — ٣٦ .

٢٧٦ — معرض الخط والزخرفة لجمعية الخطاطين
العراقيين — محمود شكر الجبوري ، الاجيال (بغداد)
ع ١٠٤ (... — ١٩٨٣) ٦٨ — ٦٩ .

٢٧٧ — معرفة الفرق بين الظاء والضاد — لابي محمد بن
احمد الصدي الاشبيلي الصابوني (... — ٦٣٤ هـ /
... — ١٢٣٦ م) مخ ط كتب الضاد والظاء ٢٧٨ —
٢٢٨٥٨٨ ومشكلة الضاد العربية ٢٠٢٣٢ .

٢٧٨ — معرفة ما يكتب بالضاد والظاء — لابي القاسم
سعد بن علي محمد الزنجاني (... — بعد ٤٧٠ هـ / ... —
١٠٧٧ م) تج د : موسى بناي علوان العلي ، بغداد ،
منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الدينية ... — ١٩٨٣ ، ط
كتب الضاد والظاء ١٦٥٨٤ ومشكلة الضاد العربية
٢٢٧ — ٩٢٢٨ .

٢٧٩ — معنى القول الميثور (لغة الضاد) — د : ابراهيم
انيس . البحوث والمحاضرات لمجمع اللغة العربية
(القاهرة) ج ١٠ (١٩٦٦ — ١٩٦٧)

وفي الاصوات اللقوية ، وفي مجلة / العرب
(الرياض) ج ١١ ، س ١ (١٣٨٧ — ١٩٦٧)
٩٦١ — ٩٨١ .

٢٨٠ — مقابلة عن كتاب الخط العربي — محمود شكر
الجبوري . الف باء (بغداد) ع ٣٤٧ (... — ١٩٧٥) .
٢٨١ — مقتنيات مما حفظ من المصاحف الاولى — الستر .
نشرة متحف متروبوليتان للفن مج ٣٦ (١٩٤١)
١٦٥ — ١٦٨ .

نقد د : مصطفى جواد مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد)
 مج ١٧ (١٣٨٨ - ١٩٦٩) ٣٠٥ - ٣١٠ .
 ٢٩١ - من عالم التبريات العربية - ادولف جروهمان ، القاهرة ، ١٩٥٢ .
 ٢٩٢ - من المصحف الكوفي كتابة الخطاط الشيخ محمد
 المرسي - محمود البدوي مجلة كلية القرآن الكريم والدراسات
 الاسلامية ع ١ (١٤٠٢ - ١٩٨٢) ١٢١ - ٣٦٢ .
 ٢٩٣ - من نواير المخطوطات : مواد البيان لملي بن خلف
 الكاتب - المرجوم د : نوري حمودي القيسي مجلة المجمع
 العلمي العراقي (بغداد) مج ٢ ، مج ٣٩ (١٤٠٨ -
 ١٩١٨) ١٤٤ - ١٨٤ .
 ٢٩٤ - منشأ الخط العربي وتطوره - حسن قاسم حبش ،
 التراث الشعبي (بغداد) ع ٧ (... - ١٩٧٢) ٥٧ - ٦٥ ع
 ١١ (... - ١٩٧٢) ١٠٩ - ١١٤ .
 ٢٩٥ - منشأ الخط العربي وتطوره لغاية عهد الخلفاء
 الراشدين - المرجوم : ناصر النقشبندى . سومر (بغداد) مج ٣
 (... - ١٩٤٧) ١٢٩ - ١٤٢ .
 ٢٩٦ - منظومة في رسم الخط - لصالح بن محمد بن محيي
 الموصلي السعدي (١٢٥٢ هـ - ١٨٣٦ م) ط ١ ارجوزة
 في رسم الخط .
 ٢٩٧ - منظومة في الصاد والضاد - لابي البيان بنابن محمد
 ابن محفوظ الحشقي (... - ٥٥١ هـ / ... - ١١٥١ م) ط
 كتب الضاد والظاء ٥٩٣ - ٤٧٥٩٤ .
 ٢٩٨ - منظومة في الظاء - للحريزي القاسم بن علي بن محمد
 (... - ٥١٦ هـ / ... - ١٠٢٢ م) ضمن المؤلف هذه المنظومة
 الدقامة السادسة والاربعين (المقامة الحلبية) من مقاماته ط
 كتب الضاد والظاء ٥٩٦ - ٤٦٠٩٦ .
 ٢٩٩ - منظومة في ظاءات القرآن - للشاطبي القاسم بن فيرة
 ابن خلف (... - ٥٩٠ هـ / ... - ١١٩٣ م) ط كتب الضاد
 والظاء ٥٠٦ - ٥٠١ .
 ٣٠٠ - منظومة في الظاءات القرآنية - لاسماعيل بن علي بن
 سعد الواسطي (... - ٦٩٠ هـ / ... - ١٢٩١ م) ط كتب الضاد
 والظاء ٥٩٤ - ٤٣٠٩٤ .
 ٣٠١ - منظومة في الفرق بين الضاد والظاء - لابي نصر محمد
 بن احمد بن الحسن بن محمود الفروخي (... - ٥١٧ هـ / ... -
 ١١٦٢ م) ط كتب الضاد والظاء ٥٩٧ - ٤٩٦٠١ .
 ومشكلة الضاد العربية ٢٣٠ - ١٤٢٣١ ط الاربوزة الحائرة .
 ٣٠٢ - منظومة في الفرق بين الضاد والظاء - لابن دلة

الواسطي ابي العباس احمد بن محمد بن ابي المكارم (... -
 ٦٥٣ هـ / ... - ١٢٥٥ م) ط كتب الضاد والظاء
 ٥٤٦٠٣ .
 ٣٠٣ - منظومة في الفرق بين الضاد والظاء - محمد الخزرجي
 (٩) ط مشكلة الضاد العربية ٢٣٦ - ٣٠٢٣٦ .
 ٣٠٤ - منظومة في الفرق بين الظاء والضاد - عبد المجيد بن
 علي بن محمد بن علي الحسن بن المناوي (... - ١١٦٣ هـ)
 ط مشكلة الضاد العربية ٢٣٥ - ٢٨٢٣٦ .
 ٣٠٥ - المنظومة المستطرفة في الظاء والضاد - لجعفر بن
 محمد الاعرجي (... - ١٣٣٢ هـ / ... - ١٩١٤ م) ط كتب
 الضاد والظاء ٦٧٦١٣ .
 ٣٠٦ - المنظومة النظامية في الضاء والضاد - لجعفر بن
 محمد الاعرجي (... - ١٣٣٢ هـ / ... - ١٩١٤ م) ط كتب
 الضاد والظاء ٦٨٦١٣ .
 ٣٠٧ - منهاج الاصابة في معرفة الخطوط وآلات الكتابة -
 محمد بن أحمد الزفتاوي المصري (... - ٨٠٦ هـ / ... -
 ١٤٠٣ م) تح الاستاذ : هلال ناجي المورد (بغداد) ع ٤ ، مج
 ١٥ (١٤٠٧ - ١٩٨٦) ١٨٥ - ٢٨٤ .
 ٣٠٨ - المواد المستعملة في كتابة الكتب بالخط العربي في
 العصر العباسي سهيلة الجبوري مجلة كلية الآداب (جامعة
 بغداد) ع ٤ (... - ١٩٦١) ٤٦٥ - ٤٧٠ .
 ٣٠٩ - موازنة بين رسم المصحف والنقوش العربية القديمة
 (بحث لغوي) - د : غانم قدوري الحمد . المورد (بغداد)
 ع ٤ ، مج ١٥ (١٤٠٧ - ١٩٨٦) ٢٧ - ٤٤ .
 ٣١٠ - مورد الظمان في رسم أحرف القرآن - للخراز ابي
 عبدالله محمد بن محمد بن ابراهيم الاموي الشريشي (... -
 ٧١٨ هـ / ... - ١٣١٨ م) طرابلس ، مكتبة النجاشي د ،
 ٣٦٥ ص ط معاجم مصنفات القرآن الكريم ٢ / ٢٨٦ - ٢٨٧
 و ٢٤١٨ .
 ٣١١ - موسوعة الخط العربي - المرجوم : ناجي زين الدين
 المصروف ، بغداد ، دائرة الشؤون الثقافية والنشر ، ... - ١٩٨٤ ،
 ج ٢ ، ٢٢٩ ص والسلسلة الفنية - ٢٥١

— ن —

٣١٢ - نافذة على مغزى الخط والزخرفة في معهد الفنون -
 محمود شكر الجبوري ، الاجيال (بغداد) ، ع ٤٣ (... -
 ١٩٧٦) ٤٢ - ٤٣ .
 ٣١٣ - النيراس الوضاء في الفرق بين الضاد والظاء - لمحمد

عيسى بن مواهب في الظاء المعجمة — تح الأستاذ ، هلال ناجي
المورد (بغداد) ع ١ ، مج ٢٧ (١٤١٩ — ١٩٩٩) ٩٧ —
١١٠ .
... — ط ٢ ، بيروت ، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ،
١٤٢٠ — ١٩٩٩ ، ٦٤ ص .

— نصوص أخرى من كتابة صناعة الكتاب — لابن النحاس ظ
صناعة الكتاب
— نصوص باقية من صناعة الكتاب — لابن النحاس ظ صناعة
الكتاب

٢٢٨ — نصوص عربية من العراق تعود للقرون الثلاثة الاولى
للهجرة : دراسة جديدة لا قدم نص عربي — اسامة ناصر
النقشبندى . بين النهرين « الموصل » ع ١٤ — ١٥ (...) —
١٩٧٩ (١٦٧ — ١٨٤) .

٢٢٩ — نصوص في اجازات الخطاطين — المرحوم عباس
المزاوي . المورد (بغداد) ع ٣ — ٤ ، مج ١ (١٣٩٢ —
١٩٧٢) (١٨٠ — ١٨٦) .

٢٣٠ — نظرات في ١ — مصور الخط العربي للمرحوم ناجي زين
الدين المصروف ٢ — نقد : يوسف ذنون مجلة المجمع العلمي
المراقي (بغداد) مج ٢٥ (١٣٩٤ — ١٩٧٤) ٢٤٦ —
٣٠٠ .

٢٣١ — نظرة في اقدم كتابة كوفية مؤرخة — نرنيس كرنكو . لغة
العربي (بغداد) مج ٧ (... — ١٩٢٩) ٥٠٦ — ٥٠٨ .
٢٣٢ — نظم ظاءات القرآن — لمجهول ظ كتب الضاد والطاء
٧٩٦٢٠ .

٢٣٣ — نظم لاليء السمط في حسن تقويم الخط — نظمها ابو
العباس احمد بن محمد القسطلاني (... — ١٢٥٦ هـ) تح
الأستاذ : هلال ناجي . المورد (بغداد) ع ٤ ، مج ١٥
(١٤٠٧ — ١٩٨٦) (١٧٣ — ١٨٤) .

٢٣٤ — نقد للصور المقترحة في اصلاح الكتابة العربية — مهدي
الظالمي اللسان العربي (الرباط) ع ١١ (... — ١٩٧٤) ٩٥ — ٩٨ .
٢٣٥ — النقط والشكل — لابي حاتم السجستاني سهل بن
محمد البصري اللغوي المقرئ (١٧٢ — ٢٥٥ هـ / ٧٨٨ —
٨٦٩ م) ظ مقدمة فعلت وافعلت تح المرحوم د : خليل ابراهيم
المطية ٤٢٤٣ .

٢٣٦ — نماذج خاصة بتيسير الكتابة العربية — صبحي السبكي
مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة) ع ٣٥ (... — ١٩٧٥)
٢٠٢ .
٢٣٧ — نماذج من الخط الاسلامي في مجموعة غوش في
كلكتا — محفوظ الحاج ، المجلة الاسلامية ع ٢ ، مج ٢

ابن عبد الرحمن الخلوحي العباسي الحنفي الاسكندري (... —
١٣٦٨ هـ) (١٩٤٨ —) ظ كتب الضاد والطاء ٣٤٥٩١ .
٢١٤ — نساء الخطاطات ظمياء محمد عباس ، المورد (بغداد)
ع ٤ ، مج ١٥ (١٤٠٧ — ١٩٨٦) (١٤١ — ١٤٨)
٢١٥ — النسخ والتث — المستشرق ادولف جروهمان ترجمة :
غلام محمود تقديم : يوسف ذنون ، المورد (بغداد) ع ٤ ،
مج ١٥ (١٤٠٧ — ١٩٨٦) (١١٣ — ١٢٢) .

٢١٦ — نشأة الخط العربي وتطوره — احسان النمر ، المعرفة
(دمشق) ع ٥٤ ، ص ٥ (... — ١٩٦٦) ٧٦ — ٨٣ .

٢١٧ — نشأة الخط العربي وتطوره — عبد الجبار السامرائي .
قافلة الزيت (الرياض) ع ٥ ، مج ٢١ (... — ١٩٨٣) ٤ — ٨ .
٢١٨ — نشأة الخط العربي وتطوره — محمد ابو الفرج
المعش الحوليات الاثرية العربية (حلب) ج ١ — ٢ ، مج ٢
(... — ١٩٧٢) ٥٥ — ٨٤ .

٢١٩ — نشأة الخط العربي وتطوره — محمود شكر الجبوري ،
ط ٢ ، بغداد مكتبة الشرق الجديدة ، ... — ١٩٧٤ ، ٥٦٠ لمص .
٢٢٠ — نشأة الخط العربي وتطوره . الخط العربي قبل
الاسلام — محمد ابو الفرج المعش الدارة (الرياض) ع ١ ، ص ٥
(... — ١٩٧٩) ١٠٨ — ١٣٥ .

٢٢١ — نشأة الكتابة وتطورها — حسين عويس مطر . الفيصل
(الرياض) ع ١٠ ، ص ١ (١٣٩٨ — ١٩٧٨) ١٣١ — ١٢٨ .
٢٢٢ — نشأة الكتابة والكتاب : الخط العربي د : شاكر محمود
عبد المنعم ، التضامن الاسلامي ع ١٠ ، ص ٣٦ (١٤٠٢ —
...) ٧٤ — ٧٨ .

٢٢٣ — نشأة وتطور الكتابة الخطية العربية — فوزي سالم
عفيفي . القاهرة ١٤٠٠ — ١٩٨٠ م .

٢٢٤ — نشوء التشكيل والاعجام في العربية — بقلم المطران :
اندراس حنا ، مجلة المجمع العلمي العراقي (الهيئة
السريانية) ع ٥ ص ١٩ (... — ١٩٨٥) ٣ — ٤٦
٢٢٥ — نشوء الخط العربي — المطران اندراوس حنا . مجلة
مجمع اللغة السريانية (بغداد) ع ٤ (... — ١٩٧٨) ٢ —
٣٧ .

٢٢٦ — نشوء الخط العربي وترتيب حروفه — اندراوس حنا .
مجلة المجمع العلمي العراقي (هيئة اللغة السريانية) ع ٥
(١٩٧٩ — ١٩٨٠) ٤٥ — ٧٠ .

٢٢٧ — نسان نابران في الظاء ١ — بيتان في ظاءات القرآن
مشروحان لابن مالك (ت ٦٧٢ هـ) ٢ — قصيدة ابي منصور

(١٩٢٩) ٣٦ - ٥٦ + ٨ ص لوحات .
٣٢٨ - هاشم الخطاط (١٩٢١ - ١٩٧٣) . بقلم : ثابت
منير . المورد (بغداد) ع ٣ ، مج ٥ (١٣٩٦ - ١٩٧٦)
٥١ - ٥٣ .

٣٣٩ - هاشم الخطاط (قصيدة) - لابي التيم الكبيسي
الرسالة الاسلامية (بغداد) ع ٦٧ - ٦٨ (١٣٩٣ - ...) ٧٦ .
٣٤٠ - الهجاء للكساني ابي الحسن علي بن حمزة (...)
١٨٩ هـ) .

٣٤١ - الهجاء - لابي حاتم السجستاني : سهل بن محمد
البصري اللغوي (١٧٢ - ٢٥٥ / ٧٨٨ - ٨٩٩) ظ
مقدمة نعلت وافعلت تح المرحوم د : خليل الدطية ٤٣ -
٤٤٤٤ وابو حاتم السجستاني الراوية لسعيد جاسم الزبيدي
٤٨٥٦ مقدمة الاضداد تح د : محمد عبده ابو جزي ٤١٣٨ .
٣٤٢ - الهجاء لتعلب ابي العباس احمد بن يحيى بن زيد
الكوفي (٢٠٠ - ٢٩١ هـ / ٨١٦ - ٩٠٤ م) .

٣٤٣ - الهجاء لابن السراج ابي بكر محمد بن السري بن سهل
البغدادي النحوي اللغوي (... - ٣١٦ هـ / ... ٩٢٩ م) ظ
مقدمة الاصول في النحو ج ١ / ٧١٧ .

٣٤٤ - الهجاء - لابي بكر محمد بن القاسم بن يشار الانباري
البغدادي (٢٧١ - ٣٢٨ هـ / ٨٨٤ - ٩٤٠) ظ مقدمة
الزاهر في معاني كلمات الناس تح د : حاتم صالح الضامن
١٤٠ / ٤١٢٥ .

٣٤٥ - الهجاء لاحمد بن سعد الكاتب .
٣٤٦ - الهجاء لابي بكر بن الجعد .

٣٤٧ - الهجاء - لابن درستويه ابي محمد عبد الله بن جعفر
(٢٥٨ - ٣٤٧ هـ / ٨٧٢ - ٩٥٨ م) .

٣٤٨ - الهجاء - للرماني ابي الحسن علي بن عيسى بن
عبد الله (٢٩٦ - ٢٨٤ هـ / ٩٠٩ - ٩٩٤ م) .

٣٤٩ - هجاء المصاحف - لابي محمد مكي بن ابي طالب
حموش القيسي الاندلسي المقرئ (٣٥٥ - ٤٣٧ هـ /
٩٦٦ - ١٠٤٥ م) .

٣٥٠ - الهجاء والخط - لابن كيسان ابي الحسن محمد بن
احمد البغدادي اللغوي (... - ٢٩٩ هـ أو ٣١٠ هـ) .

٣٥١ - هكذا ساهم الخط العربي في احياء العقيدة والتراث -
فوزي تادرس اللوحة ع ٧٤ ، ص ٧ (... - ١٩٨٢) ٥١ -
٥٩ .

٣٥٢ - هل ينبغي تغيير الحروف العربية - الاب المرحوم

٣٥٣ - واقع اختبارات الخط العربي في مدارس القطر الابتدائية
عوامل القصور فيها وطرق تلافيها - منى يونس بحري المعلم
الجديد (بغداد) ج ١ ع ٤١ (... - ١٩٧٩) ٢٦ - ٣٢ .
٣٥٤ - ورق القرآن (الكريم) (بالانجليزية) - اناند اكومارا
سواي نشرة متحف بوسطن للفنون الجميلة مع ١٨ (١٩٢٠) ٥٢ .
٣٥٥ - ورق المصحف الشريف .

٣٥٦ - الورق والوراقة في الحضارة الاسلامية - محمد طه
الحاجري مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد) مج ١٢
(١٢٨٤ - ١٩٦٥) ١١٦ - ١٣٨ مج ١٣ (١٩٨٥ -
١٩٦٦) ٦٣ - ٨٨ .

٣٥٧ - كتاب ورود حرف الظاء خاصة في كتاب الله - لابي عمرو
الداني (ابن الصيرفي) عثمان بن سعيد بن عثمان الحافظ
(٣٧١ - ٤٤٤ هـ / ٩٨١ - ١٠٥٢ م) ظ كتب الضاد
والظاء ٥٩٥ - ٥٩٦ .

٣٥٨ - الوزير ابو علي محمد بن علي بن مقلة (٢٧٢ -
٣٢٨ هـ) - د : نافع توفيق العبود ، المورد (بغداد) ع ١ ، مج
١١ (١٤٠٢ - ١٩٨٢) ٦١ - ٧٢ .

٣٥٩ - الوزير الخطاط ابن مقلة - هاشم عبد اللطيف . العربي
ع ٢٩٨ [١٤٠٣ - ١٩٨٣] ٩١ - ١٠٣ .

٣٦٠ - وضاحة الاصول في الخط - نظم عبد القادر الصيداوي
(قبل القرن الثاني عشر الهجري تقريباً) . تح الاستاذ : هلال
ناجي المورد (بغداد) ع ٤ ، مج ١٥ (١٤٠٧ - ١٩٨٦)
١٥٩ - ١٧٢ .

— ي —

٣٦١ - ياقوت المستعصي الخطاط ذو القلم الساحر - د :
صلاح الدين المنجد . العربي ع ٤ (... - ١٩٥٩) ١٠٩ -
١١١ .

٣٦٢ - يوسف ذنون مدرسة الابداع في الخط العربي - تأليف :
عبد العزيز عبد الله محمد ، ط - ١ ، الموصل ، ١٤٠٦ -
١٩٨٦ ، ٤٢٤ ص - عرض المرحوم : سعيد الديوه جي المورد
(بغداد) ع ١ ، مج ١٦ (١٤٠٧ - ١٩٨٧) ٢٤١ -
٢٤٦ .